al-Khafājī, Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad

هذا كتاب ريحانة الالبا وزهرة الحياة
الدنيا للاريب الكامل والاديب
الفاضل شهاب الدين محمود
الخفاجي نفعنا الله
بعلومه والمسلمين
آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن سرّح عيون البصائر فى رياض النعم * رياض زهت فيها رياحين العقول وتفتحت بنسيم اللطف أنوار الحكم * فاجتنت منها أيدى المنى فواكه الارواح واقتطفت شقيق الشقيق من بين أقاحى الصباح * والندى طرّز برد النسيم ببلاله لما رأى مجامر الزهر تحت أذياله من قبل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح * وأشكره شكرا يطوّق جيد البلاغة نظيم عقوده وينسج ببنان البيان على منواله البراعة رقيق بروده * على نعم لا تفنى من معادن الوجود جواهرها * ولا تذوى من خمائل الفصاحة أزاهرها * ونهدى صلات الصلاة لناظم عقد الدين بعد نثره * المؤيد بآيات لا يزال يتلوها لسان الدهر ولو طار نسر السماء من وكره * وكلت دونها ألسنة أسنة الطاعنين * وحميت حديقتها بشوكة الاعجاز فلم تلمسها يد أفكار المعارضين * فصار السابقون فى حومة البلاغه الماهرون فى صناعة الصياغه * ما بين ساكت ألفا * وناطق خلفا * ومشمر

ذيله * ومدرع ليله * تسربل سابغة دجى فتبرها نجوم ليل دجا * حتى اشتفت نفس الاسلام من دائهم * وزال كلب الكفر بما أريق من دمائهم * فبيوتهم خاويه * ونفوسهم على أثر تلك البيوت قافيه * وعلى آله الذين تفتحت لهم كمائم المعاقل عن زهر النصر * وتحلى بعقود عهودهم جيد كل عصر

فجنوا لهم ثمر الوقائع يانعا * بالغر من ورق الحديد الاخضر

لازالت سحب الرحمة المطنبة بالقطر مخيمة على مراقدهم * ولابرحت تحايا المزن مهيمنة بلسان الرعد على معاهدهم * ماسقى غدير المجرة روضة السماء * وزها نرجس النجم تحت بنفسج الظلماء * هذا وانى كنت قبل أن تشيب منى الخطوب الذوائب * وتصبح كبدى وأحشائى بلظى النوائب ذوائب * والزمان ربيع وروض الشباب مريع * أعد الادب عنوان صحائف الشمائل * وبيت القصيد فى ديوان المآثر والفضائل * انفق نقد عمرى فى اقتنائه واقتناص شوارده وأملأ أصداف المسامع مما يستخرج غواص الافكار من فرائده * وأشيم بارقة السحر من نفثاته * وأشم عبير السرور من أردان نسماته * وأرتشف من طبى ماينم على سر الزجاجه * وأشتف منه ماأسأرته الجدود من ذؤابة خفاجه صبابة مجد لم يكدرها فى جام المشارب * ورد الخطوب وازدحام الشوائب

فانى من العرب الاكرمين * وفى أول الدهر ضاع الكرم

ومازلت على هذا الحال * مذ فارقنى الخال * لاد أب لى الا تلقى وفوده لاستهداء تحف الاخبار التى هى ألطف من دمع الطل فى وجنات الازهار

ومن يسأل الركبان من كان نائيا * فلابد أن يلقى بشيرا أوناعيا

من أحاديث يشتفى بها الغليل * ويصح مزاج النسيم العليل * تتفتح منها فى رياض المسامره * من أجفان الكمائم عيون أنوارها الزاهره * ويحسو فم السمع منها ماء حياة يطيل عمر المسرة * وتكتحل منها المآثر بماء ولعيونها قرة * من كل من هو لتشييد المجد أكرم بانى * حتى تكفل الثناء له بعمر ثانى * يشب فى وجه السماء حاجب القمر هلالا * ويشتعل منه رأس الشمس شيبا ولم نزله مثالا

اذا ماروى الانسان أخبار من مضى * فتحسبه قد عاش من أول الدهر

وتحسبه قد عاش آخر دهره * الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر

قوله وعلى آله الالبق بسابقه أن يقول وعلى آله ١ه

فقد عاش كل الدهر من عاش عالما * كريما حليما فاغتنم أطول العمر
وسواء تلفت المريض للطبيب * وفرحة الاديب بلقى الاديب * لاسيما أهل العصر *
المعاصرى أغصان المنى ألطف هصر * القائلين فى غياضها * الواردين عين حياضها *
فقد سرت كلماتهم مسرى الارواح فى الاجساد * وأثنى عليها اثناء نسيم الرياض
على العهاد * وقد انتصر لكل عصر من أحياميته * وعمر من دارس عهوده بيته *
كصاحب اليتيمة وقلائد العقيان * والدمية والذخيرة وعقود الجمان * وحمية المرء
لعصره * وقيامه على منابر نصره * من آيات الفتوه * التى هى على لسان الحمية
متلوه * فليس منا من لم يغتذ بدر المجد فى مهاده * ولم يفتخر فى المحافل باستاذه
واسناده * الا أن الادب فى هذه الاعصار قد هبت على رياضه ريح ذات اعصار *
حتى أخلقت عرى المحامد * واسترخى فى جريه عنان القصائد * وتقلصت أذيال
الظلال * وخطب البلاء على منابر الاطلال * وعفا رسم الكرام * فعليه منى السلام

وعما أعان على الزمان * عفاف يدى وعلو الهمم

والرؤساء شعراء لا ينظمون ولا ينثرون * وليس فيهم من صفات الشعراء الا أنهم
يقولون مالا يفعلون * واذا كذب مادح أحدهم اهتز وطرب وجازى من سراب وعده
بكذب على كذب * وبالوعد الفطير لا بخمر الخمير * وبأحسنت لا بياع الشعير *
وبرعد الوعد * لا يسقى غرس الحمد

فلا تلوموه فى وعد يردده * فى وقت مدح له علمته الكذبا

ومع هذا فكم هبت لهم أنفاس معطرة بالنجاح * مزرية فى وقتها بأنفاس الصبا فى
الصباح * يهزها السماح هيف معاطفه * وينشر تحت أقدامها الزمان بساط عواطفه
تمسك كف الشمال بأذيالها * وتتفيأ العشاق فى هجير الاشواق صافى ظلالها
وترد صافى زلالها * من كل حديث تليد وطارف * له وشى على كاهل المجد ولا كوشى
المطارف * تزهو به الطروس على صفحات الخدود والمحسنات بالسوالف * فى كل
ورقة منها خمائل * تسوغ مياه فصاحتها فى لهوات الجداول

تكاد يدى تندى اذا ما لمستها * وينبت فى أطرافها الورق الخضر

من كل من ألحق المتأخر بالمتقدم فى تطبيق مفاصل معانيه * واخراج مخبآت عطره
من جونة مبانيه * وان تأخر عصره فلا باس * فى تأخر النتيجة عن القياس * والخدم

تتقدم

تتقدم بين يدى الساده * والسنن أمر بتقديمها على الفروض فى العباده * وتقدم الآحاد * يرقى مرتبة الاعداد

أوما ترى أن النبى محمدا * فاق البرية وهو آخر مرسل

فيا أدلاء الهدى انى آنست من جانب الطور نارا بها تهتدون * أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون * فان لم يترك الاول شيأ للآخر * فخير من الكثير الغائب القليل الحاضر * ويا من هم فى محيا الايام حسنة * لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فلا يزرى بالنور تأخره عن غراس أغصانه * ولا يكل مضاء السنان كونه فى أطراف مرانه * على أنه قد تتساوى الاصائل والبكر * وتتشابه طرر العشيات والسحر * وليس الا الحسد رغبة الطبائع * عن محاسن لاهل العصر هى ملء الافواه والمسامع

وما شكرهم للميت الا لانه * بما حل فى أيديهم غير طامع

ولله در ابن رشيق فى قوله

أولع الناس بامتداح القديم * وبذم الجديد غير الذميم

ليس الا لانهم حسدوا الحى * فرقوا على العظام الرميم

والحى ان حل تيهاء باديه * فستغدو محاسنه على رغم الخمول باديه * ولنا فى ذمة الدهر ديون بأوقاتها مرهونه * فاذا جاء ابانها فك الزمان رهونه * على انى أستغفر الله من دهر كانت فيه مرهفات الطباع * ونفضت الآمال فيه يدها من غبار الاطماع * وافنيناه على الهرم * وقد قلع ضرس الندم * بعدما أكل باكورة الكرماء * وشابت بالصباح لياليه الدهماء * ودب خرفا على عصا الجوزاء * وكنت لما ذبل بالنوى عيشى النضر * وليت سياحة الآفاق فصرت خليفة الخضر * تهادتنى التنائف * وقذفتنى الامانى فى لهوات المخاوف * كأنى قذاة بأجفان الدهر * أو سفاة بوجه نهر أو كرة لاعب * أو سهم محارب * طورا أشق قلب الشرق كأنى أفتش على الفجر * وتارة أمزق كيس الغرب حتى كأنى أريد أن أخرج منه دينار البدر * أفلى لمة ليل دجا * شاب فوقها فرق ابن جلا * يخيل لى أن البلاد مسامع أنا فيها مر الملام * أو فكر بليد أتاحواله معنى دق أن تتصوره الاوهام * غريب فى عيون الظنون * كأنى بيت حسان الثابت فى ديوان سحنون * أو مصحف فى بيت زنديق * أو عابد فى صومعة بطريق * أو بكر معنى سار فى مثل * أو غض عمر جرى خلفه رائد أجل * أو خبر لم

يصح له سند * فلم يقبله من الثقات أحد

كأن له دينا على كل مشرق * من الارض أوثارا على كل مغرب

أردموارد الحوب * مكدرة بغصص الخطوب * فلم أوب ببدو ولا حضاره * كأنني من الشهب السياره * وقد قيل تنزل الالقاب من السما * فلكل من اسمه نصيب الخط أو سما

وطني حيث حطت العيس رحلي * وذراعي الوساد وهي مهادي

فكل جولي بين ابراق وارعاد * وأماني في مهامه الحيرة بين اتهام وانجاد * والزمان يضمر سلب ما أولاه بخلاف ان جاد * وألسنة أبنائه عن الاجابة صمت * وآذانهم عن صريخ الاستغاثة صمت * فقد خلا من المكارم مغناها * وأصبح لا يجاوب البوم الا صداها * لكنني مع أهواله * ودروس رسوم السرور في أطلاله * وان توسدت ذراع الهم في دياجيها * وقطعت ظلمة الشدائد في سنابدر أمانيها * أتعالل بأن السيف لا يقطع في قرابه * والليث لا يصل لغرض الفرائس في غابه * ولولا مفارقة القوس ما أصاب سهم ولولا بعد الدر عن الصدف لم يظفر من الغيد بأوفى سهم * فلذلك أضاحك مباسم الاماني * وأغازل عيون الآمال والتهاني * وأنزه طرفي في رياض الدفاتر * ولم أقل مع السرور الا في ظل طائر * فزمان مسراتي أقصر من عمر الكرام * وفؤادي لم يهتد الى طرق سلوة المدام * في أويقات أثقل من السؤال * وأطول من عمر الآمال * أشأم من وجه خناس * وأثقل من غريم ملح على افلاس * ولم يكف الدهر ما ورثنيه من الحرمان حتى ابتلاني بعد الاثبات بالنفي كأني تكلت أم الزمان * وأنا أستغفر الله جل وعلا ولا أرتضي عثرة أبي العلا في قوله

اذا ما ذكرنا آدما وفعاله * وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا

علمنا بأن الناس من نسل فاجر * وان جميع الخلق من عنصر الزنى

فانه كفر من وسوسة الشيطان * وغلو منه في خلعه ربقة الايمان * بل أقول ما قال ابن عنين

انفوا المؤذن من بلادكم * ان كان ينفى كل من صدقا

والحسين بن أبي عقامة في الرد عليه (أي على أبي العلاء)

لعمري أما فيك فالقول صادق * وتكذب في الباقين من شط أودنا

كذلك اقرار الفتى لازم له * وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا

فلا سمير لي أجالسه * ولا نديم لي أؤانسه * سوى أوراق كنت خلعت عن منكب الاقبال بردها الخليع * وجعلتها كبيت العروض ادخارها للتقطيع * فوجدت فيها نبذة من المحاسن أسرها الدهر في خاطره * شاهدة لقول معدن الحكم أمتي كالمطر لا يدري الخير في أوله أم في آخره * ممن جر عليه الزمن أذيال الفنا * وأسكنه تحت أطباق الثرى * فحل مخيم البلى كأنه سر في صدره * ومن باق على هامة الليالي تعبق أنفاس الرواة بذكره * ممن ركبت لرؤياه مطايا أيام عمري * أو نابت عني في مشاهدته أهل عصري * فاجتلوت محياه أو رأيت من رآه * حتى طربت على الاستماع * وعلمت أن الذكرى طيف الاجتماع * واذا كان الحب ممنوع * فالصب قنوع * يتعلل بمارقة سنيه * ويكفيه لمحة اشارة أو تحيه

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها * فلن تمنعوا مني البكا والقوافيا
فهلا منعتم اذ منعتم حديثها * خيالا يوافيني على النأى هاديا

فجمعت منها ما هو لطرف الدهر حور * ولجيد الأدب عقد يتبسم منظومه هزؤا بعقد الدرر * ولكاس الادب ختام * ولعقد حبابه نظام * تذكر العهود والموده * وتطلع في وجنة الوفاء ورده * وتندب من ألقى للبلاء قياده * وتلبس عليه وجه الطرس حداده * وتسيل في عاتق المحاسن غواليا * وترق فلا يدري ألفظ رق أم دمع ترقرق جاريا * وتسجد الاقلام في محراب طرسها الذي هو للمحاسن جامع * ويود كل عضو اذا تليت أحاديثها لو أنه مسامع * وهي وان كانت عقدا ينتثر دره * وأفقا تبدد بيد الصباح زهره * ونورا نشرته كف الشمال فانتظم على ترائب الماء السلسال * فلربما انتثر العقد المفصل * ليعود أحسن في النظام وأجمل * فهذه ذخائر من خبايا الزوايا * فيما في الرجال من البقايا * تنفس الدهر بها عن نفحة عنبريه * ووهبت بها أنفاسه الندية نديه تنفس الروض في الاسحار * عن أفواه النور والازهار

يسري على ريحانها نفس الصبا * سحرا فيوهم أنه ذكراها

فلذا أسميتها (ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا) فاني شممت بها روائح الشباب * ونظرت في مرآتها وجوه الاحباب * وتذكرت غابر الايام * اذ العيش غض والزمان غلام * من أعلام شم الانوف ان دعي بهم بنو الصغار تشمخ * في غرر أيام تقام بها مواسم الدهر وتؤرخ * وجعلت مسك الختام * ذكر سادة من العلماء الاعلام * فانه

بصبا أنفاسهم ينقشع غمام الغمه * وبذكرهم فى نادينا تتنزل الرحمه * فان عذبت موارد ها * فلتقترن بالدعاء فرائدها * فان عثر منها على كبوه * فليبذل لها اللبيب عفوه

على انخراض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا على ولاليا

وها أنا ذا أمتع الاسماع * بربيع أحوى الظلال ألمى التلاع * فاذا رأيت كلاما لاهل العصر لم تترنح أعطافه لهذا النسيم * فتمتع من شميم عرار نجد فما بعده من شميم * فليس من ليلى ولا سمره * ولا مما يهدى الناد من الادب باكورة ثمره * فكم من أشعار * للبخيل فيها أعذار

تالله ما بخل الكرام وانما * لبرودة الاشعار قد جمد الندا

فما كل مرتفع نجد * ولا كل واد ينبت الشيح والرند * وما كل سوداء تمره * ولا كل صهباء خمره * ولا كل بيضاء شحمه * ولا كل حمراء لحمه * ولا كل نبت يعلو بنباته * ولا كل برق يجود بسحابه * اللهم بحرمة سيد الانام * كما يسرت الابتداء يسر الختام * صارفا عنا سوء القضاء * ناظرا الينا بعين الرضاء

﴿القسم الأول﴾

فى محاسن أهل الشام ونواحيها * ومن برز من سرة رباها وبطن واديها * وتغذى بنسيمها وتربى فى حجر رياض نعيمها * وقال فى ظلال أغصانها المتعانقة هوى وودا * وتعطر بأنفاس شمائلها التى صارت للندندا * وطعم من مائها العذب * وروى بذوب لؤلؤها الرطب * وهو ماء الحياة فى سائر الصفات * الا أنه فى نور التقديس وهو فى الظلمات

﴿أحمد العناياتى﴾ صديق الصدق وخدن الصلاح * شفيق الندى وترب السماح روض سجيته غض ناضر * لو رآه المتنبى لقال ماهذا الاساحر * خلب الاسماع بنفثاته ونسج على منوال الرقة حلل عناياته * ذو حسب تليد * وباع فى المجد طويل مديد * لم يسطر مثل محاسنه فى كتاب الزمان * ولم تملأ بأنفس من جواهره حقاق الآذان * فيا لها جواهر اذا شاهدها مفتقر الى البيان * أغناه ياقوتها وجوهرها عن خرائد جمعت له بين الحسن والاحسان * مخبرها يطيب * ومنظرها كبدر على قضيب * تغرد على قضب براعته براعة حمائمها * وتفوح أنوار بلاغته اذا اقتضت الطروس عنها صحف كمائمها * طلعت شمس الادب من أفق أشعاره * وتفجرت ينابيعها من خلال آثاره * وهو الآن

فى جهة الشام غره * وفى حدائقها النضرة زهره * وفى سماء كمالها الزاهية زهره * وقد حلى بحلل الزهد كماله * ورأى برأيه الصائب اهمال ما أمهل له * لم يحتفل بأمر غد * قانعا بظل الخمول نكدا أم رغد * قائلا فى خمائله الرحاب * عف السريرة طاهر الاثواب لم يشرق بسؤال * ولم يغص بندامة الآمال * ولم يألف سكنا * ويتوطن مسكنا * كما قيل

ومن عجيب أن أكون شاعرا * وليس لى فى الناس بيت يعرف

كما وصف زيه فى قصيدته الزائية بقوله

اذا لم أعز فمن ذا يعز * وفقرى وقنعى كنز وحرز
لبست من اليأس فى الناس ثوبا * عليه من العقل والفضل طرز
ولست أرى الذل الا اذا كا * ن فى الحب والذل فى الحب عز
ومثلى حر غناه عباء * اذا استعبد الناس خز وبز

(ومن غرره قوله)

قلبى على قدك الممشوق بالهيف * طير على الغصن أم همز على الالف
وهل سويداؤه خال بخدك أم * خويدم أسود فى الروضة الانف
وهذه غرة فى طرة طلعت * أم بدر تم بدا فى ظلمة السدف
تخفى النجوم بنور البدر وهو بنو * ر الشمس وهى بنور منك غير خفى
يا بدر قلبى وطرفى فيك منتصف * بالوصل منك وهذا غير منتصف
القلب واصلت فيه وصل ممتزج * والطرف سديت عنه صد منحرف
ظبى تألفت منه غير ملتفت * غصن تعطفت منه غير منعطف
شفاء حر غليلى برد ريقته * والبرء من دنفى فى لحظه الدنف
ويلاه من ورد خد غير مقتطف * منه ومن خمر ريق غير مرتشف
عذلت عاشق عذلى فى محبته * فاعجب لذى شغف يلحى على الشغف
يظن أن سواه منه لى خلف * أساء فى الظن هل للروح من خلف
عذرى عشقى عذرى فيه متضح * كوجهه وهو مثل الشمس فى الشرف
فنيت سقما بخصر منه مختصر * فيه وطرفى ونومى غير مختلف
يطير قلبى الى ألحاظه شغفا * فاعجب له كيف يرمى السهم بالهدف

يا أيها الرشا الضارى عـلى مهج الآ ساد بالسيف من جفنيه لم يخف
عـما بحسنك من تيه ومن صلف * وما بعشقى من ذل ومن كلف
الله فى كبد للوجد فى كمد * اليك أسرف فيها الشوق فى السرف
ومغرم ماله من مسعف لعبت * به اللواعج لعب الريح بالسعف
أشفى محاف الضنا لما هجرت به * على التلاف ولو واصلته لشفى
يا باخلا بلقاه باذلا لدمى * فالوعد يخلف منه والوعيد يفى
حزت الجمال ألا تولى الجميل فقد * يصادف الحسن بالاحسان فى الصدف

(تتمة) اعترض على هذا المطلع بأنه لا وجه لتشبيه القلب بالهمز وأجيب بأن له وجها هو أنه وقع تشبيهه بالطائر لخفقانه وهم قد شبهوا الطير عـلى الغصن بالهمز والغصن بالالف ولما شاع هذا شبه به القلب وقد الحبيب وهذا فى باب التشبيه كالمجاز على المجاز والكناية على الكناية كما قيل فى وصف قصيدة همزية

والقوافى اليك حنت حنينى * فتأمل فهمزها ورقاه

وقوله والبرء من دنفى الخ معنى مشهور كقول ابن مطروح

أشتكى سقمى الى أجفانه * ومتى يشفى سقامى بسقم

وقوله ورنا الىّ بطرفه فكأنما * أهدى السقام لمدنف من مدنف

وقول ظافر الحداد

مريض لحاظ الطرف لولا جفونه * لما كنت أدرى السقم كيف يكون

وأصله قول المتنبى

أعارنى سقم عينيه وحملنى * من الهوى ثقل ما تحوى مآزره

وقوله فاعجب له كيف يرمى السهم بالهدف نوع من البديع يسمى العكس بديع فى بابه وهو كقول الذهبى

يطير فؤادى لألحاظه * غراما وشوقا وفيها التلف
فيا من رأى قبلها أسهما * يطير اشتياقا اليها الهدف

ونحوه قول ابن نباتة المصرى

صيرت نومى مثل عطفك نافرا * وتركت عزمى مثل جفنك فاترا
وسكنت قلبا طار فيك مسرة * أرأيت وكرا قط أصبح طائرا

وهما

ومما أنشدته له قوله أيضا من قصيدة

يا أيها الملأ الملاح افتوني * من ذا أباح لكم دم المفتون
من كل أسمر سن قتل محبه * بسنان أحور طرفه المسنون
قرله في القلب أشرف منزل * ان المكان مشرف بمكين
روض نضير لم يرده ناظر * الا ورد عيونه بعيون

العيون جمع عين بمعنى الباصرة و بمعنى الجاسوس

يحمي بنرجسه أقاحي ثغره * و يصون ورد الخد بالمرسين
وحياته وهي اليمين وانها * وحياته عندي أبر يمين
ماخنته اني وشخص جماله * حيث اتجهت على مثل أمين
قرن الوداد له فؤادي بالاسى * أكذا يجازي ود كل قرين
فاترك حديث شجون من قتل الهوى * قبلي وخذ مني حديث شجوني
قسما لو أن العامري معمر * ماجن الا معجبا بجنوني
والعقل مني ضاع في ثغر له * فيه الثنايا بين ميم سين
ياذا الملاحة والذي بجبينه * في كل ليل ملامة يهديني
لا يطرقن اللوم باب مسامعي * وعليه من صدغيك كالزرفين
يالائمي لك في الملامة دينك الـ * ـواهي كمالي في الصبابة ديني
لم يخطر السلوان عنه بخاطري * الا ورد من الجوى بمكين
كم خضت بحر الموت دون وصاله الـ * ـغالي ولم أك قانعا بالدون
وشفيت حر الوجد من برد اللمى * علما بأن الماء لا يشفيني
متعجبا من خده بالماء يد * وي بي أسا وبناره يوريني
وبخط عارضه أساور أرقا * منه فأقرأ منه ما يرقيني
ويظنني حاشاه أسلو حبه * والله من ظن العذول يقيني

وهي عراض قصيدة الرئيس أبي منصور علي بن الفضل الكاتب المعروف بصردر

أكذا يجازي ود كل قرين * أم هذه شيم الظباء العين
قصوا على حديث من قتل الهوى * ان التأسي روح كل حزين
ولئن كتمتم مشفقين فقد درى * بمصارع العذري والمجنون

فوق الركاب ولا أطيل تشبها * بل ثم شهوة أنفس وعيون
هزت قدودهم وقالت للصبا * هزوا أعند البان ميل غصوني
ووراء ذيالك المقبل مورد * حصباؤه من لؤلؤ مكنون
امابيوت النحل بين شفاههم * منضودة أم حانة الزرجون
ترمي بعينيك الفجاج مقلبا * ذات الشمال بها وذات يمين
لو كنت زرقاء اليمامة ما رأت * من بارق حيا على جيرون
شكواك من ليل التمام واغما * أرقي بليل ذوائب وقرون
ومعنف في الوجد قلت له اتئد * فالدمع دمعي والجفون جفوني
ما نافعي ان كان ليس بنافعي * جاه الصبا وشفاعة العشرين
لا تطرقن خجلا للومة لائم * ما أنت أول حازم مغبون
أأسومهم وهم الاجانب طاعة * وهواي بين جوانحي يعصيني
ديني على ظبيائهم لا ينقضي * فبأي حكم يقبضون رهوني
وخشيت من قلبي الفرار اليهم * حتى لقد طالبته بضمين
كل النكال أطيق الاذلة * ان العزيز عذابه بالهون
ياعين مثل قذاك رؤية معشر * عار على دنياهم والدين
لم يشبهوا الانسان الا أنهم * متكونون من الحمأ المسنون
نجس العيون فان رأتهم مقلتي * طهرتها فنزحت ماء عيوني
انا ان هم حسبوا الذخائر دونهم * وهم اذا عدوا الفضائل دوني
لا يشمت الحساد أن مطامعي * عادت الى بصفقة المغبون
ما يستدير البدر الا بعدما * أبصرته كالثمر في العرجون
هذا الطريق للحب زاجر ناقتي * واليم قاذف فلكي المشحون
فاذا عميد الملك حل بربعه * ظفر ابفأل الطائر الميمون

قوله أأسومهم وهم الاجانب طاعة البيت هو من قول البحتري
ولست أعجب من عصيان قلبك لي * عمدا اذا كان قلبي فيك يعصيني

(وبعده)

ملك اذا ما العزم حث جياده * مرحت بأزهر شامخ العرنين

ومنه قول الشريف الرضى

أروم انتصافى من رجال أباعد * ونفسى أعدى لى من الناس أجمعا

اذا لم تكن نفس الفتى من صديقه * فلا يحدثن من خلة الغير مطمعا

وأصله من قول بكر بن حارثة

قلبي الى ماضربى داعى * يكثر أسقامى وأوجاعى

كيف احتراسى من عدوى اذا * كان عدوى بين أضلاعى

وقوله ياعين مثل قذاك رؤية معشر الخ هو معنى بديع وقد سبق اليه قال الثعالبي اتفق لى فى زمن الصبا معنى بديع لم أسبق اليه وهو

قلبي وجدا مشتعل * وبالهموم مشتغل

وقد كستني فى الهوى * ملابس الصب الغزل

انسانة فتانة * بدر الدجى منها خجل

اذا زنت عيني بها * فبالدموع تغتسل

وقد سبقه ابن هند فى قوله

يقولون لى ما بال عينيك مذ رأت * محاسن هذا الظبى أدمعها هطل

فقلت زنت عيني بطلعة وجهه * فكان لها من صوب أدمعها غسل

قال أبو على الفارسى لست أعجب من توارده وانما أعجب من قوله لم أسبق اليه وقد قال أبو الطيب فى الحمى

اذا ما فارقتني غسلتني * كأنا عاكفان على حرام

وقد سلم من شناعة ذكر الزنا * ومافى قبح لفظه من الخنا * فمعنى ما قاله أصح لانه ذكر فى هذا الشعر من نفسه وزائرته ذكرا وأنثى جرى بينهما ما يقتضى الغسل وان قيل ان قوله عاكفان على حرام من لغو الكلام وهما ذكراز انيتين اثنيين ولو قال زنى ناظرى أو لحظى كان أحسن قلت هذا كله كلام ناء عن حسن الادب وهو سخف ولكن أى الرجال المهذب ومع ذلك فقد وقع هذا فى كلام من تقدمهم ومعناه أفصح وديباجته ألطف وأوضح كقول يزيد بن معاوية

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها * سواها وما طهرتها بالمدامع

أجلك ياليلى عن العين انما * أراك بقلب خاضع لك خاشع

ثم مشى على أثرهم الناس وولدوا معانى لا تحصر كقول السراج الوراق

*يا نازح الدار من نومى يعاودنى * فقد بكيت لفقد الظاعنين دما
أوجبت غسلا على عينى بأدمعها * فكيف وهى التى لم تبلغ الحلما

(محمد الصالحى الهلالى)

همام بعيد الهمه قريب منال مياه الحمه له درارى شيم هى غرر دهم الليالى وبنات أفكار لم تتضع غير درر المعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب انها شموس لم تزل طالعة من سماء المناقب وهى الآن شامة فى وجنات الشام وروضة تفتحت أنوارها بثغور ذات ابتسام ومن سنته الاعتزال عن الناس وتقديم الوحشة على الاستئناس منقطعا لاقتطاف ثمرات العلوم يعد لقرى الاسماع موائد المنثور والمنظوم فى زهد متحلى بخلاله تدق صفات المدح عن معانى جلاله بعزم هو أبو العجب لو قدح زنده لهب له لهب وخط تسر به النفوس وتوشى بديباجه الطروس شعر

خط زهت أزهاره * كالروض ينبته السحاب

وشعره شقيق الرياض المطردة الحياض تستخرج الجواهر من بحوره وتحلى لبات الطروس بقلائد سطوره لم يصرفه لمدح كريم ولا تغزل بأبيح كريم ولعمرى انه قطع منه ميدانا لم يصل اليه الكميت ونقى ألفاظه وهذب معانيه فلم يقل فيه لو ولا ليت وبالجملة فهو فى عصره امام الادب المقتدى به والبليغ الذى لا تثمر أغصان الاقلام الا فى رياض آدابه ولما قدم القاهرة أفاض على لباس مودة لم تبل عهودها ألا حبذا اخلاقها وجديدها وورق الدنيا اخضر وعود الشباب غض نضر والادب لم يعف مناره ولم تخب أناره وأنواره لا كاليوم اذ حام قوم حول حماه فوقعوا فى ظلمات ليس فيها عين الحياه وهو اذ ذاك أستاذ وملاذ تذوق أفهامنا من موائد فوائده أنواع الملاذ فأتحفنى بطرف أشعاره ونزه أحداق فكرى فى حدائق آثاره فأسكر سمعى بسلافة أدارتها كؤوس بيانه وتقلدت بمذهب البحترى فى اجتناء الورد من أغصانه

واسمعه ممن قاله ترديه * عجبا لحسن الورد فى أغصانه

طالعت له فصلا فى ديوانه الذى سماه صدح الحمام فى مدح خير الانام ذكر فيه نبذا من صفاته ومعاهد أنسه ولذاته ومسارح آرام تربه ولداته هوانى لما نشأت

بمكة المشرفه والاماكن التى هى بالجوزاء ممنطقه وبالثريا مشنفه وكسانى الزمان قشيب برودة وطفقت أرفل مابين عقيق الحمى وزروده وغصن الصبا بأيام السعادة مورق وبدر الشباب فى سماء الكمال مشرق لادأب لى الا توسم وفود العلوم فى سوق عكاظها ولا شغل لى الا استكشاف وجوه المعانى المخبأة تحت براقع ألفاظها ثم لما بطلت حركة الدور وتنقل الزمان من طور الى طور أعملنا حروف النجائب تنص بنا البيداء فى سراها * ولطمنا خد الارض بأخفافها الى أن براها السرى فى براها * فكم جاوزنا جبالا شوامخ زاحمت بمناكبها أكتاف السحائب * وذرعنا بأذرع الناجيات شقة قفر لم تطو الا بأيدى الركائب * فكم من راسلته وراسلنى برائق شعره وسجعه وأدار وأدرت كؤوس قوافى شعرى على أفواه سمعه وزففت عليه عرائس أفكارى استجلابا لوداده وتلوت عليه غرائب أسمارى استقداحا لوارى زناده

وهن عذارى مهرها الود لا الندى * وما كل من يعزى الى الشعر يستجدى

انتهى فهذه نبذة من نثار نثره وسأقرط سمعك بجواهر شعره وكنت كتبت له قصيدة تائية ملغزا من شعر الصبا الذى يحسد مهلهل برده فى رقته نسيم الصبا لا كما قال الباخرزى هو التمر باللبا فهو باكورة ثمرات الآداب بل الروض الأريض الذى سقى بماء الشباب فأجاب وأجاد وصفى من قذى الكدر موارد الوداد وهاهى كواكبها المشرقة فى دياجى نفسه وثمراتها الزاهية فى رياض طرسه

طالت وقد قصرت عنها العبارات * وحازت الحسن هاتيك البراعات
غراء فائقة باللطف رائقة * تحلو الخلاعات فيها والصبابات
أخت الغزالة اشراقا وملتفتا * لها الذى السمع لذات ونشآت
نسيبها أطرب الاسماع موقعة * ومدحها ماله فى الحسن غايات
كأن خمر معانيها ورقتها * فى لفظها الخمر تجلوه الزجاجات
يحلو المكرر من ألفاظها ولكم * مل المكرر طبعا والمعادات
أتت الى وبدر الفكر منخسف * وماله فى سما الأدراك هالات
وللهموم اطراد فى الفؤاد كما * ضمت عتاق المذاكى الجرد حلبات
أسامر النجم فى الليل الطويل ولا * أغفو وكم لعيون النجم غفوات
فقمت فى الحال اجلالا لها وسرت * عنى الهموم وزارتنى المسرات

وظلت منتصبا لما ارتفعت بها * وكان عندي ببذل النفس كسرات
قبلتها ألف ألف ثم زدت فلم * أحسب وكم لكثير العد غلطات
وكان أفق زماني مظلما فبدا * فيه شهاب لنا منه انارات
شهاب علم ولكن نوره أبدا * بالذات ماعرضت فيه الاضاآت
غذى بدر لبان الفضل مذ زمن * فشب كالنار لا تعروه فترات
شيخ العلوم ومفتاح الفهوم وغلا * ب الخصوم اذا عنت ملاحاة
باهت به أرض مصر وازدهت فلذا * قد كاد أن تحسد الارض السموات
قد شاد بيت العلا فوق السهى وله * من فوق ذاك مقامات عليات
تستن أقلامه في الطرس من مرح * كأنها عند نفث السم حيات
فيها النقيضان من نفع ومن ضرر * ذاك الاماني اذ ذاك المنيات
مهما اغتدت طوع باريها ملازمة * للخمس تغدو لها في الطرس سجدات
أشعاره الغر مثل الدر قد نظمت * منها عقود ولكن لؤلؤيات
ما ان حسا كاس سمعي من سلافتها * الا اعترتني لفرط السكر نشوات
لله أحجية منه أتت فسرت * منها الى السمع نفحات ذكيات
وأذكرتني بأن القد من سكني * وبان بالبان من شكواي ميلات
والورق رقت لما ألقاه ساجعة * كأنها فوق غصن البان قينات
وأنت يا أفضل العصر الذي اجتمعت * فيه العلوم وفي الدهماء أشتات
سامح اذا هفوة للذهن قد عرضت * فكم لمثلي بالتقصير هفوات
فسيف فكري لالاقيت فيه صدا * وكم له عندما أجلوه نبوات
والجسم في غربة والقلب في وطن * لم تدنه منه أيام وليلات
والبال في قلق والنفس في شجن * يعتادها لفراق الالف زفرات
فأي شخص بهذا الوصف متصف * تطيعه من قوافي الشعر أبيات
بقيت مفرد علم للهدى علما * يجلى به الجهل عنا والضلالات
ودمت طود حجى في الجود بحر ندى * تأتي اليه المعالي والكمالات
مالاح نجم على الخضراء متقد * ومارعته الجياد الاعوجيات

قلت في قوله رعته استخدام لعوده الى النجم بمعنى الكوكب على ملاحظة معنى النبت

قوله منها الى السمع الخ في نسخة من عودها الرطب ١٨

وقد

وقد يتعدد ذلك كقول ابن الوردى

ورب غزالة طلعت * بقلبى وهو مرعاها
وقالت لى وقد مرنا * الى عين قصدناها
بذلت العين فاكحلها * بطلعتها ومجراها

وقد يكون الاستخدام بالضمير من غير استتار أيضا كقوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره وقد يكون بالضمير المستتر فى حال ونحوها كقوله

بذات العين جارية * مكحلة وطالعة

وقد يكون بالتمييز من غير ضمير كقوله فى هذه القصيدة

أخت الغزالة اشراقا وملتفتا

وقد يكون باسم الاشارة كقولى

رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره

وقد يكون بالاستثناء كقول البهاء زهير

أبدا حديثى ليس بالمنسوخ الا فى الدفاتر

فذكر النسخ بمعنى الابطال واستثنى منه بمعنى الكتابة وهو استثناء غريب يحتاج الى نظر دقيق فى ادخاله فى أحد نوعيه وله من قصيدة

فتجردت بيض الصفاح وألبست * علق النجيع كحلة حمراء
والسمر مذ سقت الدماء زجاجها * أضحت ثمارا أروس الاعداء

(وله من أخرى)

كأنما الخيل فى الميدان أرجلها * صوالج وروس القوم كالأكر

ومن رسالة لابن عبد الظاهر أصبح الاعداء كأنما جزر أجسادهم جزائر يتخللها من الدماء السيل وروسهم أكر تلعب بها صوالجة الايدى وأرجل الخيل وله من أخرى

سقى طللا حيث الاجارع والسقط * وحيث الظباء العفر ما بينها تعطو
بزيدهم ول الودق مرتجس له * بافنائه من كل ناحية سقط
ولو أن لى دمعا تروى رحابه * لما كنت أرضى عارضا جوده نقط
ولكن دمعى صار أكثره دما * فأنى يرجى أن يروى به قحط

(ومنها)

كأن انسياب الرمح فى الدرع سابغ * من الرقش فى وسط الغدير له غط

(والبيت الثالث كقول مهيار)

بكيت على الوادى فحرمت ماءه * وكيف يحل الماء أكثره دم

(وقول الابيوردى)

سقى الله ليل الخيف دمعى والحيا * أريد الحيا فالدمع أكثره دم

(والاخير كقول المعرى)

توهم كل سابغة غديرا * فرنق يشرب الحلق الدخالا

(وله من أخرى)

مالاح فى أفق المحاسن اذسرى * الا حدت بليل طرته السرى

عقد الازار على كثيب من نقا * فغدا اصطبارى وهو محلول العرى

لاتذكر الغزلان عند كناسها * معه فان الصيد فى جوف الفرا

(وله أيضا)

الى كم أمنى القلب والقلب مولع * وأزجر طرف العين والطرف يدمع

وحتى متى أشكوا فراق أحبة * عفا بالنوى منهم مصيف ومربع

وأستعرض الركبان عنهم مسائلا * عسى خبر عنهم به الركب يرجع

تصبرت عنهم وانثنيت اليهم * ولم يبق فى قوس التصبر منزع

أراعى نجوم الليل أرقب طيفهم * وكيف يزور الطيف من ليس يهجع

ومازلت أبكى لؤلؤا بعد بينهم * الى أن بدا مرجان دمعى يلمع

وما كان تبكى العين لولا فراقهم * عقيقا ولا يشفى الفؤاد طويلع

فلا حاجر بين الاحبة حاجر * ولا لعلع مذ فارق الحى لعلع

غرير شهوسافى بدور أكلة * فليس لها الامن الخدر مطلع

وشابهن غزلان النقا فى نفارها * ولكنها بين الترائب ترتع

لها من مهاة الرمل عين مريضة * وجيد لجيد الظبى أغيد أتلع

ومن قضب البان الرطاب معاطف * تكاد عليها الورق تشدو وتسجع

وتغدو سيوف الهند لما تشبهت * بألحاظها فى الحرب تفرى وتقطع

ذكرتهم والقلب بالهم طافح * لبينهم والبحر كالليل أسفع

وماتنفع الذكرى لمن حبهم قلى * ووصلهم قطع وفيهم تمنع
ولا عجب فالبخل فى الغيد والدمى * طبيعة نفس ليس فيها تطبع
كالعلى كل جود وسودد * سجية ذات ليس فيها تصنع

(وله من أخرى)

وركب طلاح صاحبوا النجم فى السرى * ترامى بهم فى السير بيد وتعنف
يخوضون بحر الآل يطفوا عبابه * طفود يابحى الليل والليل مسدف
كأن المطايا والأكاة فوقها * سفين بأيدى الارحبيات تجدف

وكان له نديم أحدب يسمى أبا الخير يعده عيبة أسراره وجهينة أخباره وهو يدير عليه شمول وداده ويجنى اليه من كل واد ثمرات فؤاده وينشده ترجمان لسانه عن محجب جنانه

ولقد جبلت على محبة وده * ما الحب الا للامام الصالح

جميع اخوانه اليه يلجؤن ومن كل حدب الى حرثومته ينسلون خفت روحه فألقت بدنه خلفه ظهريا واتخذت ماسواه شيئا فريا كانه خاف الخطوب فهو متجمع حذر الوثوب

وما الدهر فى حال السكون بساكن * ولكنه مستجمع لوثوب

وله به عز أقعس فى ربوة المعالى يغرس وطبعه بالظرف ربيع أخصب وفى أمثالهم أظرف من أحدب فهو سنام اللطف وغاربه وبحر أحدب الامواج بدائع بدائهه عجائبه ولم يزل يعتام وداده حتى قبضت جواهر عمره يد الدهر النقاده

كل ابن انثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول

قلت ولم أسمع فى وصف أحدب ألطف من قول ابن النجم فى ابن حصينة المصرى

يا أخى كيف غيرتنا الليالى * وأطالت ما بيننا بالمحال
حاش لله أن أصافى خلا * فيرانى فى وده ذا اختلال
زعموا اننى نظمت هجاء * معربا فيك عن شنيع المقال
كذبوا انما وصفت الذى حزت من الفضل والبها والكمال
لا تظنن حدبة الظهر عيبا * وهى فى الحسن من صفات الهلال
وكذاك القسى محدودبات * وهى أنكى من الظبا والعوالى
واذا ما علا السنام ففيه * لقروم الجمال أى جمال

وأرى الانحناء في منسر البازي * لم يعد مخلب الريبال
كون الله حدبة فيك ان شئت * من الفضل أو من الافضال
فأتت ربوة على طود علم * وأتت موجة ببحر نوال
ما رأتها النساء الاعنت * لو غدت حلية لكل الرجال
وأبو الغصن أنت لا شك فيه * وهو رب القوام ذو الاعتدال
عدالي ودنا القديم ولا تصغ * لقيل من الوشاة وقال
وتذكر لياليا حين ولت * أودعت حسنها عقود اللآلي
أترى بالدعاء يجمع شملي * أم رجاءي مخيب وابتهالي
واذا لم يكن من الهجر بد * فعسى أن تزورنا في الخيال
وعلى هذا النمط نسج ابن دانيال قوله في رجل أحدب يسمى حسانا
قسما بحسن قوامك الفتان * يا أوحد الآمراء في الحدبان
أنت الحسام زهاء ونق حدبة * فرزها على الخطبة المران
يا مخجلا شكل الهلال بقده * حاشاك أن تعزى الى نقصان
ومماثلا قد القضيب اذا مشى * من حدبتيه يميس كالريان
ما عاب قامتك الحسود جهالة * الا أجبت مقاله ببيان
هل يحسن الجوكان الا أن يرى * مع أكرة في حلبة الميدان
أوهل يزين المتن الا ردفه * حسنا فكيف عن له ردفان
والعود أحدب وهو ألهى مطرب * ولقد سمعت بنغمة العيدان
وكذا سفين البحر لولا حدبة * في ظهره لم يقو للطوفان
واذا اكتسى الانسان قيل تمثلا * في المدح قامت حدبة الانسان
ومدبر الاكسير يدعى أحدبا * في علمه للقسط في الميزان
يفديك في الحدبان كل مكربج * يمشي الهوينا مشية السرطان
متجمع الكتفين أقنص قد بدا * في هيئة المتجمع الصفعان
ومن بدائع ابن خفاجة الاندلسي في ساق أحدب أسود قوله
وكأس أنس قد جلتها المنى * فباتت النفس بها معرسه
طاف بها محدودب أسود * يطرب من يلهو به مجلسه

خلته من سبج ربوة * قد أنبتت من ذهب نرجسه

ولعبد الله ابن النطاح فى أحدب

قصرت أخادعه وغاص قذاله * فكأنه مستوقع أن يصفعا

وكأنه قد ذاق أول صفعة * وأحس ثانية لها تجمعا

واذ جرنا ذيل البيان وسحبنا برد سحبان على الحدبان فنقول قوله وأحس ثانية الخ كقول ابن دانيال متجمع الكتفين الخ وهو معنى بديع فى بابه لان متوقع الضرب يتضاءل من خوفه ونظيره من يريد الوثوب يتجمع ليثب فهيئته كهيئة من يريد السكون ولقد أجاد صالح البشنتريني من شعراء المغاربة فى قوله

تحاذر أحداث الليالى وقلما * خلا من توقيهن قلب أديب

ونرتاب بالايام عند سكونها * ومارتاب بالايام غير أريب

وما الدهر فى حال السكون بساكن * ولكنه مستجمع لوثوب

وهو مأخوذ من قول الآخر

سكنت سكونا كان رهنا لوثبة * تثور كذاك الليث للوثب يلبد

(وقول الآخر)

قد قلت يا قوم ان الليث منقبض * على براثنه للوثبة الضارى

وفى المثل الدهر ارود ذو غير قال الجوهرى أى يعمل عمله فى سكون لا يشعر به ويقال تلبيد خير من التصيح يقال لمن يتشاجع ويضرب مثلا للفرار كما قاله الاصمعى وفى معناه قولى

أقول للاثم العقلاء جهلا * تنبه كم فساد فى صلاح

وكم رجع الزمان عن الرزايا * رجوع التيس أقوى للنطاح

(حسن بن محمد البوريني) ديباجة الدنيا ومكرمة الدهر ونكتة عطارد التى يفتخر بها الفخر حسنة اعتذر بها الدهر عما جنى ودوحة فضل غضة الانوار والجنى وزهرة الدنيا التى أنبتها الله تعالى برياض الشام نباتا حسنا فجعل الادب لروض فضله سياجا وأنار بدره فى سماء الكمال سراجا وهاجا ولم تزل مساءلة الركبان تتحفنى بهدايا أخباره ونسيم المسامرة يهب معطرا بنفحات آثاره وأنا أؤمل اجتلاء بدره المنير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير فمن نفثاته وغرر لمعاته قوله

يقولون في الصبح الدعاء مؤثر * فقلت نعم لو كان ليلي له صبح
فيا عجبا مني أروم لقاءه * وفي جفنه سيف ومن قده رمح
وانسان عيني كيف ينجو وقد غدا * يطول له في لج مدمعه سبح
وان كان يوم الدين يسود فحمة * ففي نفسي نار وفي مهجتي قدح
وليس عجيبا أن دمعي أحمر * وفي كبدي قرح ومن مقلتي رشح

وفي البيت الاول معنى حسن قال انه ترجمه من الفارسي مع أنه مشهور في كلام العرب قديما وحديثا كقول ابن شبيب

هوى صاحبي ريح الشمال اذا سرت * وأهوى لنفسي ان تهب جنوب
يقولون لو عزيت قلبك لارعوى * فقلت وهل للعاشقين قلوب

(ومثله قول ابن أذينة)

قالت وأبثثتها سري فبحت به * قد كنت عندي تحت السر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

(وتابعه الباخرزي فقال من قصيدة)

قالت وقد فتشت عنها كل من * لاقيته من حاضر أو بادي
أنا في فؤادك فارم طرفك نحوه * ترني فقلت لها وأين فؤادي

(وللبهاء زهير)

جعل الرقاد لكي يواصل موعدا * من أين لي في حبه أن أرقدا

(وللعرجي)

وزعمت أن الدهر يعقبني * صبرا عليك وأين لي صبر

(وفي معناه قولي)

يقولون لي لم تبق للصلح موضعا * وقد هجروا من غير ذنب فمن يلحى
صدقتم وأنتم للفؤاد سلبتم * ومالي قلب غيره يطلب الصلحا

(وقلت أيضا)

مذ أودعوا قلبي سر الهوى * خافوا من الواشي على حبي
فانتهبوا قلبي ولم يقنعوا * بالقلب حتى أخذوا لبي

(عودا على بدء وله أيضا)

وكنا كغصني بانة قد تألفا * على دوحة حتى استطالا وأينعا
يغنيهما صدح الحمام مرجعا * ويسقيهما كأس السحائب مترعا
سليمين من خطب الزمان اذا سطا * خليين من قول الحسود اذا سعى
ففارقني من غير ذنب جنيته * وأبقى بقلبي حرقة وتوجعا
عفا الله عنه ما جناه فانني * حفظت له العهد القديم وضيعا

(وله أيضا)

أحول وجهي حين يقبل عامدا * مخافة واش بيننا ورقيب
وفي باطني والله أعلم أعين * تلاحظه في أضلع وقلوب

(وهذا مما تداولوه كثيرا كقول أبي عبادة)

أحنوا عليك وفي فؤادي لوعة * وأصد عنك ووجه ودي مقبل

(وقوله أيضا)

حبيبي حبيب يكتم الناس حبه * لنا حين تلقانا العيون قلوب
يباعدني في الملتقى وفؤاده * وان هو أبدى لي البعاد قريب
ويعرض عني والهوى منه مقبل * اذا خاف عينا أو أشار رقيب
فتنطق منا أعين حين نلتقي * وتخرس منا ألسن وجنوب

(ولأبي تمام)

ولذاك قيل من الظنون جلية * علم وفي بعض القلوب عيون

(وأحسن منه قولي)

تنازع فيه الشوق قلبي وناظري * فأثر فيه الطرف والقلب واجب
وتنظره من قلبي الصب أعين * عليها لمحني الضلوع حواجب

(وله في ترجمة معنى من الفارسية)

ورق الغصون دفاتر مشحونة * مملوءة بأدلة التوحيد

(وله أيضا قوله)

الناس نحو معادهم ومعاشهم * يسعون في الاصباح والامساء
وأنا الذي أسعى للذة نظرة * من وجهك المزري ببدر سماء
والناس يخشون الصدود وانما * أخشى سلمت شماتة الاعداء

(وأحسن من هذا قولى فى رباعية)

مابى مهما رضيت عنى باس * والصبر بمرهم لجرحى آس
لكننى أختشى اذا طال نوى * أن يشمت فى الرجا منى الناس

(وله أيضا)

أما ينقضى هذا الغرام من القلب * أما ينطوى هذا الملام عن الصب
ألا حاكم بينى وبين عواذلى * فيسألهم ماذا يريدون من عتبى
ألا راحم فى الحب أشكو ظلامتى * اليه فقد زادت يد البين فى حربى
ألا ساعة أخلو به فأبثه * لواعج نيران أقامت على قلبى
أما فى الورى من فيه رقة رحمة * فيبدى له حالى ويوصله كتبى
لقد ضاقت الدنيا على لبعده * على رحبها من غاية الشرق للغرب
اذا لاح تبدو وقفة فى تلفظى * وأغدو لما ألقاه أحير من ضب
فما فى افصاح ولا فيه رحمة * فيسأل عن حالى ويفرج عن كربى
ولا أنا ذو فكر صحيح يدلنى * على سبب التأنيس أو سبب القرب
وانى الى مولاى أنهيت حالتى * فغاية شكوى العاجزين الى الرب

(وله أيضا)

الهى أدم حاكم الحب فينا * مطاعا وكل البرايا أسارى
الهى وزد ذلك القد لينا * واشرب سقيم الجفون العقارا
الهى على ضعف أهل الهوى * أنل لحظه فى القلوب اقتدارا
الهى جنود الهوى أعطها * على قوة الصابرين انتصارا
الهى على الحب ألقيت صبرا * وعن حسنه ما أطقت اصطبارا
الهى أجبت رسول الهوى * ولم ألق منذ دعانى اختيارا
الهى رضيت بما ترتضى * بسرى وسلمت أمرى جهارا
الهى لى الجبر فيما ترى * وان ظنه العاذلون انكسارا
الهى أعد ليل هجرانه * بصبح الوفا والتلاقى نهارا

أقول هذا أسلوب من أساليب الفصاحة لطيف كما بيناه فى كتابنا المسمى بحديقة السحر وهو نقل الكلام من طريق الى آخر كاستعمال ما عهد استعماله فى الدعاء

والمناجاة

والمناجاة فى التغزل كما هنا ومثله لابن الوكيل

يارب جفنى قد جفاه هجوعه * والوجد يعصى مهجتى ويطيعه
يارب قلبى قد تصدع بالنوى * فالى متى هذا البعاد يروعه
يارب فى الاظعان سار فؤاده * ياليته لوكان سار جميعه

ولم يزل يكرر يارب حتى أتم القصيدة ومنه استعمال ماورد فى الرسائل والمكاتبات فى غيره كقول الشاب الظريف ابن العفيف

أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما * على قد به هيف الغصون

(ومن شعر صاحب الترجمة قوله)

لها فى ربى قلب المحب مقيل * وظل باحناء الضلوع ظليل
وان ظمئت فالورد من ماء دمعه * يبل به عند الهجير غليل
فكم ألفت هذا النفار كأنما * فؤاد المعنى بالسقام نحيل
أجل ان عفا من بعدهم فكأنما * يجر عليه للجنوب ذيول
منازل هذا القلب كن أواهلا * وهاهى من بعد الفراق طلول
لك الله يا ابن الاكرمين أيشتفى * فؤاد لبين الظاعنين عليل
ويا ظبى هل بعد النفار تألف * ويا بدر هل بعد الافول قفول
ويا منزل الاحباب أين ترحلوا * وهم فى فؤادى ماحييت نزول
يميلون عنى للوشاة واننى * اليهم وان طال الصدود أميل
أيجمل فى أحباب قلبى غدرهم * بغدرى وما غدر المحب جميل
على لهم حفظ الوداد وان جنوا * وليس الى نقض العهود سبيل
وظبى أراد العاذلون سلوه * وأبعد شئ ما أراد عذول
وقد ضاع قلبى مذ رأيت جماله * فهل لى عليه فى الانام دليل
وما هاجنى الا ابن ورقاء سحرة * له فوق أفنان الرياض هديل
يردد فى صحف الرياض قصائدا * من الشوق عليها النسا ويميل
تخيل ان البين آذى فؤاده * وكيف ولما ينأ عنه خليل
ولم تحتكم فيه الليالى ولم يبن * عليه لبين رقة ونحول

أما والهوى لوذقت ماذقت فى الهوى * لما ازدان بالاطواق منك تليل
على أنه مافارق الالف دهره * ومالى الى وصل الحبيب وصول
تسنم غصنا فى رياض أريضة * تهب عليها شمأل وقبول
يصفق جذلان الفؤاد كأنما * تدار عليه فى الكؤس شمول

(وأنشدنى له بعض الادباء رباعية هى)

ياقلب الى متى عداك النصح * كم تمزح كم جنى عليك المزح
كم جارحة عدا عليها الجرح * ماتشعر بالجارحتى تصحو

قلت ليست هذه له فانها فى ديوان محمد بن على كما ذكرناه فى ديوان الادب ومن شعر صاحب الترجمة

ألا سامح أخاك اذا تعدى * وألق اليه فى الحرب السلاحا
فمن يعتب على الخلان يتعب * ومن لزم المسامحة استراحا

(وله أيضا)

صاحبى من يودنى بالفؤاد * لاقريبى فى حلتى وبلادى
ليت شعرى اذا تنافت قلوب * أى نفع لصحبة الاجساد

(وله أيضا)

خبأتك فى عينى لتخفى عن الورى * لذلك قالوا ان فى العين انسانا

(وأحسن منه قولى)

خبأتك فى العين خوف الوشاة * وكم شرف الدار سكانها
ومن غيرة خفت أن يفطنوا * اذا قيل فى العين انسانها

ومن فوائده أنه سئل عن قول صاحب الهمزية

شمس فضل تحقق الظن فيه * أنه الشمس رفعة والضياء
فاذا ماضحى محا نوره الظل وقد أثبت الظلال الضحاء
فكأن الغمامة استودعته * من أظلت من ظله الدفاء

فذكر ماللشارحين فيه من الكلام الذى لامحصل له لخالفهم فيما قالوه من أن الدفاء بفاءين وأظلت فيه بالظاء المشالة وذكر كلاما لاطائل تحته بناء على أن أضلت بالضاد من الضلال بمعنى الاضاعة والدفاء بمعنى جماعة مسرعين من الجيش أو الملائكة وفيه

خبط وخلط والذي عندي فيه انه تحرف عليهم أجمعين واغماهو هكذا

فكأن الغمامة استودعته * مذ أظلت من ظله الدقعاء

فاستودعته وأظلت مبنيان للمفعول بصيغة المجهول ومذ بميم مضمومة وذال معجمة والدقعاء بدال مفتوحة مهملة وقاف وعين مهملة ثم مد بمعنى الارض وترابها كما هو مصرح به فى كتب اللغة والمعنى أن الغمام أظله لئلا يمس ظله الارض فلذا أخذه وديعة عنده ليصونه عن مس التراب وهذا معنى بديع يعرفه من ذاق حلاوة الشعر وعرف مغزاه وفى قوله مذ أظلت الخ معنيان أحدهما مذ مس ظله التراب والآخر مذ صارت الارض كلها فى حمايته لانه ظل الله وفى معناه رباعية لى

ماحر ظل أحمد أذيال * فى الارض كرامة كما قد قالوا

هذا عجيب وكم له من عجب * والناس بظله جميعا قالوا

وفى التائية المنسوبة للسبكى التى نظم فيها معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وشرحها بعض المتأخرين

لقد نزه الرحمن ظلك أن يرى * على الارض ملقى فانطوى لمزية

وأثر فى الاحجار مشيك ثم لم * يؤثر برمل حل بطحاء مكة

قال شارحها قيل انه عليه الصلاة والسلام كان لا يقع ظله على الارض لانه نور روحانى

مالطهر أى البرية ظلا * هو روح وليس للروح ظل

والنور لا ظل له وكذا الروحانيات كالملائكة لانها أنوار مجردة قيل ولهذا أظهر الأمية لئلا يقع ظل يده على اسم الله لو كتبه ولا يخفى مافيه وقيل لم ير ظله لان الغمام يظله وقيل هو تكريم له لئلا يقع ظله على الارض فيوطأ محله ونقل أن بعض اليهود كان يطأ ظل المسلمين اهانة لهم فصين لئلا يهان وقيل غير ذلك وأما كون قدمه الشريف يؤثر فى الحجر دون الرمل فكان فى ذهابه لغار ثور مع أبى بكر كان يقول له ضع قدمك موضع قدمى فان الرمل لا ينم عليه لارادة الله تعالى لاخفاء أثره عمن يطلبه من المشركين ولان له الحجر اظهارا لانه لا يستعصى عليه ولتكون فيه سمة ينجو بها من النار التى وقودها الناس والحجارة ودلالة على شدة قسوة قلوب الكفرة الخ

* أبو المعالى درويش بن محمد الطالوى * وحيد له الحزم ترب واللطف قرين وماجد ماله فى قصب السبق رهين ورد يق قضب المروة فاتح حصون المهمات عنوة سليل

المعالي والكرم رقيق حواشي الطباع والشيم فكم في علاه مسرح للمقال ومجال لمضمرات الاماني والآمال

اذا أعجبتك خصال امرئ * فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد من حاجب * اذا جئته زائرا يحجبك

حسان عصره وأبو عبادة دهره له في المجد زندوري وللاسماع من مورده العذب شرب وري نور محياه في ظلمة الخطوب هادي وصيت كرمه لركائب الآمال حادي وبحر فكره المديد سريع ونسج طبعه أبهى وأبهج من وشي الربيع اذا حلى اجياد الغصون بعقود در الغمائم وألبس هامات الربى من النبت مخضر العمائم فكأنه بسحر البيان أعدى عيون الغيد الحسان نجم تجلى عليه المعاني صورة قصوره وتتلى عليه آيات الفضل سورة بعد سوره واذا كاتب بألفاظه الرقيقه ود السحر لو كان قنه ورقيقه فكم سرح طرفي طرفي في رياض المنثور لجني من حدائقه بيد الفكر غض الزهور ففاح نشر بلاغته في ليل حبره ولا بدع للمنثور اذا عبق في عنبر الظلماء عبير نشره فحليت لساني بعقود انشائه الدرية وأشرق على من فلك المسامرة كواكبها الدرية ورأيت سبج سطورها في يد المجد وخيلان نقطها تزين من وجه الطرس صفحة الخد فسبحت عجبا من در لونه السواد ومن رياض كافور تنبت مسك المداد

فكأن أسطره غصون حديقة * ومن القوافي فوقهن حمام

وهو فرع من شجرة آل طالو الذين فاقوا في رتب العلى وطالوا

ان حاربوا ملأوا البلاد مصارعا * أو سالموا عمروا الديار مساجدا

طلعوا في ربى الجياد غصونا مورقة بالسلاح فبسقت فروعها من بيض الصفاح وسمر الرماح صيروا أكفهم للمكارم معدنا وأبوابهم لوفود السعادة موطنا فكم من راكب عجل استوقفته فوقف وأهدى الي من آثاره تحفا بكل طرفة تحف حتى ورد علي بالروم فقربه نظري ولم تسمع أذني بأحسن مما قد رأى بصري فطار غراب البين من وكر العنا ونثرت علي قوادم يمنه نثار الثنا وأنا ثمت غريب الوجه واليد واللسان وليست الفرقة فقد الاهل بل فقد الاحبة والخلان فدار بيني وبينه كؤس محاورات تسكر الاذهان ويحتسي حمياها فكر كل لبيب بأفواه الآذان ويوسم بها عقل

الدهر وتغضى حياء منها عيون الزهر فمما كتبته اليه لاستمطر سحائب طبعه الغر وأستجدى كرما من رقيق خلقه الحر وأستمرى منه ماء الحياة على غلة قطرات لو وقعت فى بحور الاشعار لم يكن فيها علة قولى

قبلت مصطحباشفاه الاكوس * والصبح يبسم لى بثغر ألعس
حتى غدت منه الغزالة واختفى * مسك الدجى عند الجوارى الكنس
والنهر سيف والنسيم فرنده * وله حمائل من خمائل سندس
أو صدر خود فتحت أطواقها * أو شققت للوجد حلة أطلس
والطير تشدو والغصون رواقص * فى وشى ديباج الربيع السندسى
وعلى الخلاعة لبس جيدى عاطلا * من حلية المجد العزيز الانفس
ولوا حظ رضى بها اعتل الصبا * والصب بالسقم المبرح مكتسى
فتنت بأنفسها ففيها علة * من وجدها وفتورها بجورنسى
فلكم قطفت ثمارها وأينعت * وغفلت عما قد جنى الدهر المسى
وطردت آمالى براحة عفتى * ان التمنى رأس مال المفلس
رام التلمس بذل شعرى برهة * فطرحته كصحيفة المتلمس
وكحلت طرفى بالسهاد صبابة * ووهبت نومى للعيون النعس
ونظرت خد الورد لما احمر من * خجل وقد بهتت عيون النرجس
وأظن خجلته لخد الطرس اذ * أمسى بوشى عذار شعرك مكتسى
يا عقد جيد الدهر غرة فجره * وطراز ما حاك العلا من ملبس
بل كعبة حجت لها آمالنا * فدنت الى حرم الكمال الاقدس
من آل طالوفتية طالوا الورى * بذرى أشم من المعالى أقعس
عنا قب تليت لنا آياتها * عنها يكاد يبين نطق الاخرس
ورياض فكر بالفضائل أثمرت * فغدت تحدثنا بطيب المغرس
أسكرتنا بسلاف شعر لفظه * كأس له فكرى بسمعى محتسى
وسرت نسيمات بحيرا أرقصت * طربا بها عقل اللبيب الاكيس
فاعجب لها من أكؤس ما أبرزت * الا رآها الذوق نقل المجلس
وسهام أقلام له تصمى العدا * وتظل بين مسدد ومقرطس

ناحيته وظلام فكرى قد دجا * وصباح صفوى عنه لم يتنفس
فجلا السرور وله بثغر باسم * طلق الجبين كوجه يوم مشمس
فاليكها منى قوافى دوحها * زاه بغير يد النهى لم يغرس
بكرا الى كف، ترف ومهرها * نقد الجواب براحة المتأنس
لازلت فى حلل المسرة رافلا * ما أحدقت ليلا عيون الخنس
(فأجاب) خد تورد من لهيب تنفس * أم قد معسول المراشف ألعس
من ريم وجرة أوجآذر جاسم * لبس الشباب الروق أحسن ملبس
متوشحا خطى، قامته وان * ماست فيا خجل الغصون الميس
فاذا رنا فاللحظ منه بابل * هاروت منه نطقه كالاخرس
أم عقد غانية الحسان زهت به * تيها على زهر الجوارى الكنس
أم لؤلؤ رطب توائم زانه * حسن النظام بجيد ظبية مكنس
أم روضة غناء غنت فى ذرى * أغصانها ورق بلحن مؤنس
حاكت لها أيدى الجنوب مطارفا * وكست معاطفها غلائل سندس
ما بين أصفر فاقع أو أحمر * قان وأبيض ناصع ومورس
أم غادة هيفاء أذكرت الصبا * صبا تناسى العهد منه ومانسى
وافت وأفراس الصبا قد عريت * والقلب أقصر عن هواه وما أسى
وافت وفى، بقية أهوبها * من شرح الماضى تعلة مفلس
من ماجد وشهاب فضل ثاقب * حلو الشمائل بالفضائل مكتسى
فظننت ريعان الشباب أعيد لى * حتى الوصال من الحبيب المؤنس
فطفقت أهصر بانة من قدها * والقلب بين توجس وتهجس
حتى اطمأنت فاجتليت بوجهها * قمر السماء بليل شعر حندسى
لما بدا خفيت له شمس الضحى * فى ثوب غيم ترتديه وتكتسى
نطقت مناطقها فأخرس دونها * نطق الفصيح وحار فكر الكيس
لم لا وناظمها الشهاب من اعتلى * شهب العلى بكمال فضل أقعس
فرع غاه لى خفاجة محتد * والفرع ينبئ عنه طيب المغرس
وافت لنا منه حديقة روضة * خجلت لبهجتها عيون النرجس

طرس به زهر النجوم كأنه * صبح وهن به بقايا الحندس
لثمت شفاه الغيد قدما تقسه * فغدا له فيه حياة الانفس
انى لأعجب من شهاب قدمها * متبوّأ العلياء أرفع مجلس
والشهب تطلع فى السماء وحدها * فلك الثوابت وهو فوق الاطلس
لازلت فى حلل الفضائل رافلا * متوشحا برد الشباب الانفس
خذها وان كانت مقصرة فمن * شأن الكرام قبول عذر من مسى
شامية يعنو لباهر حسنها * وجه الغزالة والغزال الالعس
وانعم بها لازلت ترشف سمعنا * من راح نظمك مترعات الاكوس

﴿ومما أنشدنيه قوله من قصيدة له﴾

يراعك أمضى من شفار الصوارم * ورأيك أجلى من بروق المباسم
مضاء يقد المرهفات وعزمة * لها فى ضرام الخطب فعل الضراغم

(ومنها)

بسيارة مثل النجوم طوالع * قواف لعمرى ألجمت كل ناظم
تساقط فى الاسماع لؤلؤ لفظها * تساقط طل فوق زهر الكمائم
بقيت لهذا الملك تحمى ذماره * بسمر براع الخط لا بالصوارم
جنابك محروس وبابك كعبة * لبطحائها تجبى وفيها مواسمى

(وله أيضا)

كفى به جائرا فى الحكم ما عدلا * لو كان يسمع فى أحبابه عذلا
وراح يضمر سلوانا بخاطره * عن مايسات قدود تخجل الاسلا
بل كيف يصحو غراما أو يفيق هوى * من بات بالاحور العينين مشتغلا
فما الهوى غير أجفان مسهدة * تهمى بقلب بنيران الاسى شعلا
ولا الغرام سوى وجد يكابده * الى الحمى ياسقى الله الحمى نهلا
حمى دمشق سقاها غير مفسدها * صوب الغمام وروى روضها عللا
حتى تظل بها الارجاء باسمة * ويضحك النور فى اكمامه جذلا
وخص بالجانب الغربى منزلة * لبست فيها الشباب الروق مقتبلا
مغنى الهوى ومغانى اللهو حيث به * مهما اذا طلعت بدر السما أفلا

تلك المنازل لاشرقى كاظمة * ولا العقيق ولا شعب الغوير ولا
ديار كل مهاة كم أقول لها * والصبر ينحل فى جسمى كما نحلا
عما يعينك من سحر صلى دنفا * يهوى الحياة وأما ان صددت فلا
الله يعلم انى بعد فرقتها * فارقت شرخ الصبا واللهو والغزلا
ماكنت لولا طلاب المجد أهجرها * هجر امرئ مغرم بالراح كأس طلا
ولا تخيرت أرض الروم لى سكنا * ولا تعوضت عنها بالصبا بدلا
ولا امتطيت عتاق الخيل رامية * بى الموامى تجوب السهل والجبلا
من كل طرف يفوق الطرف سرعته * وسابح مثل سيد الرمل ماعسلا
اذا تطلع من بح السراب يرى * بدرا غدا بهلال الافق منتعلا

(ومنها)

متى أتى بى أرض الروم منتجعا * روضا أريضا وماء باردا وكلا
وقال بشراك روض الفضل قلت له * روض ابن بستان مولانا فقال بلى
هو الجواد الذى سارت مواهبه * تدعو العفاة الى نعمائه الجفلى

(ومنها)

وها كها من بنات الفكر غانية * شامية الاصل مهما سائل سألا
غريبة فى بلاد الروم ليس لها * كفؤ سواك فأنقد مهرها عجلا

وكتب له بعض أحبابه قصيدة هزت بنسيم عتبها عطف آدابه فأجابه بقوله عفا الله عنه

توشحت كالنجوم الزهر فى الظلم * سمطين من لؤلؤ رطب ومن كلم
وقلدت جيد آرام النقاد دررا * برت بهن درارى الأفق بالقلم
وأقبلت فى مروط الزهر رافلة * تجر تيها فضول الريط من أمم
جيداء مصقولة القرطين مائسة العطفين مخضوبة الاطراف بالعنم
كأنها حين وافت والفؤاد بها * صب صبابة شرخ مر كالحلم
فما الرياض بكاها القطر ليلته * بكاء طرف قريح بات لم ينم
شوقا لطيف خيال بات يرقبه * من ناقض العهد والميثاق والذمم
يضاحك المزن فيه الاقحوان ضحى * عن ثغر مبتسم بالدر منتظم
فالورق صادحة والروض ضاحكة * ثغوره بين منهل ومنسجم

تجاذب الريح أطراف الغصون بها * فتنثني والهوى ضرب من اللمم
يوما بأحسن مرأى من شمائلها * وقد أتت بعتاب من أخي كرم
مهذب القول الا أنه أذن * يصغي الى قول واش بالنفاق سمي
لا يعرف الود الا مذق ساعته * والشاهد العدل ما يتلوه من قسم
هيهات ما الود ممن كنت أعهده * باق وقد حال عن عهدي ولم يدم
فياله من عتاب لم يفه أبدا * بمثله أحد في سالف الأمم
سوى امرئ ساء ظنا في صنائعه * فساء ظنا بخل غير متهم
وشاتم العرض فيما قيل كن فطنا * من بلغ القول لا من ذاك عنه نمي
لا يعزين ذاك للاحسان والنعم * بل ذاك يعزى لبهم القاع والنعم
كم من أخ صارم ودي صبرت له * حتى ارعوى وودادي غير منصرم
يا من تعمر منه بيت باطنه * وظاهر الامر أن البيت لم يرم
يا من له من ودادي كل خالصة * أصفو بها صفوة الأخلاق من شيمي
أصخ لقولي واسمع ما أقول فلي * صبر له ركن رضوى غير منهدم
قد كنت ريحانة العيش التي يسقت * أغصانها في حمى المعروف والكرم
فصوحت وذوى الغصن الرطيب فلا * دار بحزوى ولا ربع بذي سلم
ولا معاج على سقط اللوى وبه * جآذر قد كحلن الود بالسقم
ولا على طلل دمع يراق ولا * يؤرق الجفن ذكر البان والعلم
خذها عقيلة فكر بنت ليلتها * وشاحها النجم عقد غير منفصم
واسلم على حالتي ودو صدق ولا * ما زان عقد نظام جوهر الكلم

وكان له غلام تعصر من شمائله سلافة اللطافة قد عمته في خدمته خفة النشاط الا أراد فه أحلى من ظفر عاني وألذ من حديث الاماني لو قيل للحسن تمن الني تمني انه مثله لشغفه بهسلم له قلبه فسري به ربطه وحله فسلبه منه الزمان أبو البدائع وما كل خرق اذا وهى له راقع فكتب الى الشريف أمير الشام يستعديه على أعدائه وأقسم عليه بالحمية الهاشمية الموروثة من آبائه بقوله

بالله يا نشر العبير سرى بروضات الغري
طاف المشاهد وانثنى * نشوان من كأس روي

وأقام بالزوراء منتسبها فى رياض الحايرى
متنزل الآى الكريم ومهبط الوحى السنى
ان جئت ربع الشام فاقصد ساحة الشرف العلى
أعنى الشريف ابن الشريف ابن الشريف الموسوى
متحملا عنى السلا * م كمسك دارين الذكى
لجناب مولانا الوزير ولى مولانا على
ثم أشرحن من حال منو * لاه المحب الطالوى
ماذا لقى فى ثغر صيدا من دروزى غوى
دين التناسخ دينه * لا بل يدين بكل غى
ويرى الطبائع أنها * فعالة فى كل شى
* وافى بمكتوب الشريف اليه من بلد قصى
يوصيه فيه كأنما * أوصاه فى أخذ الصبى
فسقاه يوم فراقه * لا كان بالكأس الردى
وغدا الحشا من بعده * يبكى بدمع عندمى
فى غربة لا يشتكى * فيها الى خل وفى
لا جار يحميه ولا * يأوى الى ركن قوى
الا الى ركن الشريف الطاهر الشيم الزكى
حامى حمى الشرع الشريف بكل أبيض مخذمى
مولاى لى حق عليك لجد به من غير لى
بولاء حيدرة الوصى أخى النبى الهاشمى
لا تهملن من أخذ ثا * رى من كفور بالنبى
وابعث اليه مقانبا * فيها الكمى على الكمى
لو حاربت جند القضا * ثنت سراه عن المضى
جرافة لم تبق فى * اطلاله غير النوى
وأشعث ينعى الديا * رمع ابن داية فى النعى
قلت هذا بر دسابرى أو سحر سامرى تجرى منه مياه الفصاحة وتزهو من محياه أنوار

الملاحة وفيه نفحة علوية وشكاية من ابن سيفاه وهو من الطائفة الملحدة القائلين بالتناسخ على رأي الحاكم بأمر الله ويقال لهم درزية نسبة لحسين الدرزي وهو صاحب دعوة الحاكم ومعنى الدرزي الخياط وقوله الوصي هو علي رضي الله عنه مزعم الشيعة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى له بالخلافة حين تآخى معه في غدير خم وهو أمر مخالف لاهل السنة الا أن ممدوحه كان يقول بذلك لجرى في شعره على معتقده والله أعلم بالسرائر وقوله لو حاربت غلو كان ينبغي تركه والغري موضع بالكوفة دفن فيه علي كرم الله وجهه والنؤي بضم النون والهمز جمع نؤي وهو ما يحفر حول الخباء حتى لا يدخله المطر والمراد بأشيعث تصغير أشعث وهو الوتد لأنه يشعث اذا دق وابن داية كنية الغراب والمراد أنه لا يبقى لهم أثرا ومما أنشدنيه قوله وقد أرسلها من الروم الى الشام.

أنسيمة الروض المطير * بالعهد في زمن السرور
وأنيق أيام الشبا * ب وعيشه الغض النضير
ووثيق أيام التصا * بي بالمعهد ها الخطير
ومعاهد كان الشبا * ب وشرخه فيها سمير
هومت فيه فصاح بي * داعي الصباح المستنير
فطفقت أنظر منه في * أعقاب برق مستطير
قد كان حسان المرا * بع فيه حسان البدور
أيام غصن شبيبتي * ريان من ماء الغرور
وذوائبي شرك المها * وحبالة الظبي الغرير
حيث الشبيبة روضة * غناء صافية الغدير
فشاء رائدها المها * ة الرود من ريم الخدور
من كل مخطفة الحشا * كأخي الرشا أخت الغرير
طلعت بليل ذوائب * أبهى من القمر المنير
بيضا وتحت الترا * ئب والنحور من الثغور
فكسى معاطفها الشبا * ب الروق حسان الحبير
تمشي أناة الخطو فيـ * ـها روعة الظبي النفور

قويت على قتلي وفي * ألحاظها ضعف الفتور
وبما جرى يوم النوى * من در مدمعها النثير
كالعقد أسلمه النظا * م من الترائب والنحور
وبوقفة التوديع والأ * نفاس تصعد بالزفير
وبد الفراق تشب في الأ * حشاء نيران السعير
الا سريت مع الصبا * يا نسمة الروض المطير
فاجتزت من أرض العرا * ق على الخورنق والسدير
ووقفت بالزوراء وقفة * زائرة أوفى مزور
وحملت للكرخ التحية * من أخي شجن أسير
ونزلت من نهر الابلة * والصراط على شفير
وأقمت في شط الفرا * ت بملتقى العذب النمير
وسمعت هينمة الريا * ض وصوت جائشة الخرير
وجذبت في تلك الحدا * ئق طوق ساجعة الهدير
حفت بسرو كالقيا * ن تلفعت خضر الحرير
ولثمت خد الروض فيه * نبات ريحان طرير
وثنيت عطفك والصبا * ح يكاد يؤذن بالسفور
وأتيت بابل فاصبحت * بمثل مصباح منير
يغنيك متهمة ومنجدة * سناها عن خفير
ثم انبريت مع الجنو * ب وحدت عن مسرى الدبور
حتى نزلت على الارا * كة أو رسيت على ثبير
فسقطت من أرض الحزا * مى والبشام على الخبير
وطلعت نجدا والدجى * يستل من أثواب قير
ومشيت فوق عرار * ما بين حوذان وخير
وهبطت غور تهامة * والشهب مالت للغوير
ونزلت في صفح الارا * ك رشفت زاهية البرير
وسلكت من وادي العقيـ * ـق منابت العجم الشكير

واملت

وأملت فيه ذوائب الأغصان من طلح نضير
وهصرت بانات النقا * هصر الروادف للخصور
فحملت منها من غوا * لى المسك فاغمة الزهور
وعبرت دارين العطا * وشممت غالية العبير
وازددت من أرج الكبا * ورنده عند المسير
وجزعت وادى السحر ليـــلا وانثنيت مع البكور
والصبح يخطر فى الدجى * كالوحى يخطر فى الضمير
والنسر فيه واقع * خوف الصباح لدى الدكور
وكواكب الجوزاء ممـــسكة الأعنة عن مسير
خافت سهيلا فانتضت * سيفا من الشعرى العبور
والنجم يهوى للغرو * ب كأنه كف المشير
فهبطت ربع الشام دا * ر اللهو بل مغنى السرور
ونزلت بالوادى المقـــدس شاطئا غير الشطير
وخطرت من بطحاء وا * دى النيرين على الصخور
ووقفت فى تلك الربى * ما بين روض أو غدير
وقرأت سكان القصو * ر بها السلام بلا قصور
لا سيما شيخ العلو * م مفيد أرباب الصدور
شمس الهداية والدرا * ية شيخ جامعها الكبير
كشاف أسرار البلا * غة عمدة الفتح القدير
معلى منار الشرع مغـــنى المعتفى كنز الفقير
ورئيسها قاضى حما * عتها المحكم فى الامور
الفاضل اللسن المفو * ه والمنزه عن نظير
أعنى به القاضى محـــب الدين ذا الرأى المنير
مـــولى أراع يراعه * قلب الطروس مع السطور
ببديع وشى مخجل * وشى البديع أبا الحريرى
وأبو الضيا حسن حليـــف الفضل والادب الغزير

عجباله فاق الاوائل وهو في الزمن الاخير
أدبير وقل مثل زهر الروض غب حيا مطير
(ومنها)
ومشيدي أركانها * أمراء معلمها الخطير
منهم جناب الطا * لوى سليل أرتق ذى السرير
محيي مكارم حاتم * بين الانام بلا نكير
والمحكي محمد السا * مي على الفلك الاثير
فهو الامير ابن الامير ابن الامير ابن الامير
ذكرتهم الانواء ذكرى * بالعشى و بالبكور
وكساهم خلع الثنا * ب الروق مقتبل الدهور
وقد عارض بهذه القصيدة ما في الحماسة وللناس على منوالها قصائد كثيرة أحسنها ما للشريف الرضى
نطق اللسان عن الضمير * والسر عنوان الصدور
وعلى منوالها لابي بكر الخوارزمي قصيدة مطلعها
ان الالى خلف الخدور * هم في الضمائر والصدور
وقع الغبار عليهم * فغدا يتيه على العبير
لما مشين على الثرى * تاه التراب على الاثير
ياسائلي من في الهوا * دج والبراقع والستور
فيها الرضاع من المنية والفطام عن السرور
وأنشدني من قصيدة أخرى له
ذكر العقيق فسال من أجفانه * فاشتفه وجدا الى سكانه
واشتم في ريح الصبا أرج الصبا * فصبا حليف جوى الى أوطانه
وشجاه مهجور الفؤاد الى الحمى * ورق سواجع هجن من أحزانه
تملى من الورق الغرام وطالما * درست فنون العشق من أفنانه
فيهن سالمة الحشا من لوعة * لم تدر طعم الوصل من هجرانه
تمسي وتصبح في أرائك أيكها * مع الفها والعمر في ريعانه

ترتاد أرض الشام أخصب منزل * حيث العرار صغا الى حوذانه
حيث المغانى مشرقات بالدمى * والغانيات يطفن حول معانه
فى ظل منبجس اللجين جرى به * ذهب الاصيل يسيل من عقيانه
أحوى الظلال كأن سمرته لمى * عذب المراشف ندعن غزلانه
بينا تردد فيه من عذب الى * عذب يتوق الى العذيب وبانه
مع صفو عيش اذ رمتها نية * للروم فاجتها بسود رعانه
هبطت بها الاقدار أرضا لم يكن * فيها نزول الوحى مع فرقانه
سوداء مظلمة الرحاب كأنها * قلب الحسود علتبه ظلمة رانه
فغدت تنوح على البلاد بدمع * مع يبارى الغيث فى تهتانه
مأسورة القلب المعنى من جوى * مسجورة الاحشاء من نيرانه
تبكى اذا ذكر الحمى حيث الحمى * روض تغرد فى ذرى أغصانه
تنفك تنثر لؤلؤا من أدمع * كالدر ينظم فى عقود جمانه
حتى ترى روض الحمى أو تجتلى * وجه ابن بستان وحيد زمانه
ذو رتبة فى المجد رام بلوغها الـ * فلك المحيط فلج فى دورانه
سبقته فاستعدى علينا طاويا * لصحائف الاعمار فى سرعانه

(وله من أخرى)

لى فيكم كدرارى الافق سائرة * هى اللآلى الا أنها كلم
من كل شامخة العرنين تحسبها * فى الشعر ليثا لها من نفسها أجم
تبقى على صفحات الدهر خالدة * كالانجم الزهر عقد اليس ينفصم
أو غادة حسنها قيد النواظر فى * ألحاظها سقم فى أنفسها شمم

(وله من أخرى)

حمى الشام جاد الغيث ماحل تربه * مغانى الهوى فيها معان أحبتى
وباتت بأعلى النيرين مع الصبا * تطارحها ذكرى عهود بربوة
على نهر حصباؤه الشهب قد جرى * خلال سمار وضاته كالمجرة
يجاوب سجاع الحمام خريره * فتصغى له الورقاء من فوق أيكة

ولله در أبى الحكم فى قوله فى هذا المعنى

وتحدث الماء الزلال مع الحصى * فجرى النسيم عليه يسمع ماجرى
فكان فوق الماء وشيا ظاهرا * وكأن تحت الماء سرا مضمرا

(وقوله من أخرى)

بياض طرس جرى ذوب النضار على * جبينه للآل حيرت فكرى
كاللؤلؤ الرطب الا أنها فقر * غير الاديب اليها غير مفتقر.

(ومنها في السفن)

ركائب ليس ترضى بالجديل أبا * لكنها من بنات الماء والشجر
شم العرانين دهم ما بها وضح * الانجوم الليالى موضع الغرر
ما زلت أجدف طوفان الخطوب بها * وأتقى حادث الايام والضرر

ومنها

خذها فدتك نفوس الشعر قاطبة * فقد علته بمدح فيك مبتكر
طائية الاصل الا أنها نشأت * بربوة الشام فى روض على نهر

ورأى نيلوفرة صدفا للدر السحاب وحقة لجوهر الندى المذاب كأنها بوتقة أذاب بها الجو نضاره أوكأس فى يد مصطبح بداوى بها خماره أومقلة صب كئيب قد لجأ على الغفلة الرقيب بعدما امتلأت بدمع الهوى وتردد فيها الدمع من حيرة النوى وقد طفا عليها الماء الزلال فبلغ حافاتها وما سال بل لخشية فراقها تشبث بأهداب أوراقها فقال مضمنا وأجاد

ونوفرة كعين الصب شكرى * تجم الماء خشية أن يراقا
ذكرت لها النوى يوما ففاضت * وصارت كلها للدمع ماقا

وشكرى بشين معجمة بمعنى ممتلئة وهو من قصيدة للمتنبي أولها

* نظرت اليهم والعين شكرى * فصارت الخ وأنشدنى له أيضا

شام برق الشام بالروم خدوعا * فانبرت أجفانه تذرى الدموعا
هب من عليا دمشق موهنا * هبة المصباح فى الليل ذريعا
جزع الآفاق فى هبته * وأتى الروم سرى الايم جزوعا
خفقت راياته فى أفقه * خفقان القلب قد أمسى مروعا
وقعت شعلته وسط الحشا * وسناه طارفى الجو رفيعا
ليس يدرى وقعها غير شج * فارق الاوطان مثلى والربوعا

أو معنى بهوى تيمه * من غزال راح للوصل منوعا
تخجل الشمس سناه وسنا * ومهاة الرمل جيدا أو تليعا
أسهر الجفن خليا عن كرى * مقلة لا تطعم النوم هجوعا
كيف يكرى ناظر فارقه * ناضر العيش من الليل هزيعا
وشباب شرخه مقتبل * كان للصب لدى الغيد شفيعا
لم يكن الا كلم وانقضى * أو خيال فى الكرى مر سريعا
أزمعت حسرته لا تنقضى * آه ما أسرع ما ولى زميعا
لست أرضى منه بالسقيا له * وسحاب الجفن يسقيه النجيعا
والذى هاج الهوى قمرية * بالضحى تهتف بالايك سجوعا
كلما ناحت على أفنانها * هاجت الصب غراما وولوعا
واذا غنت له غنت له * ذكر الشام فزادته صدوعا
يا سقى الله حماها وابلا * مسبل الطرف من الغيث هموعا
حيث ربع اللهو منه آهل * والغوانى فى مغانيه جميعا
كل رود لبست شرخ الصبا * وهوى ان تدعه لبى مطيعا
كم لنا فيهن من بهنانة * ولع القلب بها خودا شموعا
لست أنسى ساعة التوديع اذ * وقفت فى موقف البين خضوعا
وهى تذرى لؤلؤا من نرجس * فوق ورد كاد طيبا أن يضوعا
علقت ذيلى وخانتها الهوى * فانثنت من وقفة البين صريعا
وأفاقت وبها حر الجوى * ثم قالت وشكت دهرا خدوعا
لا رعى الله المعالى مطلبا * كم نرى صبا بها مغرى ولوعا
كنت لى بدرا منيرا فاختفى * فى سرار بعد ما سرى طلوعا
وشبابا لاح برقا عندما * أشعل الرأس سنا راح سريعا
أيها الظاعن والقلب على * أثره مذ سار ما زال هلوعا
لا تكن للعهد بعدى ناسيا * يا حياتى واعطفن نحوى رجوعا

وهى طويلة ذكر فيها تغربه بالروم واشتياقه للشام

﴿محمد بن قاسم الحلبى﴾ يتيمة الدهر وبيضة البلد ممن نزلت فضائله بين العلياء

والسند أخ لمن تجنبه الدهر شيق حر العرض على أنه عبد الصديق فكم له من يد خضراء تنبتها يد بيضاء كما اخضرت الهضاب من أبيض نسج خيوط السحاب

تمد على الآفاق بيض خيوطه * فتنسج منها للثرى حلة خضرا

وله شعر راق بجيد الدهر عقده وعذب على لسان الدهر المحلى بالفصاحة ورده وزها في يانع الرياض البهية شقيقه و ورده مع فضل حلا في أفواه الليالي ثناؤه وأضاء في دجى المشكلات سناه وسناؤه

له صحائف أخلاق مهذبة * منها الحجى والعلا والفضل ينتسخ

وكانت أخباره تغدو على مسامعي فتتشوق الى لقياه أجفان عيون مطامعي حتى لقيته بالروم فاهتزت به أعطاف المبره ونلت به ما هو للروح قوت وللطرف قره وعود الدهر المورق يختال في غلائله وقينان روضه كأغاسرق الحسن من بعض شمائله بطبع أرق من برد النسيم هلهله الشمال وأصفى من ريق مدامة صفقها العذب الزلال فدارت بيننا شمول آداب ظل لها ثغر الانس باسما وانتظمت عقود عهد كان لها كف المودة ناظما ولما لم يرض مقامه بحلب وفطم أمله مما أدر الدهر له بها وحلب لأن زامر الحي لا يطرب وما كل حاملة اذا انتجب تنجب سار عنها وسلك الطريق حتى نزل بين وادي العذيب والعقيق فلما أخذ الله كريمتيه وعوضه جنة عدن لديه تربعت أقدام أقدامه وقد سقط في يديه فقعد ينتظر دعوته حتى تلقاه وان كان مع الركب اليمانين هواه

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

فمما دار بيننا من كؤس الادب ما كتبته اليه وقد قدم من حلب

حتام يغزوني صدوده * والصبر قد كثرت جنوده
سكران من ألحاظه * قامت على قلبي حدوده
وسقيم طرف لم تزل * أبدا لواحظنا تعوده
برقت بوارق وصله * والهجر قد خرست رعوده
غصن تميد به الصبا * في كثب أرداف تؤده
لم أدر فاتر جفنه * والخصر أسقم أم عهوده
نشوان يعبث بي كما * عبثت بآمالي وعوده

لولا مياه الحسن جا * لت فيه لاحترقت خدوده
كالصب لولا دمعه * يهمى لأحرقه وقوده
يخفي الهوى وعيونه * بغرامه المضنى شهوده
بشهادة ليست ترد فليس ينفعه جحوده
فسقى رياض الحسن من * دمعي حباً يهمى مديده
زمن بجيد اللهو قد * نظمت على نسق عقوده
اذ دوح أنسى يانع * بكؤسنا انفتحت وروده
والكاس نجم لاح في * فلك المسرة لي سعوده
يصفو فيحكى ذكر من * قد زين الدنيا وجوده
ذاك ابن قاسم الذى * مازال في تعب حسوده
رقت به حلل العلا * وزهت بطلعته بروده
مازال يسقي من ميا * ه الفضل حتى اخضر عوده
فيكاد يورق بالسعا * دة مثمرا منها وفوده
قد كان دهرى عاطلا * حتى تحلى منه جيده
مجد طريف يغرق الافكار اذ يبدو وتليده
ياما لكا رق القلو * ب فكلها حباً عبيده
بل جنة فيها بطيب ثنائنا أبدا خلوده
في الشعر ليس ببالغ * أدنى بديهته وليده
قد كان فكرى صائما * حتى طلعت وأنت عيده
فاليكها عقدا لجيد الدهر زينه نضيده
بكراً يروم جوابها * مهراً ترق لها نقوده
ولئن تكن قيد النهى * فالحب تستحلى قيوده
فالبس لباس مسرة * في الدهر لا يبلى جديده

فأجاب وأجاد

الظبي لفتته وجيده * والورد ما أبدت خدوده
والدر يزهو بالذى * في ثغره منه نضيده

وبوجهه شرك العقو * ل فأى عقل لا يصيده
فى كل يوم للهوى * من حسنه معنى يزيده
روض سقاه الله ما * ء الحسن فاحمرت خدوده
يستوقف الابصار حتى * لا يسوغ لها وروده
ملك تحكم فى الجما * ل فنال منه ما يريده
وجرى بأسرار الهوى * للناس من دمعى بريده
مازال يسطو فى الورى * من فعل مقلته جنوده
حتى ظننا انه * بالاجر آثره شهيده
يبدى الصدود وكلما * صانعته عنه يعيده
أتراه يجحد ما لقيت به وهل يغنى جحوده
* وهو النهار اذا بدا * من نفسه قامت شهوده
كضياء مولانا شهاب الفضل اذ طلعت سعوده
مازال يسمو فى سما * ء المجد زينها وجوده
حتى تقطعت المطا * مع عنه واستعفى حسوده
وقاد فكر أى خطـ * ـب ليس يطفئه وقوده
كرمت له همم الى * غير العلا ليست تقوده
يزهو على جيد الزما * ن عما يفقه فريده
من كل مجمع من مزا * يا الحسن قد نظمت عقوده
واذا ذكرت الشعر فهو كما سمعت به لبيده
قد كنت أجهد فى ابتغا * ء لقاء أيام تفيده
حتى وفت لى بالذى * قد كان فى أملى وعوده
فلقيته البحر الخضم يفيض للعافين جوده
متدفقا بالفضل تخشى ان يغرقها وفوده
مولاى عذرا انها * من خاطر قد جف عوده
بعدت بقول الشعر فى * عهد الصبا حيناً عهوده
لبى دعاك وأى مو * لى لا تلبيه عبيده

ماضره عبد نأى * مادام من لقيالك عيده

(ومما أنشدنيه قوله)

متعنا يومنا بصحو * ليس على السر منه ستر
كأن فى الجو منه كنزا * سال على الارض منه تبر

وقوله فى مليح مصفر العذار كأنما خاف الدهر على ذهاب حسنه فقيده بسلاسل النضار أو ملك الجمال بلغ كماله فد لشكاة صدغه سلسلة الغزاله

لما التحى تمت محا * سن وجهه وصفت طباعه
وغدا بلطف عذاره * قمرا أحاط به شعاعه

ومما رويناه فى معناه قول الخطيب الخطيرى

وأشقر الشعر من لطافته * يجرح لحظ العيون خديه
فان بدا من يشك فيه فلى * شاهد عدل من لون صدغيه

(وله أيضا)

كأن صدغيه فى احمرارهما * قد صبغا من مدام وجنته

(وله أيضا)

ما احمر شعر حبيبى أن وجنته * سقته من صبغها خمرا ولا خجلا
وانما لفحت خديه من كبدى * نار فدبت الى صدغيه فاشتعلا

ومما أنشدنيه قوله من قصيدة

قد دعاه الهوى وداعى التصابى * لادكار الاوطان والاحباب
فأتت دون صبره من أليم الـ * ـوجد نار شديدة الالتهاب
فذوى غصنه الرطيب وجفت * من رياض الصبا مياه الشباب
شعر المرء نسخة العمر والايام فيها من أصدق الكتاب
فاذا تم منه ما كتبته * تربته من شيبه بتراب
لست آسى على الصبا انما أذ * كر حقا لأقدم الاصحاب
قد سقتنى عهوده العيش صفوا * وكستنيه مونق الجلباب

ومنها

بحر فضل لو قيس بالبحر كان البحر فى جنبه كلمع السراب
مزج الفضل بالسخاء كما ما * زج ماء الغمام صفو الشراب

واذا قيل خلقه الروض أضحى الـــروض طلقا بذلك الانتساب
ماعسى أن أعد من مكرمات * ضبطها قد أعيى على الحساب
واذا ما الافكار أمعن فيها * غرقت من بحارها فى عباب
أنت من ناظر الزمان سواد الــعين والناس منه كالاهداب
قوله شعر المرء نسخة العمر الخ معنى بديع ونحوه قولى
لعمرى ان الدهر خط بمفرقى * رسائل تدعو كل حى الى البلا
أرى نسخة للعمر سودها الصبا * وما بيضت بالشيب الا لتنقلا
ونحوه قول الارجانى
وقد علت غبرة الشيب الشبيبة لى * فبت للاجل المكتوب مكتليا
كتاب عمرى الليالى تربته وما * أدنى المترب أن تلقاه منطويا
وللامير العاصمى وهو شاعر معاصر للصاحب وان لم يذكر فى اليتيمة
تعجبت حين راع شعرى * من بعد نضوى الخطاب حالى
قالت أهذا الذى أراه * غبار طاحونة بدالى
فقلت لا تعجبى فهذا * غبار طاحونة الليالى
قلت لولا مشاكلة الطاحونة الاولى ودورة معها لقبحت هذه الاستعارة جدا وللغزى
مسحت عارضى وماذاك الا * أنها ظنت المشيب غبارا
قال العماد تشبيه الشيب بالغبار حسن وكنت أظن انى ابتكرته فى قولى
ليل الشباب تولى * والشيب صبح تألق
ما الشيب الا غبار * من ركض عمرى تعلق
قال وشبهته أيضا بالتتريب فى قولى
أصدودا ولم يصد التصابى * ونفارا ولم يرعك المشيب
وكتاب الشباب لم يطوه الشوق ولا مس نقشه تتريب
وللمهذب القيسرانى
لا تنكرى وضحا لبست قتيره * ركض الزمان أثار هذا العثيرا
وقوله كنت أظن انى ابتكرته عجبت منه مع قول ابن المعتز
صدت بريرة وأزمعت هجرى * وصفت ضمائرها الى الغدر

قالت كبرت وشبت قلت لها * هذا غبار وقائع الدهر

وهو مسطور فى ديوانه وقد تابعه عليه كثير من الشعراء وتطفل عليهم العماد لكنه طفيلى وقد حذا حذوه فى قوله

اذا كتب الشباب سطور رسل * وأشر بهن كافور المشيب

فيا أسفى وما أسفى وحزنى * سوى طى الصحيفة عن قريب

وعلى ذكر التتريب فما أحسن قول الطغرائى فى وصف كتيبة من قصيدة له

عليها سطور الضرب تعجم بالقنا * صحائف يغشاها من النقع تتريب

وللمهذب الموصلى

تردى الكتائب كتبه فاذا غدت * لم تدر أنفذ عنكرا أم أسطرا

لم يحسن التتريب فوق سطورها * الا لأن الجيش يعقد عثيرا

ومن انشاء ابن الاثير صدر هذا الكتاب والفتح غض طرى لم تنصل حمرة يومه ولا أغمدت سيوف قومه فسطوره تترب بعثار عجاجه ممثلة بضرب خطيه واعجام زجاجه

وقلت مع زيادة حسن التعليل

جيش كان الارض من تحته * مصحف غدت أقلامهن الرماح

مذ سطر الجند على وجهها * تربها النقع فلاح الفلاح

وأصل هذا ما رواه جابر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فانه أنجح للحاجة رواه أبو داود وقد تكلم الناس فيه وقيل انه موضوع وفى النهاية معناه ليجعل عليه ترابا وقال الطيبى ليسقط على التراب حتى يصير أقرب الى المقصد اعتمادا على الله فى ايصاله اليه وقيل معناه التواضع فى خطابه والمراد بالتتريب المبالغة فى التواضع انتهى ومما أنشدنيه

يا ربع سقاك كل مزن غادى * قد كنت محل أنسنا المعتاد

هل يحظنى الزمان بالاسعاد * يوما فتعود فيك لى أعيادى

(فائدة) قال السيوطى فى شرح السنن الاسعاد المعاونة فى النياحة خاصة وفى غيرها المساعدة وأصله من وضع الساعد على الساعد انتهى وعلى هذا فالاسعاد هنا ليس مستعملا فيما وضعته العرب وان صح على انه مجاز مرسل فى مطلق المعاونة لكن الفصحاء يستقبحون مثله وقد بيناه فى كتاب قرض الشعراء المسمى بحديقة السحر

فانظره ثمة ومما أنشدنيه أيضا قصيدة فى تهنئة بختان واخترت منها قوله

أعلامة الوقت مولى الموالى * وقرة عين العلا والكمال
تبوء من المجد أعلى مقام * وضع نعل مسعاك فوق الهلال
فقد أيقن المجد أن المجىء * بمثلك فى الدهر عين المحال
فبشرى لكم بالختان الذى * به لبس المجد ثوب الجمال
هو الشمع ان قط لا غر وان * أنيرت به حالكات الليالى
وظفر بتقليمه لا تزال * أكف المكارم منه حوالى
وتشمير ذيلى لدى الاستباق * لنيل الامانى وكسب المعالى
وما للبراع اذا لم يقط * فضل يعد على كل حال
ومن بعد برى الغصون ازدهت * عليها أسنة سمر العوالى
فلا برحت من مزايا كم * بجيد الزمان عقود اللآلى

وفى معناه للقاضى الفاضل الحمد لله الذى أطلعه بثنيات الكمال وبلغه غايات الجمال ويسره لدرجات الجلال ونقله تنقل الهلال وشذبه تشذيب الاغصان وهذبه تهذيب الشجعان وأجرى فيه سنة سن لها الحديد فنقصه للزيادة واستخلصه للسيادة ودربه للاصطبار وأدبه للانتصار وألقى عنه فضلة فى اطراحها الفضيله وقطع عنه علقة حق مثلها أن لا تكون بمثله موصوله فلم يزل التقليم منوها بالاغصان ومنبها للثمر الوسنان ومبشرا بالنماء وميسرا للنش والانتشاء ولابن فضل الله فى ختان الملك الناصر

لم يروع له الختان جنانا * مذ أصاب الحديد منه حديدا
مثل ما تنعش المصابيح بالقطف * فتزداد فى الضياء وقودا

وأصله قول الغزى

عمالك ودى حين قلت رأسه * قياسا على الاقلام والشمع والظفر

ولابن مطروح

لقد سرت البشائر والتهانى * الى الثقلين من انس وجان
ويصغر كل مبتهج اذا ما * نسبناه الى هذا الختان
تود الزهرة الزهراء فيه * لو اتخذت به احدى القيان

وأن البدر طارق في يديها * وأن مراسليها الفرقدان
وتمتلي من الافلاك لحنا * فاقدر المثالث والمثاني
وتبقى بالثريا فيه كاسا * ولا أرضى لها بنت الدنان
ولكن من رحيق سلسبيل * بأيدي عبقريات حسان
ويصغر خادما بهرام فيه * على ما فيه من بأس الجنان
فلولا انه فرض علينا * لما مدت لحاتمه يدان
وقطع الشمع يكسبه ضياء * وقطع الظفر زين للبنان

وللصنوبري أيضا

أرى طهر استيغر بعد غرس * كما قد تغر الطرب المدامه
وما قلم بغن عنك الا * اذا ما ألقيت منه القلامه

قلت الطهر بالضم والطهور بالفتح والتطهير كنايات عن الختان استعملها المحدثون كقولهم للاعور ممتنع كما ذكره الثعالبي في كتاب الكناية وفي كتابه المسمى بمرآة المروآت وغيره ومن شعر صاحب الترجمة

ما كنت أحسب أن يكون كذا تفرقنا سريعا
قد كنت أنتظر الوصال فصرت أنتظر الرجوعا

وله أيضا

والله لولا حصول معنى * في خاطري منك لا يزول
ما كان بالعيش لي انتفاع * ولا الى مطلب وصول

وله

قد كنت أبكي على من مات من سلفي * وأهل ودي جميعا غير اشتات
واليوم اذ فرقت بيني وبينهم * نوى بكيت على أهل المودات
فما حياة امرئ أضحت مدامعه * مقسومة بين أحياء وأموات

وله

وبي من المعرض لا قسوة * لكن لاقوال العدا والوشاه
ما لاح للعين سنا وجهه * الا وفيها من رقيب قذاه

وله مضمنا

صب على الشنب المعسول ذاب أسى * و بات من حر نار الشوق في شعل

كالشمع يبكى ولا يدرى أعبرته * من صحبة النار أم من فرقة العسل

وكتب الى فى مرض اعتراه فلم أعده لمرض أصابنى فعتب على ولم يدر ما عاقنى عن العيادة سيدى ومولاى يعلم أن القلوب وهى حصون المودة لا تفتح عنوة والدهر لم يبق للصلح موضعا تتمسك منه يد الامل بعروه

ووداى كما عرفت ودادى * وفؤادى كما عهدت فؤادى

وصاحب البيت أدرى بالذى فيه وان للبيت ربا يحميه وقد عرض من السقم ما عاق عن العياده وأقعدنى عن القيام بأمرها وهى عباده وكيف يصح بدن وروحه سقيمه فلذا أنشد لسان حال المودة السليمه

رأيت الفضل فى الدنيا غريبا * ضعيفا فى معالمها نحيفا
فلما أن سألت الدهر عنه * أجاب ملاحظا معنى لطيفا
وقال لى ابن قاسم المفدى * وعين الفضل قد أمسى ضعيفا
فقلت له حمى الله المعالى * بصحته وآمنه المخوفا
*

وكتبت مع ذلك شعرا عرضته عليه وهو قولى مضمنا

يزيد اشتياقى نحو مصر وأهلها * كما زاد مد النيل حتى تفجرا
أذاب النوى صبرى وأفنى مدامعى * فقالوا سلا عن حبنا وتسترا
ولم يبق لى الا تفكر نيلها * ولو شئت أن أبكى بكيت تفكرا

قولى

ان وجدى بمصر وجد قديم * وحنينى كما ترون حنينى
لم يزل فى خيالى النيل حتى * زاد عن فكرتى ففاضت عيونى

وقولى ناسجا على منوال شعر الزمخشرى المشهور

وقائلة ماهذه الأبحر التى * جرت من مآقيه ولم تك غائضه
فقالوا لها أنهار مصر التى ثوت * بخاطره أمست من العين فائضه

ثم عن لى معنى آخر حال الكتابة وهو

يا كوثرا ان سد عنه مسمعى * تلقاه فيه قد جرى بخريره
لحديث نيلك مصر أضحى مصغيا * حتى يخوضوا فى حديث غيره

فأجاب أبقاه الله

أتتنى رقعـة من ذى ولاء * وفى فشنى امرأ دنفا ضعيفا

أبانت منه معذرة بسقم * ألم به وصار له حليفا
وشاطرني السقام ولم يزل بي * على طول المدا برا رؤفا
وذلك أبر في سنن التصابي * وأوفى من عبادته ألوفا
تقيه السوء نفسي فهو من لم * يزل يكسبني به الفضل الشفوفا
شهاب ثاقب محت الليالي * بطلعته من الدهر الصروفا

مولاي فكري الكليل عليل والاستقصاء في مجاراة سيدي ما اليه سبيل وسلامتكم غاية المسؤل والعذر عندكم ان شاء الله تعالى مقبول والسلام

وقال جوابا عن كتاب

ورد الكتاب مبشرا بقدوم من * ملأ النفوس مسرة بقدومه
فطربت بالاسجاع من منطوقه * وغلت بالجريال من مفهومه
وسجدت شكرا عند مورده على * اسعاد هذا العبد من مخدومه

وقال أيضا

قال لي العاذلون لم ملت عمن * محياه يخجل الاقمارا
قلت كان الفؤاد عشاله اذ * كان فرخا وحين ريش طارا

وقوله رباعية

يا جيرتنا في حلب الشهباء * من يوم فراقكم سروري ناء
قدمت لبعدكم غراما وأسى * لقد غلطا أعد في الاحياء

الامير أبو بكر الحلبي المعروف بابن حلال أمير جيشه الهمم وبحر تغترف منه الديم تسكر من ألفاظه المدام فاذا ساقط الحديث سقاط الدر أسلمه النظام أو بدا روض أدبه قامت له الاغصان في الرياض على الاقدام رحيب ساحة الصدر وصليب قناة الصبر لم يعقد حبوة رأيه الا بيد الحزم ولم يحل الدهر ما عقده الا براحة العزم فلا يدخل الطيش حلمه ولا تحل يد النوائب حزمه أدبه أرق من دمع السحاب وأصفى من ماء الحسن في رياض الشباب الا انه اقتصر عليه وجعل جملة متاعه في يديه والادب روضة ذات أفنان لا تزهو الا اذا كانت ذات أنواع وألوان فلذا قل ما روى شعره من ماء النضاره واكتسى غصن لفظه ورق الغضاره ولم يحضرني منه الآن غير قوله

أيا بحر اغدونا من نداه * تقدم بعض أنعمه لديه
كذاك البحر ينشأ منه غيث * وبعض سحابه يهدى اليه

وهذا معنى مشهور فى معناه قول البديع

أهدى لمجلسك الشريف وانما * أهدى له ما حزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وماله * من عليه لانه من مائه

وقد ضمنه بعضهم ونقله من الجد الى الهزل فقال

يتبادلان فينصفا * ن وليس بينهما ارتياب
فيصيب هذا ماء ذا * كالبحر يمطره السحاب

وقد حضرني فى معناه ما كتبته مع سمك أهديته

أهديت حوتا نحو من * فاتت عزائمه السماك
فاقبل بحقك عذر من * أهدى الى البحر السماك

ومن الفصول القصار المهدد لمن فوقه مهدد للبحر بالشرق وللحوت بالغرق

(ابراهيم ومحمد ابنا أحمد الحلبي المعروف بالملا) هما من دوحة الكمال غصنان بل روضان أنبتهما مرجان ولا أقول نهران فهما بحران يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كل منهما جواد يفرغ الخزائن بجوده فيملأ بالغيظ قلب حسوده طويل الباع عذب الموارد اذا اظمئت الاسماع مرهف فكره صقيل الطبع وبحر كرم متموج بهبوب نسيم ذلك الطبع رقيق حواشي المجد أرق من عبرات أسالها الوجد وضاح المحيا تحمر خجلا منه خدود الحيا صنفا وألفا ولاحا كغصنى بانة قد تألفا نشآ فى بحر الفضل والحسب وبسقا فى روض النجدة والادب فى زمان سمت فيه الجهل بالفضل ورقى صهوة عزه كل قدم نذل نجمان بأيهما اقتديت فى طرق المعانى اهتديت فهما فى مغرس الكرم صنوان وثمراتهما صنوان وغير صنوان وروضا محامد يسقيان بماء واحد ووالدهما همام ألف وأفاد وعذبت موارد افادته للوراد له تآليف كثيرة منها شرح مغنى اللبيب طرز بتحريره حواشيه ودخل جنته من أى باب شاء من أبوابه الثمانية فمما أنشدته لمحمد ابنه

فى الليل وفى النهار حرا كبدى * مقتول ضنى بجائر ليس يدى
ترشي عيني جواهر الدمع على * لقياه تظن أنه طوع يدى

وهو معنى مترجم من الفارسية ومثله قول صاحبنا محمد القاسمي

لقياك سرور قلبي المحزون * والوحشة من هواك لا تعدوني

يا ويح عيوني خشيت شقوتها * مني فاتت بدرها ترشيني

وقريب منه قول ابن الرومي

وهبت له عيني الهجوعا * فاثابها منه الدموعا

وأحسن منه قول الارجاني

لولا طروق خيال منك منتظر * يلم بي راقداما ساءني سهري

كأن جفني اكراما لزائره * أمسى على قدميه ناثر الدرر

ولابراهيم من قصيدة قرظ بها شعر اليوسف بن عمران

أطرسك هذا أم لجين مذهب * ونظمك أم خمر لهمي مذهب

وتلك سطور أم عقود جواهر * وزهر سماء أم هو الروض مخصب

وتلك معان أم غوان تروق للعيون * وبالحن المسامع تطرب

فيا حبذا هذي القوافي التي عن * يعارضها ظفر المنية ينشب

لقد أحكمتها فكرة ألمعية * فكدت لها من رقة النظم أشرب

فكم غزل قد هز ذا سلوة الى التصابي فأضحى بالغزال يشبب

فيا بحر فضل فاض بلا لئ * لها فكرك الوقاد ما زال يثقب

ظننت باني للخطاب مؤهل * فأرسلته شعر النظمي يخطب

فعذرا فان الفكر مني مشتت * وعقلي بأيدي حادث الدهر ينهب

وكان العماد بينه وبين أحمد مودة صافية وفي بعض الاحيان تجري بينهما مداعبات وأحماض فكتب له مرة وقد رأى ميله لمعذر كان من جملة خدامه يستفتيه في رأى أهل الموصل

ما تقولون يا ذوي الافضال * وأولى العلم والحجى والكمال

في أناس يرون في حلب الشهباء رأي الهوى وحب الجمال

قد تحيرت في هواهم زمانا * فاكشفوا لي عن شبهتي وسؤالي

أي ذنب للامرد الناعم الخد الذي فاق ربة الخلخال

بمحيا مثل الغزالة حسنا * وبطرف أزرى بلحظ الغزال

وبمعسول وجنة قد تسامت * بصفاء على بديع اللآلي

فلماذا أعرضتم عن هواه * لذقون كأنهن المخالى
من نتيف محفف ذى اعتلال * ناقص الحسن مصدر الأفعال
أفلا تنظرون مرآة وجه * لاح بدرا مكملا بالدلال
دون ذى لحية كسته ظلاما * خارجا عن مطالع الاعتدال
فاكشفوا شبهتى فأية داع * لاتباع الهدى وترك الضلال
لابرحتم فى نعمة وسرور * ناجحى القصد بالغى الآمال

فأجابه بقوله

ياهماما سما بروج الكمال * واماما حوى فنون المعالى
وأديبا أتى بكل بديع * من نظام أزرى بعقد اللآلى
وعلى أصله المكارم جادت * بثناء يفوق ريح الغوالى
ولعمرى ان العماد امام * فاق أقرانه بحسن الخصال
ياله فاضلا وأحسن مولى * فى صحيح الهوى خلا عن مثال
هذبته أيدى الليالى الى أن * رق طبعا ففاق صفو الزلال
قد أتى منه لى لطيف سؤال * ببديع الفنون أصبح حالى
غقته أيدى القريحة حتى * حاز لطفا فقدتم بالاعتدال
جاء فى طيه بنشر ذكى * دق عن ذوقه فهوم الرجال
سائلا من معاشر من بنى الحب بشبهاتنا رضوا بالمحال
عدلوا عن هوى صقيل المحيا * من بخديه جال ماء الجمال
وله بهجة بوردى خد * ولحاظ تروى عن الغزالى
ناعم الوجنتين معسول ثغر * ويح قلبى من قده العسال
فلماذا أعرضتم لسواه * من ذقون كأنهن المخالى
تارة تنتحون حب نتيف * ناقص أجوف الحشا ذى اعتلال
واذا الامرد الجميل المفدى * لاح لم تقصدوا هواه بحال
وطلبتم منى الجواب وانى الآن والعهد ليس لى من مجال
كيف والفكر فى خمول ووهم * والحشى فى تحرق واشتعال
غير أنى أقول قولا وجيزا * وعلى الله فى القبول اتكالى

انى

انى مغرم بكل جميل * حسن الوصف والثنا والفعال
أمردا كان أوفتى ذاعذار * فاق فى الحسن ربة الخال
سبح المسك ورد خديه لما * خاف أنا نصيبه بالنبال
وتجلى من هالة فى عذار * وجهه البدر ذوالبها والجمال
ذاغرامى ومذهبى واعتقادى * انه مذهب من القدح خالى
اذرأينا من تقدم قوما * قد رقوا فى العلا ذرى الآمال
سلكوا فى هوى الفريقين سلما * وأتوا بالبديع من كل قال
وطباع الورى تخالف فالنازل فيهم وفيهم كل عالى
هاجوابى ولست أزعم أنى * ذوصواب فارقت نهج الضلال
فعلى الفاضل الاديب مليك الفضل من جاءنا بهذا السؤال
الامام العماد نشر اعتذارى * وقبول يقاد من غير قال
دام فى نعمة وأرغد عيش * ونعيم وبهجة واعتدال
ما انتحى المرد والمعذر صب * عادم الصبر واجد البلبال

(يوسف بن عمران الحلبى) أديب نظم ونثر وأصبح ذكره جمال الكتب والسير أكثر من الرحلة والنقله على تيقظ لا تطمع فيه الغفله ففاضت عليه سحائب من الثناء سكوب من جيهار ياح الشكر مما يسحبه الصبا والجنوب الا أنه فى أواخره داست ساحته النوب فأحاطبه الفقر لما أدركته حرفة الأدب فأصبح بعد النعيم المقيم بؤسه أبا العجب

لوكان يدرى المرء أن ابنه * يحرم بالآداب ما أدبه

وقد صحبنى فرأيته بشعره معجبا طروب اذا سنح له معنى فكأنه قميص يوسف فى أجفان يعقوب فدحنى بعدة قصائد وأهدى الى منها ما هو على آدابه شاهد وطلب منى يوما تقريظ شعره فقلت بديهة

لشعر ذا الحبر يجرى فى تموجه * يهدى لأسماع نار وحاوريحانا
ذومنطق ساحر مطرفوا عجبا * للسحر ينشئه وهو ابن عمرانا

وكان من خزائن الادب نهابا وهابا يطرب بألحانه وان رجع على من سواه بأوزانه فمن عذب خطابه وقلائده المنتظمة فى جيد آدابه ما أنشدنيه من قصيدة له

أثار بأحشائي البنان المطرف * رسيس هوى يقوى اذا الصبر يضعف
وأرقني من حي سلمى حمائم * غدت فوق أغصان المعاطف تهتف
وثغر اذا ماافتر يبدي ابتسامه * بروقا بها أبصارنا تتخطف
وخد سقى ماء الشباب رياضه * بالحاظنا منه جنى الورد يقطف
ودينار خد كامل الوزن حسنه * على حبه روحي النفيسة تصرف
وجسم صفا حسنا يكاد أديمه * المنعم من فرط الطراوة يرشف

وقوله من أخرى

حذار تروم الوصل من ساحر الجفن * فكم مشرفي دونه سل من جفن
واياك من خطي عامل قده * فكم أثخن الاحشاء طعنا على طعن
ألا أيها الريم الذي بات يرتعي * حشاشة نفس الصب لا روضة الحزن
بخديك ما في مهجتي من لظاهما * بجسمي المعنى ما بخصرك من وهن

ومنها

لثمت له جيدا طلى الظبي دونه * وثغر الماء العذب أحلى من المن
وألصقته بالصدر عند عناقه * كما ضمت الأحلام جفنا الى جفن

وهذا كقول القاضي الفاضل

فيا جفني فاعتنقا انطباقا * ويا نومي قدمت على السلامه

وله من أخرى

كأن زهور الروض حين تساقطت * لتقبيل أقدام الأحبة أفواه

وله من أخرى

ربيع عدل به أيامه اعتدلت * فالشاة والذئب في أيامه اتفقا
لا تختشي الطير من ملقى الشباك لها * ولو اليها بالفي مقلة رمقا

وفي معناه قولي من قصيدة

فديتك يامن بالشجاعة يرتدي * وليس لغير السمهري في الحرب يغرس
فان عشق الناس المهاو عيونها * من الدل في روض المحاسن تنعس
فدرعك قد ضمتك ضمة عاشق * وصارت جميعا أعينا لك تحرس

ومما أنشدنيه أيضا قوله

مالن عصبت العين بعدهم سدى * الا لأمر طال منه سهادى
لما قضى نومى باجفانى أسى * لبست عليه العين ثوب حداد

وقد كنت لما ذكرلى هذا ذكرت له تتفاقى معناه فأعجبته فنها

لاتنكروا رمدى وقد أبصرت من * أهوى ومن هو شمس حسن باهر
فالشمس مهما ان أطلت لنحوها * نظرا تؤثر ضعف طرف الناظر
ولقد أطلت الى احمرار خدوده * نظرى فعكس خيالها فى ناظرى

ومنها

رمدت جفونى عندما فارقت من * قد كان كحلا فى نواظر عبده
وسرقت حمرة ناظرى وسقامه * عند النوى من مقلتيه وخده

ومنها

حين خبرت أن فى الطرف منه * رمدا زاد فى ذبول المحاجر
جئت كيما أزور من وجه بدرى * كعبة الحسن تحت سود الستائر

ومنها

ما احمر طرف العين ضعفا ولا * نرجسه بدل منه الشقيق
لكنه من حمرة الخد قد * أصبح سكرانا فلا يستفيق

ومنها

أنظر الى أجفانه الرمد * تبدل النرجس بالورد
تحمر لا من علة اغما * تأثرت من حمرة الخد

ولابن المعتز

قالوا اشتكت نرجسنا طرفه * قلت عداه السقم ما كانا
حمرة ورد الخد أعدتهما * والصبغ قد ينفض أحيانا

وكتب ابن الخيمى الى اليعمورى وهما أرمدان

أبثك ياخليلى أن عينى * غدت رمداء تجرى مثل عين
حديثا أنت تعرفه يقينا * لانك قد رمدت وأنت عين

فأجابه

كفاك الله ماتشكو وحيا * محاسن مقلتيك بكل زين
وانى من شفاءى فى يقين * لانك قد شفيت وأنت عينى

ومما قلته أيضا

أشكو اليك جفونا قد رمدن وقد * فارقن مرآك يامن فقده حينى

والقلب منقلب عن راحة وهنا * والعين مثل اسمها معتلة العين

ولنقصر عنان الاختيار فقد طال والشئ بالشئ يذكر ومما أنشده لى أيضا قوله فى بخيل

بخيل لو بثوم منه جادت * أنامله لغالته الندامه
ولو فى النار ألقى ألف عام * لما عرفت له يوما سلامه
ولو صارت بسفرته رغيفا * ذكاء لما بدت حتى القيامه

وقوله أفدى حبيبا تفوق البدر طلعته * لانه الغريب الحسن قد جمعت
حاك الجمال عذارا فوق وجنته * غزالة الصبح فى أشراكه وقعت

وأنشدنى لنفسه فى معناه

ظننت الصبا لما على النهر قد جرت * وعكس ذكاء لاح فيها المرتقب
شباكا بها صاد النسيم غزالة * ألست تراها دائما فيه تضطرب

ومما يعجبنى هنا قول القائل

غدوت مفكرا فى أمر أفق * أرانا العلم من بعد الجهاله
فما طويت له شبك الدرارى * الى أن أظفرتنا بالغزاله

وقول الشهاب محمود فى عقاب

ترى الطير والوحش فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله
فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما تسمت غزاله

وللمعمار أنظر الى النهر فى تطرده * وصفوه قد وشى على السمك
توهم الريح صفوه فغدا * ينسج فوق الغدير كالشبك

وأحسن منه قولى

ما الغصن مال على الانهار جعدها * مر النسيم فألقا فوقها حبكا
بل مد منه يدا لما رأى سمكا * من صفوه طرحوا من فوقه شبكا

* سرور بن سنين الحلبى * شاعر سمح السجيه له أنفاس نديه نديه كانت نسمات المسامرة تهب بنفحاته وأفواه الاسماع تحتسى فى نادى الادب سلافة أبياته ونور روضه يتبسم فى الاكمام فترى منه ما هو ألذ من نظر معشوق فى وجه عاشق بابتسام فتستعذب فى مذاق الادب وتتلقى بضائعها من الركبان القادمة من حلب ثم رأيته لما ورد الروم الا أنه لم يطل مكثه بها الفقد ما يروم * وآفة التبر ضعف منتقده *

سرور بن سنين

فرجع قائلا لكل يوم غد ولكل سبت أحد فلم تر عين أمله سرورا
* ولم يذق كأسا كان مزاجها كافورا * ولم يلبس برد العمر قشيبا حتى احتضر غصنا
رطيبا فما أنشدني من شعره قوله من قصيدة

وليل هد تنافيه غر الفراقد * لحاجات نفس هن أسنى المقاصد
وقد صرفت زهر الدراري دراهما * تمد الثريا نحوها كف ناقد
وباتت تناجيني ضمائر خاطري * تقرب نيل المطلب المتباعد
لحى الله طرفي ماله الدهر ساهرا * لمكتحل الاجفان بالنوم راقد
حبيب كأن البعد يهوى وصاله * معي فهو لا ينفك فيه معاندي
أخذت الهوى من لحظه وابتسامه * بما قاله الضحاك لي عن مجاهد

وقوله حبيب الخ كقول أبي الطيب

كأن الحزن مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

وقول المعري

لئن عشقت صوارمه الهوادي * فلا تعدم بما تهوى اتصالا

وفي معناه ما قلته

لك الله من دمع كشمل مبدد * وطرف بنعسان الجفون مسهد
لئن عشق التسهيد أجفان مقلتي * لهجرك فلينعم بوصل مخلد

ومن تقريظ له على شعر ابن عمران

حملت الينا يا ابن عمران روضة * من النظم يسقيها الحجى صوب وكفه
خميلة شعر يزدري البدر نورها * وينأى عن الشعرى العبور بعطفه
كأن غصونا أودعت في سطورها * لها ثمر يلتذ سمعي بقطفه
اذا ما مشى ليل المداد بطرسها * نهارا زهت فيه كواكب وصفه
فكانت كما زارت معطرة اللمى * مبردة من حر قلبي ولهفه
ووافى الى الصب الكئيب شويدن * لوجرة أحوى فاحم الشعر وصفه
فأحبب به عبل الروادف خصره * يجوع اذا غص الازار بردفه

حسين بن أحمد الجزري الحلبي * أديب له أوصاف حسنى ومناقب هن الوشي
بهجة وحسنا اذا أصغت له أذن أديب حلت منه بواد خصيب

سحر من اللفظ لو دارت سلافته * على الزمان تمشى مشية الثمل

رأيته بالروم وهو شاب يجر رداءى شباب وآداب وهلاله مشرق فى أفق غمائه وغرة صبحه تؤذن بوجه ذكائه وقد سلك للمجد طريقة غير مطروقه بهمة غير همة وخليقة غير خليقه وللدهر فيه عداة يرتجى انجازها وحلل منشورة سيلوح طرازها فلم ينبسط برد ها حتى انطوى ولم يورق قضيبه الرطيب حتى ذوى والدهر يقول والنجم فى مطلع العمر هوى

أبكى أناء شيبة * فى وقت ما امتلأ انكفى

ولما أنشدنى فى صديقه سرور السابق ذكره

وحقك ما تركتك عن ملال * وبغض أيها المولى الامين

ولكن مذ ألفت الحزن قدما * أنفت مواضعا فيها سرور

وهذا من قول المتنبي

خلقت ألوفا لو يعاودنى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

ومنه أخذ البهاز هير قوله

وألوفا فلو أفارق بؤسى * لتوالت لفقدها حسراتى

وقد أجاد القائل فى متابعته

ألفت الضنا من بعدكم فلو انه * يزول اذا اعدتم حننت اليه

وصار البكا لى عادة فلو انه * تغيب عن عينى بكيت عليه

﴿ومما قلت فى المعنى﴾

مذ هجرتم هجر الطيف ولى * ناظر لم يدر ما طعم الوسن

فى هواكم ألف الحزن فلو * لم يجده مات من فرط الحزن

وله ديوان بليغ طالعته فاخترت منه قوله من قصيدة

أعطى سرائرك النحول اللوما * والحب ليس بممكن أن يكتما

وشى ونم عليك دمعك عندما * وشى بعندمه الخدود ونمنما

أفرمت تبهم واضحا من سره * والدمع متضح به ما أبهما

أم خلت أن أساك تمحوه الاسى * كلا ورب جراحة لن تحسما

ان المحبة محنة لا منحة * ومن الغرام يرى المحب المغرما

وشكيتي شاكي السلاح جفونه * مر العذاب لشقوتي عذب اللمى
ظبي ظبا لحظاته بعضاتها * أنا موقن لا شك تردي الضيغما
أخشى الهلاك توهما من بأسه * ولربما هلك المحب توهما
وأظل صادي القلب خيفة صده * ولو انه بنعيم وصل أنعما
واذا منعت الماء أول مرة * ووردته أخرى تذكرت الظما
بأبي وان كان الابي وبي رشا * قد الغصون رشاقة وتقدما
كالصبح فرقا والغزالة طلعة * والبدر وجها والثريا مبسما
يزداد ورد خدوده وجوانحي * من نارهن تضرجا وتضرما
صافي الاديم ترى ترافة جسمه * ماء ويأبى الماء أن يتجسما
كيف الهداية لي وفاحم فرعه * قد ظل يجهد أن يضل ويتهما
كالافعوان على قضيب كثيبة * لا يرتجي لسليمه أن يسلما
أنا من أباح يد الغرام زمامه * تمشي به أنى يشاء ويمما
فعسى الحبائب أن تخفف عبأها * فلقد حملت من النوائب أعظما
في كل يوم روعة أولوعة * والقد تقعده الحوادث توأما
شيآن لست بآمن عقباهما * أن تصحب الدنيا وتدني الأرقما
فلا بلغن نهاية في قدحها * ان لم تبلغني الأبر الأكرما

ومنها

ولو ان ادراك المنى بيد النهى * وطئت نعامة أخمصي الأنجما
ومتى يصح سقيم جد أخي الحجى * يوما اذا كان الزمان المسقما
فالحمق أليق والخداع موافق * والمكر أرفق ما ترافق منهما
أبناء دهرك بالنفاق نفاقهم * أفير تصونك بالهدى متكلما
مالم تنافق فاتخذ نفقا به * ترجو السلامة منهم أو سلما
لا يفقهون وشر من صاحبته * أن تصحب الاعمى الاصم الابكما
ولقد ملئت تجاربا وتجاربا * لم تلقني الا اناء مفعما

ومن قصيدة

لا تلحن الاقدار في اعرابها * قد ترفع الاسماء بالتقدير
مكسورة قد حاولت اكسيرها * من جابر والجبر للمكسور

وله من أخرى

وليل كأن الصبح فيه مآرب * نؤمل ان تقضى وخل نصادقه

وله من أخرى

ولم أنس ليلا ما تبلج صبحه * ولا لاح فى يافوخه وخط شائب
عدمت ابتسام الفجر فيه كأنه * سلو فؤادى أو وفاء حبائبى

وله من أخرى

فاسلم بدهر عصمت منه به * وعش بعلياك عمر أعصمه
تأسو برؤ ياك من اساءته * لا يصلح القرح غير مرهمه
فان هذا الزمان محسنه * كفارة من ذنوب مجرمه

وله من أخرى

وبى مضاضة عيش مسنى لغب * منها وساورنى فى كرها سغب
حتى تصور لى منها على ظما * أن المنية فى ثغر المنى شنب

ومن أخرى

عسى شمس هذا الدهر تأتى بوفق ما * نرجى وشمس الوفق فى شرف الشمس

وله يطلب فرسا

أبثك ان لا طرف لى أقتضى به * ديونى وأعيانى الغريم بمطله
فجد لى بما أرجوه ان شئت ملجما * وان رمت تعجيل العطا فبجله

وله من أخرى

ورب غبى كنت أحسن ودّه * وتقبح لى أقواله والفعائل
تغافلت عن أشياء منها وربما * يسرك عن بعض الامور التغافل

وهذا كقول بعض الحكماء الكريم مكيال ثلثاه التغابى ولابى فراس

ليس الكريم بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى

ومما قلته أنا فى نحوه

كم قد سعيت للمعالى جاهدا * فزاد فى سعيى اليه الغبى
ولست فى فهمى غبيا أبدا * واننى ان عن سوء لغبى

وله من أخرى

ولاعيب فيهم غير أن صلاتهم * تغرق آمال العفاة بحورها
وأن سيوف الهند فى كل معرك * بأيمانهم حاضت دماء ذكورها

وله من أخرى

يلبيك من قبل السؤال نواله * ويأتيك دون الانتظار نضاره

وله من أخرى

وقبلك صاحبت الزمان وأهله * فما شاقنى خل ولاراق موضع
يقدمنى عزمى وحظى مؤخرى * ويوصلنى حزمى ودهرى يقطع
ولاذنب لى الا الفضيلة انها * من الجهل فى الايام أشنى وأشنع
وهمى من الدنيا المعالى ونيلها * وماهم قلبى الرقتان ولعلع
ولانسمة بحرية سحرية * ولابارق من بارق وهو يلمع
ولاعذب ماء للعذيب على ظما * ممض بجرعاء الحمى يتجرع
ولارشأ أحوى ولاصوت قينة * ولاقدح فيه الرحيق المشعشع
ولكنه لدن وأجرد سابح * ومسرودة زغفاء وأبيض يسطع
واتلاف ماأحوى على طلب العلا * وهذا طريق للمكارم مهيع
وانى من خلى بأيسر وده * أسر وأسرى مادعانى وأسرع
قليل مودات الرجال كثيرة * وأيسرها عند النوائب تقنع
أبرك من يلقاك بالبشر وجهه * وواساك فى الضراء من يتوجع
ولكننى لم ألف غيرك وافيا * وأكثر من تلقى يخون ويخدع
فحاولت ان ألقى المنايا أو المنى * لديك وعرنين العدا بك أجدع
تملكت منى جانبا الا أضيعه * لغيرك فى الدنيا وغيرى المضيع
لسانا طريا بالمديح وأغلا * سحائبها من نفثها لاتقشع
وقلبا على حفظ المودة عامرا * ولكنه ان مسه الضيم بلقع
وصيرتنى عبد الامرك طائعا * وانى الالك الانام أضيع
ولى رتبة فوق الثريا محلها * ودون ثرى فيه نعالك توضع
وسلسال لفظ سائغ الورد عذبه * له مشرب صاف غير ومشرع
وماقصدت الالك قبل قصائدى * ولم يرها قوم سوالك ويسمعوا

منمقة تزهو على زهر الربى * وتشرق كالزهر السوادى وتطلع
لو اعتبر الراءى مواقع لفظها * تيقن أن السحر فى الشعر يجمع
وغيرى طفيلى القوافى وأشعب المعانى له فى كل ماعن مطمع

وله من أخرى

ان خصنى بالبؤس دهرى دائما * دون الورى فأنا بذلك أفضل
هذى عقاقير العطارة كلها * لم يحترق منهن الا المندل

وله من أخرى

أرى اليأس عزا والرجا ذلة الفتى * وطول المنى عجزا وحب الغنى فقرا
فلا تضجرن من حالة مستحيلة * كما نلتها عسرا ستتركها يسرا
وان الفتى كالغصن مادام نابتا * فآونة يكسى وآونة يعرى

وله من أخرى

اذا ما كنت مصطنعا جميلا * فحاول من يروقك بالصنيع
ولا تكرم به الا كريما * رماه الدهر عن مجد رفيع
ولم أر نعمة تسدى فتزرى * بمسديها سوى رفع الوضيع

وقوله
عبر بدع اذا ظلمت بدهر * رزق الغمر فيه حظا عظيما
فالهواء الصحيح يدعى عليلا * واللديغ المصاب يدعى سليما

وقوله
ماسئمت الزمان الا لحرما * ن كريم فيه وحظ لئيم
وتراءى اللئيم أقبح فى العينين مرأى من افتقار الكريم

وله
ومستخبر عنى بغير جهالة * يرانى وفى عينيه عن حالتى عمى
تنكر مرتابا ولم يدر اننى * شهدت مذاق العيش شهدا وعلقما
اذا ما استرد الدهر منى هباته * فسيان ان أعطى كثيرا وأحرما

وله
لا يضر الكريم قلة مال * لا ولا باللئيم يجدى الثراء
فشبا مرهف الجبان كليل * وبصسند يدها تقد العصاء

وله
لا تحسب الأرزاق تقسم باطلا * كلا لقد ساوى المهيمن بينها
فاذا رزقت الجهل أدركت المنى * واذا حرمت الجد أعطيت النهى

وله
حاذر عداك الاقربين من الورى * فاضرها القرباء والقرناء

وتوق من كيد الحقود ولين ما * يبدى فقد يصدى الحسام الماء

وله
أبعد ما يطلب ادراكه * نيل المنى بالفضل انسان
وكل شئ وله غاية * وغاية العرفان حرمان

وله
رويدك ان بعد الضيق مخرج * وصبرك عنده أبهى وأبهج
وكم من كربة عظمت وجلت * وعند حلولها الرحمن فرج

وله
كفى حزنا أنى أراك قريبة * ويقصيك عنى يا بثين أمور
أراك ولكن لا سبيل الى اللقا * وكل يسير لا ينال عسير

وقوله
اسقنى قهوة بن * وامزج القهوة عودا
فهى للصفراء والبلغم تمحو وهى سودا

وقوله
وأغيد أورثنى بعده * ثوب الضنى فيه وفرط السقام
رثى لى العاذل فى حبه * حتى اذا خط عذاره لام

وله
مذ خط آيات عذاره له * نقطها من مسك شاماته
ولاح فى اصداغه وجهه * كأنه البدر بهالاته
وأرسل اللحظ نذيرا وقد * كلم قلبى بمناجاته
لم أستطع كفرانها انى * آمنت بالله وآياته

وله فى الصيف
قد هجم الصيف وولى الشتا * منهزما تابع آثاره
مبتدعا يسلب أثوابنا * ويخرج المالك من داره

وله
أراك بسر مستوعيك سرا * مخافة أن تسر الى مريب
أنم من السؤال على عديم * ومن دون السفار على غريب

وله
لا أشتكى الحب تصمينى مصائبه * ولى عن اللوم فيه أذن أطروش
فلست أول من ألقاه ناظره * فى صبوة شوشته أى تشويش
كالسهر أراده سهم فاستعدله * عذرا وقال رمى قلبى به ريشى

وله أيضا
بروحى من أبصرت صفحة خده * وأبصرت وجه الشمس أغبر أسودا

كأنى أراها دونه مثلما يرى * سواها اذا ما شامها الطرف أربدا

وله من أخرى

منير المحيا كلما شمت وجهه * أعاد اليك الطرف جد كليل
كذا الشمس مهما شامها المرء لم يعد * وان صح منه الطرف غير عليل

وله من قصيدة

قد كان ليل ذوائبى لى شافعا * واليوم صبح الشيب من رقبائى
فى الملتقى بيض الصفاح أحب للبيضاء من ذى لمة بيضاء

ومنها

ولئن خبرت بنى الزمان وخسة الآباء تنتج خسة الابناء
اياك تركن منهم لمماذق * يبدى أوفاء ولات حين وفاء
وتجنبن من لين ملمس عطفه * فالعضب يصدأ متنه بالماء
ولطالما أصفيت قبلك خلتى * من لا أراه موافقا لاخاءى
وبلوت منه وده فرأيته * متلونا كتلون الحرباء
فغدوت أحترز الايام وغدرهم * ان الطبيب يخاف مس الداء
وقطعت باليأس الرجاء لديهم * واليأس يجدع أنف كل رجاء

وله من أخرى

أواه كم لوعة بقلبى * تغدو وكم روعة تروح
ان الهوى داءه عياء * يعجز عن برئه المسيح

وله من أخرى يصف قصيدته

وكأنها فى كل بيت شمته * منها تضم من القريض مهندسا
والشعر ما شاقتك منه حكمة * لا ما يشوقك الكثيب الأعوسا

* (أبو بكر تقى الدين التاجر المعروف بابن الجوهرى) * من زهت زهرة حياته بالشام فنظر من مطالع آفاقها بوارق الفصاحة وشام وأسعدته الجدود فبدت عرائس أفكاره موردة الخدود ودارت من شمائله الشمول فسرت بها قلوب القبول وعيون العقول كما أرفض عرق الطل الهتان على رؤس القضب وطرر الريحان وله فى الادب والشعر تجارة لن تبور الا أن طبعه كام الصقر مقلات نزور فمن عقوده وجواهر نقوده قوله

هذى المنازل قبلنا * كم ذا تداولها أناس
كم صدعت ملكا وكم * من مدع وضع الاساس
غرسوا وغيرهم اجتنى * من بعدهم ثمر الغراس
دول تمر كأنها * أضغاث حلم فى نعاس

وهو من قول أبى تمام

أعوام وصل كاد ينسى طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أعقبت * نحوى أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

وكانت نزلت بى شده ليس لها غير لطف الله عده فكان فى كل يوم يسليني الاحباب بذكر مبشرات بحصول الفرج فقلت وقد كثر ذلك

ويلاه من زمن كأن نهاره * نفضت دجاه عنه صبغ ظلام
من بعدما كانت لياليناالها * نور يرينا صفوة الأيام
زمن كأحلام تقضى بعده * زمن نعلل فيه بالاحلام

(شمس الدين محمد المعروف بابن المنقار) جواد فى حلبة الأدب سابق مخلط هزل فائق رائق وقد كانت تتجاذب الاخبار شمائل فضائله وتهتز الاغصان اذا هبت نسمات شمائله ومن طاب عرقه طاب من عرفه الشميم ومن كان غصنا فى رياض المعالى هزه مرور النسيم الا أن شعره شعر العلماء وأدبه أدب الفقهاء وما كل قصر خورنق وسدير وما كل واد فيه روضة وغدير على أنه كانت تتيه به على سائر البقاع بقاع الشام ويفتخر به عصره على سائر الليالى والأيام فلا تزال تصدح ورق الفصاحة فى ناديها وتسير الركبان بما فيه من المحاسن رائحها وغاديها وأقلام الفتوى مثمرة من شمس افادته ارتفعت فيا لها من قضب أثمرت بعدما قطعت ونور فضله بادى وموائده ممدودة لكل حاضر وبادى

كالشمس فى كبد السماء ونورها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

ولم يزل ثاويا فى فلك السعاده حتى كسفت شمس حياته فلبس الدجى عليه حداده فمن نفحات أسراره ولمعات أنواره قوله للقاضى محب الدين وهو بمصر

من يوم بينك كل طرف دامى * لم تكتحل أجفانه بمنام

لما رحلت ممتعا بسلامة * ومصاحبا للسعد والاكرام
خلفت بعدك كل خل هائما * يجرى الدموع حليف فرط غرام
سكران من كأس الفراق معذبا * ياصاح بالهجران والآلام
يشدو بذكرك من نوالك اذا رأى العشاق فى ركب لكل مقام
مولاى قد تفرق شملنا * وضياء نادينا اغتدى بظلام
قد كنت واسطة لعقد نظامنا * حتى انفردت فحل عقد نظامى
وضياء وجهك فى النهار اذا بدا * فالشمس تستر وجهها بغمام
هذا وعبدك ضاع بعدك صبره * فاسلم ودم فى السعد والانعام
وعلى حماك من المحب تحية * لا تنتهى وعليك ألف سلام
وسقى الاله ديار مصر وأهلها * أنواء سحب من يديك عظام
لما حللت بها تضاحك نورها * فرحا وبدل نقصها بتمام
لا زلت ترفل فى ثياب سيادة * وتجرذيل العز فوق الهام
ما غنى المشتاق طرس رسالة * بحديث أشواق وبث غرام

(ابنه عبد اللطيف) ولما ارتحلت عن مصر فارقت أترابى ولداتى ومن بها من ذخائر آمالى وكنز حياتى

وطير بلاد أرضعتنى بعاثها * وأنفاس نسماتى ومهد ديارى

مررت بدمشق الشام فرأيت من بها من الكرام كان ممن نعمت بلقياه ووقفت على هضبات علاه هذا الاديب الحسيب والروض الاريض والمربع الخصيب فحيانى بانفاس من أنفاس الخزامى أندى وهبت منه نفحات أنس كنفحة روض من قبيل الصبح بلتها الانداء فعطر بفضائله المجامع وفكه بثمرات آدابه المسامع وأهدى الى فى مشرفة قصيدة حيانى بها وهى

بأفق دمشق قد طلع الشهاب * أضاءت منه هاتيك الرحاب
همام جد فى طلب المعالى * فأحرز شأوها منه الطلاب
ومولى شأنه تحرير علم * وتقرير المباحث والخطاب
حواشيه منقحة المعانى * ومن فن البيان بها اللباب
فبدر علاه مكتمل منير * يفيض بدرها منه العباب

ففي التفسير مجتهد وفيما * نحاه رأيه أبدا صواب
* فلا يلفى له فيه نظير * وليس له سوى التحرير داب
أتى من مصر مجتازا فطابت * بمقدمه معالمها الرحاب
وعاد الى دمشق وهو ثان * عنان العزم واقتبل الاياب
فقلد جيدها بعقود فضل * ووشى روضها ذاك الجناب
وجاد ربى دمشق وساكنيها * بصيب سيبه الهامى سحاب
نعمرت أعينا وسمت مقاما * وقد راقت مشاربها العذاب
وغنت لى قيان الطير بشرا * فكان من القبول لها جواب
وماست غادة الروضات زهوا * فألقى عن محياها النقاب
وقد بسمت ثغور النور فيها * وأسكر من ثناياها الرضاب
وكأس الورد في راح الروابى * طفا فيه من الأندا حباب
فنعم الوقت وقت جاء فيه * وخير الدهر عيش مستطاب
فدام ممتعا في ظل عيش * لطيف لا يكدره الذهاب
وعمر بنيه في الدنيا طويل * يتيه بعده فيها الحساب
له منى ثناء كل وقت * جزيل أو دعاء مستجاب

شيخ الاسلام عماد الدين الحنفي الشامى ماجد طويل النجاد له بيت كرم رفيع العماد من غير قدح فيه وارى الزناد ممن رفع فوق هام السماك مهاده اذا شيد بيت الشعر وعمر ربع الأدب فهو عماده واذا بدى ربيع طبعه نشر على البقاع وشائع يحيى دارس الفضل فيصبح وهو مشهور بها وشائع وجواد قريحته ملآن العنان سباق الى مغارس قصب الرهان بعذب مشرب كأنه جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع فاريج الشمال وما الراح الشمول وما وجنات الورد خمشتها راحة القبول له لطف خلق يسعى اللطف لينظر اليه ورقيق محاسن يقف الكل متحيرا لديه ألذ من اغفاءة الصباح وأحلى من مذاق الظفر من ثمرات النجاح وأنا وان لم تقع لى عليه عين فسماع الأخبار احدى الرؤيتين على أنى ان لم أر الاسد فقد رأيت شبله وسيأتى ما بينى وبينه من المحبة والخله لما قلت بظل الشام فى روضة أظلت على نهر تفتر مباسم النور فيها عن لآلى المطر وكان صدر الكل ناد حتى قرض الدهر منه

وزهرة الدنيا وان أينعت * فانها تسقى بماء الزوال

وللطالوى فيه مدائح وبينهما محاورات منها قوله

عهد السرور وروريعان الهوى النضر * سقاك عهد الحيا رقراق منحدر
وجاد ربعك وهى تكرره * ريح الصبا بين منهل ومنهمر
وغردت بربالك الورق وابتكرت * بلحن معبد تتلو طيب الخبر
ولا برحت مغان للحسان ولا * رمتك أيدى النوى بالحادث الغدر
ولا أغبتك أرواح النسيم ولا * عدت مغانيك أخلاف من المطر
كم لى بها وشبابى الغض مقتبل * من منزل آهل بالشوق والذكر
كم اجتليت بدورا من مطالعها * قد لحن تحت سناء من سنا قمر
من كل رعبوبة تهفو بعصطبرى * قد زانها الحسن بين الذل والخفر
رودكستها يد الايام ثوب صبا * وصيرتها الليالى فتنة البشر
هيفاء صب الصبا ماء الشباب على * أعطافها وكساها حلة الخضر
قامت تعانقنى عند الوداع وقد * قلدتها من دموعى رائق الدرر
تقول والبين تغشاها ركائبه * بدمع فوق روض الخد منهمر
لا تعتب الدهران حالت خلائقه * فصفو رونقه لم يخل من كدر
وان ترم تتقى من صرفه نوبا * فالجأ لظل عماد الدين تستتر
مولى غدا الامن منه للروع كذا * جنابه ظل مأوى الخائف الحذر
لازال يسمو الى العلياء مرتقيا * بسودد مجده عال على الزهر
حتى امتطى صهوات المجد سامية * يختال فى حلل الاوضاح والغرر
بهمة تجتلى كالليث ذا أشر * وعزمة كمضاء الصارم الذكر
ما فاضل قط جاراه الى أمد * فى البحث الا انثنى بالعى والحصر
أقلامه السمر فى بيض الطروس اذا * سمت أرتك فعال البيض والسمر
له سجايا كزهر الروض غب ندى * وقد توشح بالانهار والغدر
يلقاك طلق المحيا وهو مبتسم * بمنطق ورده أحلى من الصدر
ما الروض جادت له الانواء بالبكر * فكللت دوحة المخضل بالزهر

جاد

جاد الغمام له سحابوابله * وقد كسته الصبا من رقة السحر
تخال زهرا الاقاحى فى خمائله * زهر المجرة صينت عن يد الغير
تشدو الحمائم على أغصانه سحرا * فتبعث الشوق فى أحشاء مستعر
يا فاضلا قد جلت أبكار فكرته * غر المعانى بها فى أحسن الصور
يا ابن الكرام ومن شادوا بعزمهم * ركن العلا ساميا فى سالف العصر
ويا عماد البيت الفضل يرفعه * وكان من ضعفه يلقى على خطر
الى ذراك انتمت فاقبل على دخل * نسيجها يا رئيس البدو والحضر
لازلت فى نعمة تسمو بسوددها * هام السما كين حيث النسر لم يطر
ما ناح بالايك قمري وما سجعت * ورق الحمائم بالآصال والبكر

فاجابه بقوله

أحلى حوراء أم عقد من الدرر * أم زاهر الزهر أم زاه من الزهر
أم الحباب على راح مروقة * أم نفثة السحر ذى أم نسمة السحر
أم نظم در زهت آيات منطقه * فاعجزت كل ذى نظم ومنتثر
يا نافث السحر من فيه بمعجزة * عقدت ألسن أهل البدو والحضر
ويا مديرا سلافا من بلاغته * هلا ترفقت بالالباب والفكر
ويا ابن طالو وان طال الزمان فما * لنا بلوغ الى علياك فاقتصر
أخذت فص المعانى من معادنه * وغصت فى أبحر الآداب للدرر
وحزت جمع المزايا وانفردت بها * ولم تدع للسوى شيأ ولم تذر
وجئت من كل معنى رائق حسن * بكل ما قد حلا فى الذوق والنظر
كأنه ضرب قد شابه شنب * أو عاتق عابق من ريحه العطر
وقد شهدنا بما أوتيت معجزة * جمع الفضائل فى فرد من البشر
أهديت لى غادة جلت محاسنها * وقد تجلت لنا فى أحسن الصور
رعبوبة من بنات البدو مذ خطرت * قلبى بها صار من وجدى على خطر
حيت فأحيت بالفاظ منمقة * وغازلتنا بلطف الدل والخفر
واسفرت عن سنا برق وعن شغف * وعن ضياء وعن شمس وعن قمر
زارت على حين أشواق لبهجتها * ومتعتنا بذاك المنظر النضر

وضاع نشر شذاها عندما برزت * مسكا وعطرت الاقطار بالقطر
سألتها قبلة أطفي بها حرقا * شبت بقلب شديد الوجد مستعر
فأومأت بشتيت زانه شنب * وأنعمت بلذيذ الورد والصدر
ونادمتني بليل قد سررت به * لكنه ساءني والله بالقصر
وبت أنشد مدحا في محاسنها * ماقاله شاعر في سالف العصر
يا نزهة النفس يا من زان منطقها * قس بن ساعدة المشهور في السير
خذها اليك وان كانت مقصرة * فشأن مثلك ستر العيب بالستر
وان تكن أوجزت في المدح واختصرت * فالعذب يحسن للافراط في الحصر
وان تكن من بديع القول عاطلة * فقد تحلت بعقد من مديح سرى
فاعذر فاني تركت الشعر من زمن * لشاغل عنه غشى مقلة الفكر
لازلت تسمو على الاقران مرتديا * ثوب البلاغة في أمن من الحصر
ما طرز الطرس تنميق اليراع بما * يزهو على الروض أو يعلو على الزهر
أو شبب المادح المطري بعد حلى في * بيت من الشعر في روض على نهر

بدر الدين بن رضي الدين الغزي العامري الشامي فريد الدهر واوانه وابن عباس في زمانه وسلمان آل بيته وحسان قصيدته وبيته صاحب الفنون وغيث الافادة الهتون جمال الكتب والسير سيد أهل الحديث وعين ذوي الاثر ممن حازت به أقطار غزة شرفا باذخا وعزه وابنه شبل الاسد ذوي الرأي الصائب الاسد وقرند نصله المصقول الحد وهما كركبتي البعير في كل معنى صارم أو كالحلقة المفرغة أو كعذاري صارم وبدر طلع من أفق كمال والده مبتدرا وكرع من بحر فضله البرماء الحياة قبل أن يبدو نبات عارضه خضرا وتحيط بمشارق أنواره في ابان طلوعه هالة عذاره حتى أمد شمس الفضل بما يحيي النفوس فهل سمعت ببدر تستمد من أنواره الشموس فتكاف البدر اذ حكاه وضاهاه سناه وسناه (ولا عجبا للبدر أن يتكلفا) وله من شعر العلماء ما صدحت من أقفاص سطوره الحمائم وتحملت الصبا نشره فتلقته الزهور بثغر باسم ولم يزل مشرقا في منازله البدريه حتى ألم بسنا عمره سرار المنيه لازال ثاويا في قصور الجنان وضريحه مطاف وفود الرحمة والغفران فمما لمع من نور كماله وسطع من نجوم أقواله قوله

اذا كان حمد العبد مولاه غايتا * يكون بالهام من الله للعبد
وذلك مما يوجب الحمد دائما * فلا حمد حقا من سوى ملهم الحمد

وقوله
لنا أمير فريد فى خلائقه * كم من كرائم أموال لديه حوى
له التفات لرزق الناس معتنيا * يرى الفقير لديه والغنى سوا

وقوله
من رام أن يبلغ أقصى المنى * فى الحشر مع تقصيره فى القرب
فليخلص الحب لخير الورى * المصطفى والمرء مع من أحب

وقوله
بالحظ والجاه لا بفضل * فى عصرنا المال يستفاد
فكم جواد بلا حمار * وكم حمار له جواد

وقوله
يقبل الارض حماها الذى * ألثمها أفواه أهل العلا
عبد اذا كاتبته ثانيا * يزداد رقا لكم أولا

وكتب اليه الفاضل النحرير عبد الرحيم العباسى ملغزا بقوله

ياإماما له الفضائل تعزى * وهماما أضحى لراجيه كنزا
ما بسيط حروفه ليس تحصى * وهو حرفان لا سوى ان تجزا
كل جزء منه استوى القلب فيه * جاء معنى أو جاء للفظ يعزى
نصفه ربعه ولا ربع فيه * وسوى الخمس منه ماتم أجزا
واذا ما تصحف البدء منه * فهو وصف لكامل نال عزا
أضمر القلب عادة ان تصحف * آخرا فهو قولها حين تهزا
وعلى حمل صخرة ذو اقتدار * ثم عن حمل ابرة نال عجزا
هاكه واضحا بدون خفاء * لغزه ظاهر وان كان رمزا
دمت فى رفعة وحفظ الهى * لك دوما حصنا حصينا وحرزا

فأجابه البدر

زادك الله بالدراية عزا * فلقد قمت للهداية كنزا
يابديع الالفاظ عذب المعانى * صار منك البيان للدهر طرزا
من يجاريك فى العلوم يجارى السيم والمجد من تجريه يهزا
ان لغزا أرسلته فاق بدر التم حسنا وأورث الفكر عجزا
من يفتش فليس يلفى له ثم نظيرا فقد تفرد مزرا

تم من يبتغي مضاهاته لا * تسمع الاذن منه فى ذاك ركزا
وتراه وقد تحير عما * ناله للفرار يجمز جمزا
من يطق يلبس السماء ويأتى * بالدرارى حتى يحاكيه لغزا
قلت لما أجبت عنه اذا ما * ابل لم تكن لدى فعزى
غير انى بالستر منه وثيق * فاليه كل الفضائل تعزى
دام فى نعمة وظل سعود * ما أمال النسيم غصنا وهزا

وقوله
ان ألطاف المهى * لى قالت خل عنكا
لا تدبر لك أمرا * أنا أولى بك منكا

وقوله
من أطلع الاحمق فوق السهى * ينزله للمنزل السافل
وغير بدع فعله حيثما * يقابل الباطل بالباطل

وأنشد له بعضهم
مافى زمانك واحد * لو قد تأملت الشواهد
فاشهد بصدق مقالتى * أولا فكذبنى بواحد

قلت ليس له وهو من شعر أبى عامر الجرجانى أحد شعراء اليتيمة وفى معناه قول ابن حيوس
قدمات فى دهرنا الكرام ومن * يعرف قدر الثناء والمدح
فان شككتم فيما أقول لكم * فكذبونى بواحد سمح

ومما أنشده الخوارزمى مما يشبه هذا وان لم يكن من جميع الوجوه
أمسى بلا عظم لديه تعاظم * فكأنه اير الحمار القائم
ويقول ان الناس كلهم أنا * والناس كلهم لديه بهائم

ولابن تميم
أيا معشر الاصحاب مالى اراكم * وذم جميع الناس جل مناكم
لئن كان ذم الناس أضحى شعاركم * فما الناس الا أنتم لا سواكم

ومما قلته فى معناه
تفردت فى ذا العصر بالفضل والنهى * بزعمك يامن زاده علمه جهلا
فأبق لنا فى الدهر غيرك عالما * يصدق ذى الدعوى و يعرف ذا الفضلا

ومن شعر والده

ان

ان خلا امل منا * خلنا بالله منه
هو لا يسأل عنا * ما لنا نسأل عنه

وللتقى السبكى رباعية فى هذا المعنى وهى

ياقلب من الغرام قد زدت وله * من خانك خنه أو تعوض بدله
فالنفس عزيزة على من هى له * لا يصلح لى من كنت لا أصلح له

ولابن الوردى

اذا كرهت منزلا * فدونك التحولا
وان جفاك صاحب * فكن به مستبدلا
لا تحملن اهانة * من صاحب وان علا
فمن أتى فمرحبا * ومن تولى فالى

ومما أنشدته له

ان تسل عن حال الذين اجتباهم * ربهم عاجزا وتطلب قربا
أحبب الله والذين اصطفاهم * تبق معهم فالمرء مع من أحبا

وللحافظ ابن حجر العسقلانى فى المعنى

وقائل هل عمل صالح * أعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبى خدمة المصطفى * وحبه فالمرء مع من أحب

وكنت قلت قبل أن أسمع هذا

وحق المصطفى لى فيه حب * اذا مرض الرجاء يكون طبا
ولا أرضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى مع من أحبا

واعلم انه وقع فى حديث صحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أنت أحب الى من نفسى وأهلى ومالى وانى اذا ذهبت لدارى لا تطيب نفسى حتى آتيك وأراك فاذا مت أنت كنت فى أعلى مقام فأخشى أن لا أراك فلم يجبه الرسول صلى الله عليه وسلم فنزل عليه جبريل عليه السلام بقوله عز وجل ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وقلت فى معناه رباعية

حسبى لمحمد حبيب البارى * فى طينة خلقتى وروحى سارى
والمرء ومن أحب فى الخلد معا * طوبى لى ان غدوت عبد الدار

أبو الصفاء مصطفى بن العجمى الحلبى روض وريق أغصان المروه ريان من ماء المكارم والفتوه فارس الشهباء نبلا وأدبا طبعه أخوابنة العنب صفاء وطربا أردان شبابه باللطف مذهبه وكؤس آدابه المجلوة للقلوب محببه اذا ابتسمت عقود ألفاظه كسد نظيم الجوهر وخيل أنها رقتها من خدود الغيد تعصر أقبلت على شعره الفصاحة بوجه جميل وقصر عن ادراك لطفه النسيم وهو عليل مع صباحة محيا يهزأ بالروض الوسيم اذا عطرت مجامر نفحاته أذيال النسيم نفحت فى برود الزهر نشرا وعبثت بمباسم النور الضاحكة بشرا

ثمل من سلافة الطل فى الزهر وناهيك طيبها من كاس

ولم تزل كؤس أدبه على الندامى مجلوه حتى ورد موارد الموت فبدلت بالكدر صفوه (وأى صفاء لا يكدره الدهر) فقطفت زهرة شبابه وقد سقتها دموع أحبابه فمن شعره ما أنشدنى له الطالوى من قصيدة اخترت منها قوله

ما اجتاز بارق ذاك الثغر مبتسما * ولا النسيم بأخبار الحمى نسما

الا وعاوده من وجده طرب * حتى كأن به مايشبه اللمما

متيم لعبت أيدى الغرام به * فغادرته كانفاس الصبا سقما

تبيت منه على الاحشاء كف شج * تضم صدرا خفوق القلب مضطرما

أيا خليلى لازالت مجللة * من البوارق تهمى فى عراصكما

حتى تظل لها الارجاء باسمة * تبث من سرها ماكان مكتتما

أما ومبسمه الزاهى بمتسق * يزرى مفلجه بالدر منتظما

ولفتة تذر الآرام شاردة * أيدى سبا وترد الفكر منقسما

لاحلت عن حبه الاشهى الى كبدى * من الزلال وكادت أن تذوب ظما

ولا تبدلت انسانا سواه ولو * أضحى وجودى كصبرى فى الهوى عدما

منها لله ما أنت فى الآفاق تنثره * وهى اللآلئ ظنتها الورى كلما

ومنها من كل زاهية الالفاظ زاهرة * لاترتضى الشعر أن يعزى لها شهما

وله من قصيدة رثى بها العماد

عظيم مصاب مقعد ومقيم * له كمد بين الضلوع مقيم

وقارح خطب حارب الصبر والكرى * فأصبح كل وهو عنه هزيم

وحكم

وحكم أذل الفضل عند اعتزازه * وأوهى عماد الدين وهو قويم
الا اغا عين المعالى غضيضة * وان فؤاد المكرمات كليم

ومنها
أقامت على قبر له عاطر الثرى * سحائب رضوان فليس تريم
الى أن يعود القبر أنضر روضة * بها الروض شتى يانع وهشيم

وكان له بحلق أصدقاء تسكر بشمول شمائلهم الراح وتهتز طربا بالذكر هم معاطف الاريحية والسماح فتخفق على هامات مجدهم ألوية الحمد وتضىء فى سماء معاليهم كواكب المجد لامس كل مصطبح بكاسات المسرة مغتبق ولولا نداه كاد من نار الذكاء يحترق * فلما ارتحل الى الشهباء غلبه الشجن ونافسته الشجون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وكتب اليهم

يقبل الارض صب مغرم علقا * بكم وذلك من تكوينه علقا
حلف الصبابة أما قلبه فشج * من الفراق وأما جسمه قلقا
يشتاقكم كلما هبت يمانية * ولا محالة أن يشتاق من عشقا
به من البين مالو حل أيسره * يوما بأركان رضوى هد أو طفقا
فهل تعود أو يقات بكم لفتى * دموعه خددت فى خده طرقا
الله يعلم ما ان عن ذكركم * الا تنأثر در الدمع واستبقا
ولا تغنت على غصن مطوقة * الا أهاجت لى الاشجان والارقا
ياليت شعرى والايام مطمعة * والدهر فى عكس ما يهوى الفتى خلقا
هل لى الى عود أيام بكم سلفت * رجا فأظفر أحيانا بما افترقا
لله أيامنا والشمل مجتمع * أيام لا فرقة أخشى ولا فرقا
واذ بكم كان عيشى أخضر انضرا * وأسود الليل منكم أبيضا يققا
ياصاحبى فلا روعتما بنوى * وعنكما ظل جفن الدهر منطبقا
ان جئتما الجامع الزاهى برونقه * سقاه من غاديات السحب ما غدقا
ميمين له عوجا كذا كرما * لنحو قبته الشماء وانطلقا
فبلغا لى سلاما من محبته * لم تبق لى منذ حلت مهجتى رمقا
وخبراه بما ألقى بعيشكما * من فرط لاعج أشواق أتت نسقا
انى الى ذلك المغنى المشوق كما * اشتاق صحبى اخوان الصفا خلقا

لاسيما الاروع المحمود سيدنا * المسكت الالسن المطرى اذا نطقا
طورا تراه بكأس الحمد مصطبحا * وتارة من سلاف المجد مغتبقا
يا غائبين فؤادى بمنتقض * منكم ولا حبل عهدى واهنا خلقا
تحدوه ريح الصبا وهنا الارضكم * يزرى شذاها يا مسكه عبقا

فاجابه أبو المعالى الطالوى بقصيدة أنشد نيها وهى

وافت فارجت الارجاء والافقا * أمنية من شذاها فطرنا عبقا
راح كأن الصبا باتت تعللها * بالسحر بين رياض طلعها بسقا
أم نفحة من ربى دارين عاطرة * أهدت انا أرجا ضمخ الدجى عبقا
هيفاء تزهو بقد زانه هيف * كخوط بان غضيض مثمر بنقا
ترنوالى بطرف كله حور * مهما انبرت بفؤاد هام أوعشقا
لوشاهدابن عنين حسن طلعتها * لاذكرته زمانا يبعث الحرقا
أوانبرت للبيد وهو ذولسن * أزرت به وكذا سحبان ان نطقا
ياحسنها حين زارتنا محبرة * قد نظم الدرفى لباتها نسقا
أهدت تحية ودمن أخى ثقة * يزرى شذاها ريا المسك ان عبقا
لاغروأنى مشوق فى الأنام له * فالحريشتاق اخوان الصفاخلقا
اشتاق رؤيته الغراء ماطلعت * شمس النهار وأبدى صبحه شفقا
وكلما سحرا هبت شامية * بسفح جلق أوبرق الحمى برقا
أحبابنا والذى أرجوه مبتهلا * بان عين على مضنا كم بلقا
ماان تذكرت معنى راق لى بكم * الاورحت بدمعى جاريا شرقا
ولا شدت بغياض الغوطتين ضحى * ورقاء تندب الفانا زها شفقا
الاوغاض اصطبارى أووهى جلدى * ففاض من مقلتى الدمع وانطلقا
اذجانب العيش غض رائق بهج * والدهر قد غض عنا الجفن فانطبقا
تلهو بكل كحيل الطرف ساحره * يزرى بغزلان عسفان اذا رمقا
لاسيما ان غدا بالكأس مصطبحا * أوراح من وله بالطاس مغتبقا
ليت الزمان الذى فينا الغداة قضى * بشت ملمومنا والدهر ماخلقا
فهل أويقاتنا اللاتى بكم سلفت * تعود يوما فأحظى منكم بلقا

عليك

عليك مني سلام الله ما بقيت * صبابة تبعث الأشجان والحرقا
تهديه ريح التصابي نحو أرضكم * كمسك دارين يزكو كلما نشقا

(تقي الدين بن معروف) وسماء فضل باطلاع نجوم الكمال معروف وشموس معارفه لا يعتريها كسوف ورياض علمه أنيقه ودوحة مجده وريقة الظل وريقه اذا مس الاقلام سجدت في محاريب الطروس شكرا ومادت من مدام مداده هائمة سكرا فكم لليل حبره المسكي الأنفاس أياد بيض الله بها محيا القرطاس (تخبر أن المانوية تكذب) وله في علم الفلك أنظاتتم باسراركواكبه وان كتم قلبه على لسان أسرار صاحبه بوأه الله منه مكانا عليا فتلا لمن رامه سواه أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فكم صعدله بخطوات فكره وسما واتخذ خطوط جداوله للعروج اليه سلما فكلما طارت حمائم النجوم من بروج أقطارها جعلها بطاقة تطير في الآفاق لتبليغ أخبارها فلو كان لعطارد الخيار كان بدنانير الدراري له مشتري ولو أراد مدحه أطراه بقول ابن الرومي غير مفتري

أعلاكم في السماء مجدكم * فلستم تجهلون ما جهلا
شافهتم البدر بالسؤال عن الامر الى أن بلغتم زحلا
لم تدركوا واقط بالحساب بل الأحساب علما لكم ولا عملا

ولم يزل متقلدا بصارم القضا قانعا من معشوقته الدنيا بحالتي الصد والرضى حتى أراد أن يجدد لاستاذنا رصدا وانا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا غافلا عن حركات الفلك حتى قيل له نبهك الله ما أغفلك فدارت دوائره على مدارها وصارت زاويه قبره حادة بعدما كانت منفرجة في أقطارها وشكل العروس من زخرف الحياة له أطماع وهو ان تأمله شكل قطاع (والموت للانسان بالمرصاد) وقد طالعت له رسائل فلكيه وبعض تحريرات هندسيه تدل على علو كعبه فيها ورقيه من حضيض الخمول الى سماء معاليها وله شعر وسط ونثر غريب النمط كقوله في مدح العلامة أبي الفتح المالكي

يا كعبة يؤمها أولوا النهى * وسدرة الفضل اليها المنتهى
لأنت في العالم فرد علم * بل أنت كل الخلق علما وهدى
والفضل لما قال ان مالكي * بالشام كل قد أقر بالولا

رفعت قدرا وعلوت رتبة * وفزت بالتقديم حال الابتدا
وفقت أهل الارض بالعلم الذى * أوتيته مولاى من رب السما
يصرف لب المرء نحو لقائه * اذ يدرب الفضل على هذا البنا

وقوله من قصيدة فى مدح أستاذى سعد الدين الشاعر

صباح الامانى فى صباح مكارم * تجلت على عرش الجلالة والحمد
مطالع مازالت طوالع بالسنا * تعمم آفاق المكارم بالسعد

(فائدة مهمة) سئلت عنها فى حال تحريرى هذه الريحانة وهى انه منع بعض المالكية من الالقاب المضافة للدين كسعد الدين وعز الدين فقلت قال العارف بالله ابن الحاج فى كتابه المسمى بالمدخل الذى استقصى فيه أنواع البدع مانصه من ارتكب بدعة ينبغى له اخفاؤها لقوله صلى الله عليه وسلم من ابتلى منكم بشئ من هذه القاذورات فليستتر والعالم يجب عليه التستر أكثر من غيره لانه ربما يقال ان عنده علما بجواز ما ارتكبه فيقتدى به غيره كما قال أبو منصور الدمياطى فى قصيدة له

أيها العالم اياك الزلل * واحذر الهفوة فالخطب جلل
هفوة العالم مستعظمة * ان هفا أصبح فى الخلق مثل
وعلى هفوته عمدتهم * وبه يحتج من أخطا وزل
فهو ملح الارض ما يصلحه * ان بدا فيه فساد أو خلل

فمما ينبغى التحفظ عنه من البدع الأعلام المخالفة للشرع المضافة للدين لما فيهما من تزكية النفس المنهى عنها كما صرح به القرطبى فى شرح أسماء الله الحسنى وللفضل ابن سهل قصيدة فى ذمها فمنها قوله فيمن لقب بعز الدين وفخر الدين

أرى الدين يستحى من الله أن يرى * وهذا له فخر وذاك نصير
فقد كثرت فى الدين ألقاب عصبة * هم فى مراعى المنكرات حمير
وانى أجل الدين عن عزهم * وأعلم أن الذنب فيه كبير

فمن نادى بهذا الاسم أو أجاب به فقد ارتكب مالا ينبغى لانه كذب وفى الحديث عليكم بالصدق فانه يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة والكذب فجور والفجور يهدى الى النار الحديث فاذا قال أحد محيى الدين يقال أهذا الذى أحيى الدين فاذا أخذ صحيفته وجدها مشحونة بالكذب ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم المؤمنين

زينب

زينب قال لها ما اسمك قالت برة فكره صلى الله عليه وسلم ذلك وقال لا تزكوا أنفسكم وسماها زينب ولا يقال انها اخرجت عن أصلها بالنقل الى العلمية لانه لو كان كذلك ما كرهوا تركهما مع ما فيهما من التشبه بالعجم المنهي عنه وهذه التسمية أول ما ظهرت من متغلبة الترك مضافة الى الدولة وكانوا لا يلقبون أحدا الا باذن السلطان وكانوا يبذلون عليه المال ثم عدلوا عنه بالاضافة الى الدين ونقل عن النووي انه كان يكره من يلقبه بمحيي الدين ويقول لا جعل الله من دعاني به في حل ولذا تحاشى عنه بعض العلماء وهذه نزغة شيطانية من أهل المشرق ولما كان في أهل المغرب من التواضع كانوا يغيرون الاسماء لما هو منهي عنه أيضا فيقول لمحمد حمود ولاحمد حمدوس وليوسف يوسو ولعبد الرحمن رحمو ونحوه انتهى أقول أما كون هذه بدعة حدثت بعد العصر الاول فلا شبهة فيه وأما كونها ممنوعة شرعا أو مكروهة فلا وجه له وما تشبث به أوهى من بيت العنكبوت وما نقله عن النووي وغيره من السلف لا أصل له وكذا ما نقل عن شيخ والدي ناصر الدين اللقاني أنه كان يكتب في الفتاوى ناصر لهذا وقد غرني ذلك مدة ثم رجعت عنه لعدم ثبوته وكونه كذبا يكتب في صحيفة مجازفة لا ينبغي أن يقال مثله بالرأي وهذا لم يضعه الانسان لنفسه وانما سماه به أبواه في صغره وعدم تكليفه وكونه تزكية لنفسه أيضا غير صحيح لأن الاضافة تكون لادنى ملابسة فهو مضاف للسبب تفاؤلا فعز الدين بمعنى يعزه الله بالدين وكذا محيي الدين بمعنى محيي نفسه بالدين فقياسه على برة قياس فاسد مع الفارق ولو صح هذا منع أحمد ومحمد وحسن وهو محمود وقد قال المحدثون اذا اشتهر اللقب جاز وان كان ذما كاعرج وأعمش وما ذكر تضييق وحرج في الدين وفي هذا الكتاب كثير من هذا النمط فاياك والاغترار به والاعلام انما تدل وضعا على الذات والتفاؤل بالامور المستحسنة مستحب لقوله في الحديث كان يحب الفال ويكره الطيرة ويحمد قائله لا يعتقد ثبوت ما يقال به وانما سمي به فلا كذب والاعلام لا حجر فيها والتشبه بالعجم فيما لا يزاحم الشرع غير منهي عنه الا العصبية المذمومة بدليل حديث الخندق ويدل على ما ذكرناه حديث تسمية النبي صلى الله عليه وسلم بمحمد وأما حديث برة ان صح فانما غيره له صلى الله عليه وسلم لكونه من أعلام الجاهلية أو لمعنى آخر بدليل انها كانت برة في نفسها اهـ

﴿محمد بن الرومي المعروف بماماي ابن أخت الخيالي نزيل دمشق الشام﴾ شاعر

قوله يوسو في نسخة يوسف [illegible]

توقدت جمرات أفكاره وتوردت فى رياض الشام وجنات أزهاره وابتسمت فى ناديه ثغور أنواره لكنها خدود لم يترقرق عليها دمع القطار ومباسم لم ترشف الشمس منها ريق الامطار فلله دره من فصيح لم يعلل بمياه عروق القيصوم والشيح ولم يغز بلسان العربيه ولم يتفكه بثمار العلوم الجنيه لانه من بنى الاصفر وممن قاسى الفقر الاسود وهو الموت الاحمر الا أن للبقاع تأثيرا فى الطباع فلما تغذى طفل جبلته بماء الشام ونسيمه وبزغ هلاله فيه بعدما أميطت عنه هالة التميمه انصقل طبعه المرهف فانبرت شمائله أرق من الشمال وألطف لاسيما وأبو الفتح ماشطة عرائس فكره وملمّ شعث لمة نظمه ونثره اذا أنس طبعه لحنه أو طرق طرق ذهنه طيف هجنه وقد طالعت ديوانه فرأيته يعتريه علل وفتور ويدخل فى مغانى معانيه وبيوته القصور فمن شعره الذى اخترته قوله

سمعت لسان الحال من قهوة الطلا * يقول هلموا واسمعوا نص أخبارى
فباسمى تسمت قهوة البن فى الملا * ولكنها لم تحك أصداغ خمارى
فمن كذبها قد سود الله وجهها * وعذبها بعد الاهانة بالنار

(ومنه قوله مضمنا)

قد قالت القهوة الحمراء وافتخرت * كم قد ملكت ملوك الاعصر الاول
وقهوة القدر ان قدرا على علت * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(ومنه قوله)

جليت عروسا فى عقود حبابها * وفديت ظبيا بالسرور حبابها
طلعت عروسا تجتلى فى كأسها * وكفى كفوف الغيد نقش خضابها
بكرا اذا باكرتها الك ولدت * بشر السرور لدى حضور جنابها
أخذت من العقل النفيس جواهرا * مهرا لها والنفس من خطابها
راح حلالى شربها فى جنة * والنص فى الجنات حل شرابها

وهو مأخوذ من قول الارجانى

كأس من السحر الحلا * ل بشربها القوم سكر
فى مجلس هو جنة * ولذاك فيه تحل خمر

(وقوله)

قوله نشوة فى نسخة نشأة اه

يقول حبيبي مالطرفك أحمرا * كأنك يا حيران فى نشوة التيه
فقلت له اشراق خدك قد بدا * وقابله طرفى فخيله فيه

وأحسن منه قول الامير مجير الدين بن تميم

أقول للصحب لما أنكروا أثرا * من احمرار بدا فى باطن المقل
عاتبت ألحاظ عينى عند ما نظرت * الى سوى الحب فاحمرت من الخجل

(وقوله)

ولما انقضى شهر الصيام بفضله * تجلى هلال العيد من جانب الغرب
كحاجب شيخ شاب من طول عمره * يشير لنا بالرمز للأكل والشرب

وهو مأخوذ من قول العقيلي

قم هاتها وردية ذهبية * تبدو فتحسبها عقيقا ذابا
أوما ترى حسن الهلال كأنه * لما تبدى حاجب قد شابا

الا أن قوله من طول عمره تكميل حسن ومما قلته فى بعض الرسائل شاب حاجب الهلال وما داناه كمالا واشتعل رأس الشمس شيبا ولم تر له مثالا ومما يضاهى هذا ماقلته لما رأيت قول الثعالبي فى مدح قصر بناه الصاحب ابن عباد

لله قصر ترى كل الجمال به * وأسعد الدهر تبدو من جوانبه
كأنما جنة الفردوس قد نزلت * الى خوارزم تعجيلا لصاحبه

ورأيت مافيه من الغفلة فان تعجيله بالدخول لها انما يكون بالموت ففيه ايهام لا يليق بمثله فقلت فى هذا المعنى وأتيت فيه بنوع من الاحتراس سميته بالتهذيب

بنى دارا بحار الوصف فيها * وتهواها المحاسن والمسره
كأن الجنة اشتاقته حتى * له نزلت أطال الله عمره

وقد يقال فى قوله نزلت احتراس مالكنه خفى والمقام يأباه ومن ديوانه قوله أيضا

كيف السبيل الى كتم الغرام اذا * كاتبتكم وأردت السر ينكتم
وقد غدا الطرس بالوجهين مشتهرا * وباللسانين أمسى يعرف القلم

(وقوله)

وقد مرض الجهول له فعدنا * ونحن اذا أناس راحمونا
فظن باننا عدناه خوفا * فان عدنا فانا ظالمونا

(وقوله أيضا)

اذا دفن الانسان فى الرمس برهة * وعاودته تلقاه بادئنا ياه
وما ذاك الا أنه متبسم * على كل مغرور بأحوال دنياه

ومما يضاهى هذا أن المولود يولد باكيا مقبوض الكف فاذا مات فتحها فقال الحكماء انه اشارة لحرصه جبارا انه خرج منها بغير شئ كما قيل

وفى قبض كف الطفل عند ولاده * دليل على الحرص المركب فى الحى
وفى بسطها عند الممات اشارة * الا فانظرونى قد خرجت بلا شئ

وكم فى الكون من اشارات فهو بجميعه ناطق بالعظات ولكن لمن يسمع و يبصر وأنشدنى له بعض شعراء الشام

رأيت الكائنات خيال ظل * محركها هو الرب الغفور
فصندوق اليمين بطون حوا * وصندوق الشمال هو القبور

وليس له فانى رأيته منسوبا للشيخ ابن عربى وهو معنى مشهور لكنه تصرف فيه عبارة ورده ديباجة وأصله من قول الآخر

رأيت خيال الظل أكبر عبرة * لمن هو فى علم الحقيقة راقى
شخوص وأشكال تمر وتنقضى * وتفنى سريعا والمحرك باقى

ومنه ولد ابن الوردى فى الحمام قوله

وما أشبه الحمام بالموت لامرئ * تبصر لكن أين من يتبصر
يجرد من أمواله ولباسه * ويبقى له من كل ذلك مئزر

(ومما قلته فيه)

ان يكن يحكى خيال الظل فى * فعله دهر لنا يبدى العبر
فعساه عن قريب مظهرا * صورا أحسن من هذى الصور

(وقلت أيضا)

هى الدنيا خيال الظل تحكى * يحركها القضاء كما يقدر
ولولا الستر ممدود عليه * من الغفلات ما ألهى وما سر

(زين الدين الاسعافى) فاضل لين العود ماجد الاعراق حلو الشمائل عذب الاخلاق له آثار على أكف القبول مرفوعه وكلمات كثمرات الجنان لا مقطوعة

ولا

ولا ممنوعه مصبي وهو يقطف نور التحصيل * وللفضل الى معاليه انتظار وتأميل
فتجاذبنا أهداب المذاكرة وجررنا ذيول المناشدة والمحاورة فما أنشدنيه من شعره قوله

كتبت وأفكاري وحقك مزقت * كما قد بدت فى الحب كل ممزق
ولو حم لى التوفيق كنت تركته * ولكنني أصبحت غير موفق
اذا قيل أشقى الناس من بات ذا هوى * فلا تنكرن هذا المقال وصدق

(وهذا كقول الآخر)

سألتها عن فؤادى أين مسكنه * فانه ضل عني عند مسراها
قالت لدى قلوب جمة جمعت * فأيها أنت تعني قلت أشقاها

(أبو بكر الجوهرى الشامى) شاعر عذب الكلمات حسن اللذات والسمات عرائس أفكاره صباح وجواهر نفثاته صحاح ورد الى مصر مرتديا حلل الشباب مطرزة بطراز أخلاقه العذاب متعاطيا للتجارة صارفا لها نقد عمره

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق فى غير واجب

فمن جواهر كلماته الصحاح التى هى أرق من نفس الصبا فى الصباح قوله فى مليح اسمه داود ورقيب له اسمه عمرو

أفدى غزالا له خال بوجنته * مع عارض شبه واو العطف ممدود
كأنما الخال فوق الخد يحرسه * حذار سرقة عمرو واو داود

(ولابن لؤلؤ فيمن اسمه داود)

قد كنت جلدا فى الخطوب اذا عرت * لا ترزدهيني الغانيات الغيد
وعهدت قلبي من حديد فى الحشا * فالآن بجفونه داود

(وللملك الناصر فى داود)

مني بطيفك بعدما منع الكرى * عن ناظرى الدمع والتسهيد
ومن العجائب أن قلبك لم يلن * لى والحديد ألانه داود

(ومما قلته فيما قاله)

وحاسد يرسم فى صحيفة * فضلى ويخفى الذكر اذ يطرأ
فاسمى لديه واو عمرو ولذا * يكتب فى الخط ولا يقرأ

(وأصله قول أبى نواس)

أيها المدعي سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت من سليمى كواو * ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

﴿شمس الدين محمد بن ابراهيم الحلبي المعروف بابن الحنبلي﴾ والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق هو في ميدان الفضل وحلية الشهباء سابق وأي سابق وعصره كان مسك ختامها وسحر لياليها وأصيل أيامها نورت حدائقها بغوادي شمائله وتحلى معصم مجدها بسوار فضائله

حيث التقا نفس الاقاحي والصبا * وترنم الحسناء والورقاء
وجرى النسيم يجر فضل ردائه * نشوان يعثر في غدير الماء

درس فيها وأفتى وطمى بحر فضائله فترك الحساد يضربون الماء حتى وله نظم كما انتظمت دراري الزهر ونثر كما نثرت يد الشمال على وجنات الرياض لآلي القطر وله تصانيف جمة تزينت بها البلاد وأمست تمائمها منوطة بأجياد الاجواد فهو نسيج وحده آثاره في حلل الفضل طراز مذهب وأسد في مجادلة العلماء لا يذكر عنده ثعلب وله محاضرات لو ذكرت للراغب لسعى لها راغبا أو لسحبان ظل لذيلا الخجل على وجه البسيطة ساحبا فما هبت به صبا أسحاره وغردت به على كراسي الربى حمائم أخباره قوله

يلومونني في ترك ضم قوامه * ولا اذن للنساك في الضم واللثم
نعم بيننا جنسية الود والصفا * ولكنني لم ألف هاء لة الضم

وقوله
يقولون لي والشيب لاح بمفرقي * عناقك عذراء الحمى غير جائز
أعن نار خديها التي هي منيتي * أميل وأستغني ببرد العجائز

وله
قوامك يا بدر النحاة كأنه * قنا أو قوام السمر واو ألف الوصل
وعينك فاقت كل عين بكحلها * فما أنت الا زيد مسئلة الكحل

وقوله
لكم همم نلتم برمي شباكها * مرامكم لما قطعتم بها البيدا
وعدتم الى المضني عائلتم وقد * توليتم صدا فكان لكم صيدا

وقوله
كما سمعنا بأوصاف لكم كملت * فسرنا ما سمعناه وأحيانا
من قبل رؤيتكم نلنا محبتكم * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

وهو لبشار وأوله (يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة) وفي معناه قول الحلي

قوله مختار مهاة أي حلب الشهباء من سابق الكلام ولا حاجة له اه

وهو

وهو يتشكم قبل اللقاء كما * تهوى الجنان لطيب الاخبار

ولصاحب الترجمة أيضا رباعية وهى

طرفاك كلاهما ضعيف وعليل * مثلى وأنا العليل من أجل عليل
من ضعفى قد صرفت ميلى لهما * والجنس الى الجنس كما قيل يميل

قوله والجنس الخ من أمثاله مولدى العجم ومثله قولهم الجنسية علة الضم وهو كما قيل
(ان الطيور على أجناسها تقع) (وشبه الشئ منجذب اليه)

وله من أبيات المعانى فى مليح من بنى تميم

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسب * فأجاب ماقتل المحب حرام

(وله مضمنا)

حمى ثغره الضحاك صمصام جفنه * كما صين بالتعذير خد مورد
أخد حبيبى لاترد زردية * لحسبك والضحاك سيف مهند

والضحاك اسم ملك معرب لكنه وافق صيغة المبالغة من الضحك ومثله من نوادر العربية ومن فصوله القصار انما تلق المخاصر الى كريم العناصر لاتجعل الدنيا للآخرة ضره ومن ينكح أمة على حره ماأخس الكلب العواء وان صعد الى السماك والعواء الصحة رأس المال وربحها حسن الاعمال تذكير المواعظ صابون لمن هم عن دنس الاخلاق صابون اذا كان الندى مات فالسؤال من أعظم الندامات

(أبو الفتح بن عبد السلام المالكى المغربى نزيل الشام) نادرة الفلك وهدية الزمان ونكتة عطارد المدونة فى صحف الامكان وبرهان من قال من الحكماء بتعدد نوع الانسان وليس الغريب من تناءت داره بل من فقد من الكرام نظراؤه وأنصاره وهو غريب فى فضله ومجده وان ملك من الادب ملكا لاينبغى لأحد من بعده ولما أشرقت بالمغرب شموس علمه وآدابه وزهانورها اذجرى فى عوده ماء شبابه أسفر وجه صباحه وجلاله الظفر غرة نجاحه فحل عقد عزيمته بالشام كما حل الربيع نقابه عن منظر بسام

والريح تجذب أطراف الغصون كما * أفضى الشقيق الى تنبيه وسنان

فألقى بها عصا تسياره ونفض عن برد همته غبار أسفاره وجفا أمره على السكون

وماضي حاله على الفتح وقد شدت ورق فصاحته بها بأطرب ترنم وصدح فقضى زمن ونور الادب لا يجتني الا من رياض كلامه وسورة الفتح بحار بيها الا تتلى بغير ألسنة أقلامه واغدراودها لحل البصائر وتحف آثاره يتلقى ركبانها كل باد وحاضر حتى في نادي الفضائل تربع واحتبي وأصبح طراز مذهب مالك به مذهبا

وصار فيهم غريب الفضل منفردا * كبيت حسان في ديوان سحنون

فأنار ليله الحالك وتصرف فيه تصرف مالك بأخلاق تعصر منها شمول الشمائل وفضائل جمة المآثر سحبان عندها باقل الا أنه مع تملك جواهر العلوم وتقلد جيد كماله بعقود المنثور والمنظوم عاداه دهره وصافاه فقره فظل يسترى صبابة عيش لو أنها نوم ماشعرت بها الاحداق ويتحمل من أثقالها ما يوهن ويوهي القوى والاعناق ولم يزل كذلك حتى غار ماء حياته وانغلق على الفتح باب قبره عند مماته فانفتحت له أبواب الجنان فسقاه الله رحيق غفرانه بين روح وريحان ونزه عيون رجائه وأمله في رياض الجنان بين الحور الحسان فمن نظمه الذي حشى الاسماع سحرا وملأ أفواه الرواة درا قوله

بأبي ألعس المراشف ألمى * مائس القد ناعس الاجفان

سرق الجيد واللحاظ من الظبي ولين القوام من غصن بان

عطفته الصبا الي وما لي * بالصبا بعد ما تراه يدان

فتحاشيت لثمه خيفة الاثم وأطلقت مقلتي ولساني

آه لولا التقى ومعترك الشيب لطاوعت في الهوى شيطاني

(وله من قصيدة)

حاز الجمال بأسره فحبه * في أسره لم يرض حل وثاقه

قسما بصبح جبينه لو زارني * جنح الدجى وسعى الى مشتاقه

لفرشت خدي في الطريق مقبلا * بفم الجفون مواطئ استطراقه

وصفحت عن زلات دهري كلها * وعناده فيما مضى وشقاقه

وقوله بفم الجفون الخ كقوله أيضا في أرجوزته المشهورة

تكاد من عذوبة الالفاظ * تشربها مسامع الحفاظ

وهذا نوع من البديع غريب بيناه في حديقة السحر وله نظائر كثيرة وهو على نوع

قوله

قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب كما أشار اليه فى الكشاف وقد أوضحه الغزى بقوله فى بعض قصائده

ان لم أمت بالسيف قال العذل * ماقيمة السيف الذى لا يقتل
وتغير المعتاد يحسن بعضه * للورد خد بالانوف يقبل

ومنه ما أنشده لناصديقنا الطالوى لنفسه

أرود بلحظى ورد خديه والذى * جنى لحظه ورد الخدود فما أخطا
وأرشف بالالحاظ خمر ريقه * لأنى امرؤ آليت لا ذقت اسفنطا

وهذه الخمرة لا يليق بها غير نقل البحترى فى قوله

تفاح خد اذا احمرت محاسنه * مقبل بخفى اللحظ مغضوض

وقوله مغضوض بدل من قوله مقبل وهو غيره وليس بدل غلط فانظره فانه من سحر البلاغة ومما نحن فيه قول ابن الرومى

بدر كأن البدر مقرون عليه كوكب
عذبت خلائقه فكا * د من العذوبة يشرب

(ولابن هند فى عود البخور)

رأيت العود مشتقا * من العود بايقان
فهذا طيب آناف * وهذا طيب آذان

ولابن المعتز فى فرس

يكاد لولا اسم الاله يصحبه * تأكله عوننا وتشربه

وللشريف الرضى

فاتنى ان أرى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى

ومنه أخذ القاضى الفاضل قوله

مثلثة الذكرى لسمعى كأنى * أغشى هناك بالاحداق

وأجاد أيضا حيث قال

الجود أمدح من قام يمدحه * فالناس مانطقوا الا من النظر

وقول ابن خفاجة المغربى الاندلسى وهو من رماة الحدق

وأهيف قام يسعى * والسكر يعطف قده

وقد ترنح غصننا * واحمرت الكاس ورده
وألهب السكر خدا * أورى به الوجد زنده
فكاد يشرب نفسي * وكدت أشرب خده

ولناصح الدين الارجانى

ورشفنا مدام نظم ونثر * من كؤس تذاق بالآذان

وقلت أنا

نرجس الروض قد زها العيون * لا أرى المشى فيه للطراق
قلت لما أتيته لخليلى * امش ياصاح فيه بالاحداق

والشئ بالشئ يذكر هذا في معنى قولى قديما مضمنا

ياصاح ان وافيت روضة نرجس * اياك فيها المشى فهو محرم
حاكت عيون معذبى بذبولها * ولاجل عين ألف عين تكرم

ولصاحب الترجمة من قصيدة مدح بها العلامة عليا الحنانى وعاتبه على قطع مرتب له

ان قطع السيد عن عبده * ما كان قدرتب من رفده
فالعبد لم يقطع دعاءه له * رتبه كالجزء من ورده
ولاثناء حسنا نشره * كالمسك والعنبر فى نده
أو كرياض راضها وابل * فابتسم اليانع من ورده
وانتظمت من نثر أزهارها * جواهر الانداء فى عقده
وهو غنى عن ثناء امرئ * ظل كليل الذهن من فقده
اذ مهد الحق له رتبة * عظيمة مذ كان فى مهده
ونال ماشاء من المجد لا * بسعى انسان ولا كده
فهو على لا بمدح الورى * له ولكن بسنا سعده
وانما أوجب مدحى له * تتابع النعماء من عنده
وماحباه الحق سبحانه * من العلا الزائد عن حده
والعلم والتحقيق والفهم والتوفيق والتدقيق من قصده
والشكر للمنعم فرض به * يأمن ذو الاعمان من طرده
وفيه لاشك مزيد لمن * لازمه والكل من عنده

هذا وان العبد يبغى الرضى * فى قربه الأقرب أو بعده
وماله فى غيره رغبة * والعبد مجبول على قصده
وليس ذا حزن لما فات من * دنياه قد سبق الى رشده
سيان فقر وغنى عنده * لما هو المعهود من زهده
وما تصدى لصدى آلة * قبيحة تفضى الى صده
سوى لزوم البيت مستوحشا * من الورى حتى ذوى وده
مشتغلا بالعلم مستغرقا * أوقاته فيه وفى سرده
قد لزم العزلة لكنه * لصحبه باق على عهده
أقسم لا يبرح من بيته * حتى يوارى فى ثرى لحده
ان مات لم يترك له درهما * يحوزه لوارث من بعده
ولا أثاثا لا ولا ملبسا * يصلح للبيع سوى برده
وفروة جرداء من عتقها * أضلاعه ترعد من برده
وطيلسان خلق دمعه * من عتقه يجرى على خده
ولم يكن يترك شيأ اذا * فارقه يأسى على فقده
غير بقايا كتب رثة * أكثرها قد مات فى جلده
يباع فى تجهيزه بعضها * والبعض وقف لا على ولده
هذا لعمرى عرض حالى على * من أجمع الناس على حمده
لا برحت أعتابه قبلة * يؤمها العافون من وفده
ما حملت أنمله بالندى * من راحة كالبحر فى مده

تكملة فى قوله مستغرقا الخ فوائد منها أن الاستغراق أصل معناه طلب الغرق ثم استعمله الناس فى أخذ الشئ وتحصيله ومنه قول العامة استغرق فى الضحك اذا أطاله وهو غلط وصوابه فى الضحك استغرب لا اغترب أيضا كقول البحترى

وضحكنا فاغترب الاقاحى من ندى * غض وسلسال الرضاب برود

قال الآمدى فى كتاب الموازنة قوله اغترب يريد الضحك والمستعمل استغرب فى الضحك اذا اشتد فيه وأغرب أيضا أخذا من غروب الاسنان وهى أطرافها وغرب كل شئ حده اذا المعنى امتلأ ضحكا انتهى والسرد أصله نسج الدرع وتتابع الكلام

قوله فى نصفها الخ

وتعداد الاشياء والعامة استعارته لتتابع نعاس الجالس وليس بعربي وهو الذي أراده هنا وهو كقوله

لداود من برش كساء سفاهة * مطرزة من صفرة الوجه والخد
ومازال درع الكيد للصحب ناسجا * ولو ناعسا أمسى يقدر في السرد

وقوله مات في جلده استعمال معروف عامي ووجه استعماله ركيك والبليغ قول العرب للفلوج سجن في جلده وحسن هذا وصف الكتاب به كما قال ابن نباتة المصرى

لله مجموع له رونق * كرونق الحبات في عقدها
كل تصانيف الورى عنده * تموت للخجلة في جلدها

عودا على بدء ومن شعره أيضا

مرحبا بالحمام ساعة يطرا * ولو ابتزمني العمر شطرا
حبذ الارتحال عن دار سوء * نحن فيها في قبضة الأسر أسرى
واذا ما ارتحلت يا صاح عنها * لاسقى الله بعدى الأرض قطرا

وهذا كقول الامير أبي فراس الهمداني من قصيدة له

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر * أما للهوى نهي عليك ولا أمر
تعللني بالوعد والموت دونه * اذا مت عطشانا فلا نزل القطر

(ونحوه قولي في مطلع قصيدة)

ان لم تبردلى الصبا غلة * فلا شفى الله لها علة

(وله أيضا)

ويمكن وصل الحبل من بعد قطعه * ولكنه يبقى به أثر الربط

وأحسن منه قولي في بعض الرسائل أنت وان وصلت بعد القطع حبل المودة ففيما بقى من أثر ذلك في القلب عقدة وقلت من قصيدة

يا واصلين حبالا * كانت تشد المودة
لا تقطعوها ببعد * قد غير النأى عهده
فان تقولوا وصلنا * من بعد ذا القطع شده
يبقى وحقك فيها * من ذلك القطع عقده

وهذه الاستعارة معروفة قديما وفى حديث العقبة ان الانصار قالوا ان بيننا وبين

قوله وهو الذي الخ كذا في نسخ والمناسب أن يقول وهو الذي أريد في قوله اه

قوله الهمداني صوابه الحمداني من آل حمدان اه

القوم حبالا أترا هم قاطعيها وقد حققه فى الروض الانف وكتب للقاضى معروف وقد أهدى له حلة

مخدومنا قاضى قضاة مدينتى * صفد أحق الناس بالتفضيل
العالم الحبر الذى معروفه * تزرى زيادته بحر النيل
أهدى لنحوى من مخيط ثيابه * جملا فأغنانى عن التفصيل

والتفصيل بلسان العامة بمعنى قطع الثياب الجديدة ففيه تورية كقول ابن نباتة المصرى

كم جملة وصلت لى من نداك وكم * تفصيلة ألبستنى أجمل الحلل
حتى لقد غدت المداح حائرة * بين التفاصيل من نعماك والجمل

(وقوله أيضا)

قد نكس الرأس أهل الكيميا خجلا * وقطروا أدمعا من بعدما سهروا
ان طالعوا كتبا للدرس بينهم * أضحوا ملوكا وان هم جربوا افتقروا
تعلقوا بحبال الشمس من طمع * وكم فتى منهم قد غره القمر

وقوله فى أحدب كأنه أترجة الظرفاء وكرة اللهو بعيدان الندماء اللطفاء وكان أبو الفتح يكرهه ولم يعمل فيه بقول الباخرزى

وصانع الدهر فكم دولة * صاغت من السلحة أترجه

(فقال فيه)

اذا غفر الله ذنب امرئ * فلا غفرت زلة الأحدب
شديد النكاية مع ضعفه * قياسا على ابرة العقرب

ومن ظرفاء الحدبان القاضى الفاضل وفيه يقول القائل

لله بل للحسن أترجة * تذكر الناس بعد النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

وعلى غطه وان لم يكن من بابه قول ابن جلنك لما امتدح القاضى الزملكانى فأجازه بخبز فكتب

(على حائط بستانه)

لله بستان حللنا دوحه * فى روضة قد فتحت أبوابها

والبان تحسبه سنانير ارأت * قاضي القضاة فنفشت أذنابها

وهذا غلط عجيب وقد بلغنا أن بدر الدين بن مالك صنف كراسة في لطائف هذه المقطوعة ووجوه بلاغتها ولم أرها وهو جدير بذلك ووجه حسنها انه قصد به تشبيه زهر البان وأدمج فيه هجو القاضي لان السنانير انما تنفش أذنابها اذا فزعت من الكلاب فكأنه قال انها ظننته كلبا ونحوه مامر في القاضي الفاضل والاعماء لحدبته وهذا النوع يشبه المدح بما يشبه الذم وعكسه ففي صريحه تشبيه لطيف كني به عن هجو قبيح وليست بلاغته من جعل التشبيه كناية عن معنى آخر فانه صريح كما حققه السيد في فن البيان بل لامور قصدها وليس هذا محل تفصيلها فان أردتها فانظر كتابنا حديقة السحر وله أيضا يذكر من وعده بتاسومة وهي نعل معروف كالمداس

رب تاسومة بها قد وعدنا * فاذا قربها من النجم أبعد

رب يسر حصولها لمحب * عله للكمال يرقى ويصعد

عملا في الورى بقول حكيم * ضع مكان السعيد رجلك تسعد

وهذا مثل مشهور يعني قول علي رضي الله تعالى عنه صاحب من أقبل جده تسعد وقد قلت في مثال نعله صلى الله عليه وسلم

لمثال النعل الشريف لطه * شرف قدره من النجم أبعد

وسمعنا الامثال قالت قديما * ضع مكان السعيد رجلك تسعد

وسعيد من كان من قبل هذا * أو عليه قد مرغ الوجد والخد

وما أحق هذا أن ينشد له قول أبي العتاهية

نعل بعثت بها لتلبسها * قدم بها تسعى الى المجد

لو كان يصلح أن أشركها * خدي جعلت شرا كها خدي

ولابن هانئ الاندلسي في قبقاب وهو نعل يصنع من الخشب وهو محدث بعد العصر الاول ولفظه مولد أيضا لم يسمع من العرب كما قاله الازهري

كنت غصنا بين الرياض رطيبا * مائس العطف من غناء الحمام

صرت أحكي عداك في الذل اذ * صرت مهانا داس بالاقدام

وله يذكر معاهد نيطت بها تمائمه وغردت على أغصان شبابه حمائمه يندب اخوانه وينعي أوطاره وأوطانه

سلوا البارق النجدي عن سحب أجفاني * وعما بقلبي من لواعج نيران
ولا تسألوا غير الصبا عن صبابتي * وشدة أشواقي اليكم وأشجاني
فما لي سواها من رسول اليكم * سريع السرى في سيره ليس بالواني
فياطال بالاسحار ماقد تكلفت * بانعاش محزون وايقاظ وسنان
وتنفيس كرب عن كئيب متيم * يحن الى أهل ويصبو لاوطان
فلله ما أذكى شذا نسمة الصبا * صباحا اذا مرت على الرند والبان
فكم نحوكم حملتها من رسالة * مدونة في شرح حالي ووجداني
وناشدتها بالله الا تفضلت * لتبليغ أحبابي السلام وجيراني

وقد نحا نحو قول ابن مليك الحموي في قصيدة له

سلوا فاتر الاجفان عن كبدي الحرا * وعن در أجفاني سلوا العقد والنحرا
مليح اذا مارمت عنه تصبرا * يقول الهوى لن تستطيع معي صبرا

هذا الشاعر وان لم يكن من أهل العصر فانه قريب العهد فينبغي ذكره هنا فنقول هو *(علاء الدين بن مليك الحموي)* هذا شاعر حماه ومن كلاء سرح الادب بها وحماه رآه أبو الفتح المالكي وقد رقي شرف علمه وسما وهو بحانوت له يبيع الاقسما وأقلامه قضب على جداول الطروس مياله أسبل على وجه دوحها الزاهي ظلاله بل لواء على ملك الكلام أو عمود نصب عليه من السحر خيام وهو يخلب الاسماع بسحره ويريق حلو مائه على صناعة شعره ثم رفعته حرفة الادب عن حضيض دكانه الى ان صار ملك الادب بديوانه فنادى لسان قريضه النظيم ماهذا مليك ان هذا الا ملك كريم وقد وقفت على ديوانه فجنيت من ثمرات حسنه واحسانه قوله من قصيدة له

ذكر الغضا فحنت عليه أضلعي * وبكى العقيق فساقطته أدمعي
لله در دموع عيني انها * وقعت من الاجفان أحسن موقع
من لي بقلبي يوم كاظمة وقد * ودعتهم لو خلفوا قلبي معي
رحلوا فكان القلب أول راحل * والصبر آخر ظاعن ومودع

(وقوله من أخرى)

طراز ذاك العذار من رقه * ودر دمعي بفيه من نظمه
وخاله فوق كنز مبسمه * بالمسك قفلا عليه من ختمه

من لى به ساحر الجفون سطا * ظلما على صبه ومارحمه

(وقوله من أخرى)

يا بريقا بالحمى قد لمعا * حى عنى البان والأثل معا

فبذاك الحى لى غصن نقا * طائر القلب عليه وقعا

ياله من غصن بان يانع * صادح الحلى عليه سجعا

(وقوله من أخرى)

أحيا الربيع الارض بعد مماتها * وحلا بسكب القطر عود نباتها

والزهر قد ألقى النثار كأنما * أدت كنوز الارض بعض زكاتها

وحكت جداولها خلاخيلا وقد * أضحى خرير الماء من رناتها

(وقوله من أخرى)

سقيا لارض بعد كوثر مائها * ما اشتاق قلبي للموارد منهلا

لولا بقا ياه وحملك فى فى * ماقلت شعرا فى المسامع قد حلا

وهذا من قول ابن حجة من قصيدة

ولولا بقايا طعمهم فى مذاقتى * لما ظهرت هذى الحلاوة فى شعرى

(ومن نتف له)

مدحتكم طمعا فيما أؤمله * فلم أنل غير حمل الاثم والنصب

ان لم تكن صلة منكم لذى أدب * فاجرة الخط أو كفارة الكذب

(وقوله أيضا)

لا تعجبوا من صديق كنت أمدحه * وقد هجانى ومافى ذاك من عجب

بل اعجبوا من ذكاء فيه كيف درى * أنى كذبت فجازانى على الكذب

(وقوله أيضا)

يكاد لرقة أعطافه * من اللين يعقد لولا الكفل

فان قيل بدر فقل عبده * وان قيل شمس الضحى قل أجل

(ونحوه قول ابن حجر)

حبيبى لا تحتفل بالعذل * وصل مغرما للضنى قد وصل

وحقك ان العذول الأقل * وأنت الحياة وأنت الاجل

(ومن قصيدة له)

وفوق ظهور الخيل ماتوا فاصبحوا * وفى كل سرج فوقها لهم قبر

وقد توارد فى هذا المعنى مع ابن حجة فى قوله من قصيدة وكنت لما طالعت ديوانه لم أرله معنى ابتكره غيره وهو

ماتوا على تلك السروج مخافة * فكأن هاتيك السروج مقابر

وهو تشبيه لطيف لان هيئة دفتى السرج كهيئة جانبى القبر المصنوع من الحجارة فى هذا الزمان وقد سبق اليه ابن نباتة فى مرثية له

وما الناس الا راحل بعد راحل * اذا ما انقضى عصر مضى بعده عصر

تبدت لدى البيداء مطايا قبورهم * ليعلم أهل العقل انهم سفر

ثم رأيته فى أشعار المتقدمين لكنه هذبه فان أبا نواس قال فى قصيدته التى أولها

أجارة بيتينا أبوك غيور * وميسور ما يرجى لديك عسير

(ومنها)

اليك أتت بالقوم هوج كأنما * جماجمها تحت الرحال قبور

قال الصولى أى ابل كأن بها هوجا للنشاط فى سيرها وهذا التشبيه بالقبر حسن لكنه أخذه من قول الوليد

كان هاماتها قبر على شرف * يعد للسير أوصالا وأوصالا

انتهى وههنا أمر نفيس ينبغى الاصغاء له لان الجماجم الرؤس ولو شبه أسنمتها أو الرحال التى عليها بالقبور لكان من المعانى التى لانظير لها فاستحسان الصولى ليس بحسن وكأن المتأخرين اذ كانوا رأوه تنبهوا لهذا وهذا من حسن الظن بالسلف والا فللمقال مجال فاذا فطنت لما قلناه وفهمته علمت أن هذا كله لايصل فى الحسن الى درجة من درجات قولى من قصيدة لى

اذا جئت دارا قبل لقياى أهلها * ألاقى قبور الكرام أولى المجد

عليها لقد حطوا رحالا بمنزل * وكم هودج من بينها سامى الشد

لينتظروا من خلفوه بدورهم * ليلحقهم قبل القيام بلا جهد

يقولون جدوا فى الرحيل فان من * تبقى أناس أرضعوا اللؤم فى المهد

وقوله قبل لقياى الخ اشارة الى أن قبور كل بلدة خارجها فكل قادم لابد أن يلاقيها أولا

والى هذا المعنى أشار القاضى الفاضل فى قوله

المدن ان رجع المسافر أو * اذا خرج المسافر
ما استقبلته وودعته * بغيرها تيك المقابر

* القاضى محب الدين بن تقى الدين الحموى * نزيل الشام وشامة من بها من الوجوه والاعلام ذو كمال وأدب ومجد تناوله عن كتب فكان غرة من نظم ونثر وكتب وشعر اذا حل بناد تهلل صدره وانشرح وتزينت بدرر كلماته عقود الملح وترنمت أطيارها وتفتحت بنسيم خلقه أنوارها بمحاورات له تحمر خدود الكاسات منها خجلا وتفتح أزهار الخمائل لها آذانا ومقلا الا انه وافى رياضها عشية فحيته من أنفاسها بألطف تحية فحمدها وشكر عاطار بين سمع الارض والبصر ومن شعره قوله فى الشام

أتينا فسلمنا عليها عشية * فغنى لنا فيها الحمام وحيانا
وأبدى لنا ثغر الاقاحى تبسما * وأحسن ملقانا وأكرم مثوانا
وما هى الا جنة قد تزخرفت * ألم تر فيها العين حورا وولدانا
ومن تحتها الانهار تجرى وكلها * عيون الى الروضات ترسل غدرانا

ومن فصل له يقبل الارض بعد دعاء ترصع فى تيجان الاجابة درره وتضرع تقف فى ديوان الاخلاص فقره ومما وقفت عليه من آثاره شرح شواهد التفسير وهو كتاب حسن لكنه لم يشبع فيه الكلام

* شهاب الدين الكنعانى الشامى * شاعر عصرى لم أقف له الا على ما أنشده شيخنا العناياتى من قوله

يحسب كل الناس أمثاله * من بات فى مهد نعيم وطى
أما ترى الشبعان ياسيدى * يفت للجيعان فتابطى

وهذا مثل عامى من أمثال العوام تضربه للمترفه الذى لا يدرى بحال من كان فى بؤس رشدة فيظنه مثله ولفظ الجيعان أنكره أهل اللغة فقالوا المسموع فيه جائع وجوعان لكن الامثال لا تغير

* معروف الشامى * هو ممن اتسم بالادب فى الحديث والقديم وسرى ذكره كما سرى فى الرياض النسيم فسمت مقاصده وعذبت مصادره وموارده فليس للربيع نضارة تلك الشيم ولا للغيث شيم ذلك الكرم فروضة مآثره يانعة الزهر ونسخة محاسنه مخلدة فى

صحائف الدهر لازال حديثه روضة من رياض الجنان ومنزلا تحل فيه قوافل الغفران ما بكى المطر لفراق الغمام فضحك النور على بكائه فى الاكام فما أنشدت له قوله

يامفردا أضحت ظواهر شأنه * مافوقها فى الحسن غير المخبر
ياساليا قلبى الشجى وما اشتكى * منه الجفاء الى السميع المبصر
منى اليك مع النسيم تحية * فتقت نوافجها بمسك أذفر
من منطق يزهو بحسن براعة * تزرى حلاوته بطعم السكر
فكأنها وكأنه وكأنها * من جوهر فى جوهر فى جوهر
يبدى التداخل فى الجواهر عنوة * لبضيرة المقدام لا المتحير
فكأنما قرطاسها أسرارنا * والبين بينهما سواد الاسطر
أرجو على قرب المزار بقرب البا * رى تعالى موردى من مصدرى
فى ذلك الشرف المعلى المنتهى * طرب المشوق وجنة المتذكر

﴿ونقل لى عنه فصل فى كحال صورته﴾

فلان انتهى الى فوق ما يضرب به المثل ان قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من الكحل فقد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه وبحد معجزة القميص اليوسفى فلو مر وابه على ناظر تقرح جفناه وهو من الذين اذا رفعوا أميالهم فانما هى لعين الشمس ولشمس العين مزوله واذا أولج أحدهم الميل فى المكحلة فهو أولى بالرجم ممن أولج الميل فى المكحلة انتهى وأنا أظن أن هذا من كلام القاضى الفاضل ومنه قول مهيار فى طبيب كحال

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبه * وبكحله الاحياء والبصراء
فاذا نظرت رأيت من عميانه * أمما على أمواته قراء

﴿ومنه أخذ الزفارى قوله﴾

أعمى الورى بكحله * والموت من وصفاته
فكثير من عميانه * يقرأ على أمواته

وانما خصوا العميان بالقراءة لانهم معروفون بكثرة الحفظ وقد قيل انه ما أخذ الله من عبده حاسة الا نقل قوتها لغيرها ولابن عنين

لو أن طلاب المطالب عندهم * علم بانك للعيون تغور

لاتوا اليك بكل ما أملته * منهم وكان لك الجزاء الاوفر
ودعوك بالصباغ لما أن رأوا * يغشى العيون لديك ماء أصفر
وبكفك الميل الذى يحكى عصا * موسى فكم عين به تتفجر

(ولمحمد بن الاكفانى)

ولقد عجبت لمن أتى بالكيميا * فى كحله اذجاء بالشنعاء
يلقى على العين النحاس يحيلها * فى لمحة كالفضة البيضاء

(وأحسن منه قولى)

كحل كحالنا غدا اكسيرا * منه قد علم الورى الكيمياء
فحديد الابصار يلقى عليه * عاد فى الحال فضة بيضاء

(نجم الدين بن معروف) أديب اذا نظم حرك الهوى وقال الشعر والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى فقد سلك سبيل الرغائب واهتدى باعلام المناقب فهو نجم بزغ من سماء الكرم وشمس اهتدت بأنواره سراة الامم تقلد سيف الامارة فلاحت عليه من السعادة كل أمارة فلله نجمه الثاقب برفعته لدى الكواكب فمن أنواره الساطعة من مشرق فيه ما كتبه للقاضى أبى الفتح يستدعيه

يا أيها المولى الذى فتحت له * فيضا خزائن كل علم مغلق
و وفود أرباب الفنون تعبدوا * بولاه اذ هو رب فضل مطلق
واذا أتاه الفاضلون بجملة * من فضلهم لاقاهم فى فيلق
العبد يرغب أن تشرف بيته * ليصير أشرف بقعة فى جلق
لازلت يازين الوجود ممتعا * بعوارف منها المعارف تستقى

(فأجابه)

ياماجدا نحو العلا لم يسبق * ومهذبا حاز الكمال بجلق
لبيك من مولى تفضل داعيا * لمحبه بل عبده المتملق
وافت بدائع نظمه تحكى عقو * د الدر فى سلك البيان المونق
تدعو لحضرته البديع صفاتها * ببلاغة فاقت بأفصح منطق
سعيا على الاحداق نحو كماله * وجماله المتوقد المتألق
نحو الفضائل والفواضل والثنا * نحو المكارم والندا المتدفق
لازلت محروس الجناب ممتعا * بلقائك الفضلاء دون تفرق

مالاح نجم فى الدجنة ثاقب * أو فاحت الروضات للمتنشق

﴿محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشنوق﴾ شاعر رأيته وله شعر لم يثابر على تهذيبه فهو وساوس لفكرة تهذى به وقد أنشد قصيدة مطلعها لامية الروم ومنها

حتى م أنظم من دمعى ومن غزلى * أدلة وحبيب القلب معتزلى
يرى خلودى فى نار الصدود فهل * فقت حين جعلت العشق من عملى

﴿فتح الله بن بدر الدين محمود البيلونى الحلبى﴾ أديب فاضل له طرف وملح وشعر سمح طبعه منه بما سمح وله مجلس من مجالس القصاص والنصاح ينادى به كل طالب حى على الفلاح رأيته وقد قدم الروم بصحبة الوزير نصوح وشمس فضله من أفق معاليه تلوح فانقطع عن الاختلاط وربما حولك السكون ردىء الاخلاط وله شعر وشعور هما من خير الامور كقوله

يقولون نافق أو فوافق مرافقا * على مثل ذا فى العصر كل لقد درج
فقلت وأمر ثالث وهو قول أو * ففارق وهذا الامر أسلم للحرج

وقوله فى بعض منازل الحج المسمى باكره ويقال لها أكرى بالقصر أيضا

تعففت عن زاد الرفيق ومائه * وسرت لبيت الله أهدى له شكره
و وفرت ماعندى احترازا واننى * لصونى ماء الوجه لم أر ما أكره

ومن أمثاله المرسلة رب داء أضر منه الدواء وله

اذا ابتليت بسلطان يرى حسنا * عبادة العجل قدم نحوه العلفا

وقوله أنت كالمنخل الذى صار يلقى * الصفو للناس ممسكا للنخاله

وهذا مما وقع معناه فى بعض الكتب الالهية كما نقله الامام الرازى وقد كنت قلت فيه

الدهر كالغربال فى * خفض و رفع لا محاله
ان حط لب لبابه * رفع الحثالة والنخاله

والبيلونى لقب جده وهو نسبة للبيلون وهو طين أصفر تسميه أهل مصر بالطفل انتهى

﴿القاضى ظهير الدين الحلبى﴾ أديب ورده معين واغتمداده مما تكتحل منه عيون اليقين صحبته بالروم فكان لى منه ظهير ومعين فاقتطف سمعى جنى أزهاره لما جلى على نتائج أفكاره فرأيت كبراها وصغراها فى الحد الاوسط ومنها ما هو عن رتبة الانتاج منحط فمن غض ثمراته ويانع زهراته قوله من قصيدة نبوية

نسيم الصبا من حاجر ونواحيه * سرت فأزالت صبرنا عن صياصيه
ومن بارق شام المتيم بارقا * بدا فتداعى شوقه من أقاصيه
ومن ذكر أيام العذيب تكدرت * مشارب صب ضل عنه مناجيه
اذا قفل الحجاج زاد ولوعه * وأرسل دمعا قانيا من أماقيه
وبي من غدا يختال عجبا بقده * وطلعته سكران من خمرة التيه
وفي القرب أخشاه وفي البعد قاتلي * فواحربا من بعده وتدانيه
يفوق من جفنيه للقلب أسهما * بأوهنها يرمي الكمي فيصميه
بذلت له روحي فأعرض معجبا * وقال أملكي عاد ملكك تهديه
وبالشعب من وادي النقا خير جيرة * غدت بغيتي والله من غير تمويه
اذا ذكروا يرتاح قلبي كأنما * أتت نحوه تنقاد سرا أمانيه

(بهاء الدين بن الحسين العاملي) الحارثي الشامي أصلا ومحتدا الفارسي منشأ ومولدا فاضل لمعت من أفق الفضل بوارقه وسقاه من مورده النمير عذبه ورائقه لا يدرك بحر وصفه الاغراق ولا تلحقه حركات الافكار لو كان في مضمار الدهر لها السباق زين بآثره العلوم النقلية والعقلية وملك بنقد ذهنه جواهرها السنية لاسيما الرياضات فانه راضها وغرس في حدائق الالباب رياضها وهو في ميدان الفصاحة فارس أي فارس وان كان غصنه أينع وربي بربوة فارس فان شجرته نبتت عروقها بنواحي الشام الزاهية المغارس والعرق نزاع وان أثر الجوار في الطباع ولما تدفق ماء كرمه خرج منها ساحبا بعدما ألقى دلوه في الدلاء مانحا لابسا خلع الوقار عاطفا من رياض السكون ثمرات الاعتبار فجاب البلاد وأتى ارم مصر ذات العماد فنم امتاع فضل به اتجر والمعالي في كفة الات السفر فاجتني نورا افتحت كمائمه وسرى سراقلب الوجود كاتمه

وسر دهره وصدر له * بعالم ذي نجدة عامل

وفي أثناء ذلك نظم عقود أشعار حقائقها العقول وجمع من أزواد فضله مجموعة سماها الكشكول طالعتها فرأيت فيها ماتنشرح له الصدور وتحل عقد الاشكال عن كل مصدور وكان رئيس العلماء عند عباس شاه سلطان العجم لا يصدر الا عن رأيه اذا عقد ألوية الهمم الا أنه لم يكن على مذهبه في زندقته والحاده لانتشار صيته في سداد دينه ورشاده الا انه علوي بلا مين وهو عند العقلاء أهون الشرين فانه أظهر

غلوة في حب آل البيت وجاري حلبة ولاء الكميت وأنشد لسان حاله لكل حي وميت

ان كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أني رافضي

وشعره باللسانين مهذب محرر وبالفارسية أحسن وأكثر ولما ساح في البلدان واجتمع بمن بها من الاعيان عاد بدر ذاته لفلك أقطاره فعانق في أوطانه عقائل أوطاره وهو الآن قرة عين مجدها وغرة جبين سعدها تطوف بحرمه وفود الافاضل وتتوجه شطره وجوه الآمال من كل فاضل بنعيم مقيم تتحدث عنه طروس الاسفار وتتحلى باغر مداده عيون الطروس والاسفار فمن أنوار كلامه التي أطلعتها غصون أقلامه قوله من قصيدة

يا نديمي بمهجتي أفديك * قم وهات الكؤس من هاتيك
هاتها هاتها مشعشعة * أفسدت عقل ذي التقى النسيك
خمرة ان ضللت ساحتها * فسنا نور كأسها يهديك
يا كليم الفؤاد داو بها * قلبك المبتلى لكي تشفيك
هي نار الكليم فاجتلها * واخلع النعل واترك التشكيك
صاح ناهيك بالمدام فدم * في احتساها مخالفا ناهيك
عمرك الله قل لنا كرما * يا حمام الاراك ما يبكيك
أترى غاب عنك أهل منى * بعد ما قد توطنوا ناديك
ان لي بين ربعهم رشا * طرفه ان تمت أسى يحييك
ذو قوام كأنه غصن * ماس لما بدا به التحريك
لست أنساه اذ أتى سحرا * وحده زائرا بغير شريك
طرق الباب خائفا وجلا * قلت من قال كل ما يرضيك
قلت صرح فقال تجهل من * سيف ألحاظه تحكم فيك
قمت من فرحتي فتحت له * واعتنقنا فقال لي يهنيك
بات يسقي وبت أشربها * خمرة تترك العقل مليك
ثم جاذبته الرداء وقد * خار انجمر طرفه الفتيك
قال لي ما تريد قلت له * يا منى القلب قبلة من فيك

قال خذها فقد ظفرت بها * قلت زدني فقال لا وأبيك
ثم وسدته اليمين الى * أن دنا الصبح قال لي يكفيك
قلت مهلا فقال قم فلقد * فاح نشر الصبا وصاح الديك

وله من أخرى مدح بها الاستاذ البكري وقد اجتمع به وهو مما يدل على سلامة عقيدته قوله

يا مصر سقيا لك من جنة * قطوفها يانعة دانيه
ترابها التبر في لطفه * وماؤها كالفضة الصافيه
فقد أخجل المسك نسيم لها * وزهرها قد أرخص الغاليه
دقيقة أصناف أوصافها * ومالها في حسنها ثانيه
منذ أنخت الركب في أرضها * أنسيت أصحابي وأحبابيه
فيا حماها الله من روضة * بهجتها كافية شافيه
فيها شفاء القلب أطيارها * بنغمة القانون كالزاريه

(ومنها)

من شاء أن يحيي سعيدا بها * منعما في عيشة راضيه
فليدع العلم وأصحابه * وليجعل الجهل له غاشيه
والطب والمنطق في جانب * والنحو والتفسير في زاويه
وليترك الدرس وتدريسه * والمتن والشرح مع الحاشيه
الى م يادهر وحتى متى * تشقى بأيامك أياميه
تحقق الآمال مستعطفا * وتوقع النقص بآماليه
وهكذا تفعل في كل ذي * فضيلة أو همة عاليه
فان تكن تحسبني منهم * فهي لعمري ظنة واهيه
دع عنك تعذيبي والا فاشكو * ك الى ذي الرتبة الساميه

(وله رباعيات لطيفة منها)

أغتص بريقتي لحسبي الحاسي * اذ أذكره وهو لعهدي ناسي
ان مت وجمرة الهوى في كبدي * فالويل اذا الساكني الارماس

(وله)

كم بت من المساء الى الاشراق * من فرقتكم ومطربي أشواقي
والهم منادمي ونقلي ندمي * والدمع مدامتي وجفني الساقي

(ومنها)

(ومنها) لا تبك معاشر انأى أو ألفا * القوم مضوا ونحن نأتى خلفا
بالمهلة أو تعاقب نتبعهم * كالعطف بثم أو كعطف بالفا

(ومنها) من أربعة وعشرة امدادى * فى ست بقاع سكنوا ياحادى
فى طيبة الغرا مع سامرا * فى طوس وكربلا وفى بغداد

(ومنها) للشوق الى طيبة جفنى باكى * لو صار مقامى فلك الافلاك
أستنكف ان مشيت فى روضتها * فالمشى على أجنحة الاملاك

(ومنها) هذا النبأ العظيم مافيه كلام * هذا الملائك السموات امام
من عم بابه ينل مطلبه * من طاف به فهو على النار حرام

(ومنها) هذا حرم بفضله العقل أقر * فيه الملائك السموات مقر
كل منهم يقول يازائره * أبشر فلقد نجوت من نار سقر

(ومنها)

ياريح اذا أتيت دار الاحباب * قبل عنى تراب تلك الاعتاب
ان هم سألوا عن البهاء فقل * قد ذاب من الشوق اليكم قد ذاب

(ومنها)

ياريح أقص قصة الشوق اليك * ان جئت الى طرسوفبالله عليك
قبل عنى ضريح مولاى وقل * قدمات بها أولك من الشوق اليك

(ومنها) أهوى رشا عرضنى للبلوى * ماعنه لقلب المعنى سلوى
كم جئت لاشتكى فمذ أبصرنى * من لذة قربه نسيت الشكوى

(ومثله قولى)

لو تسمع لذى المعنى الشكوى * لا من بذا وليس عنه سلوى
كل بهواه مبتل ذو دنف * قالوا وتطيب اذ تعم البلوى

(ومنها) ياغائب عن عينى لا عن بالى * القرب اليك منتهى آمالى
أيام نوالك لا تسل كيف مضت * والله مضت باسوء الاحوال

وفى معناه ووزنه قول الارجانى

لا بأس وان أذبت قلبى بهواك * القلب ومن سلبته القلب فداك
وليت وقلت أنعم الله مساك * مولاى وهل ينعم من ليس يراك

﴿خضر الموصلي﴾ كعبة فضل مرتفعة المقام تضمنت ألسنة الرواة التزام مدحه فلله ذلك التضمن والالتزام رأيته في عنفوان العمر والدنيا كلها رياض والايام كلها أعياد وأعراس والاوقات كلها سحر والاشهر كلها نيسان

فلو بعث يوما منه بالدهر كله * لفكرت دهرا ثانيا في ارتجاعه

وهو حسنة في صحائف الايام والليالي وروضة تنبت الشكر في رياض المعالي والعيش كله نضر وقد قيل لكل زمان خضر

اذا ما ذكرنا جوده كان حاضرا * نأى أودنى يسعى على قدم الخضر

وأقام بمكة مع بني حسن مختصر الا كشاف وصنف باسم السيد حسن كتابه شرح شواهد الكشاف شرحا تشبث بأذياله السحر وناط به تميمة معلقة بجيد الدهر وقد ملكته وطالعته فرأيت فيه ما يدل على سعة اطلاعه وطول طوله وباعه وهو تلميذ والدي وكان يسلك معه طريق الادب ويجثو بين يديه على الركب وأنشدني قوله مضمنا

تبدل عن البرش المبلد بالطلا * فعالم أهل البرش غمر وجاهل

فما البرش ان فتشت عن كنهه سوى * دويهية تصفر منها الانامل

(وللاسعد بن مماتي مما أنشده في كتابه سلافة الزرجون)

نديمي لاتهزأ بمشمولة فان * بذالك منها بهجة وشمائل

وراقك منها رقة في قوامها * ولاحت كشمس أضعفتها الاصائل

فلا تغترر منها بلين فانها * دويهية تصفر منها الانامل

(وهذا من قصيدة لبيد التي أولها)

الا كل شيء ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل

وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

(وقد ضمن زكي الدين بن قريع منها أيضا قوله)

تأمل صحيفات الوجود فانها * من الجانب السامي اليك رسائل

وقد خط فيها ان تأملت خطها * ألا كل شيء ماخلا الله باطل

(وفي معناه قول العلامة الشيخ حسن البوريني)

ورق الرياض اذا نظرت دفاتر * مشحونة بأدلة التوحيد

وفي معنى شعر أبي نواس المشهور ومما مدحت به حضرة مولانا خضر المذكور

وصبا من كؤوس ذكرك سكرى * لك حملتها ثناء وشكرا
ولوجدى رقت كطبعك لطفا * واستعارت من طيب ذكرك نشرا
معك القلب حيثما سرت يسرى * فاسأل الله فذاك عنى أدرى
من أولى العزم لى فؤاد كليم * فى النوى لا يزال يتبع خضرا

(فصل) فيمن لقيته بالشام فى رحلتى لمصر راجعا من الروم لما منيت بغربة قارظية ودعانى الشوق الى العود الى القاهرة المعزية وعنان مطايا العزم بين ثان وحادى وطوارق الوساوس بين رائح وغادى بدا لى بها وجه جو قاطب وسامرت بها الليالى عمر الكواكب يتعثر بالعواء وتضرب به عصى الجوزاء ونهار صباه سموم كأنه قلب صب مغموم أو نفس فقير مظلوم نفضت بها الآمال بساط القرار واسترجعت نزاعها للامصار اذ لم تجد حرا تحييه ولا أخا وجد تطارحه هوى نجد وتجاريه كما قلت

ياويح مصر ترحلت سكانها * وتعطلت تلك المجالس والمدارس
ظعنوا ومن بركاتهم وجمالها * كنست وها تيك النخيل بها مكانس

فكأن الكرام أوراق خريف لونته الاعاصير وبدله الشتات ورسومها خط بها البلاء آيات المواريث ومصحف الفرائض فلا يذكر فيها غير الاموات فاذا رجع أو خرج منها المسافر ماودعه واستقبله غير المقابر

عليها القدحط وارحال اعزل * وكم هودج من بينها مرتخى الشد

وقد كنت أدأب فى الترحال * لاحظ بربعها المخصب رحال الآمال * رجاء لقاء أشياخى واخدانى ومغازلة من بها من خرد أوانس الامانى ممن سافنته بواديها وساجلته بدلاء المجون فى بواديها وقد تنزل من حصن طودها الاوابد كما قال كشاجم فى كتاب المطارد ان الوحوش قد تلج العمران وتلجأ للانس اذا كلب الشتاء وعبس بالجدب وجه الزمان فعدمت الاقوات واختفى الجمد والثلج الماء والنبات فشاب منه الوليد كما قال مسلم بن الوليد

فان أغش قوما بعدهم أو أزورهم * فكالوحش يدنيها من الآنس المحل
يذكرنيك الخير والشر والتقى * وقول الخنا والحلم والعلم والجهل
فألقاك فى مذمومها متنزها * وألقاك فى محمودها ولك الفضل

فعاد الرائد خائبا والبشير ناعيا ناعبا اذ بدت مقفرة الارجاء مبرقعة باليأس وجه الرجاء

من دار أمواتها أشراف وأحياؤها أجلاف بها ضعاف عقول يزعمون أنهم ألفوا وصنفوا كأنهم بقية من أهل الكتاب الذين بدلوا وحرفوا فجئت زائرا مقابر أطلالها وقد خيل لي أنها أول منزل سفر بسر وجها ورحالها ينتظر بها السابقون اللاحقين فقلت السلام عليكم دار قوم مؤمنين فردوا وصاحوا بها واها وأنشدني بديهة صداها

يا راكبا حث المطي لأرض مصر تنحيها
جز بالقرافة واقران * مني السلام لساكنيها
وقل السلام على الكرا * م الاكرمين الفاضليها
لم ألق بعدهم بها * الا جهولا أو سفيها
فكانما الدنيا البخيـ * لة بالعطاء لمجتديها
صرفت دنانير اليها * بنحاس نحس من بنيها
سادت بها فرق العبيـ * ـد فأي حر يرتضيها
فلذا هجرت مقامها * وطلبت أرضا أصطفيها
فاذا امررت فلا تسل * عمن نأى من قاطنيها
وقف المطي بجلق * ان الكرام الغر فيها
عرفت بعرف المجد ها * تيك الربوع لساكنيها

فرحلت الى الوادي المقدس طوى والعزم بأيدي المطايا شبرشقة البين وطوى حتى نزلت تربة عجنت بماء الوحي على رغم أنف النوى ومسحت بها المحيا وحييت أكرم محيا بين الصخرة والطور والبيت المتلألئ فيه سبحات النور

قطعنا في مسافته عقابا * وما بعد العقاب سوى النعيم

ولما رأيته طشت ذهب مملوأ بالعقارب غسلت يد الأمل فيه من الرغائب وانثنيت للشام شامة وجه البلدان وجنة الله في أرضه المحفوفة بالحور والولدان المفروشة بسندس النبات والأشجار اللابسة حلل الرياض المزررة بالانوار المسجفة بزرق الانهار فقالت لي أهلا وسهلا ومدت كرما ونزلا . وتلقتني بصدر رحيب فبت فيها بين تكريم وترحيب

من فوق اكمام الريا * ض وتحت أذيال النسيم

ولقيت بها من فضلائها الاعيان وأدبائها النقية الاذهان والاردان كل كريم تحسد

عليه العيون والآذان هوا عين المجد قره ولوجه المكارم غره ولقلب الدهر فرحة ومسره فكان ممن اجتلاه نظري وعكف عليه في حرم كرمه خاطري

(المولى عبد الرحمن بن عماد الدين الشامي الحنفي) وهو اذ ذاك مفتيها وناشر لواء الافادة بناديها ومحيي من رسوم المدارس كل داثر بها ودارس ان جاد فجوده تميمة للعدم أو وعد فوعده للغنى سلم مع صدق مقال تعقد منه الاقوال بالافعال اذ اذكر ما فيه من محاسن الصفات سجدت له الخناصر كأنه آيات سجدات أو سردت نعوته فكل نعت مقطوع وكل وصف تابع له وهو متبوع وقد متعت منه بما هو ألذ من نيل الوطر وليس العيان كالخبر وهبت علىّ من رياح اقباله قبول وجنوب وأطربتني أنفاسه والكريم طروب وصرف الزمان مغلول اليدين والزمان منقاد لجمع الشمل كأنه عليه دين فقلنا في ظله الظليل ولم نر فيه نقصا سوى أنه قليل وناهيك بطيب عنصر لو رآه النظام أثبت به الجوهر الفرد مع لطف طبع هو شقيق الروض المخجل بلطفه خد الورد وحسن تقرير وتحرير يهتز طربا له كل غصن نضير وبالجملة فهو في كل كمال مفرد مستغن عن التعريف بفضل له لا يحد فانه أصيل عصره وعماد دهره كأنما عناه من قال

أرأيتم في الناس ذات لطيف * يشرح الصدر مثل ذات العماد

حسبها من لطافة انها لم * يخلق الله مثلها في البلاد

وقد دارت بيني وبينه كؤس محاورات لها ثغر الحباب باسم تنتظم منها في جيد الآداب عقود لها بنان البيان ناظم ولما قوضت خيام المقام وزمت مطايا العزائم كتبت له مودعا وشاكرا لما أفاضه علىّ من سوابغ المكارم أقول

قسما بلطف مالك لفؤادي * وبروض أنس مثمر لودادي

وبطلعة نزلت لدى حرم العلا * وبسدة هي قبلة القصاد

انى ارتحلت وذكركم أبدا على * طول المدى ما في الضمير وزادي

يا واحد الدنيا وبيت قصيدها الـ * ـزاهي لدى الانشاء والانشاد

يا ابن العماد لانت عمدة سادة * تمتاح في الاصدار والايراد

ارما غدت أرض الشام لانها * ذات العماد بكم وأي عماد

بل جنة فيها الثناء مخلد * أترى لها بعد البعاد بعاد

وحديث فضلكم المعنعن مجده * أضحى بأصلك عالى الاسناد
يثنى عليه رائح أو غادى * أبدا برغم عشيرة أوغاد
فاسلم ودم فى عزة أيامها * للقائه لبست حلى الأعياد

(وبعد هذا فصل) مولاى هذه نفثة مصدور وغلالة صاد لولاك لم ترو بها الصدور وبديهة غريب عن الاوطان والاحبة مهجور والطبع وان كان فى حلبته جواد فقد يكبو الجواد وقد يبخل الجواد ولكننى أقول كما قال ابن عباد

أنا لولاك ما أتتنى القوافى * فى وهاد من أرضها ونجاد
ان خير المداح من مدحته * شعراء البلاد فى كل نادى

والسلام فأجاب

هذى درار نورها لى هادى * وشهابها رجم على الاضداد
أم روضة بسمت ثغور زهورها * أم حلة وشيت من الابراد
أم تلك أبيات أبيات البنا * رفعت على عمد رفيعن عمادى
بنيت بأيدى فكر قس خفاجة * تبت أيادى فكر قس أيادى
مولاى يا فرد الوجود فضائلا * وفواضلا يا أوحد الآحادى
قد كنت أسمع عن فضائلك التى * شنفتنى من حاضر أو بادى
ولطالما قد كنت أرجو الملتقى * وتبعد الآمال طول بعادى
حتى شهدت جمالكم فلمحتنى * جذبت محبتكم شغاف فؤادى
ودنا الرحيل مخلفا قلبى لكم * وقفا على الاتهام والانجاد
سر بالهنا أما خيال كما لكم * فهو السمير لمهجتى فى النادى
واسلم ولا تنس العمادى انه * ليغال الاحشا بقرب بعاد

(ومما أنشدنى قوله)

سأطمس آثار الهوى آثارها * وأنفض من ذيل التصابى غبارها
لقد آن صحوى من سلاف صبابة * لقد طال ما خامرت جهلا خمارها
هجرت الهوى والزهو حتى اشتياقه * وطيب ليالى اللهو حتى ادكارها
وعفت سبل الهذل بالجد مقلعا * وعفت مسرات جنيت ثمارها
أثام كفيت اليوم بالترك شرها * لعلى غدا فى الحشر أكفى شرارها

فطفت

فطفت أزاهير الصبابة فى الصبا * وقد صار عارا أن أشم عرارها
فلو صائدات القلب أقبلن كالمها * وقبلن رأسي ماقبلت مزارها
وقد كنت أودعت الحجى فاسترده * الى النفس شيب قد أعاد وقارها
وكان شبابي شب نار صبابتي * فلاح نور الشيب أخمد نارها
ترى شيبتي ما عذرها الشيبتي * وقد صبغت قبل الكمال عذارها
تبسم ثغر الشعر فيها تعجبا * لها اذ رأى ليل الشباب نهارها
فما زار وكر الشعر فيها غرابه * ولا دار حتى استوطن البازدارها
عسى الآن عما قد عثرت انابة * يقبل بها للنفس ربي عثارها
عسى رحمة أو نظرة أو عناية * يتم سعودي فى صعود منارها
عسى نفحة من نور نور معارف * تهب فيختار الفؤاد قرارها
ويشرح صدري نور علم مقدس * يريني أسرار العلوم جهارها
وأمنح ألطافا من الانس أبتغي * خفاها ويأبى الوجد الا اشتهارها
وتكشف عن عين البصيرة حجبها * بأنوار عرفان تزيل استتارها
فيظهر لي سر الحقيقة مشرقا * على ظلم الكون التي قد أنارها
وأحظى بحالات من القرب أكتسي * بدنيا وأخرى فضلها وفخارها
ولطف الهي قطب دائرة المنى * فان عليه فى العطاء مدارها

(وقال قبيل موته رحمه الله)

قد شاب فودي حين شاب فؤادي * فكأنما كانا على ميعاد
حسن الخواتم أرتجي من محسن * قد من لي قدما بحسن مبادي
وعمادي التوحيد فهو وسيلتي * فى نيل ما أرجوه عند معادي
ان قيل أي سفينة تجري بلا * ماء وليس لاهلها من زاد
قل رحمة الرحمن من أنا عبده * تسع العباد فمن هو ابن عماد

وكتب الي وهو مريض وقد سمع بعودي لمصر ولم يلبث بعده الا قليلا ما صورته أسعد الله تعالى طالع مصر وما حولها من الامصار وأنجد هذا العصر وما يليه من الاعصار وأيد العلوم وأهليها وأيد دولة الفضائل وطالبيها بدوام سعادة أيام عين أهل المعارف والمعالي وواسطة عقدهم الغالي ونادرة فلكهم العالي الذي هو صدر العلماء وبدرهم

ومن يدور عليه أمرهم فكأنهم فلك هو قطبه أو جسد هو روحه وقلبه علامة العلوم والمعارف وروضة الادب الوريقة وظلالها الوارف شمس عصره وعزيز مصره جامع المزايا والمناقب شهاب الفضل الثاقب أهدى الى حضرته العلية تحف التحية وطرف الادعية المرضية وأنهى اليه شكاية نكاية الشوق واستطالة سلطانه ومدمدة البين واستطالة زمانه وأهنيه برتبة الرياسة العلمية التى بعض صفاتها ولاية مصر المحميه جزء من آلائها وآلاتها حيث أتت تسعى اليه ومد بالامر الشريف رواقها عليه على أن المولى أنوه قدرا وأنبه شأنا وذكرا من أن يهنى بولاية وان أمر أمرها وعلا بين أهل العلا قدرها ومنصب مصر وان عظم موقعه فالمولى بحمد الله تعالى يرفعه والمنصب لا يرفعه وما شرفه المؤثل المعلوم الا بفنون الفضائل والعلوم وحين بلغنا وصوله بالسلامة بتيسير الميسر تحمنا كيف ركب البحر البحر وسلك البر البر وقلنا عاد قس الى عكاظه وعاد قيس بحفاظه ولقد أحسن مولانا السلطان اذ أنام الانام فى حرز العدل والامان بنصب فيصل حكمه وحسام قضائه لحسم مادة الظلم وانتضائه وفتح بذلك باب دولة العرب وروج بضاعة العلم والفضل والادب خلد الله دولة سعادته مدى الليالى والايام ونظم أعوام مدة سلطنته فى سلك التأبيد والدوام ونسأل الله لحضرتكم طول البقاء ودوام العز والارتقاء

(أحمد بن شاهين الشامى) صديقنا الصادق الوداد الفاضل المستغرق بمحاسنه لمراتب الاعداد قناص سوانح الافكار حائز قصب السبق فى كل مضمار أديب حديثه الحسن كقطع الروض ولذة النشوان يخيل لسامعه انه صب عليه الجمان وجرى خلاله ماء البيان تتسابق ألفاظه ومعانيه الى القلوب والآذان حتى لا تدرى أيهما السابق فى الولوج للسمع والجنان فكم هبت شمأل شمائله فنفحت سماء فضائله فيا عجبا كيف همى منه الندى وقد انقشع به غمام الغى عن مطالع الهدى فهو نكتة عطارد الوارث من المجد كل طريف وتالد حتى أدنى جودا يادية الحسان ولم يشق غباره سوابق الاستحسان وله نظم ونثر أرق من دمع الصب وأعذب من زلال القطر غب الجدب

لو بقيت سلكا على الدهور * لعطلت قلائد النحور
وأخجلت جواهر البحور * وهيمت ضرائر الثغور

تهدى الى الاكباد والصدور * روحا يحاكى نفثة المصدور

ولما وافيت فى رحلتى الى الشام نظمنى واياه فى عقد الصحبة سلك الايام فى أويقات كلها أصيل وسحر ولا عيب فيها سوى ما بها من قصر وكذلك أيام السرور قصار فشرفنى بقصيدة أتحفنى بها وهى قوله

أى دهر قد جادلى بابتهاج * وصباح قد لاح لى بانبلاج
وزمان قد من لى بنعيم * وقرآن وافى بأسعد تاج
وازديار من غير وعد حبيب * كشفاه من غير سبق علاج
واجتماع لنا بغير اتفاق * كغنى جاء طالبا ذا احتياج
وسخاء من الزمان بأمنى * نعمة قد أتت لأحوج راجى
بقدوم المولى الامام المقتدى * أحمد السيد الشهاب الخفاجى
الشهاب الذى أضاء فضاءت * شامنا من سراجه الوهاج
زارنا فى دمشق غيث روى * غيث علم من طبعه الثجاج
حين وافى من مصر والسعد عبد * خادم عنده بغير اختلاج
ولو انى وفيت حق قدوم * ساد حظى منه وزاد ابتهاجى
كنت أفرشته جفون عيونى * ورفعت الغبار فوق الحجاج
عالم يخرج الخفى المعمى * من علوم الاولى بلا استخراج
عنده كالصباح من كل علم * مدلهم كالليل أسود داجى
سيدى سيدى تحية داع * مخلص فى الوداد غير مداجى
أشتكى غربتى اليك وانى * بين أهلى فى خسة واندماج
غير أنى شروى غريب لفقدى * أهل ودى وعشرتى وامتزاجى
منهم عمدتى الذى كان دهرا * مفتى الشام مستنير السراج
العمادى ذاك من قد تقضى * عمره فى دعاه ضمن الدياجى
كان والله عطرنا الندلما * نلتقى فى ثناك حين التناجى
كان شيخى وكان خلى اذا ما * نابنى حادث وطب مزاجى
فرمتنى فيه الليالى عنادا * والليالى معروفة باللجاج
فتخلفت فى دمشق وحيدا * فى اعتقال وهمتى فى انفراجى

أيها السيد الجليل المفدى عج * بحاجى عن سير حظى الساجى
فابن شاهين ذو جناح نهيض * بأن لم ترشه كالدراج
كن لراج من فضل جاهك عونا * حيث يمضى ماترى محتاج
جار دهرى على فانظر لامرى * لا تكلنى الى اهتمام احتياج
رق حالى فاجبره قبل انصداع * فمحال فى الكسر جبر الزجاج
كسدت مدة بضاعة فضلى * وبمولاى جاء وقت الرواج
بيننا حق نسبة لكريم * ذى بكور للمجد مع ادلاج
لابن عبد الغنى ذاك المصفى * جوهرا غالبا محلى التاج
قدس الله روحه وحباه * برضاه من غير سبق انزعاج
وابق واسلم فنى معاليك عنه * خلف للسنى بلا معراج
كل وجه تأتيه تلقاه طلقا * سافر البشر وافر الانتاج

ومحمد بن عبد الغنى المذكور كان قاضى العساكر بالروم وله حواش على تفسير البيضاوى وسنذكره ان شاء الله تعالى آخر هذه الريحانة

(الامير محمد بن منجك) الجركسى أصلا ومحتدا الشامى منشأ ومولدا أديب أريب ونجيب وابن نجيب أورق عوده بالشام وأثمر فاذا عددت السجايا عرضا فسجاياه جوهر نشأ بها والدهر أبيض أقمر ونادم العيش والعيش أخضر وللبقاع تأثير فى الطباع والعرق كما قيل لمغرسه نزاع ومن كان جار الرياض لبس طبعه برد نسيمها الفضاض كما لبس النهر الجارى درع النسيم السارى

وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلف

وقد صحبنى بجلق ونسيمه سجسج وخيوط شبيبته بيد الكهولة لم تنسج ولازمنى اذ رأى انعطافى عليه وشبه الشئ منجذب اليه ومدحنى بمدائح أطال فيها وأطاب ما غنم الصحبة ولم يرض من الغنيمة بالاياب ومما كتبه الى من شعره وقد طلبت منه ما اودعه فى الرحلة صورة ما مدحت به مطلع نجوم المعالى وفلك شموس الموالى المولى عبد الرحمن حسين قلد صارم الاحكام بدمشق الشام صينت عن حوادث الايام

آلى الزمان عليه أن يواليكا * يثنى عليك ولا يأتى بثانيكا
اذا سطا فبأحكام تنفذها * وان سخا فبفضل من مساعيكا

ليهن ذا العيد حظ منك حين غدت * علاه ثم حلاه من أياديكا
هلاله نال فوق البدر منزلة * مقبلا وجهه أعتاب ناديكا
مجملا بأياد منك فائقة * معطرا بغوال من غواليكا
وافى يهنى بك الدنيا ونحن به * يا بهجة الدين والدنيا نهنيكا
من ذا يضاهيك فيما حزت من شرف * ومن يدانيك فى حلم ويحكيكا
فالشمس مهما ترقت فهى قاصرة * عن بعض أيسر شئ من مراقيكا
والبدر لمحة نور منك نبصرها * والبحر قطرة ماء من غواديكا
وكل طود تسامى فهو محتقر * اذا بدت وهدة من نحو واديكا
وكل مجد فمن علياك مكتسب * وكل فخر نراه فى حواشيكا
وما حكى السلف الماضى وحدثنا * من السجايا به احدى التى فيكا
تعنو لعفتك الزهاد مذعنة * ويحسد الفلك الاعلى مغانيكا
يا ابن الحسام الذى للدين نصرته * أنت المفدى وكل الناس تفديكا
أعيادنا كلها يوم نراك به * وليلة القدر وقت من لياليكا

ومما مدحت به أيضا المولى المذكور دام فى رغد عيش وسرور

الناس كلهم شراء عطائه * والعيد والنيروز من آلائه
يختال ذا بالحلى من عليائه * شرفا وذا بالوشى من نعمائه
قرت به عين الغزالة واغتدت * مكحولة فى أفقها بضيائه
ما أنبت الادواح بعد ذبولها * الا سقوط الطل من أنوائه
سلسالها ونسيمها من لطفه * وعبيرها من بعض طيب ثنائه
مولى أقل هباته الدنيا فقل * ما شئت فى معروفه وسخائه
عدل له ما زال يورق عوده * حتى استظل الامن فى أفيائه
غيث أغاث به المهيمن خلقه * متفضلا وقضى لهم بقضائه
نجل الذى الأفضال من ألقابه * وحسام دين الله من أسمائه
السعد من خدامه والعزم من * أتباعه والمجد من ندمائه
تسعى المواسم كلها لرحابه * اذ لا بهاء لها بغير بهائه

ومما مدحت به امام الأئمة موضح المشكلات المدلهمة يوسف ابن أبى الفتح امام

حضرة السلطان دام منصورا مظفرا فى كل آن ومكان

قمرا اذا فكرت فيه تعتبا * واذا رآنى فى المنام تحجبا
صادقته فتناولت لحظاته * عقلى وأعرض نافرا متجنبا
متورد الوجنات خشية ناظر * أضحى بريحان العذار منقبا
ساومته وصلا فأعجم لفظه * وأظنه عن ضد ذلك أعربا
أنا منه راض بالصدود لاننى * أجد الهوان لدى الهوى مستعذبا
شيآن حدث باللطافة عنهما * عتب الحبيب وعهد أيام الصبا
وثلاثه حدث بطيب ثنائها * زهر الرياض وخلق يوسف والصبا
علامة الآفاق من أشعاره * لعلومه أضحت طرازا مذهبا
من لو رآه البحر يوما مغضبا * لرأيته من خشية متلهبا
من لو أصاب البر أيسر قطرة * من راحتيه لعاد روضا مخصبا
من لو نظمت الشهب فيه مدائحا * لظننت فكرى قد أساء وأذنبا
ما نسمت سحرية شجرية * باتت تعل من الغمام الاعذبا
نشوانة وافت تجر رفى الربى * ذيلا بمسكى الرياض مطيبا
يوما بأحسن من صفات كماله * أنى تداولها اللسان وأطنبا
من ذا يقاس بماجد جعلت له * أرضا رقاب الحاسدين وقد أبى

ومما مدحت به المبرز فى العلوم المالك أزمة المنطوق والمفهوم والبارع فى المنثور والمنظوم المرحوم عبد الرحمن العمادى مفتى دمشق الشام

بان الخليط ضحى عن الجرعاء * فمن المقيم لشدة وعناء
الله يعلم أن صبحى فى الهوى * سيان بعد رحيلهم ومسائى
تطوى على النائبات كاننى * سر الهوى وكانها أحشائى
وأشد ما يشكو الفؤاد ممنع * فى لحظه دائى ومنه دوائى
ريحانة الحسن التى لعبت بها * ريح الصبا الا راحة الصهباء
تجرى مياه الحسن فى أعطافه * جرى الصبابة منه فى أعضائى
قمر اذا حسر القناع مخاطبا * شخصت اليه أعين الاهواء
ملكت ولاية كل قلب مولع * لحظاته من عالم الانشاء

ان يخفه ليل النوى لجبينه * ضبح ينم عليه بالاضواء
كم بت مطوى الضلوع على جوى * أغضى الجفون به على الاقذاء
فالى م فيه تهتكى وتنسكى * وعلام فيه تبسمى وبكائى
على الزمان يفيدنى حمل المنى * حيث النجابة لاوحد العلماء
نجل العماد ومن بنت عزماته * بيتا دعائمه على العلياء
مجد سما بجناحه حتى لقد * بلغ السماء وفاتها بسماء
تندى أنامله ويشرق وجهه * فيجود بالآلاء واللألاء
يقظ بأعقاب الامور كأنما * جليت عليه حقائق الاشياء
سبحان من جمع الفراسة والهدى * لجنابه السامى على النظراء
ومهابة ساد الولاة ولاؤها * محفوفة بجلالة وبهاء
وشمائلا رقت كما خطرت على * زهر الربيع بواكر الانداء
مولاى بل مولى البرية فى صفا * صدق الطوية من بنى حواء
أنت الذى مازلت ترب ولاية * وأبو الورى فى طينه والماء
تتلو على سمع المحامد والثنا * آيات مدحك ألسن النعماء
لله أم ما غذيت بثديها * الالبان العزة القعساء
أطلعت شمس الفخر فى فلك العلا * وحففتها بكواكب الابناء
المالئون قلوب أهل زمانهم * حبا وأكناف الرجا بغناء
والضاربون خيام سوددهم على * هام السماك ومفرق الجوزاء
يامو ردا حامت عليه غلتى * مذ جئته مستسقيا ورجائى
وافتك من صوغ القريض فرائد * نظمت بأيدى الفهم والآراء
لا بل سقيت رياض فكر ماحل * منى بفضلك صيب الآلاء
فهصرت غصن معارف ومآثر * وجنيت نور محامد وثناء
هيهات ماشعر الانام مقارنا * شعرا تشرف منك بالاصغاء

وعما مدحت به أيضا المرحوم عبد الرحمن العمادى المذكور

ياابن الاماجد أنت من * أى الافاضل وابن من
كذب الذى حسب الزما * ن أتى بمثلكم وظن

أيقاس ماغرس المعلا * يوما بخضراء الدمن
والآل بالغيث المغيث اذا توالى أوهتن
العلم سر الله ليس عليه غيرك يؤتمن
والمجد سار الى جنابك من أبيك على سنن
وبك المناصب فخرها * دون الورى من قبل أن
فاليك منى روضة * بالشكر يانعة الفنن
لم لا يطير بى الرجا * الى حماك مدى الزمن
وبذرت لى حب المنى * ونصبت لى شرك المنن
وملكت رق مدائحى * بالخلق والخلق الحسن

ومما مدحت به العلامه قدوة المحققين وعمدة الفقهاء والمحدثين الشيخ أحمد المقرى المغربى سقى الله ثراه سحائب الغفران

فخرا دمشق على كل البلاد بمن * أولى البرية معروفا وعرفانا
المقرى الذى فى بعض أيسرما * حوى من الفضل كل راح حيرانا
شمس من الغرب قد كانت مشارقها * بل دونها الشمس يوم الفخر برهانا
أغر ما أحدقت أيدى الفطام به * الا وأضحى بماء المجد ريانا
تكاد تقرأ فى لألاء غرته * من سورة العزة القعساء عنوانا
له من الفكر ما تحنو لأيسره * ثواقب الزهر ارشادا واذعانا
وسيرة عن أبى حفص تلقنها * الى وقار يضاهى هدى سلمانا
مصاحب حسن فعل الخير يعشقه * مراقب ربه سرا واعلانا
يقضى النهار بآراء مسددة * ويقطع الليل تسبيحا وقرآنا
لاى وردتولى اليوم وجهتنا * وقد غدا بحره الطامى مرجانا
لئن منحنا بحظ من مواهبه * نلنا الثريا وكان الخير عقبانا
شفى بدرس الشفا مرضى درايتنا * لما أفاد مع الايضاح اتقانا
هيهات هيهات من فى القوم يشبهه * هل السراب يضاهى الغيث هتانا
اذا مشى فعلى الاعناق مشيته * وان رأيت رجال الحى ركبانا
ياسيد العلماء العاملين ومن * هو الامام المفدى حيثما كانا

ابرات

أبرأت ذمة دهر جاء يحسنني * بعد الاساءة من لقياك احسانا
دهر يقتل آمالي وأوسعه * اذ أنت من آله مدحا وشكرانا
فطأ كما شئت لا تنفك منتصرا * بأخمصيك من الاعداء تيجانا
واهنأ فأنت الذي أولاه خالقه * من الملائك أنصارا وأعوانا
واسمع لها من قواف لا مماثلها * قول من الشعر الاقول حسانا
واستجلها نزها لو أنها رزقت * حظا لكانت لعين الدهر انسانا

قال ومما أجبت به عن لغز في يراع أرسله الى الفاضل الذي طابت بذكر مآثره الاسماع محمد الكريمي وفي ضمنه لغز في مهند

فدى لك روحي من رشا متبرم * ومن منجد بالمستهام ومتهم
ومن عاتب الاعلى غير مذنب * ومن ظالم الاعلى غير مجرم
سقتني العيون النجل منك سلافة * جرت قبل خلقي في عروقي وأعظمي
وأسلمني فيك الغرام الى الردى * فان كنت من يرضى بذلك فاسلم
بعدت ولي في كل عضو حشاشة * تذوب وطرف هامع الجفن بالدم
ولست ملوما أن من أيقظ النوى * حظوظي التي لم تجن غير تندم
جلبت الى نفسي المنية عندما * رميت فلم تخطى فؤادي أسهمي
أبى الله أن أبكى لغير صبابة * وأرتاع الا من حبيب عذول
سجية نفس لا تزال مليحة * من الضيم مرميا بها كل مجرم
أجمع شراد المعالي وانني * أبيت بفكر في الهوى متقسم
وأندب أوقاتا ألذ من المنى * تقضين لي بين الحطيم وزمزم
تطارحني فيهن ذات تبسم * حديث هوى أحلى من الشهد في الفم
موشحة الاعطاف حالية الطلا * تقلد عقدا من دموعي ومن دمي
أبت أن ترى الا بطرف تفكر * وبلثمها الا شفاه توهم
أبيت سليم القلب منها كأنني * أراقب صفو العيش من فم أرقم
وما أنا من يسلو هواها وينثني * الى أحد غير الكريم المعظم
محمد السامي الجناب ومن غدا * له كرم الاخلاق دون التكرم
همام لقد أضحت مآثر فضله * على جبهة الدنيا كغرة أدهم

ومولى اذا ضن السحاب بوبله * علينا سقانا مسجما بعد مسجم
له سودد حل السما كين رفعة * وذلك ارث فيه من عهد آدم
وكف تحلت بالسماح بنانها * بغير نضار الفضل لم تتختم
فيا روضة غناء باكية الحيا * تبسم عن ثغرى أقاح وعندم
تمد بها ريح الصبا خطواتها * وترفل فى ثوب من النور معلم
بأبهج وجها منه عند هباته * اذا عمت عناه آمالى معدم
فيا ماجدا كل المفاخر أصبحت * الى مجده الوضاح تعزى وتنتمى
أتت تتهادى منك فى مرط دلها * خريدة أفكار وطبع مسلم
وما اصطحبت الا البلاغة محرما * وهل غيرها الابكار يلفى بمحرم
لها صوت داود وصورة يوسف * وحكمة لقمان وعفة مريم
* تسائلنا عما يراه الهنا * لتسطير آجال ورزق مقسم
جرى قبل خلق الخلق فى اللوح بالذى * يكون وما قد كان من قبل فاعلم
يراع يراع الخطب منه وانه * ليثمر من جدوى يديك بانعم
أرانى طريق الفضل حتى سلكته * وأوضح لى من لغزه كل مبهم
فما اسم رباعى اذا بان صدره * غدوت به ذا لوعة وترنم
وما هى الا بلدة فى ربوعها * يهيم فؤاد المستهام المتيم
وان محت الافكار من ذاك ثالثا * بكيت الصبا فيه وعهد التنعم
ويذكرنى أخلاقك الغر شطره * وتحريفه ضد لكم لم يكرم
ويبدى لنا من قلبه الشمس فى الضحى * ويطلع فيها أنجما بعد أنجم
وثانيه محمود لدى كل عاشق * ومن ذا يراه من وشاة ولوم
ويسلى يوم الترحل قلبه * ولكنه من غير كف ومعصم
ويوصل ما بين الملوك وقصدها * وان هم فى أمر على الفور يفصم
حليف نحول لم يذق قط جفنه * مناما ولم يطمع بطيف مسلم
فعول ولكن ليس يدعى بفاعل * فؤول ولكن ليس بالمتكلم
على انه قد بان بعد خفائه * وأصبح مشهورا لدى كل ضيغم
فانزله من ناديك أشرف منزل * وألبسه حليا من قريض منظم

ولولا معانيك العذاب وصوغها * لكان عسيرا بالمديح تكلمي
فقابل جوابي بالقبول تفضلا * وسامح فان الفضل للمتقدم

﴿قال وقلت متغزلا﴾

وافى الربيع فما عليك بعار * خلع العذار ولا ارتشاف عقار
شهباء ليس يجوز عندى مزجها * الا بريقة شادن معطار
تدع الدجى صبحا اذا هى أبرزت * فكأنما اعتصرت من الانوار
فتم هاتها حيث الهزار قد اغتدى * فى الأيك منعكفا على التهدار
طير أعاد الغصن جنكا ركبت * أوتاره من فضة الأمطار
وتبثه ريح الصبا وبينها * ذكر الهوى من سالف الاعصار
فانهض لتغتنم الشبيبة قبل أن * يرمى المشيب الصفو بالاكدار
واشرب على ورد الربى ان لم تجد * ورد الخدود لقلة الدينار
وانصب بفكرك فى الهوى شرك المنى * لوقوع ظل أو خيال سارى
هذا ولست أرى اذا افتقد الذى * أهوى جنان الخلد غير النار
هيهات ما النأى الرخيم ونشوة الخمر القديم ونغمة الاوتار
وحنين هينمة الرياض عشية * وتراسل الاطيار فى الاسحار
عندى بأحسن من مساجلة الاحبة بالصبابة فى سنا الاقمار
من كل معبود الجمال محكم * فيما يشا مستعبد الاحرار

قال وقلت متذكرا المغانى الانس التى اغمت آثارها ولم يبق للامانى ما تشبث به الا أخبارها

قصر الامير بوادى النيرين سقى * رباك عنى من الوسمى مدرار
كم مر لى فيك أيام هواجرها * أصائل ولياليهن أسحار
حيث الشبيبة بكر فى غضارتها * وللصبابة أحلاف وأنصار
حيث الرياض تغنيني حمائمها * بالدف والجنك والميطورلى جار
حيث الخمائل أفلاك بها طلعت * زهر من الزهر والندمان أقمار
حيث المدامة رقت فى زجاجتها * يديرها فاتر الاجفان سحار
عطرية نفضت فيها عوارضه * فتيق مسك له الارواح سفار

ياقوتة أفرغت فى قشر لؤلؤة * فلاح للشرب منها النور والنار
شمس تعاطيتها من راحتي قمر * له من الحسن ما يرضي ويختار
يسعى الى بها تحت الدجى حذرا * من الوشاة لان الليل ستار
متوج الراح بالابريق ذا قرط * مثل الهلال له الجوزاء زنار
يسقى وأسقيه من ثغر ومن قدح * الى الصباح فرباح ومخسار
يضمنا بأعالى القصر ثوب هوى * زرت عليه من الاشواق أزرار
امتع الطرف منى فى محاسنه * وليس عندى من العذال اشعار
حتى تيقظ دهرى بعد ما غفلت * عنى حوادثه والدهر غدار

قال وقلت

سقى الله يوم القصر اذ كان بيننا * حديث كرفض الجمان المنضد
بروض يجول الماء تحت ظلاله * كايم مروع أو حسام مجرد
يلوح به قانى الشقيق وقد حكى * لواحظ مخمور تكحلن باثمد
ويهمى به قطر الندا فتخاله * مبدد عقد فى فراش زمرد
وريحانه الغض الشهى كأنه * مبادى عذار فوق خد مورد
سقانى به راح الرضاب مهفهف * فرحت به لا أفرق اليوم من غد
وبت أظن الجلنار بدوحه * نجوم عقيق فى سماء زبرجد
الى أن بدت شمس النهار كأنها * مجن كمى قد تحلى بعسجد

قال وقلت متغزلا

قم للمدامة يانديم فانها * شرك المنى وحبالة الافراح
حمراء صافية المزاج كأنها * ورد الخدود أذيب فى الاقداح
شمس اذا بزغت لعينك فى الدجى * أغنتك عن صبح وعن مصباح
مسكية أنى فضضت ختامها * عبق الندى بنشرها الفضاح
تفتر عن حبب ثغور كؤوسها * كسقيط طل فى ثغور أقاح
يسقيكها رشأ اذا غنى بها * رقصت لذاك معاطف الارواح

قال وقلت متغزلا

ألديه نهب النفوس مباح * رشأ سافك الدما سفاح

أى أسد تجول حول حماه * وكناس له الظبى والرماح
ابن عشر وأربع لو تبدى * فى دجى الليل قلت لاح الصباح
ماربيع العيون غير محيا * اليه أرواحنا ترتاح
لى من وجنتيه ورد جنى * ومدام من ثغره وأقاح
تتدانى له القلوب وان شط مزار وأبعدت أشباح
ان كتبى اليه صحف الامانى * وبها الرسل بيننا الارواح

قال وقلت فى الشيب

لاتلمنى على اجتنابى للكا * س رويدا فما على ملام
ماترى الشيب فضة فى عذارى * سبكتها بنارها الايام

قال وقلت فى غرض اقتضى ذلك

أساء كبارنا فى الدهر حتى * جرى هذا العقاب على الصغار
لقد شرب الاوائل كاس خمر * غدت منه الاواخر فى خمار

قال وقلت متغزلا

ألفى فؤادى فى أوار * قمر سراه من اسكدار
يعصى الدجى ونواظرى * فى حبه ترعى الدرارى
وأودلو علقت بذيل الوعد منه يدا انتظارى
يجنى فأبدى العذر عنه وليس يرضى باعتذارى
أتراه يدرى بالذى * قاسيته أم غير دارى
أشكو الظما أبدا وما * الحسن فى خديه جارى
أغدو به حيران لا * أدرى يمينى من يسارى
ريم أبت أخلاقه * الا التخلق بالنفار
فعشقته وعليه من * دون الورى وقع اختيارى

قال وقلت متغزلا

وشادن أركبنى * هواه طرف الخطر
مهفهف مبتهج * يهزو بضوء القمر
يكاد أن يشربه * اذا تبدى نظرى
أبيت فيه قلقا * على فراش السهر

كأن عقلي كرة * لصولجان الفكر

قال وقلت متغزلا

بي ريم كناسه المرائى * ما لقلبي من مقلتيه أمان
ذو عذار كأنه ظلمة الشر * ك ووجه كأنه الايمان
وكأنا من أنسه ومحيا * ه بروض تظلنا الافنان
خده الورد والبنفسج صدغا * ه لعيني وثغره الاقحوان
وكأن الحديث منه هو اللؤ * لؤ يرفض بيننا والجمان
وكأن النادي والكأس تجلى * فيه أفق نجومه الندمان
وكأن الانفاس منه نسيم * وكأنا اذا شدا أغصان
وكأن الندمان في دوحة اللهو غصون ثمارها الكتمان
يتعاطون أكؤس العتب اذ طا * ف عليهم بها المنى والامان
ياسقى ذلك الزمان وحياه * ملث من الرضى هتان
زمن كله ربيع وعيش * غصنه يانع الجنى فينان
مرلي بالشآم والعمر غض * وشبابي يزينه العنفوان
ابن عشر وأربع وثمان * هي عيد وبعضها مهرجان

(قال وقلت متغزلا)

نبه جفونك من نعاسك * واسمح بريقك أو بكاس
طاب الصبوح فهاتها * واشرب معي بحياة راسك
ما الورد الا من خدو * دك والبنفسج من نعاسك
أفديك ظبيا أرتجيك وأتقي سطوات باسك
تخشى الاسود مهابة * من أن تمر على كناسك

(قال وقلت متغزلا من قصيدة)

أترى أين حل أم أين أمسى * غصن بان يقل أعلاه شمسا
ليت أني وقد ترحل بيعد * كن أمس لأسطر العين طرسا
لهف شائي يرى المعاهد صما * بعد ما شط والمعالم خرسا
صدع البين منه ثم فؤادا * كان صخرا فعاد بالوجد خنسا

ومنها

(ومنها)

شادن أظلم الخلائق ألحا * ظاوأمضى فعلا وأكبر نفسا
علمته الايام طرق التجنى * والليالى أقرأته الصد درسا
أطلع الحسن فى حديقة خديه * ورودا تركن لونى ورسا

(ومنها)

طالما بت بالحدائق أسقيه ثلاثا حيناوأشرب خمسا
يمزج الكاس بالحديث وما ألطف ذاك الحديث معنى وحسا
لست أدرى أمن عصارة خديه أم الراح صفوما نتحسى
لارأت مقلتى محياه ان كا * ن فؤادى يسلوه أو يتأسى

قال وقلت

لاتتهم بالسوء دهرك انه * جبل يجيب صداك منه صداه
مرآتك الدنيا وفعلك صورة * فيها فما الشنعاء والحسناء

قال وقلت متغزلا

تناهى عنده الامل * وقصر دونه العذل
رشا يفتر عن برد * تكاد تذيبه القبل
يخامر عطفه ثمل * يميل به ويعتدل
بمثل ما يروق لنا * بصفحة خده الخجل
فليت به كما اتصلت * حشاى الطرف يتصل
اذا ما الخدر أبرزه * تناهب حسنه المقل
لقد أغراه فى تلفى * شباب ناضر خضل
وقد حشوه هيف * وطرف ملؤه كحل
فما الخطى غير قنا * قوام زانه الميل
ولا الهندى غير ظبى * حواها الناظر الغزل
سقى خلسا بذى أضم * مضين الصيب المطل
وعيشا حين أذكره * أميل كاننى ثمل
وربعا كنت أعهده * وأنسى فيه مقتبل

بكيت دماعلى زمن * لدى توديعه الاجل
ليال كلها سحر * ودهر كله أصل

وهي طويلة قال وقلت في الحماسة

لعمر أبي راقي السماكين رفعة * وحامي ذمار المجد بالحلم والباس
لما أنا من يرضى القليل من العلا * ولا أنا من يحتسي فضلة الكاس
هي النفس فاحملها على الضيم ان ترد * لها العز وانفض راحتيك من الناس

قال وقلت فيه أيضا

ومنتزه يروق الطرف حسنا * لما فيه من المرأى البديع
تجول كتائب الازهار فيه * وقد كسيت حلى الغيث المريع
وبات الورد فيها وهو شاكي السلاح يميد في الدرع المنيع
حكى منضم زنبقه طروسا * وفيها عرض أحوال الجميع
تنمق طيها أيدي النعامى * وتبعثها الى ملك الربيع

وقلت اذا أنفذت لبعض الاحبة كتابا فقبله وتلطف في حسن الجواب

خذها سطورا اليك قد بعثت * تروم للنفس ما يعللها
في طي بيضاء ظلت من وله * فيك بأيدي اللحاظ أنقلها
أكتبها والدموع تنقطها * بعبرة لاأزال أهملها
لو كان ظني اذا بصرت بها * نيابة عن فمي تقبلها
لرحلت شوقا اليك مندرجا * في طيها والنسيم يحملها

قال وقلت

مهلا سفينة آمالي لعل بأن * تهب يوما رياح اللطف والكرم
وياحظوظي رفقا فالست مدركة * غير الذي قسم الرحمن في القدم

قال وقلت أيضا

وروضة أنس بات فيها ابن أيكة * يغرد والناي الرخيم يشنف
وقد ضمنا فيها من الليل سابغا * رداء بأكناف الغمام مسجف
فظلت عرانين الأباريق بالطلى * الى أن بدت كافورة الصبح ترعف

وهذا معنى تصرف فيه وأبدع وأدار منه على المسامع كاس أدب مترع وقد سبقه

اليه

اليه غيره كابن رشيق فى قوله

صنم من الكافور بات معانقى * فى حلتين تعفف وتكرم
فذكرت ليلة هجره فى وصله * فجرت بقايا أدمعى كالعندم
فطفقت أمسح مدمعى فى جيده * اذ عادة الكافور امساك الدم

لكنه جعل جيد محبوبه منديله فدنسه فلو قال * فجعلت عينى تحت أخمص نعله * لكان أليق بالأدب وممن أجاد فى هذا المعنى ابن برح المكحل الاندلسى فى قوله

ألا بشروا بالصبح منى باكيا * أضر به الليل الطويل مع البكا
ففى الصبح للصب المتيم راحة * اذا الليل أجرى دمعه واذا اشتكا
ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتى * فلم يزل الكافور للدم ممسكا

وقد قلت أنا فى هذا المعنى أيضا

وساق لى السرور غدا طبيبا * له طرف يشير الى التصابى
رأى فى الكاس صب دم الحميا * فذر عليه كافور الحباب

قال ومما قلته أيضا

سقى صوب الحيا زمنا * سرقناه من الغير
وقد مد الغمام ردا * له هدب من المطر

ومما كتبته الى الامير منجك

يا وحيدا فى السجايا * والمزايا باتفاق
وشهابا فى سموا * ت العلى سامى الطباق
وجوادا عنده الافراس عرجا فى السباق
أنت بحر دونه الابحر من بعض السواقى
لا تسهنى حصر أوصا * فك فكرى فى وثاق
راعنى الدهر كما قد * رعت مصرا بالفراق

ومما كتبته الى الامير أيضا

قد بشرتك عصر بعض معاشر * لم يعلموا الاقوال فى تأويلها
مصر أقل ندى أياديك التى * من قبض نائلها أصابع نيلها

وهذا كثير الامثال كقول ابن نباتة المصرى

وافت أصابع نيلنا * فيضا وطافت بالبلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع بل أيادى

وأحسن من هذا كله قولى من قصيدة نبوية

أصابع سيد السادات منها * لقد روى الزلال صدى الفؤاد
فلو منها ينال النيل ظفرا * لما نقص الاصابع للتنادى
وعهدى بالاصابع فى أياد * فكم فى ذى الاصابع من أيادى

* الفاضل أبو الطيب بن رضى الدين الغزى نزيل الشام * كان شامة الشام وغرة الليالى والايام وله فى الفضل والادب فنون ثم تبدلت الفنون كما يقال جنون فاشتغل بدائه وصار هوى الاحبة منه فى سويدائه فاعتزل عن الناس وصار وسواس حليه حلى الوسواس بعدما كان طبعه أرق من شمائل الشمال ومعانيه أدق من دلائل الدلال وشعره لفضله شعار وحسن خطه يتعلم منه الحسن غنمة العذار كقوله

صادفته والحسن حليته * كالريم لا رعشا ولا قلبا
والعيد للالحاظ أبرزه * والبدر أقرب منه لى قربا
أهوى لتهنئتى ومد يدا * وفق المنى فتناول القلبا

ومد اليد المعتاد للمصافحة فى الاعياد مسنون لاظهار القرب والاتحاد فجعله الاخذ الفؤاد معنى بديع ومثله ما قلته فى مد اليد المسنون المأمور به فى الدعاء وهو عالم أسبق اليه فان أمر السائل بمد اليد بمعنى خذ ما طلبت وأزيد

دعوناك من بعد قول ادعنى * فكيف ترد وكنا دعينا
وهذى وجوه الرجاء اغتدت * ترى بعيون الظنون اليقينا
أمرنا بمد يدى سائل * ليملأها أكرم الاكرمينا

ومن شعره قوله من قصيدة

مؤنبى لا برحت فى عذل * حبذا حبه على ولى
غصن دلال أغر طلعته * شمس الضحى فوق ناعم خضل
يجول فى عطفه الدلال اذا * تحمل تغويه فترة الكسل
رقت فى طرس خده قبلا * فظل يمحو بنانه قبلى

واخجل

وأخجل الورد فى نضارته * شقيق خدفى وردتى خجل

وقوله أيضا

ترامت نحوها الابل * وشامت برقها المقل
فتاة من بنى مضر * يجاذب خصرها الكفل
فما الخطاران خطرت * وما الميالة الذبل
تكنفها ليوث وغى * يحاذر بأسها الاجل
لان شط المزار بها * وأقفر دونها الطلل
عثلها الفؤاد به * ويدنيها له الامل
وكم لى يوم كاظمة * فؤادى خافق وجل
وطرف بعد بعدهم * بميل السهد مكتحل
علقت بها غداة غدت * مواطئ نعلها القبل
فان سارت بأخمصها * تداعى الوابل المطل
وان قرت تقر العين فينا يضرب المثل

(وقوله)

لم أنس ليلة زارنى * والبدر يجنح للغروب
ثملا يميل كأنما * عبثت به ريح الجنوب
ولربما جاد البخيل وربما صدق الكذوب
فنهضت اجلالا له * والقلب بالقيا طروب
وفرشت خدى موطئا * فمشى عليه ولا لغوب
وضممته ولثمت فا * ألذ من كاس وكوب
حتى بدا الاصباح وهو لدى من أدهى الخطوب
ولوى به من حيث جاء ومقلتى عبرى سكوب
هذا الذى أهواه اذ * حاز البهاء على ضروب
ملأ المسامع والحوا * طر والنواظر والقلوب

(وقوله)

وشرب أداموا الورد من أكؤس الطلى * وقد أنفوا الاصدار عن ذلك الورد

سقطنا عليهم كي نلذ لديهم * سقوط الندى عند الصباح على الورد

(وقوله)

عاطيته حلب العصير ولا سوى * زهر السماء تجاه زهر المجلس
أنظر اليه كأنه متبرم * مما تغازله عيون النرجس
وكان صفحة خده ياقوتة * وكان عارضه خميلة سندس

وأصله لابن هانئ الاندلسى

عاطيته كاسا كان شعاعها * شمس النهار يضيؤه اشراقها
أنظر اليه كأنه متنصل * بجفونه مما جنت أحداقها
وكان صفحة خده وعذاره * تفاحة حفت بها أوراقها

(وقوله)

خالسته نظرا وكان موردا * فازداد حتى كاد أن يتلهبا
أنظر اليه كانه متنصل * بجفونه من طول ماقد أذنبا
وكان صفحة خده وعذاره * تفاحة رميت لتقتل عقربا

ومن أرباب المدلجين الى منازل الفناء السائرين عند وصولهم الى دار البقاء الامجد الاوحد العلم المفرد

* عبد الحق الشامى المعروف بالحجازى * وهو كما أخبرت به ذوفضل جسيم والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم أما الفصاحة فهو من الغر المحجلين يوم رهانها وأما الفضائل فهو من السابقين فى حلبة ميدانها المرتضعين در المعالى فى حجور الفضائل المرتدين برود المكارم وشملة الشمائل العاكفين فى حرم العفاف المقتطفين لجنى المجد الغض القطاف فمن ثماره المتفتح عنها عيون أنواره الدالة على طيب المغرس وذكاء المنبت قوله من قصيدة طويلة

سقى الربع هطال من المزن ساكب * وجادت عليه الساريات السوارب
هدية رجاف العشى كأنه * كتائب تقفو اثرهن كتائب
وكل صدوق البرق دان ربابه * تنوء فريق الارض منه الهيادب
تزجيه أنفاس الشمال وتمترى * ضروع عزاليه الصبا والجنائب
يروى بها فى سيبها باطن الثرى * وتمحى لسقياها المحول اللوازب

كأن هدير الرعد في جنباته * هدير قروم هيجتها الضوارب
كأن دموع المزن وهي سواكب * دموع محب فارقته الحبائب
فذاك الحيا الازال في أربع الحمى * مريأبه منها الزلال الحضارب
فتصبح منه الارض مخضرة الربى * مجلاة بالريط منها الاهاضب
ويصبح منثورا بها ريق الحيا * كما نثرت من جيدها السمط كاعب
خمائل فيها للظباء مسارح * وفيها لأذيال الرياح مساحب
وفيها لأطراف الغصون ونورها * عيون علت من فوقهن حواجب
كأن ثغور النور وهي بواسم * بأرجائها القصوى نجوم ثواقب
تهادى ظباء الوحش في عرصاتها * كما تتهادى في القصور المرازب
كأن الرسوم الدارسات تصبري * عشية حفت بالقطين الركائب
فوا أسفا لا القلب من سكرة الهوى * يفيق ولا من غيبة الشوق آيب
فمن لي بحفظ العهد من ذي صبابة * أضاعت هواه المذنبات العواتب
تهب معي من همة العجز رعا * تنال بأشفاع الجدود المطالب
فقد تدرك الحاجات وهي فوائت * وقد تصدق الآمال وهي كواذب

وقوله هدية رجاف المراد بالرجاف الماء الجاري وأصل معناه المتحرك المضطرب ولهذا سمي البحر رجافا كما قاله أهل اللغة ولهذا أجاد القائل في مرتعش اليد

ماهز راحته سوى فيض الندى * والبحر من أمواجه لرجاف

وقوله وفيها لأطراف الغصون البيت كقول ابن نباتة السعدي من قصيدة له مطلعها

رضينا ولم ترض السيوف القواضب * نجاذبها عن هامهم وتجاذب

(ومنها)

خلقنا بأطراف القنا في ظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

وتابعه أبو اسحاق ابراهيم الغزي فقال

خلقنا لهم في كل عين وحاجب * بسمر القنا والبيض عينا وحاجبا

وهنا لنا فائدة نفيسة وهي أن من أهل المعاني من ادعى أن بيت الغزي أبدع لما فيه من الطباق بين السمر والبيض ورد العجز على الصدر واللف والنشر ومراعاة النظير وادعى انه يجوز أن يراد بالعين فيه الرئيس وبالحاجب من يتبعه وحجابه والمعنى أن

رماحنا وسيوفنا نالت الحاجب والمحجوب والرئيس والمرؤس مع اشتماله على التورية والاستعارة وهو جميعه مما خلا عنه البيت الاول مع مافيه من الافتخار بقتال الاعداء الثابتين دون المنهزمين فانه لا يفتخر بمثله وبهذا عيب البيت الثانى أيضا وان ذكر صاحب ايضاح المعانى أنه أبلغ لاشتماله على زيادة معنى وهو الاشارة الى انهزامهم وأطال فيه وأسهب وبعد وقرب والحق ماذهب اليه خطيب المعانى فان الفضل للمتقدم وبيت النباتى أحلى لما فيه من التشبيه البديع بجعل أثر الطعنة المستديرة من الرمح عينا وشطبة السيف فوقها حاجبا والاغراب بجعل الظهر محل العين والحاجب وأما انهزامهم فلا يدل على عدم شجاعتهم حتى يخل بالفخر فان الشجاع ينهزم ممن هو أشجع منه ولهذا قالوا الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين كما فر موسى حين هم به القبط وما ذكر من معنى العين والحاجب سخيف وتخيل ضعيف مع أن جعل الضرب فى العين والحاجب من العجائب وقد مر لى مانحوت فيه نحو ابن نباتة بعينه وحاجبه وهو

وتنظره فى قلبى الصب أعين * عليها المحنى الضلوع حواجب

وماذكر من النقد عليه نقله ابن الشجرى فى أماليه عن الشريف المرتضى وقال انه عاب عليه قوله بظهورهم وقال لو قال بصدورهم لكان أمدح لأن الطعن والضرب فى الصدور أدل على الاقدام والشجاعة للطاعن والضارب والمطعون والمضروب لان الرجل اذا وصف قرنه بالاقدام مع ظهوره عليه كان أمدح من وصفه بالانهزام كما قال أبو تمام

حرام على أرماحنا طعن مدبر * وتندق فى أعلى الصدور صدورها

ولذا قال بعض المحققين القول بأن قد للتكثير فى قوله

قد أترك القرن مصفرا أنامله * كأن أثوابه مجت بفرصاد

لمناسبة مقام المدح من قصور الفهم

ثم لم أزل أتوكأ على البيضاء والصفراء * وأقيل تحت قباب الخضراء والزرقاء حتى قذفتنى لهوات المهامه الى حلب الشهباء والناس بين مقوض وراحل وما هذه الايام الاعقب ومراحل اذ ذهب الذين يعاش فى أكنافهم كل مذهب وبقيت فى خلف كجلد الاجرب ان تركته أذى جسدك وان حككته أدميته ولوثت يدك

على أنى من بعد ذلك كله * ولله منى الجد عرضى أملس

فالفيت فيها عصا التسيار عن كاهل العزائم لما تفتحت بها عن زهر المسرة خضر الكمائم فاذاهى روضة مخضرة الافنان أو قطعة من الفردوس أهدتها النا الجنان

وكأنما الخضراء من طرب بها * نثرت كواكبها على الاغصان

ولما حضن كانه وكر لنسر السماء أو هامة معممة بسحابة دكناء أرضها مفروشة بديباج نبت مرصع بالزهور وحيطانها مجللة بستائر البهاء والنور نسيمها أعطر من عرف شميمها وأهلها ألطف وأرق من نسيمها من كل فاضل ملئت بالفضل ثيابه وماجد قد حشى بالكرم اهابه وأديب رقت شمائله (فلولا البرد عسكه لسالا) وعذبت كلماته ورسائله (فأرشفنا على ظما زلالا) فكان ممن لمعت بوارق بشره وباحت خواطر نسيم لطفه باسرار نشره الفاضل الكامل المرتدى بحبر الشمائل العاكف على حرم الافاده الطالع نجمه فى أفق السعاده

﴿أبو الوفاء ابن عمر بن عبد الوهاب الشافعى الفرضى الحلبى﴾ فلقينى منه حبر مجيد وشاعر مجيد وأديب يضع القلادة فى الجيد له فضل لم تنظر عين الدهر لمنافيه بل كلما أجال طرفه رأى كل المنى فيه فاذا وادخصيب النوى والثمر وحديقة منمنمة الاطراف والطرر سقتها غمائم نداه وباكرها صيب جدواه بلا منة لحوامل السحائب ولا انتظار لقوافل الصبا والجنائب صرف نقد أوقاته ورأس مال عمره وحياته فى تحصيل ربح الفضل والعبادة وترك فضل العيش وفضول الناس لما رأى فى تركهما من السعاده ورأى فى كل بكرة وعشيه حبلى جنين نوائبهما فى مشيمة المشيه ولما شمت كرمه وسيبه وردت ربيع ازرت عليه جيبه انتدب للاقاتى وابتدر وخير أنوار الربيع ما بكر وكتب الى مادحا ولزند فكرى قادحا قوله

أرى الشهباء للعلياء قبابا * ألم تر أفقها أبدى شهابا

وقبل كست معالمها الدياجى * مسربلة ذراها والهضابا

وكدر صفو منهلها قتام * أحال شرابها الصافى سرابا

وجرعها كؤوس الجور صرفا * ولو سقى الغراب بها الشابا

وكان الجهل متسع الفيافى * يضل الالمعى بها الصوابا

وضاق العلم ذرعا حين سدت * مناهجه وضاق بها رحابا

تعللها المطامع كاذبات * وكم عادت سحائبها ضبابا

الى أن حلها روح المعالى * وطوق عقد منته الرقابا
امام العلم بحثا واكتسابا * مشيد الفضل ارثا وانتسابا
فواصلها بغير سباق وعد * ووافاها بنعمته احتسابا
فأهلا بالذى منه استنارت * معالمها وقد عزت جنابا
وقد وطئت على هام الثريا * ونظمت النجوم لها نقابا
فقربها وقربها ودادا * وقر عيون أهليها اقترابا
وقد ظفرت بكنز المجد حتى * أحال التبر للذهب الترابا
وفاض بحار كفيه علوما * واتبعها بمنطقه عبابا
ونضر وجه روض الفضل لما * سقاه من مواهبه ربابا
قد ازدحمت بورده عفاة الفضائل حين ماسال انصبابا
وقد ملأوا ركابهم وراموا * ذخائره انتهازا وانتهابا
اذا جال السؤال بفكر شخص * قبيل النطق لباه جوابا
فيا ذخر العلوم فدتك نفسى * وناداك العلا تبغى الثوابا
أقل قلمى عثارا زل فيه * فما وفى المديح ولا أصابا
وكنت نبذت شعرى فى قفار * نسيت الأنس منه حين غابا
اذا الايام قد رفعت بغاثا * تخالت أنها ترقى العقابا
وظنوا أنهم كنزوا علوما * وايم الله ماملكوا نصابا
أأمدح من بنظمى ليس يدرى * حبيبا قد أردت أم الحبابا
وكان القصد من قصدى مجازى * من الممدوح لو فهم الخطابا
ولولا أنك السامى مقاما * له الافلاك طأطأت الرقابا
وكان بمدحك العالى افتخارى * لما أذهبت بالمدح الكتابا
فدم يا زينة الدنيا بمجد * تقنعت العلا منه احتجابا

ثم كتب بعدها لقد طفحت أفئدة العلماء بشرا وارتاحت أسرار الكاملين سرا وجهرا وأفعمت من المسرة صدور الصدور وطارت الفضائل بأجنحة السرور بيمن قدوم من اخضرت رياض التحقيق بأقدامه وغرقت بحار التدقيق من سحائب أقلامه وتلألأت غرر المباحث اشراقا وأجريت مسائل الطالبين فى ميادين التوضيح سباقا

اعنى

أعني به جهينة أخبار العلوم وخازن أسرار المنطوق والمفهوم المؤسس لدعائم الأحكام فرعا وأصلا والسابق في مضمار التحقيقات منذ كان طفلا وقد خدمته بهذه القصيدة التي كتبتها اعجلا وكنت أضمرت أن لا أفوه بكلمة منها خجلا لكن ظننت بالمولى كل جميل ورأيت سترها بذيلي السماح والصفح من فضله الجزيل هذا وان العبد كتب تاريخا سماه معادن الذهب في الاعيان المشرفة بهم في حلب سيعرض بعضه عليكم ويأتي بأنموذج منه لديكم وجل القصد أن تكتبوا الى نسبكم وأشياخكم ومقروآتكم وبعض شيء من المنظوم والمنثور لنطرز حلله بطراز المأثور والسلام وأنشدني من شعره قوله

بورد الخد ريحان محيط * وتركى حبه لا أستطيع
وقلت النفس خضرا يا عزولي * كما قد قلت والزمن الربيع

وهذا مثل عامي يقولون النفس خضراء تشتهي كل شيء وقولهم تشتهي الخ جملة مفسرة لخضراء وكأن أصله ما ورد في الحديث أرواح الشهداء في أجواف طير خضر

أخوه محمد بن عمر العرضي فاضل نجيب حسيب محبني وبرد شبابه قشيب وغصنه في رياض المعالي رطيب

اذ غصن ذاك الشباب معتدل * لم تطمع الحادثات في ميله

ومخايل النجابة عليه لائحة وطيور البلاغة في قفص سطور خطه صادحة بكل ما هو أسر من التهاني وأمان الظافر بالاماني وحال فضله زاه بآدابه طرازها وعدات الدهر فيه حان انجازها وقد جود البخيل الشحيح وكم لاح تحت الرغوة من لبن صريح ولم تضل فيه الظنون لما قضت ما في ذمتها من الديون وفكت ما عندها من مغلقات الرهون فأنشدني من مقطعاته وأهدى الي من مخبآته قوله

لم أزل من صحيفة القلب أملي * في دجى الاغتراب سطر مثالك
ناصبا هدب جفن عيني شباكا * فعسى أن أصيد طيف خيالك

وقوله

يا ليلة طالت على عاشق * بات من الوجد على جمر
كليلة الميلاد في طولها * تسح فيها العين بالقطر
كأنها ثكلى حنين لها * أغر قد متته بالفجر

وقوله أيضا

ارفقوا فالفؤاد ليس بجلد * وارحموا زلتي وطول عويلي
أنا شحاذ حسنكم وعيوني * يا غناة الجمال كالكشكول

(وقوله أيضا)

قال لم الحب وضعت على الانف عيونا وفي عيونك مقنع
قلت مذ خط كاتب الحسن نونا * فوق ثغر كحاجبين وأبدع
جعلت العيون أربع على * أن أرى يا رشا حواجب أربع

وقوله أيضا

ما قصرت تلك الليالي التي * في جنحها بت سمير الملاح
لكن أشواقي لذاك الرشا * قد عاجتني خوف وشك البراح
شققت جيبا كالدجى حالكا * عن صدره فانجاب عنه الصباح

(وقوله أيضا)

قد رماني بالهون ساقي زماني * فكأني دردي كاس المدام
فأراقتني الندامى بظلم * في الزوايا وموطئ الاقدام

(وقوله أيضا)

عاب قوم شرب المدام ولم يد * روا بأن التعيب عين العيوب
جبر قلب الاقداح بالراح خير * في اعتقادي من كسر كاس القلوب

وقوله

ان ذاك الرشأ الخشف الذي * مات عنه والده وهو كظيم
زاده موت أبيه قيمة * كان درا فغدا اليوم يتيم

(وقوله أيضا)

قد زهدنا عشقا لدينار خد * سبكته حسنا يمين الباري
وتركت النوال والمال على * أن أرى فيه مالك الدينار

(وقوله أيضا)

كان عهدي بالروم فيها يضوع. العلم والآن ضاع فيها العلوم
شيبت فؤد سيد الرسل هود * ولقد شيبت فؤادي الروم

وقوله

كأن وآمالي اذا ما تقهقرت * وبرق أمانيي سراب وخلب
عروس تجيد الرقص حينا الى ورا * وحينا أماما وهي بالبين تلعب

(وقوله

(وقوله مضمنا)

السيف لما حكاه لحظ ناظره * ناديته بلسان فى الهوى لهج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

(وقوله)

أيها الريم هل ترى بنظره * عل يصحو الفؤاد من بعد سكره
بأبى أنت غصن بان تثنى * وغدا يمزج الدلال بخطره
ألف القد زانها نقطة الخا * ل فأضحى وواحد الحسن عشره
عارض أخضر وبيض ثنايا * سود أوجه عيشتى بعد خضره
أنت زهر غض وقلبى كمام * فلماذا أوقدت بيتك جمره
زرعت مقلتى بخديك وردا * فابحنى قطاف زرعى زهره
يا أباعذرة الملاحة انى * بين موتى هواك من حى عذره
كعبة الحسن كل وقت اليها * فى ركاب المنى أحج بفكره

(ووالد هذين الفاضلين الحبر علامة زمانه شيخ الاسلام عمر بن عبد الوهاب الفرضى)

نسيج وحده وفريد فضله ومجده بحر لا تكدره الدلاء ولا ينزف بعض موارده الملاء لم يزل صدر اللافادة والافتاء بحلب ترعى فى ربيع فضله سوائم الطلب وتآليفه وتصانيفه تنقلها الركبان وتقف دونها سوابق الحسن والاستحسان حتى رقى شرف السبعين وصعد اليها بدرجات السنين رافلا فى حلل الغنى حتى جر الدهر عليه أذيال الفنا وهو آخر من صنف بحلب وأفاد وأجاد ومن أجل مصنفاته شرح الشفا فى مجلدات ولنا عليه اعتراضات بيناها فى شرحنا وله نظم ونثر كقوله فى شرح الجامى على الكافية وله عليه حاشية جليلة

لله در امام طالما طلعت * أنوار افضاله من علمه السامى
ألفاظه أسكرت أسماعنا طربا * كأنها الخمر تسقى فى صفا الجام

ولشيخه محمد بن الحنبلى فيه أيضا

لكافية الاعراب شرح منقح * ذلول المعانى ذو انتساب الى الجامى
معانيه تتلى كأنما * هى الخمرة تبدو اشهسها فى صفا الجام

ولصاحبنا الشيخ عبد الله الدنوشرى

ولله شرح به شرح الصدور لنا * كأنه الدر فى أزهار أكمام
قد أسكر السمع اذ تتلى عجائبه * والسكر لا غرو معروف من الجام

* صلاح الدين الكورانى الحلبى * فاضل شاعر ناظم ناثر مكثر مسهب مطرب معجب رأيته بحلب يعانى حرفة الوراقه ويكتب للقضاة الوثائق التى شدت وثاقه وقد قيده الكبر وعاقه الدهر أبو العبر فجعل بين الغرائب والرغائب وقتل بيسد فكره فى الذروة والغارب وهو فى مهد الخمول راقد قد فرت به النوائب وهو على طريقها قاعد وقد كان امتدحنى بعدة قصائد منها قوله

شهاب المعالى قد أضاءت به الشهبا * وقد أطلعت من غر أفكاره الشهبا
ومن قبل أخبار الثناء تواترت * وقد ملأت أسماعنا لؤلؤا رطبا
وكان التمنى أن يطابق سمعنا * نواظرنا واستغرقت قلبنا حبا
وقد أعربت ألفاظه مع تأخر * عن السبق حتى فاقت العرب العربا
فمن منطق عذب وفضل موجه * الى المدح ايجاباز للحاسد السلبا
بنى غر أبحاث له قد تأسست * فلم يستطع باغى الجواب لها نقبا
اذا كان منه الفهم فى البحث سابقا * وذلك منه لا يفارقه دأبا
فاهلا بمن يحيا به مشرق العلا * وقد كان كالعنقاء جاوزت الغربا
ومن حلب كان الفطام من المنى * فقد يبست منها ضروع المنى حلبا
الى أن أتاح الله بعض بقية * من الحزم حتى زاحموا المنهل العذبا
فتبا لمن قد زاغ عن وده وقد * تبدى ثبوت القول اذ أظهروا الحربا
ومذ قد أتى هذا الزمان بمثله * لبيبا علمنا أنه قد حوى لبا
قد اغدودقت يمناه من برق بشره * وقد سحبت غر المعالى له سحبا
وأسقت أيادى فضله سحب الندا * وقد غرست من حبه فى الحشا حبا
له قلم ان ينفث السحر نافعا * فما ضره أن لا يغادره عضبا
فيا من له فى مصر والشام همة * وباع طويل يبهر الروم والعربا
على حلب لما قدمت تبسمت * ثغور رمانيها وتاهت بكم عجبا
وابناؤها القوم الذين مرادهم * وداد ولا يبغون مالا ولا كسبا

على

على ذا مضى عهد الاخلاء والذى * يروم خلاف الود يستوجب السبا
وأشكو اليك الدهر عبدك اننا * نسائله سلما يجاوبنا حربا
وكم قعدت عن سبقها كل صافن * تسابقها العرجا وتلحقها الحدبا
وانى على فعل الزمان لواجد * بكاء على الخنساء فى صخرها أربى
وقد زعموا أن الدخان مجفف * فداويت دمعى فى تناوله شربا
وفى كل معنى فيه قدرق رقة * أعلاه من كان ساوقه غصبا
وعبدك ذيالك الصلاح مقصر * عدحك لكن لا يقول به كذبا
ولو لم يكن قيد الكتابة عائقى * وثقلة توقيعى الوثائق والكتبا
لحاولت من عجاج فكرك قطرة * كما يشرب العصفور من مائه عبا
فكيف وقد أصبحت عبدا مكاتبا * ولا عتق لى حتى أرى اللحد والتربا
فلا زلت فى أعلى مقام اذا حدت * حداة حجاز فى السرى تطرب الركبا

وأنشدنى له

لعمرك لم أشرب دخانا لاجل أن * تسربه نفس تدانى خروجها
ولكن زنابير الهموم لسعننى * فدخنت حتى يستبين عروجها

ولما أنشدنى هذا أنشدته قطعا لى فى معناه منها قولى

ماشربت الدخان اذ سرت عنكم * لتسلى به عن الاحزان
أحرقتنى الاشواق فالقلب منها * صار بالوجد مخزن النيران
فخشيت الانفاس تفضح حالى * فلهذا سترتها بالدخان

❊السيد أحمد بن النقيب الحلبى❊ سيد عجنت طينته بماء الوحى والنبوة وغرست نبعته فى ساحة الفضل والفتوة له مناقب هى الوشى حسنا وبهجه (اذا نشرت كانت مسكة النشر) وغرائب رغائب فى الكرم واضحة المحجه (بظل بها مستعبد النظم والنثر) اجتليت بجلاب محياه فاكرمنى بجوده ونداه ومدحته شكرا لما أولاه

وكذا الهاشمى مثلك لا عدح الا بهاشمى الكلام

فاستعار ديوانى واشتغل بمطالعته وانتخابه وفى أثناء ذلك دعوته فلم يجب ثم لاقيته فاعتذر بعد عتابه بان اشتغاله بالديوان منع من الملاقاة فانشدنى هذه الابيات

وحقك لم أترك زيارة سيدى * للو يعوق النفس عنه ولا ليت

ولكن بديوانه قت خادما * وقد كان فكري قبل ذلك كالميت
فادهشني حسن به ظلت حائرا * فادخل في بيت وأخرج من بيت

﴿القسم الثاني في محاسن العصر بين من أهل المغرب وماوالاها﴾

﴿مولاي أحمد أبو العباس المنصور بالله﴾ ابن الخليفة أبي عبد الله المهدي بن عبد الله القائم بامر الله الشريف الحسني

من جوهر منه النبي محمد * فعليه من نور الاله بهاء

ملك الآن المطوق بفضائله وفواضله جيد الزمان أنام الانام بيقظة حراسته في حرم فناموا في ظل ظليل تحت رياض السعد والكرم وعطاياه تمائم الفقر واسمه عوذة النعم وبشر محياه لكل ندى وجود سلم وله شرف تحسده الشمس في الشرف وجود جود اذا وكف أقلع السحاب عن مجاراته وكف معدن مجد وحسب وجوهر سيادة ونسب جمع بين نزاره ومعده باع تعد به النبوة والخلافة قبل مده

نسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء

بدر اتخذ أفق المغرب هاله وبحر أفاض على وارده نواله له كتائب آراء الالباب سلبها وبوادر همم ليس الا الارواح طلبها لا تزال تخاطبه من كل أمر عواقبه بكلام بني عبيد أو لبيد وحبيب والوليد أخبرنا الأديب الغشتالي بقسطنطينة أنه لما دعت والده شعوب ووفدت عليه بوارح الخطوب وجلس أخوه الاكبر في مسند الخلافة وسريرها وظل منزها في روضتها وغديرها أظهر انه للملك غير طالب وأنفق رأس عمره في فتح كنوز العلم والمطالب فلما مات أخوه قام ولده في محله واستولى عليه الغرور بخيله ورجله فأرخى عليه الشباب ستارة حجبت عنه الصواب وأشار عليه بعض خدامه بقتل من بقي من أعمامه ليصفي من قذى الاكدار ورده ولم يدر أن من شرب وحده غص وحده فمد شباك مكائده وهي من أعظم مصائده كالحافر بظلفه على مدية حتفه

وأنى تحيه من الشر حيلة * وقد طال ما أودت بعمتالها الحيل

فلما علم بذلك مولاي أحمد وجف مع أخيه بجيش من الروم وجيش من عنده قائلا ان ينصركم الله فلا غالب لكم من بعده فمت على ابن أخيه الهزيمة وعلقت على جيد تدبيره من الخذلان تميمه فأصبح لعنان عزمه ثانيا وذهب للملك الفرنسيس فأمده بما

رجع به للحرب ثانيا فلما التقت الكتيبة السوداء بالكتيبة الخضراء أقلعت سحابة النقع بعدما أمطرت ديمة الدماء الحمراء فكم أسير فى غل ندمه وقتيل طلع بدره فى شفق دمه (فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى) فولج البحر وأغرق نفسه فى مائه الغمر وقال لقصير عمره بيدى لا بيد عمرو فقلصت السعادة عنه ظلها وعقد النحس له عقدة لم يذكر عاقدها حلها وملـه الملوان وضحك على أمله الخذلان فتبرجت لاحمد عروس تلك الممالك مهنأة بالرفاء والبنين وأمست ثغورها النورية باسمة ضواحك متهللة بالفتح المبين فما ألم بتلك الثغور وقلح الاجلاء بمساويك الرماح ولا نبض عرق كفر الا فصده بمباضع الصفاح مع دخوله بيوت الفضل من أبوابها وتحليه دون ملوك الزمان بحلى آدابها حتى انه كان يحضر دروسها ويحيى بمنطقه الرائق دروسها ويطلع فى سماء ديوانه شموسها وله شعر وانشاء بهما طراز المجد موشى فهو رب السيف والطيلسان والقلم المسدد والسنان لازال المغرب به كامل الأهله والشمس تسعى له لتخدم بالسعد محله فمن عقده المنظوم ورحيق أدبه المختوم قوله

حرام على طرف يراه منام * وحل لجسم قد جفاه سقام
وكيف يقلب فى هواه مقلب * وأنى له بين الضلوع مقام
فيا شادنا يرعى الحشى أنت بالحشى * أما لمحل أنت فيه ذمام

وأحسن منه قول الارجانى فى معناه

يرمى فؤادى وهو فى سودائه * أتراه لا يخشى على حوبائه
ومن البلية وهو يرمى نفسه * أن يطمع المشتاق فى ابقائه

وههنا نكتة أدبية وهو أن الارجانى أخذ هذا المعنى من قول الحماسى

قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى

الا أن هذا لا يعد سرقة وانما هو توليد وانتقال من معنى لآخر يضاهيه وهو من سحر البلاغة واستخراج مخبآت كنوز المعانى وقل من يهتدى اليه لدقته وكانت بعض خطاياه عليه غضبى وهى مجردة عليه من صوارم هجرها عضبا فاهدى له حرسى وردة من بستانه وحياه بشير الربيع بنشرها قبل أوانه فأرسلها اليها مع أبيات يسترضيها ويستعطف غصن قامتها بنسيم العتاب ويستعفيها

وافى بها البستان صنوك وردة * يقضى بها لما مطلت عهودا

أهدى البهار محاجرا وأتى بها * فى وقته كيما تكون خدودا
فبعثتها مرتادة بنسيمها * تثنى من الروض النضير قدودا

وهو فى هذا كمن أهدى للبحر الدرر بل للروض الزهر ولا أقول التمر لهجر وقوله أيضا

لا وطرف علم السيف فقد * فى قوام كقنا الخط ميد
ووميض لاح لما ابتسمت * من ثنايا مثل در أو برد
ماهلال الأفق الاحاسد * لعلاها وبهاها والغيد
ولذا صار ضئيلا ناحلا * كيف لا يفنى نحولا من حسد

(وللقطب المكى على منواله)

لا وفرع كدجى الليل غسق * وجبين ضوئه ضوء الفلق
ومحيا كاف الدهر به * وخدود من حواليها شفق
ماأرى الغزلان الاسرقت * منك جيدا والتفاتا وحدق
ثم خافت فتولت شردا * كيف لا يشرد خوفا من سرق

(ومما نسجته على منواله)

لا وغصن راق للطرف ورق * وعليه حلل اللطف ورق
وشموس لم تغب عن ناظرى * والشعر الليل والخد الشفق
وعيون حرمت نومى وما * حللت لى غير دمعى والأرق
ما احمرار الراح الاخجلا * من رضاب سكرت منه الحدق
والذى قد حسبوه حببا * فوق خد الكاس قطرات العرق

(تنبيه) هذا القسم عده أهل البديع من المحسنات كقول عبد الله بن المعتز

لا ورمان النهود * فوق أغصان القدود
وعناقيد من الصد * غ وورد من خدود
ورسول جاء بالميعاد من غير وعيد
ونعيم من وصال * فى ففاطون الصدود
مارأت عينى كعيد * زارنى فى يوم عيد

وقد أشار اليه فى الكشاف ولم يفهمه كثير من الادباء لانه من المعانى الوضعية فلا وجه لجعلها محسنة وقد بينه الامام المرزوقى بما لا مزيد عليه فى شرح قوله

بقيت وفرى وانحرفت عن العلا * ولقيت أضيافى بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

فأشار الى انه جعل ما يذم به من الصفات سواء اتهم اتصافه بها أم لا لغاية تنفره عنه بمنزلة المصائب العظيمة عنده ثم جعل مقسما به تأكيد العظيم فظاعتة ففيه كناية على كناية أو كناية مرتبة على المجاز وهو كثير كقوله

لئن كان ما بلغت عنى فلامنى * صديقى شلت من يدى الانامل

وهذا هو القسم المعدود من المحسنات وكذلك اذا أقسم على الشئ بنفسه أو بمساويه كقوله * وثنايا انها اغريض * وقد ذكره الزجاج وفيه مباحث أخر ليس هذا محلها وأخبرنى الاديب الفشتالى أنه أنشده يوما قول الابيوردى

ولو انى جعلت أمير جيش * لما حاربت الا بالسؤال

فقال صاحب الترجمة لو كان الشعر لى لقلت

ولو انى جعلت أمير جيش * لما حاربت الا بالنوال

وفى معناه قولى فى بعض الرسائل أعز حصون العباد ظهور المطهمة الجياد وخير من ذب عنك العدا من ملكت قلبه بالندى * ونحوه قولى

بنيت حصونا تصون العلا * اذا ما بناء الملوك انهدم
حصونا من العدل من حولها * خنادق فيها مياه الكرم

ولابن الرومى من قصيدة له

وحارب من نعمائه ريب دهره * من البر والمعروف جند مجند

ولما بلغه شرح توضيح ابن هشام الذى صنفه الاستاذ الخال فى مجلدات أرسل اليه عطية جزيلة ورجا منه ارسال نسخة منه وصورة ما كتبه اليه من عبد الله المجاهد فى سبيله الامام المنصور بالله أمير المؤمنين الشريف الحسنى أمد الله بعزيز نصره أوامره وظفر بنصره عساكره الى الفاضل الذى اذا نحا من العلوم نحوا رفع علمه توضيحا وجلا تاليا وهو المقدم ما تمحض من الخلاصة تنقيحا وشرح ما خفى ابانة وتصريحا الفقيه المثيل النبيه النبيل المتقن المتفنن لازال يعمر من دست العلم منصه يعمل فى ميدانها وخده ونصه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى ألهم تثقيف أود اللسان وفتق منه بالبيان رتقا وصرف حكمة الاعراب على ألسنة

الاعراب فامتد شأوها فى مجال الابانة طلقا وأجرى جياد مقاييسه المطردة فلم يتخلف لاحق عن متقدم سبقا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى أرصده سبحانه للسعادة سفيرا ودحض به قوادم الشرك فاصبح مهيضا كسيرا وأعاض جمعه من السلامة تكسيرا والرضى عن آله وأسرته الغر الزهر الذين نم شذاذ كرهم عبيرا وبروق طراز مجدهم حبيرا وعن أصحابه الأعلام الذين فضوا حلق الضلالة المسرودة ولقيت من عاصف بأسهم مبيدا مبيرا وصلة الدعاء العلى هذا المقام الأحمدى المنصورى الحسنى بنصر عزيز يقطف من الفتح زهرات الكمائم وسعد جديد لا يزال قرين عزماته الماضية ما انقدح برق فى مسكة الغمائم فكتبناه لكم من حضرة مراكش حاطها الله وصنائع الله تعالى لهذا الجناب النبوى الكريم المولوى مطردة اطراد كعوب الذابل وأمداد عنايته المطيفة المحدقة بهذه الايالة العلية واكفة الغمام الوابل هذا وانه قد اتصل بنا ما تعرفنا به حسن مثابكم وارسالكم لعل هذا المقام وأنكم ممن ارتشف مجاجة لثته المسكية الختام واستوفى اعاض عنايته البازغة الشارق وشام حياها الواكف غير خلب البارق ليقمص من قمصها الموشى أنيق الشاره ويستشف فى حزب من حل منها اعلوى داره والى هذا فتعرفوا أن أمثالكم من حملة المعارف المتفيئين لظلها الوارف ممن لهم فى هذا الجناب قسط النباهة بين وتر وشفع ونداء أعلامهم فى هذا الباب لم يزل نداء رفع وجنى الكرامة دانى الاهتصار وحظهم منها الاسهاب الذى لا يخل به اقتضاب واقتصار وفئتهم المتحيزة الى هذا المقام لم تزل بالعناية محفوفة تتعرف من تنويه المقدار مزيته وشفوفه وأما الغرض الذى عممتم والقصد الذى به ألممتم من خدمة خزانتنا العلية بتصنيفكم المنقح الفصول المحرر الفروع والأصول شرح توضيح العلامة بن هشام الذى أبرز من مكنونه خفى استتار واكتتام وترك ذكر خالد غير خالد ونسخ من صيته الطريف والتالد فلكم التصريح فى الحقيقة والتفرد بستر الاضمار وسابق الحلبة انما يعرف آخر المضمار فقد وقع فى مجلسنا الكريم موقع القبول وهب له من ايسارنا كل صبا وقبول وتوفرت داعية رغبتنا فى اتمامه واطلاع جنى زهراته من أكمامه لينتسق ان شاء الله تعالى فى سلك خزانتنا العلية اسمه ويثبت بحمد الله فى فهارسها الكريمة رسمه والله تعالى يسدد لكم فى غرض التوفيق مراميا ويجعل قسطكم من التسديد زاكيا وناميا والسلام

﴿فصل﴾

﴿فصل﴾ المكتوب له هذا المنشور الغالى هو أستاذى وخالى علامة العصر فى سائر الفنون وسر الدهر الذى كان فى ضميره عن النقص مصون سيبويه عصره وشافعى زمانه فى مصره تحفة عطارد وهدية الفلك لكل ماجد صاحب الحسب والنسب الزاهد العابد الذى لم تغض له طرفة عين فى غير طلب الفوائد تخرج على والدى ثم لازم العلامة أحمد بن قاسم والعلامة الشمس الرملى ثم بعدهما انتهت اليه الرياسة العلمية وصدر الافادة والتأليف التصنيف وبه تخرجت وبعلمه وبركة دعائه انتفعت قدس الله تعالى روحه وجاد بسحب الرحمة ضريحه

﴿أبو بكر اسماعيل بن شهاب الدين القطب الربانى الشنوانى الوفائى وجده الأعلى ابن عم السيد على الشريف الوفائى التونسى منشأ ومولدا﴾ بحر العربية الذى استمدت منه جداول الفضائل وروض الكمال الذى قامت له الأغصان على سوقها فى الخمائل لو رآه المبرد برد به الغليل أو أحمد لقال أفدى بالعين هذا الخليل فكم قرط وشنف وألف وصنف ولم أدر أماء الحياة أحلى أم بحار راحاته أم ماجرى فى ظلمات نفسه المكتحل من عين دواته أماترى القلم بغير روح منه فشى وطرز حلل القراطيس ووشى فى طرسه جداول تشعبت أنهارها ونبت من السطور على حافاتها رياضها وأزهارها وأنوارها

وكأن الزهور فيها شموع * ولذا قيل انها أنوار

وهو لعمرى ممن تشرفت الصفات بذاته ولذا سميت بالتوابع وتحيرت العبارات فى بديع صفاته اذ رأت مالم ترة عيون المطامع وهو والدى واستاذى وخالى ومن التأم فى زمن الطلب به شعث حالى وهو كما سمعته تلميذ لابى وتخرج بابن قاسم وهو الرحلة العلامة الذى هو لعقد الفضل فى جيد الدهر ناظم وله تصانيف كثيرة شهيرة كشرح التوضيح الذى قرط به آذان الدهر وتوج به رأس الكمال وهامة الفخر ونظم به فى جيد الفضل قلائد السطور فافتضحت حلاوة القطر وطلاوة الشذور

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وكنت كتبت اليه مكاتيب بعد رحلتى وأسر الزمان لى فى طول غربتى منها ماصورته

وجد الصبا للعاشقين رسولا * فشفى باهداء السلام عليلا
قل للاحبة أنتم مذ غبتم * لم ألق وجها للسلو جميلا

فخلعت أيام الوصال قصيرة * ولبست ليلا للهموم طويلا

حرس الله تلك الذات التي بدرها لا يخشى سراره لازالت مشرقة في سماء المعالي أنواره وكلا منها روض كمال المجد أوراقه وثماره وسقاهما من وسمى النعماء كل صيب مغدق بل من ولى سجاياه ما يزهو به خصب كل ربيع ويورق وحيا الله ذلك المحيا وروى مواطن مواطئه التي يفاخر بها ثراها الثريا لازالت الفضلاء لا تنصرف عن ناديه لانه منتهى جموعها ولا برحت الفضائل من سحب بنانه مخصبا ربيع ربوعها كما قلت في قصيدة تمسكت بأذيال أفضاله وتمسكت بعبير نسمات اقباله

فرائد تزهو في ترائب مدحه * وعندي لولا الجيد ما حسن العقد
سقى الله ها تيك الربى سحب راحة * لها نسمات من عواطفه تحدو
فان بقاعا قد سقاها بنانه * لينبت في أرجائها الفخر والمجد

وأنا أسأل الله تعالى أن يطفئ من البعد ضرام صداه بمشاهدة ذلك الوجه الذي يقطر منه ماء بشره ونداه ويحكم في عاتق الفراق سيوف التداني والتلاق فان العبد ما دام في أسر البعد فكره محبوس في سجن الغرام والوجد متعلقة به أشراك النوى والنوائب فهو جازم بأن لا يرفع حجاب همه الناصب وكيف لا وأنا المقلب ممنوء بولائك وثوب الحياة لحمه وسداه منسوج بيد نعمائك فأنت نور حدقة الزمان ونور حديقة الجنان (والسلام) فكتب الى رحمه الله

سلام شذاه يملأ الارض نفحة * تبلغها مني اليك يد الصبا
وتحملها هوج الرياح الى العلا * وتنشرها في الأرض شرقا ومغربا
ويسقى ديار الروم والجو عابس * رذاذ كمال حل فيها وطنبا
ورد عليه الغيم لؤلؤ حليه * ففضض هامات النبات وذهبا
لئن كان عن مصر توارى شهابها * فقد لاح في دار الخلافة كوكبا
وما كان تأخيري جوابك عن قلى * ولكن ضعفي للقريحة شيبا
وشرقني دمع الأسى وأهاضني * على أن قلبي من فراقك غربا
نأت بك يا قس الفصاحة بلدة * وخلفتني بعد الفراق معذبا
فليت الذي شق القلوب برمها * وليت الذي ساق القطيعة قربا

سلام كعرف الروض جر عليه النسيم ذيله بعدما باتت كؤوس القطر تدار عليه

نهاره وليله فأشرقت شمس نهاره على الروابي البطاح وأقبلت ترشق ريق الغوادي من شفاه الشقيق وثنايا الاقاح ونشرت كافور الطل مسكي الشذا على مجامر الجلنار ونصبت على ندي الندا سرادقات من مخيمات الاشجار يهدي الى من ألقت اليه العلوم مقاليدها وملك من التحقيقات الفكرية طارفها وتليدها أفصح من وشي وجوه الطروس بخطوط المعارف وأسبل على عرائس الالفاظ فواضل المطارف لازالت عوارف المعارف غليه منهله وذيول مجده من بحار المكارم مبتله (وبعد) فقد ورد علينا المشرف الكريم فألقينا عليه عصا التسليم واجتنينا من قطوفه الدانية باكورة التصحيح وتصيدنا من غصون همزاته حمائم الترجيع ورأيناه قد اشتمل على عتب أرق من دمعة الكئيب وألطف من معاتبة الحبيب للحبيب غير أن عذري مقبول لا يرد وطول الأسى رفيق لا يود فان المرض لازمني منذ سنوات ملازمة النجوم للافلاك ونصب لصيد الصحة فخاخه والشباك لا يفارقني الا مفارقة الجفن للعين كأنه غريم ملح له علي دين

كأن السقم محتاج لجسمي * فما ينفك عنه قيد شبر

ان أردت القيام من مضجعي فلابد من معين وان مشيت فلا أستغني عن عصا وقرين رفضت يدي القلم وطالما حملته وجفاني بعدما أرضعته من جداول النوال وغذته وارتعشت اليد لفراقه أسفا وندما وصار وجدا الطروس بعده عدما وأصبحت كأني من أهل الكهف والرقيم لا أعرف كم لبثت من السنين وان كان عندي المقعد المقيم (والسلام) وماشكاه في كتابه وألح رماه بأوصابه في دهر أثقلته عصائبه وعضته بالانياب نوائبه فكساه لباس البأس والضر وخلع ثوب الحياة فقال (فثوبا لبست وثوبا أجر) فقلت لما أتى نعي وفاته مضمنا

رحم الله أوحد الدهر من قد * كان في حلية الفضائل حالي

ذاك من قلت سلوة اذ نعوه * ليس حي على المنون بخال

والمصراع الاخير شاهد لترخيم خالد كما ذكره النحاة ولما جاء نعي الحال أخبرت بموت الوالد أيضا فقلت في مرثية له

كأن الليالي غالطتني ولم أكن * أقدر أن أغتر بالمكر والحيل

فقالت اذا أعطيتك الأمن عاجلا * من الرزء هل ترضى فقلت لها أجل

فجاءت بفقدى للذين أحبهم * وقالت لهذا كنت أعنى فلا تسل
لانى لا أخشى مصابا بعيد ذا * فلله ريب الحادثات وما فعل

وهذا معنى مشهور فى كلام فصحاء العرب ولكننى تصرفت فيه مع تسمية النوع تصرفا يعرف حسنه من ذاق حلاوة الأدب وفى هذا المعنى يقول الصولى

كنت السواد لمقلة * يبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

وهو رثاء فى ابن له وأخطأ أصحاب المواهب اللدنية اذ زعم انه رثاء فى النبى صلى الله عليه وسلم وعزاه لغير قائله وفى معناه قول الآخر

فكل ما كنت أخشى قد أصبت به * فليس من بعدهم من فائت جزع

وقال آخر

اعتضت باليأس منه صبرا * واعتدل الحزن والسرور
فلست أرجو ولست أخشى * ما أحدثت بعده الدهور
فليجهد الدهر فى مصابى * فما عسى جهده يضير

وقال أشجع

فما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح

وقال غيره

لعمرى لان كنا فقدناك سيدا * يحق لنا طول التحزن والهلع
لقد جر نفعا فقدنا لك اننا * أمنا على كل الرزايا من الجزع

وقيل لأم الهيثم وهى امرأة مع بلاغتها عالمة باللغة والازهرى كثيرا ما ينقل عنها فى تهذيبه لما مات ابنها ما أسرع ما سلوت عن الهيثم فقالت أما والله لقد رزئته كالبدر فى بهائه والسيف فى مضائه والرمح فى روائه والله لقد فريت كبدى وتصدع قلبى لفقده وبعده وما اعتضت به الا الأمن من الرزايا بعده وقد أوضح هذا المعنى من قال

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

وهو باب واسع لو أردنا نظائره سحبنا ذيل المقال على أثر الملال فلنقتصر على مقدار الكفاية منه

﴿محمد الفشتالى﴾ وزير مولاى أحمد أديب فاس وريحانة فضلائها الأكياس تقدم فيها باستقلاله بقلادة انشائها فاتقا برسائله على سائر أدبائها وكان فى عصره من أجل وزرائها راتعا فى حلل الحبور تبسم له الدولة الأحمدية بثغور السرور وعادالى

القسطنطينيه

القسطنطينية رسولا من ملك الغرب والعود أحمد معينا للسفارة وهل أحد أولى بالرسالة من محمد لانه ممن ألقى فيه مقاليد النهى البشر وسلمت اليه يد التدبير مفاتيح الرأى والحذر وكان بها كثيرا ما يجلو على كأس أنسه ويسامرنى بلبل سمره ونفسه ونحن فى مضمار المحاورة نتجارى حتى مضى لنا معه أو يقات أقصر من ابهام القطاة والحبارى وأقصر من عمر تلاقى الأحباب بل سالفة الذباب لانه ممن أحكم عرى المجد وجذب عنان الشعر وأحكم الحل والعقد فكنت اذا جاذبته أهداب الآداب وأجلت فى ناديه قداح الخطاب كأنى جاث بين يدى الفرزدق أو جرير لانه بصير بعورات الكلام خبير ولما ورد الروم كتبت له مهنيا بالقدوم

قدوم له هذى الثغور بواسم * وليس له غير الزهور مباسم

مسرات اقبال وعزم قوادم * عليها الطير اليمن رفت قوادم

على فترة وافيت للروم مرسلا * فضاءت بنور العلم منها المعالم

فهل أهدت الأيام أعيادها لنا * ففى كل وقت مذ قدمت مواسم

هذا هناء عرائسه على الألباب مجلوه وآياته المحكمة بلسان الزمان متلوه سرت به الليالى والايام حتى كأنه فى فم الدنيا ابتسام ولعمرى لقد أبان هذا الرسول من المرسل كماله ولا غرو أن خص محمد فى زماننا بالرساله قدوم ذهب الافق فى البكر والآصال وهبت على رياض مجده نسمات الاقبال وقد جريت فى هذه التهنئة من الادب على سننه وأردت أن تحيى بها فرائض مذهبه ومؤكدات سننه فمن مولانا نجتنى ثمرات الالباب وتطرز حلل المعارف والآداب فهذا زمان طلعت فيه الشمس من مغربها فان فتح مولانا كنوز فكره فالعبد أحق بطلبها (والسلام) فأجاب بقوله

جذيل حكاك قدرمى بعظيمة * كثالثة الاثفى وهن عظائم

وذكرنى الظعن الذى قد نسيته * فتى مبشر بل منذر لا يقاوم

كأنى بالفضل الذى هو أهله * يغطى عراقا وهو بالنقص عالم

طالعت ابقاكم الله السحاة التى لو رآها الفتح لما انفتح له الى الاحسان باب ولو طالعها البديع ما ارتدى من محسه بجلباب أقسم بتلك الفقر والقوافى وهن القوادم فى جناح الاحسان والخوافى لقد سقتنى من الانس بعد الصحو كاسا دهاقا وملأت

فكرى وهوا المظلم بتنائى السكن اضاءة واشراقا وانى لتارك لعتاب الليالى . اذ جمعتنا فى هذه الديار بامثالكم لازلتم تقيمون رسوم المعالى وتجمعون فى المكارم بين المقدم والتالى بمنه وطوله (والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وله ما شعر تشرب به أفواه الاسماع ورياض منثور تغرد حمائم قوافيه بطرب الاسجاع فمادار بينى وبينه من كؤوس المخاطبه وجال من جياد القول فى مضمار المكاتبه وأنا مسجون بالروم وليس لى غير القضاء والقدر سجان فى ديار ترى العربى فيها غريب الوجه واليد واللسان قولى ملغزا فى حيات الاحقاف الملتفة تحت أغصان المعاطف على كثب الارداف

أيا روضا له ظل * وشمس معارف تعلو
ويا من قوله فصل * وعنصر ذاته فضل
أبن لى ما مقيدة * بردف ماله وصل
بلا قلب محجمة * وفيها العقد والحل
على باب المسرة أو * على كنز الهوى قفل
ويحسن عقدها لكن * اذا حليتها تحلوا

فاجاب وأجاد

وفكر طله وبل * لندب فضله أصل
ونظم أرفع الشهب * لأدنى قدره نعل
لهذى فتكة بكر * عتاق بدئها نصل
وحزتم قصب السبق * فلم يعدلكم خصل
وفزتم من ثنا جزل * عاليس له مثل
فلا زلتم ولازالت * بكم ساعاتنا تحلوا

وكتبت له ملغزا أيضا

أيها المفرد الذى صار جمعا * فى المعالى ورق لفظا وطبعا
أى شئ لدى السموات يلفى * وهو فى الأرض بالجراءة يسعى
ذو ثلاث وأربع ان عددنا * وتراه اذا تحققت سبعا
فاجبنى بجوهر من نظام * كى أحلى به لسانا وسمعا

فاجاب وأجاد

يا بديعا حاز المحاسن طبعا * وكريما له المحامد تسعى
لى لغز أهديته فى برود * من معان كأنها وشى صنعا
حاكه فكر ماهر قد تناهى * فى ضروب البيان أصلا وفرعا
خامس من بروج دائرة الشمس وفى الغاب بالضبارم يدعى
بميادين فكره تتبارى * سبق عندها السوابق صرعى
شقر ذلك اليراع مع دهم نقس * شهب طرس يرضيه حسنا ووضعا
يسعد الكف ساعداها القويا * ن وما للطعان ضاعفت درعا
والقوا فى تميل ميل الغوانى * للفتى حين يشبع الشيخ صفعا
ان عهدى بالرمى عهد قديم * أنت أقوى على قسيك نزعا

وهذا يشير الى قول أبى حية النميرى

رميت وستر الله بينى وبينها * عشية أحجار الكناس رميم
الا رب يوم لو رمتنى رميتها * ولكن عهدى بالنضال قديم

وأنشدنى قصيدة هنأنى بها بفتح فما اخترته منها قوله

بشرى ترف من الزمان المقبل * بعنصة الجذل الذى لم يرحل
يانجل فاطمة وكل مفاخر * نهوا المفاخر دركم بالجندل
لولا ضياء المشرفية والقنا * ضلت كتائبهم بليل أليل
بعساكر رمدت بعثير نقعها * عين الغزالة فى الرعيل الاول
خطبت سيوفك فى منابر هامهم * خطبا تذيقهم نقيع الحنظل

ومنها فى ختامها

هاكم أمير المؤمنين قوافيا * فاحت مجامر طيبها بالمندل
بمديح أهل البيت هزت معطفا * هزؤا بمدح جريرهم والاخطل

وقوله فى جواب اللغز السابق حين يشبع الشيخ صفعا من مزج الجد بالهزل وعليه فانظر قولى فى النتف التى سميتها بالشهب السيارة وهو

قيل ان كان فى الشباب سرور * فبياض الوجوه خير وقار
قلت ردوا الشباب لى واصفعونى * واجعلونى سخرية للصغار

والشئ بالشئ يذكر وأجاد التعاويذى فى قوله

وعلوّ السن قد * كسر بالشيب نشاطى
كيف سموه علوّا * وهو أخذ فى انحطاط

وقوله بعساكر رمدت الى آخره كقول الارجانى

والشمس فرط سناه أرمد عينها * فكحلتها أيدى الجياد باثمد

﴿ومنه قولى فى النتف أيضا﴾

وليل زارنى والسعد وافى * على رغم المنافق والمداجى
رأى ليلى عيون الشهب رمدا * فعصبها بمسودّ الدياجى

وأنشدنى من قصيدة له قالها وقد دعاه داعى النجاح وأسفرت له شمس الظفر من خلف ستارة الفلاح وأنشدته المسره قول شيخ المعره

ابق فى نعمة بقاء الدهور * نافذ الامر فى جميع الامور

وقد قدم من غزاة صدع بها شمل الكفر أى صدع بعد ما خط على صحف البسيطة سطور جيش مترّبة بالنقع غص بعثيرها الوهاد وبرّ بها الفضاء فتضمخ من دم الاعداء بالجساد والربيع قد نقط تلك الصحف ووشاها وخط فى جوانبها النبات وحشاها

وكسا الارض خدمة لك يامولاى دون الملوك خضر الحرير
وغدت كل روضة تشتهى الرقص بشوب من النبات قصير
فهى تختال فى زبرجدة خضرا وتغدى بلؤلؤ منثور

فقدم وله عن ذنوب الدهر صفح والقلاع تعرب عن رفع عزمه بعد ما بناها على الفتح فى يوم عده عيد السرور فهو ملء العيون ملء الصدور فقام بين السماطين وهو اذا رئيس كتابه وناظم عقود الجوهر فى سلك خطابه مهنأ ومنشدا وفى رياض ناديه مغردا بقوله أيضا

قسما بالجفون فى سطوة الملك وقد أبدت بحسن الفتور
وظباها التى بها تحتمى فى * حوزة الصون بارقات الثغور
وبخد يكنى أبا لهب تذ * كى يدا لحسن ناره فى الضمير
وبروض تدب شوقا اليه * عقرب الصدغ فى ليالى الشعور
لهجرنا المنام حتى تناست * بيننا للخيال طرق المسير

يا ظباء سنحن ملتفتات * متلعات أجيادها للنفور
أمن الله روعكن فانى * أرتجى وقفة بوقت مسير

﴿ومنها﴾

نسمة فى باب الامالة تبرى * علل اللين فى القضيب النضير
ماعهد ناريم الفلا وغصونا * تشرق الحسن فى برود البدور
رافضات عهد اهل الوصل * من رجاء يظفى القلب الحرورى
ذاب شوقا وأنفق العمر سعيا * فى رضاكم وماله من شعور
كان خدى مجرى السوابق شهبا * باديات فى لونها المستنير
فاستحالت حمرا وتكمن طورا * من أخاديد جريها فى حفير
باعتكاف يحكى جواد جياد * مندمنات على السرى والبكور

ومن مديحها

يا نسيبا أنت المقدم فى المد * ح فلسنا نرى لكم من نظير
كم نظمتم للحق عقدا اعتزاز * ونثرتم بالحل نظم الفجور
وبضرب الهندى كم قد طرحتم * من ضروب العدا بجمع الكسور
وأدرتم عليهم للمنايا * أكؤسا لم تزل بكف المدير
دام فى العز ملككم ويمنى * عزمكم للفتوح سيف الظهور
ماجرت أفرس الدرارى بغضا * رميا دينها بطول الدهور

قوله يا نسيبا الخ كقول بعضهم مضمنا من قصيدة نبوية

له النسب العالى فيا مادح الورى * اذا كان مدح فالنسيب المقدم

ولله در ابن خفاجة فى قوله

مليك تبسم بشر المنى * بمرآه وامتد خطو الامل
فلم أدر والحسن صنوله * أأبدأ بالمدح أم بالغزل

وكتب الى وقد أصابته حمى فاقتصد يذكر اشتياقه ويشكو ما منعه من ملاقاتى وعاقه أنا فى غربتى وعلتى ونار خليلى لم تبل بعلاقاته غلتى لا أظن نسيان الاخوان وأعتذر لتقصير الزمان

كأن زمانى خاف لحنا فلم يكن * ليجمع بين الساكنين بأوطان

فكتبت اليه

كفاك الله ما تخشى وغطى * عليك بظل نعمته الظليل

أعزالله تعالى أنصار الفياض والحسب وحفظ بحمايته معالم الفضل العامرة بالادب ببقائك بحر وسام من هجوم الخطوب محفوظا بسور رمنيع من احاطة القلوب وأصوات جرس الدعاء به مرفوعه وسدته بحجاب الصنائع ممنوعه وله من عطر الثناء نشر انتشر فلا عل حتى عل نسيم السحر والدهر وان كان ذا غير من تفكر فيه اعتبر وكيف يتسلط عليه بآلامه وهو لا يتسلط على أيادى انعامه فان هم به ونعمته سابغة عليه فقد ورد اتقى شر من تحسن اليه

أتهدى له الايام سقما واغما * مساعيه فى أعناقهن قلائد

فان اعتل فانما اعتل الكرم والكمال وان مرض فقد مرضت الامانى والآمال والقلوب والارواح وان دعونا له فانما ندعو لانفسنا بالصلاح ورب مريض لا يعاد فلا يحرم الاجر مريض الفؤاد فلا أقول

ياليت علته بى غير أن له * أجر العليل وأنى غير مأجور

وقد بلغنى فصده الباسليق وأنه قد بكى دما عرقه العريق

وبات اعتلالك يبكى دما * وتضحك فى جسمك العافيه

وعرق الصحة له فى كل منبت شعرة عين باكية تبكى بدموع العرق على فراق العافية وليس ببكاء وانما من استغرب فى الضحك قد تدمع عيناه كما أن الحزين قد يضحك دهشة مما دهاه فاضحك الله تعالى ثغر فصاحته كما ضحكت تباشير صحته وهنأ الله تعالى الوجود بسلامة الكرم والجود وأطلع كوكب سعده فى أفق الافاقة والاقبال فان لكل زمان مقبل غرة وهلال (والسلام)

﴿فصل﴾ دعانا مرة دعى الصبا فحرك منا ما حركته من عذبات البان أنفاس الصبا الى روض أنيق وواد تزوره السراء من كل فج عميق نبهت عيون أزهاره أكف نسيم السحر وقطت على قدود قضبه بعد اخضرار عاض ربهاته تمائم الزهر

والريح تجذب أطراف الغصون كما * أفضى الشقيق الى تنبيه وسنان

فى مجلس سكرت فيه أباريق المدام فرجعت أصواتها ترجيع تمام وفاقامع خلان وخلص اخوان كل منهم قرة فى عيون المسره فيه طراز حلل الليالى وروضة تنبت

أنوار المعالى تحاسد عليه القلوب والعيون وتختم به صحف الطرف وختامه مسك يتنافس فيه المتنافسون قام لديهم ساق كلف على سين أعطى كافه للابريق أو غصن عبثت به الصبا فكاد يعقد من اللين ذيل حواشي لطفه الرقيق لولا كثيف كثيب ردفه القائم عليه هيف عطفه

لولا سهام جفونه انتظمت * عقدت على وجناته القبل

فنادى حى على الصبوح هلموا الى ريحانة الروح شقيقة نفس الانسان صابون درن الاحزان درياق ملسوع الغموم مطية لهو يرتحل بها من منازل الهموم بازله بستبان من ذهب يصطاد به سوانح الفرح والطرب حيث لا يسمع صراخ لغير الاوتار ولا بكاء الا للقناني ولا رقيبا سوى عيون الازهار فلم يزل يحكم فيهم الكاسات ولا يسمعون من عذب ألفاظه غير خذوهات في يوم شابت ذوائبه من قبل ماطر بالعيشة شاربه فلما دنا المسير وغاب بدر الكاس المنير قام بعضهم الاسكران وذهب حافيا رجلان فنسي نعله وأودع عند الخمار عقله فكأنما غافر هار بالمطارح أحمال أحزانه ورماها وألقى صحيفة فكره والزاد حتى نعله ألقاها فكتبت اليه أعزيه فيها فأخفف عنه مصائب الدهر وأرثيها بقولي على لسانه مداعبا ومفاكها له مطايبا

لقد خاننا دهر وكنا به نعلو * يود هلال الافق لو أنه نعل

وقد كان لى شمل فشتت شملها * وما الدهر أهل أن يدوم له شمل

وكانت تقي بالنفس رجلى فأصبحت * تفارقها من بعد ما آذن الشكل

وقد كنت ذا بشر فأصبحت حافيا * وكم حزنت من بعدها الكعب والرجل

فكم صحبتني في سمر ورشدة * ولم تتخلف عن مرادى ولم تعل

ونقلت الاقدام للراح سحرة * فعدت ولا عقل لدى ولا نقل

كذلك عادات الشراب وفعله * فما اختاره مضنى به وله عقل

وأنشدت خلى حين ضاعت ولم يكن * ليسعفني في ذلك الحدث الجل

وان أخلاء الزمان غناهم * قليل اذا الانسان زلت به النعل

فأنشدني بيتا يثبت مهجتي * لكيما فؤادى عن محبتها يسلو

تزود من الدنيا متاعا لغيرها * فقد شمرت جيداء وانصرم الحبل

فلهفى عليها حين أمست شهيدة * وقد جادها بالدمع قطر له هطل
وأمست على وجه الثرى دون دافن * ولكن بكف السحب أمسى لها غسل

فلما سمعها القشتالى استظرفها جدا وكتب له

رأيت أديبا واضعا كف حائر * على ذقن اذ للهموم به شغل
فقلت له هل بان ألف لون به * نوى قذف أم لا يرجى له وصل
فقال علمتم أن جاريتى يدى * وراحلتى فى كل نائبة نعل
خرجت مع البازى لحان مدامة * رجاء سرور والطريق بها وحل
فأبت وبى من حادث الدهر لسعة * بخفى حنين لا ثراء ولا عقل
نأت عن أديم الأخمصين رقاية * ومابى شعور اذ تخطفها الوبل
كذا فليهل الخطب فى وثباته * بكل كريم لا يفارقه فضل
وفى كل قلب للخطوب مآتم * يحق لأرباب القريض بها شغل
فقلت له ان العيافة تقتضى * بتصحيف نعل ان قدركم يعلو
تعود دهر جودكم وأنى له * فألقت اليه ذا نعلها الرجل

وكتب اليه الاديب زين الدين الاسعافى الحلبى

تعز أخى ان كنت ممن له عقل * ولا تبد أحزانا اذا ذهبت نعل
ولا تعتب الدهر الخؤن فدأبه * اعقد اجتماع الشمل دون المدى حل
لحى الله دهرا لا يزال مولعا * بتكدير صفو العيش ممن له فضل
يفرق حتى شمل رجلى ونعلها * أشد فراق لا يرى بعده وصل
فما شئت فاصنع ما اللبيب بجازع * ولا تارك صفوا اذا زلت النعل
بحقك قم نسعى الى الراح سحرة * نجدد أفراحا لكل صدا تجلو
الى دار لذات وروض مسرة * برحب فناها من غصون المنى ظل

ولابن قلاقس وقد سرقت نعله

قل لنجم الدين يامن تهتدى * من محياه بأسنى قبس
ما الذى أوجب عودى راجلا * بعد أن وافيتكم ذا فرس
خلعوا نعلى لما علموا * اننى من ربعكم فى قدس

* تتمة * يقال فى المثل للمتساويين فى الخبر فرسا رهان وهذا كما أفاده بعضهم باعتبار

ابتداء

ابتداء الجرى لتساويهما حين الارسال وأما فى المنتهى فيغلب سبق أحدهما فكيف يجعلان متساويين وقد ضربت أنا المثل للمتساويين فى الدناءة بفردتى النعل وثورى الحراث فانه لا ينتفع بأحدهما دون الآخر فقلت

وثقيلين هماما افترقا * منهما الدهر أبو الغدر استغاث
فكأن اللؤم قد صاغهما * فردتى نعل وثورى الحراث

وقد ضربت العرب المثل فى هذا برجلى النعامة فقال الشاعر

وانى واياها كرجلى نعامة * على كل حال فى غنى وفقر

قال القالى فى أماليه أى انما فى اتفاقنا لا نختلف لانه ما من بهيمة تنكسر احدى رجليها الا وتنتفع بالاخرى غير النعامة انتهى ولما قدم رغب فى صحبتى وخطب راغبا مودتى وود انقطاعى عمن سواه فلما رأيت محبته وصدق مدعاه كتبت اليه

سلا بانة الوادى لدى المنزل الرحب * متى فقدت غر المناقب من صحبى
فهل فى حماها نفحة عنبرية * قد استودعتها الريح من نفس الركب
وهل بين أطلال الرسوم ونؤيها * حمائم بان فى الربى طيرت لبى
وهل من عهود قد تقضت بقية * يوفى بها حقى ويقضى بها نحبى
سقى الله عهد الأحبة صيبا * من الطرف تغنيه عن الوابل السكب
وهيف غصون جادها هاطل الغنى * فتنبت أوراقا من الشجر القضب
وكل خليل رق رق الود صافيا * فكل ملام فى محبته يصبى
أصدق فيه الظن من ضنتى به * على كل شئ قد عرفت سوى قلبى
وماذاك من سوء الفعال جبلة * فكم جاء سوء الظن من شدة الحب

هذا معنى غير ما قاله المتنبى

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

والحديث شجون ومنها

اذا غاب بدر التم ظلت مراقبا * لمطلعه من مشرق العين والغرب
ولكن شمس الحسن من وجه منيتى * لقد برزت للناظرين بلا حجب
كذاك بشمس الغرب أشرق شرقنا * بفضل له قد شاع فى العجم والعرب
وقد كنت قدما تبت عن كل خلطة * تنكد عيشى وهى من أعظم الذنب

فلما صفا منه الوداد ومشرب * يروق لظام ذيد عن مورد عذب
تقضت على حكم المروءة توبتى * وقد طلعت شمس المعالى من الغرب

وبعد الشعر فصل مولاى أحمد قدم لأفضله الجبال والوهاد فسد على حساده طرق المجد وحاز السيادة من ساعة الميلاد فانك مهدى البها من المهد وهو يعلم أن عقائل الوداد فى خدود الخمول كمينه وأنها لا تتحلى لغير المحرم ولا تبدى زينته فان الزمان مشتق من الزمان والاخوان لتقلب قلوبهم من الخيانة وان أطلع السباخ النخلة الفينانه فقد تنبت المرعى على دمن الثرى وتقطع الأزرار ما الهام من ضيق العرى وما كل جوهر له مشترى وما كل صاحب يعرف قدر العسكرى فلذا نفرت حتى عن ظلى وقاطعت حتى ولدى وأهلى لكن مالك من حسن الاخلاق جذب لك مودتى بالاطواق (والسلام) (قولى وما كل صاحب الخ) اشارة الى ماذكره ياقوت فى معجمه من أن الصاحب ابن عباد تمنى لقاء أبى أحمد العسكرى فكاتبه فى الحضور له فتعلل بكبر السن فلما يئس منه جذب السلطان لذلك الصوب وسار معه فحين أتى عسكر مكرم كتب له

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم * ضعفنا وما نقوى على الوخدان
أتيناكم من بعد أرض نزوركم * على منزل بكر لنا وعوان
نسائلكم هل من قرى لنزيلكم * بملء جفون لا بملء جفان

فأجاب بنثر ونظم منه

أروم نهوضا ثم يثنى عزيمتى * تعود أعضاءى من الرجفان
فضمنت بيت ابن الشريد كأنما * تعمد تشبيهى به وعنانى
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

فلما قرأه استحسنه وقال لو خطر ببالى هذا المثل ما أرسلت ذلك الشعر لكننى ذهلت عنه ثم ان العسكرى قصده مع جم غفير من تلامذته فى ساعة لا يصل اليه أحد فى مثلها لحجبه الحجاب فرفع صوته يقول

مالى أرى القبة الفيحاء مقفلة * دونى وقد طال ما استفتحت مقفلها
كأنها جنة الفردوس معرضة * وليس لى عمل زاك فأدخلها

فناداه الصاحب ادخلها يا أبا أحمد فلك السالفة فبادر له الخدم وحملوه حتى جلس عنده

فاقبل

فأقبل عليه ورفعه الى أرفع مجلس ثم تحادث معه وسأله عن مسئلة فقال له الخبير صادفت فقال له مازلت تغرب فى كل شئ حتى فى المثل السائر فقال تفاءلت من السقوط للحضرة فادر عليه وعلى من معه بصلاة كانوا يأخذونها الى أن توفى الى رحمة الله تعالى فانظر مافى هذه القصة من لطائف الآداب وماللصاحب مع جلالة قدره من مكارم الاخلاق الذى طيرذكره فى الآفاق وخلده فى صحائف الدهور وهكذا فلتسكن الصدور ولما أراد العود الى المغرب قال لى عندى أمانة من مولاى أحمد لا أرى غيرك لها أهلا ومحلا فطال العهد ولم أرلها محلا فقلت ان محلا وان مرتحلا فلما أزف الرحيل كتبت له رقعة فيها أطال الله عمرك طول مواعيدك وجعل آمالنا الكمونية مورقة من سحائب جودك ولعمرى لقد طال المطال فعرقوب لا يبلغ عرقوبه وزاد العتب على الالحاح والعتب بغير جرم عقوبه ولولم يكن أملى أضعف من الذباب ماارتبط بحبال العنكبوت على هذا الباب فلله أنت ما أحلمك وأصبرك على كثرة السؤال والجواب ولم أر مثلك فى الجود اذ بذلت لى ألوف ألوف من الوعود ولم تلمنى على مقابلتها بالكفران وها أناذا تائب شاكر لهذا الحرمان اذ لم يكن لمثلك على منه وأحمد الله على كل حال متبعا للسنة وقد كان يعجبنى قول أبى محمد الحكيم

لبس الثياب وتشييد القصور وفى * تلك الثياب رأينا أنفسا خربه
لأضربن رجائى ألف مقرعة * فيكم وأصلب آمالى على خشبه

فلما رأيت بعد العهود وطول حبال الوعود قلت

طالت مواعيدك ياسيدى * والعمر قد يقصر عن ذا المطال
فخلت آمالى لها دربة * قد علمتها المشى فوق الحبال
ولو ترى مثلا لها رعيا * جرت على فرحتها بالنوال

واللائق بالعارف بالزمان أن لا يعتب على أحد من الاخوان فان الدهر خرف وهرم ولو سأل شقيق شقيقه درهما لقال أودى درم فرحم الله الكرام وعلى الجود الرحمة والسلام وهذه رقعة قصدت بها المزح والمجون ورياضة الطبع الحرون وقولى أودى درم مثل قول الاعشى

ولم يود من كنت تسعى له * كما قيل فى الحرب أودى درم

قال البكرى فى شرح ديوان الاعشى درم هو دب بن مرة بن ذهل كان النعمان يتطلبه

فجهزله سرية فلما ظفروا به مات فى أيديهم قبل وصوله للنعمان فلما سأل عنه قالوا أودى درم فذهبت مثلا انتهى وقصدت به الدرهم لان الدرهم فارسى معرب وأصله درم وقد يتلفظ به على أصله ومثله قولى فى الرجل الجليل يكون خاملا لا يواسيه أحد فاذا مات عظموه وتأسفوا عليه

بكى الخلق ذا الفضل لما مضى * وقالوا ألا ليته لو سلم
ولو كان يسألهم درهما * لقال له الناس أودى درم

﴿فصل﴾ ذكر لى يوما أنه مشتاق للقاءى مستوحش لظلمة التناءى فقلت ما جوابى لك غير قول أبى العيناء للمتوكل وقد قال له قد اشتقت لك يا أبا العيناء فقال له يا سيدى انما يشتد الشوق على العبد لانه لا يصل الى مولاه وأما السيد فتى أراد عبده دعاه وما أكذب الشوق بالمقال ان لم تقم عليه شواهد الاقبال وقد شرح حالتى فى التناءى والتدانى قول ناصح الدين الارجانى

واذا رأيت العبد يهرب ثم لم * يطلب فمولى العبد منه هارب

فاهتز عطفا وتاه رقة ولطفا ثم قال لى من أى معنى أخذ هذا قلت لا أدرى فقال هو من قول المتنبى

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا تفارقهم فالراحلون هم

فابدأ وأبدع وأعلم انه من الادب برأى ومسمع ومنه أخذ القائل

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفرا * بل المقام على بؤس هو السفر

والمتنبى أخذه من قول الطاءى

وما القفر بالبيد القضاء بل التى * نبت بى وفيها ساكنوها هى القفر

ولما رأى وزراء الروم وما هم عليه من دارس الرسوم من تكبر بلا نفع يرجى وتبختر كل دابة منهم حتى العرجى قال أهؤلاء عنى الغزى بقوله

من آلة الدست ما عند الامير سوى * تحريك لحيته فى حال ايماء
فهو الوزير بلا أزر يشد به * مثل العروض له بحر بلا ماء

فذيلته بديهة له فقلت

عسى تدور عليهم دائرات ردى * تقطعهم تقطيع أحشاءى

فقد شابه الرئيس المرؤس وقام على حزب الابدان قرع الرؤس وما هذه الدول ان لم

يعرها الآن خلل الا كسقف السماء وقبة الخضراء قائمة بلا عمد ولا اطناب ولا وتد فهي كبيوت الاشعار لا تظل في حضر ولا أسفار كما قلت

جيوش بالها في الملك نفع * حكت صور التصور في كتاب
رأيت قتالهم من غير نبل * كمثل الضرب في كتب الحساب

وعلى بحر العروض يعجبني هنا قول الارجاني

راع الفؤاد نوى الخليط ولم يكن * قبل النوى من حادث بمروع
وأرى فؤادي في الزمان كأنه * بيت العروض يراد للتقطيع

وللخطيري

وعرض بلا ذنب يقطع دائما * كبيت عروض والحوادث أطوار

وقلت في معناه

دوائر أفلاك تلوح بحورها * باصفار نجم قابلتها بتصريع
كما خط في رسم العروض دوائر * جميع الذي فيها معد لتقطيع

وقلت أيضا

واني في تضييع ما قد جمعته * لاجل الذي يولي الوزير من الغنى
كبائع بيت كان فيه مقره * يقول كفاني بيت شعري مسكنا

* محمد بن ابراهيم الفاسي نزيل مصر * شمس فصاحته طلعت في آخر الزمان من المغرب لو رآه ابن سعيد لنسي بفاكهة مفاكهته ذكر المرقص والمطرب ما كنت أظن المغرب تنجب له بمثيل ان الزمان بمثله لبخيل ارتحل لمصر واختلط بناسها وميز حال فصولها وأجناسها لما قدم كتبت له خاطبا العقائل وداده طالبا كؤس المؤانسة على فؤاده

أيا شمس أهل الغرب شرفت مصرنا * وقلدته عقدا نفيسا من الانس
فصار ربيعا باعتدال قدومكم * ولا بدع فيما قلت في شرف الشمس

وكانت حالي معه حاليه وموارد أنسي به من قذا الاكدار صافيه أراضعه ثدي الآداب وأتخذه من مودته تدخل بيت القلب بغير اذن وحجاب الى أن ارتحل الى المحله وجعل كرم قاضيها مقر أمله ومحله وفارق أخلاءه وصحبه لما كابده من محنة الامرين الفقر والغربه فانعطفت عليه أغصان المسرة والهنا وأقام في رياض المكارم

تحت ظلال المنى الى ان حالت الحال واذنت شمس حياته بالزوال فجاد بنفسه وغاب في مغرب رمسه بعدما وقف على أطلال الهمم باكيا على دارس رسوم الكرم وكان مغرما معي بالمزاح لابسا للخلاعة وبرد الجد عنه غير مزاح وأنشدني له يوما قوله

حكيت ابليس خنا * وصورة من عوره
ياسائلي عن العمى * عندي تصف خبره

فقلت له قد سبقك الى هذا الباخرزي في قوله

فلا تحسبوا ابليس علمني الخنا * فاني منه بالفضائح أبصر
وكيف يرى ابليس معشار ما أرى * وقد فتحت عينالي وهو أعور

وهو من قول الآخر

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى * بي الحال حتى صار ابليس من جندي
ولو مات من قبلي لأحييت بعده * طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

وكان اذا أغار على معنى أغار ولا يبالي بأنه يرى مغزاه اذ انجلى الغبار تبعا لمذهب القائل

فان الدرهم المضروب باسمي * أحب الى من دينار غيري

كقوله

ياتاركا شرب القهوة التي * تجلو صدا القلب الكئيب العاني
في ترك مثلك شربها لي راحة * توفيرها وطهارة الفنجان

وهو من قول ابن الرومي

يالائمي في الراح غير مقصر * مازال ظنك سيأفي الراح
فاقل مافي ترك مثلك شربها * توفيرها وطهارة الاقداح

ولم يزل باللهو معروفا وبغزلان النقا مشغولا مشغوفا لاسيما اذا تفتح عن ورد الخدود أكمام العذار وشاهد صنع الله الذي يولج الليل في النهار

وقالوا أتت كتب العذار بعزله * فقلت لهم لا تعجلوا فيها ولي

ويقال ان هذا الامر أذهب خبره وخبره ومحا بيد الفناء عينه وأثره حتى عصفت رياح المنية بروضه الشبيب وهصرت يد الردى يانع غصنه الرطيب فاحتضر واختصر بامر المليك المقتدر لازال جدثه روضة من رياض الجنان ولا برح مجرى لجداول

الرحمة

الرحمة والرضوان فمن العنبر الذى أذكته مجامر فكره وقذفته فى سواحل المحاورة بحور شعره ما أنشده لى من قوله مضمنا

قل للقضيب وراح الريح تعطفه * أثناه برد من الازهار منتسج
أشبهت قامة من نهواه لو طلعت * أعلاك شمس وفقت المسك فى الارج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

(ولابن أبى حجلة مضمنا)

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

(وأنشدنى له أيضا مضمنا)

أأسلوا فى الهوى طعم الهوان * وربع الحسن مأهول المغانى
ومن أهواه واصلنى جهارا * وصرت من الرقيب على أمان
وقد حل العذار بوجنتيه * بمنزلة الربيع من الزمان

(وأنشدنى قصيدة منها)

أتسيل دمعى ثم تسأل ما جرى * عجبا لعمرك ما رأيت وما أرى
هذى دما نفس هواك اذابها * فهمت على خدى نجيعا أحمرا

(ومنها)

من كان يقبضه جلال الحب عن * بسط الجمال فلم يزل متحيرا
فأنا جمالى الغرام وهكذا * ورد الجمالى لن تراه مكدرا

(ومنها فى حسن الختام)

واليكها والحسن بعض صفاتها * بكرا تحاكيها الملاحة منظرا
قد زفها فكرى اليك ومهرها * نقد القبول وحقها أن تمهرا
حاشاك تهملها ويعرف قدرها * من قد ترى بين الثريا والثرى
ختم البيان بها فكل سليم طبع * صار من عجب بها متحيرا

(وله فى الهجاء مضمنا)

لقد قلت للطورى لما بدا لنا * بجلوده صخر حطه السيل من عل
بوجه كليل الهجر أسود طائل * ألا أيها الليل الطويل الا انجلى

(ومما أنشدنيه لنفسه قوله)

ولما دار بالخدين نبت * حكى عصر الصبا قبل المشيب
تيقنت الوصال وليس وعد * هنالك ولا خلو من رقيب
ولكن دارة القمر استتمت * فدلتنا على مطر قريب

(وأنشدته قولي في معناه)

على خده مذلاح نبت عذاره * جرت أدمعي في الحدقات صبيب
اذا ما استدارت دارة البدر حوله * فان وقوع القطر غير عجيب

(ومما أنشدنيه قوله من لفظه مضمنا)

يا سالب الغصن لين القد والميل * وملبس الشمس ثوب الحزن من خجل
ما شان خدك نبت بل صفا فترا * ءت في سناه ظلال الهدب والمقل
فاثبت على حبه يا قلب تحظ به * فهل سمعت بظل غير منتقل

ومعنى البيت الثاني مما سبق اليه كقول الارجاني

أعد نظرا فما في الخد نبت * حماه الله من ريب المنون
ولكن راق ماء الخد حتى * أراك خيال أهداب الجفون

(ومما قلته في معناه مضمنا)

صقيل خدوده مرآة قلبي * وماء الحسن رقبه وراقا
تحمط به العيون اذا تبدى * وهل طرف يطيق له فراقا
فخالوا رقة الأهداب فيه * عذارا قد كسا بدرا محاقا
وظلنا نجتلي منه محيا * كأن عليه من حدق نطاقا

وكان يهوى بمصر غلاما وقد دب ظل العذار على ورد خده وجعل حارس الحسن بنفسجه سياج ورده هام به هيام سعد بن أنيس بوردة . وهمر وحاله لابسة حال الموده فكان لا يسر الا اذا اصطبح من عذاره بالآس ثم لما أدركه الغرق من الوجد والياس عمل فيه من دوجة لم يدركها مدرك فكان ذلك سببا الصده المهلك فارتحل لافتضاحه للمحلة الكبرى فكتبت له اذ ذاك قصيدة لا جد له الذكرى (منها)

من لم يدم ذكر الحبيب الناسي * ومعاهدا فيها فليس بناس
بي من كسا جسمي السقام وعلني * بمدام دمعي يا له من كاس

في نقطة من خاله برجو الوفا * دمع زيادته بغير قياس
لما خشيت على الكرى من مدمعي * أودعته في طرفه النعاس
يقسو على فؤاده باليته * يعديه لين قوامه المياس
تالله ما حبي لعارض خده * كالورد بل حبي له كالآس
(ومنها) ياجوهرا للمجد صار مجردا * ما أنت الا الروح للاكياس
لولم تحدث عن شمائلك الصبا * لم تكتسب ذا الطيب في الأنفاس
ياراحلا عني ومجرى مدمعي * مافي وقوفك ساعة من باس
عقد على جيد الزمان منظم * روض له ظل على الجلاس
لم أستطع وصفي لهيب صبابتي * من يودع النيران في القرطاس
(ومنها) فاستجلها بكرا نتيجة ليلة * صهباء سالبة عقول الناس
لازال يا انسان عين العصر من * ذكرى بسالف عهدك استئناسي

مولاي أما الشوق فقد اشتعل ضراما وكاد غدا به أن يكون غراما حتى قال فم الجفون بلسان الدمع يانار كوني بردا وسلاما فاني ألقي الى كتاب كريم فاح منه شميم عرار نجد ومابعد العشية من شميم فتمتعت بما هو أحلى من الوصل بعد الهجر ومن الامن بعد الخوف ومن البرء بعد السقم ولم أدر أطيف منام أو زائر أحلام أم قرب نوى بعد البعاد أم حبيب وافى بلا ميعاد من أديب أشرق بدر مجده ساطعا وألبسني برد المسرة أخضر يانعا أهم ببسط مجرى لالتقاط * اذا حاضرت بالدر النسيق

فحداني أن أحث مطي الهمم الى نحو كعبة الفضل والكرم فحركت مجمر الطبع حتى عبق عنبرا وندا وهززت قضب اليراع على خد الطرس فانتثرت أقاحا وورد اوقد كنت ممن زجر عن هذه الصناعة طبعه فانها كما قيل كالياسمين لايسلوي جمعه ولسان التقصير كما قيل قصير لاسيما والجود عبد أنت سيده والفضل عقد أنت مقلده والبلاغة سوار ليس لغيرك عليه يدورداء المعارف مستعار منك وان كان لايسترد وللفصاحة ماء لايجري في غير ناديك وينبوعه لايتدفق الامن أياديك

ولو صورت نفسك لم تزدها * على مافيك من كرم الطباع

وزمان الانس غابت عني أسراره وطريق المجد أظلم دوني ليله ونهاره وانطوى عني دجاه وضحاه فسامرت نسره ونعائمه ونقضت بعصا التسيار نجوده وتهائمه وعود الهوى

قديس وذوي وعهدي قديم بالنضال واني في السبق وقد أثقلني قيد الكلال ولا ينكر من القرائح جمودها ولا من نيران الذكاء خمودها وقد غاض الكرام وفاض اللئام والحر لا يستعبد بغير الوداد ولسان المرء من خدم الفؤاد ولولا ابتسام ثغر المنى وامتداد خط الأمل لنا المل كل قلب عاني بقيات الشوق والاماني فقد صرفت عن كل شئ وجه ميلي لما نفر عني كل شئ حتى صبح ليلي واستوحشت من كل شئ حتى ظلي ومللت حتى الملل فقلت من لليلي ومن لي

ان دهرا يلف شملي بسعدي * لزمان يهم بالاحسان

وفي المثل أعطى العبد كراعا فطلب ذراعا فعسى أن تمنوا بسطور هي سلالم يترقى بها الى السرور ولا زلت ترفل في ثوب بقاء بالصحة معلم وتقبل في ربيع مسرة حماه عن الاكدار محرم الى الظلال عذب المشارب تسطر محامده بين دفتي المشارق والمغارب ما حن صديق الى صديق وصرف بدراهم النجوم دينار الشمس الانيق (والسلام) فأجاب

بقوله أسقيط طل في حديقة آس * أم ذا حباب دار فوق الكاس

أم در ثغر الأقحوانة باسم * أم دمع طرف النرجس النعاس

أم جنة جن النسيم بحسنها * أغصانها من ذاك في وسواس

أم هذه زهر النجوم تزينت * منها السماء هداية للناس

أم ذا هو السحر الحلال حلا أم الـ * ـعذب الزلال وكل عضو حاس

أم رقعة رفعت لواء بيانها * فأتى البديع لها ذليل الراس

نطقت بكل فضيلة ظلت لها الأ * حذاق بين محقق أو خاسي

الشعر فاخر أنجم الشعرى بها * والجو قال الفضل للقرطاس

من ذا يطاولها ومطلع نورها * أفق الشهاب وظلمة الانفاس

وافت فما وفيت بعض حقوقها * الا ببذل النفس والانفاس

طار الفؤاد لها انتقال وقارها * ما في وقوفك ساعة من باس

جاءت تحدث عن محاسنك التي * شدت الى حسن الثنا عراس

أما الفصاحة صح أنك قسها * بالرغم من عمر حسود قاسي

لله در عقيلة أبرزتها * عقلت ببهجتها عقول الناس

من كل بيت كاد يشبه لفظه * معناه كل دق عن احساس

شرحت

شرحت لى الود القديم وذكرت * قلبا فسديتك لم يكن بالناسى
ما أخطأت رشدا وان تك أبطأت * خير اللقا ما كان بعد الباس
فالحب أن أرضى عاترضى وها * حبى وحقك راسخا باساس
كن كيف شئت تشيتى حفظ العهو * د واننى طود الوفاء الراسى
يامن زها حر القريض بلفظه * وغنى به الانشاء من افلاس
ومن استنارت منه مصر وأفقها * لما كساها الفضل خير لباس
ومن انمحى ذنب الزمان لاجله * وغدت به الايام كالاعراس
دمت المقدم فى المجادة والاجا * دة والافادة والندى والباس
واليكها وهى الملاحة نفسها * والحسن بالانواع والاجناس
فاذا أصاخ لها الحسود حسبته * ما بين كأس أوظباء كناس
عذراء تبسط عذر تقصيرى ومن * داء التطاول فهى نعم الآسى
أنى لمثلى أن يجىء بمثل ما * تأتى وأين الشمس من نبراس
لكنها رد السلام سلكت فيه الطول قدر زيادة استئناس
فعليك من أوفى السلام أبره * ممن يكايد بعده ويقاسى
حل المحلة جسمه والقلب فى * مصر لديك وأهله فى فاس

بعد تقبيل ثرى ذلك الثرى الذى عبق فى الشام عنبرا وقلد جيد الزمان دزر الازال منبع البيان . ومنتجع الاعيان ولا برح جوهر حصبائه يغضله العيان على قلائد العقيان هذا وقد وصل الى أوصل الله اليك أسباب العلى وألبسك رائق الحلى كتابك الخطير فى رقعة من محاسن لفظك الرائق الجلباب المذرى برونق ريق الشباب وبهجة من بدائع خطك المستوقف للناظر المخجل بحسنه الوشى الفاخر والروض الناضر فأجنانى ثمر البر يانعا وجلا على وجه الود أبيض ناصعا

وأرانى كيف انقياد القوافى * فى زمام البيان سمعا وطوعا

وفتح للخاطر بابا طالما كنت له هيابا ورفع حجابا تركت القلب وجابا مازلت أغازلها أملا فلا أطيق لها عملا وألاحظها أمدا أذوب دونه كمدا

وفى تعب من يحسد الشمس نورها * ويزعم أن يأتى لها بضريب

لاجرم أنه اقتضانى خالص ود وصحيح عهد لم يلتفت منى الى معذره ولم يكلانى الى

مافى الوسع من المقدره وقد يعوذ على علك بحر القريحة ثمدا وحسام الذهن معضدا فتكلفتها بحكم هذا الغرام تحت حصر وناز ح بصر فان سمحت بالاغضاء وسامحت فى الاقتضاء سلمت لك اليد البيضاء وظهرت لشكرك بالقضاء وأما العذر الذى توخيت ولاعدمت شرحه وحميت بقوة الكلام سرحه فأنت غنى عن تكلفات ايضاحه ومد أوضاحه فالذى يثبت فى النفوس من الود المصون المحروس لا يخشى عليه من تسلط الطموس والدروس ولا أقول ان ودى لك كالتبر اذ لا يصفو مالم يشبه لهيب الجمر ولا كالراح حيث يفتقر فى الرقة الى مر المساء والصباح بل أقول ان ودى لك أبيت اللعن كالفرات العذب يشفى غليل القلب و يطفى لهيب الصب يحل بالارض الميتة فيحييها او يمر بالروضة الذابلة فيتوجها بالازهار و يحليها وأنت أعزك الله لا تثريب عليك اذ كل يعمل على شاكلته و يجرى فى أموره على مقتضى مرتبته فان حنو السيد وأنت ذاك يستكثر قليله واخلاص العبد وهو انا يستحقر كاملا جليله والحق أغلب ومعرفة المرء نفسه أصوب وان تفضلت بالاستفسار عن أحوال العبد فالحال فى خير والمآل يعلمه الله تعالى وبالجملة فسهم المصيبة ان سدده الدهر فعلى مثله وقع والتألم بمثل هذه الحالة قد ارتفع

ولم أر مثل الصبر أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل

وكذلك كل من دعا الصبر لما شاء أجاب وأراه من نشره الافق المنجاب وأقامه بين مبرات وألطاف وأعطاه مما أحب جنى قطاف ولله در القائل

يعيش المرء ما استغنى بخير * ويبقى العود ما بقى اللحاء

وهو الدهر لا يرد عن مراده ولا يصادر فى اصداره وايراده

فيوم علينا و يوم لنا * ويوم نساء و يوم نسر

على أن طول الغيبة ليس لشئ علم الله آثرته على لقيا كم اذ استبدله طوعا لكنه ارتكاب للاخف من الضررين واختيار للاهون من الشرين

عسى غلطا يثنى الزمان عنانه * بدور أمور والامور تدور

فتدرك آمال وتقضى مآرب * ويحدث من بعد الامور أمور

فلذلك قنعت من البحر بالوشل وسرحت فى رياض المنى بين عسى ولعل فقد قيل اذا دار الفلك نعليك أو فلك ولله فى خلقه أمر لا تدرك العقول حكمته وهو الذى ينزل

الغيث

الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وما اجتليته فى كتابك الخطير وروض خطابك المطير استدعى شيأ من نظم العبد ونثره والتنويه بذلك من خامل ذكره فلا عدمت منك مولى على الاحسان مثابر او حكيما الكسرا كسير الخاطر جابرا مع تشتت الحال لبعد مزارك ونأى دارى عن دارك وأقسم أنى صممت على التغافل عن الجواب وهو الاولى بالصواب اذ ليس بلبيب من يقيس الشبر بالباع والجبان بالشجاع وكيف لا وكل من تكلف فوق طاقته افتضح لساعته لكن عدم الامتثال محذور والجا الى ما لا يطاق معذور فتكلفت ما يعرض عليك من المسمطات سوى القصيدة المشار اليها فذكر بعضها فانها متقدمة على ورود مشرفتكم فتلك من سد الخلل وتجاوز عن الزلل والله يبقيك ومن كل سوء يقيك (والسلام) قوله فى القصيدة حل المحلة الخ كقول ابن الخازن

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو * ما بالعذيب ويوما بالخليصاء

(ولابى تمام)

بالشام أهلى وبغداد الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط اخوانى

(وللامير أبى فراس الحمدانى)

ياهل لصب بك قد زدته * على بلايا أسره أسرا

قد عدم الدنيا ولذاتها * لكنه ما عدم الصبرا

فهو أسير الجسم فى بلدة * وهو أسير القلب فى أخرى

(ولابن عبدربه الاندلسى صاحب العقد)

الجسم فى بلد والروح فى بلد * ياوحشة الروح بل ياغربة الجسد

ان تبك عيناك يا من قد كلفت به * من رحمة فهما سهمان فى كبدى

(ولابن الفارض)

كيف يلتذ بالحياة معنى * بين أحشائه كورى الزناد

فى قرى مصر جسمه والاصيحا * ب شآما والقلب فى بغداد

وقلت أنا

شتت النوم والاحبة عنى * مع تأليف أدمعى وولوعى

أنا فى بلدة وأهلى بأخرى * وحبيبى بغير تلك الربوع

فكأن الزمان منى اشترى الصفو بنقد أساله من دموعى

وقوله فى المنثور ودى لك الخ كقول محمد بن سفيان من شعراء القلائد كتبت وما عندى أصفى من الراح * وأضوأ من سقط الزند عند الاقتداح وقول محمد بن القاسم الوزير فى جوابه كتبت عن ود لا أقول كصفو الراح فان فيها جناحا ولا كسقط الزند فربما كان شحاحا ولكن أصفى من ماء الغمام وأضوأ من القمر ليلة التمام فراجعه بقوله كتبت دام عزك عن ود كماء الورد نفحه وعهد كصفائه صفحه ولا أقول أصفى من ماء الغمام فقد يكون معه الشرق ولا أضوأ من قمر التمام فقد يدركه النقص ويمحق وليس ما وقع فيه الاعتراض مختصا بصفو الراح ولا بسقط الزند عند الاقتداح فان أمور هذا العالم هذه سبيلها وجياد الكلام تجول كيفما أرسلها مجيلها وعلى ذكر القصة قلت

ان الصفى الذى قد كنت أعهده * عند الممات ذخر اللود ادمذق
وقد يغص بخير الزاد آكله * وقد يكون من الماء الزلال شرق

(وقلت أيضا)

ان كنت توجعنى باللوم فى زللى * وظلت تبرئ منى الداء بالداء
فقد يسوغ بضرب الظهر غصة من * قد استغاث فلم يجده بالماء

(فصل) كنت فى عنفوان الشباب أهوى الهزل والخلاعة مع هذا الاديب لكثرة ما عنده من الاهواء فكتبت له يوما وقد رأيته يتحدث مع بعض الأحداث ما بال مولاى مغرى بتقديم الذكور على الاناث ومرتكبا آثاما تطلق بها حور الجنان بالثلاث وذلك لان الرجل خير من المرأة بالاتفاق فلذا تخلف عن الخلاق وشق جيب الشقاق كما قلت

أديب مال عن حب الغوانى * وبالغلمان أصبح ذا اكتراث
أقلت برأى أرباب المعانى * فغلبت الذكور على الاناث

وما سواه على خلاف القياس وان لم يخل مثله عن لبس والتباس دائرين تحت لحاف الخطر وممن خالف المعانى الاديب الاصفهانى حيث قال

هاتيك جبيتى ازدهتنى طيبا * أوسعت بها ابن هانئ تكذيبا
لو أمعنت النحاة فيها نظرا * لم تدع الى المذكر التغليبا

والتغليب باب واسع الموارد كثير الصائد والا وابد فلينظر الصواب ولا يرسل البازى فى الضباب

(الوزير عبد العزيز الثعالبي الاديب) ساحر تخلب نفثاته العقول وفاضل الايام من فضله غرر وحجول انذكر رقة طبعه فبالشمال والشمول أو شعره فبأبيات غيره الادارسات رسوم وطلول اذا طرز بكلامه برود المجد تخاله من جاور سكان تهامة ونجد قدت من أديم المجد خلاله ففضح الرياض وبهر السحر أقواله ديمة مجد أمطرت سحائبه وسماء فضل شرف كواكبها مناقبه

شمائل لا جيب الزمان معطرا * حكاها ولا خد الشمول موردا

أطلع في رياض المغرب ورده وسوسنه وأصبح للفقه مالك فضائله في صحف الدهر مدونه غمله بطون الامكان عقيم فلو رآه الثعالبي توج به تتمة اليتيمه اذا أجلى كواعب كلماته فضحت الكواكب نورا واذا أنشأ عد نثر سواه هباء منثورا ولما قدم قسطنطينية الروم اجتمع به الافاضل وعظمه من بها من الصدور والاماثل فكتبت اليه مادحا ولعذب أدبه مانحا بقولي من قصيدة

وافت وطرف النجم مكحول الحدق * وعارض الظلماء في خد الشفق

سكرانة الالحاظ من خمر الصبا * تعثر في ذيل ظلام وفرق

واستعجلت في خطوها تكاد أن * تسبق طيف آمل لها طرق

مائسة تفضح أغصان النقا * لها من الحلى ثمار وورق

فأبصرتني للسقام لابسا * ملابسا من وشي أفكاري أدق

فابتسمت فكاد من بارقها * نجم الدجا يحرقه ضوء الفلق

ما اهتز غصن البان الا فرقا * لانه هيف القد سرق

(ومنها)

ماء الجمال في رياض خدها * راق لناظري ووردة ورق

ما ذقته وماء صفوي كدر * بهجرها فكيف لي منه شرق

وردت أفواه المنى مستعذب * كورد بحر قد نفى قذى الملق

عبد العزيز من يعز مجده * أحيا زمانا فيه للفضل رمق

روض سحاب الفضل جادنوءه * حتى زها مقتطفا ومنتشق

للفضل مالك وفي مضماره * من أشهب بقصب السبق أحق

خذها عروسا ألبست ثوب البها * سعت اليك بين خب وعنق

لو صرد طرقت أسماعه * أهدى لجادر الثناء في طبق
قد وصف السحر لسان طرسها * بعارض خط على خد الورق
حتى غدا العنبر يلقى نفسه * في النار من غيظ لديه وحنق

ومدحه صاحبنا الاديب أبو المعالي الطالوي بقصيدة أنشدنيها منها

لعبد العزيز الاوحدي الثعالبي * بدائع فاقت مبدعات الثعالبي
فما بعدها في الدهر تلفى يتيمة * ولا قبلها وشته أقلام كاتب
سواد سطور في بياض مهارق * وشام على خد الحسناء كاعب
والالمى وسط الشفاه يعل من * جنى النحل ممزوجا بماء المذانب
والارياض قد كستها يد الصبا * طرائف وشي من نسيج السحائب
كأن عليها عبقري مطارف * ومن حلل الديباج وشي عصائب
فكيف ترى عين يتيمة دهرها * وأم سجاياه ولود الغرائب
فلله مولى قد شهدنا بما وشى * مكاتبة الصادين صاب وصاحب
وحكم في نظم القريض خواطرا * أبت غير نظم النيرات الثواقب
فما يشكر القوم يوما وان شدا * بنظم القوافي عنده غير ناعب
فكم بنت فكر قد جلاها بنانه * علينا وما غير الاديب بخاطب
كأن صبا دارين فضت عشية * على عطفها المياس مسك الحقائب
ومرت بوادي الشحر مجتازة اللوى * لوى الرمل فيه البان مرخى الذوائب
تجاذب من نجد شميم عراره * فيرنو لها الحوذان من لحظ غاضب
ووافت حمى الزوراء ليلا فساجلت * على الكرخ دارا بالدموع السواكب
وللغرب الاقصى ثنت من عنانها * تؤم حمى البيضاء عزت لطالب
بحيث ترى البيت الامامي معتلى * تطوف به الآمال من كل جانب
مجر العوالي السمهرية والقنا * ومجرى الجياد المقربات السلاهب
عليها أسود الانس في يوم سلمها * وفي الحرب تلفى داميات المخالب
بها يكلأ الله الخلافة في حمى * مليك قصي العزم داني المواهب
حمى الملك المنصور مولاي أحمد * امام الهدى رامي العدا بالمناقب
أسود على متن السراحيب غابها * من الاسل الخطي دامي الثعالب

تلوي بأيدي الذارعين كأنها * صلال نقانقعورة في مسارب
ترى السمر دنهيا والقتير حبابه * فتكرع في حوض من الدم راغب
مؤيد دين الله مشتجر القنا * ومعترك الهيجاء ماضي القواضب
سليل الوغى ان ينتضي يوم معترك * وفيه المنايا فرقت في الكتائب

(ومنها)

فيا ابن الاولى هذي مناقب فخرهم * وهل بعد هذا الفخر شأو لطالب
لعندي على بعد الديار ونأيها * قلائد نظم كالنجوم الثواقب
ولكن قوافي الشعر كيف أجيدها * وفيكم أتى التنزيل يا آل طالب
واني لأهوى أن أكون مع الصبا * رسولا الى البيضاء تقضي مآربي
لدى ملك داني النوال وكفه * لراجيه أندى من غيوث سواكب
على كل خط من أسرة وجهه * دليل على أن الرجا غير كاذب
لسدته مأوى العفاة بعثتها * أقواف عسى عني تقوم بواجب
عليها من المدح الامامي جوهر * ترقرق ماء في متون القواضب

(وأنشدني الفاضل عبد العزيز بقسطنطينية قصيدة منها)

زجاجة الفجر أبدت حمرة الشفق * ولجة الصبح أخفت نرجس الافق
فبات في زهر الاقداح زهر طلا * وليس غير دخان الند من غسق
والليل قد قلد الاصباح حين بدا * كأسود لابس طوقا من الورق
وما محا الصبح نقس الليل واستترت * سوسانة الفجر يوما وردة الشفق
لكن دم الليل لما سال عندمه * أتت لتقطعه كافورة الفلق
في روضة أودعتها السحب سر شذا * فتم وفد الصبا عن نشره العبق
فيها الكمت كؤس الراح معترك * وليس غير احمرار الورد من علق
حيث الاسنة زرق من بنفسجه * وخضر أوراقه فيهن كالدرق
وللشقيق احمرار في جوانبه * كأنهن جراحات على نسق
وللربيع فوق متون الماء طالعة * بيضاء على زرد مفكوكة الحلق
والروض مثل أبي حفص وبهجته * تخلقه وشذاه ياله كالخلق
نجل السري أبي العباس من ظهرت * آيات سودده في وجهه الطلق

(وعلى منوالها قول الحلى)

فيروزج الصبح أم ياقوتة الشفق * بدت فهيجت الورقاء فى الورق

(وبيت الشقيق من قول القاضى عياض)

انظر الى الزرع وخاماته * تحكى وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

(ولابن الزقاق الاندلسى)

نثر الورد فى الغدير وقد * درجه بالهبوب نشر الرياح
مثل درع الكمى مزقها الطعن فسالت به دماء الجراح

(العلامة محمد كر ولك المغربى) عابد زاهد فهو مشكاة نور تعلق قلبه بالمساجد فاحاديثه مصابيح الانوار وذاته مشكاة العلوم والاسرار وآثاره مشرقة بالكمال وحماه مرتع لسوارح الطلب والآمال تعبق أرواح العلا من حلاه الناد وتفوح فى مجامر الذكاء الوقاد وتبشر بالنجاح وتنادى حى على خير الفلاح مع صيت هو المسك الفتيق والروض المثمر الانيق وخلق بكل ذكر جميل خليق فلا يدركه مبار خلفه جرى هيهات هيهات فات ذا أثرا وكنت وأدهم الشبيبة طرب العنان وورقها خضر مايس الافنان وورقه مطوقة ببدائع الافتنان أورد مساقط الندا حتى علق به حبل الرجا وأتانى ابان الطلب أتجر فى بضاعة الادب فنزلت بساحته وحططت رحلى على ملء سماحته كما قال الكندى

وحططت رحلى فى بنى ثعل * ان الكريم للكريم محل

فوردت منهل افادته الصافى وقرأت عليه علمى العروض والقوافى وهو شفاء الغليل لاسيما فى علم الخليل فقد تخرج به طلابه وضربت به أوتاده وامتدت أسبابه حتى قامت به الادلة وسلمت بلا فاضلة من كل علة وجرت فى بحاره مياه الفضائل حتى كاد أن يكذب القائل (مثل العروض له بحر بلا ماء) فكم وشى رداء الآداب ووشع ورد شمسها من المغرب كما ردت ليوشع ولكل عصر يوشع يرد شمس الفضل بعد الافول وتشرق شمس العصر على القصر والطول يقرى وفود الطلب بيانا ويقر عيون الامل حسنا واحسانا وله فى المعالى أرومه وفى مغارس الفضل جرثومه غذى بلبان الفضل وليدا وعد لبيد اذا قيس بفصاحته بليدا راق فى جيد دهره

قلادة الاوصاف وتحلت بعذب مدائحه أفواه الرواة من سائر الاطراف حتى تهادته الدول تهادى لذيذ الكرى للمقل فهو أندى على الا كباد من قطر الندا وألذفى أفواه الاجفان من كحل الكرى

فالكون اما ناطق فمعظم * حرماته أو ناطق فمسبح

ثم ان الدهر اقتطف ثمرة فؤاده وقطع فلذة كبده ببعض أولاده فهاجر الى طيبة وقال بها فى ظلال النعيم الى أن دعاه لجواره الملك الكريم وكنت كتبت اليه أسليه وأصبره فى بنيه وأعزيه

كن المعزى لا المعزى به * ان كان لا بد من الواحد

لعل الله يخلف ما أخذ من بنيك ومالك ويجعل الباقى منهم كما قيل فى المثل فتى ولا كمالك وأنت لا تعدم أجر الصبر على كمالك فكم نبت من غصن غصون وطلع من حبة سنابل حباتها در مكنون وفى الله الخلف من كل ضائع (وما المال والاهلون الا ودائع) (والسلام) وكان أملى على من أشعاره وبدائع فؤاده وآثاره ما حسدنى عليه الدهر ففرقه أيدى سبا وهجم عليه الضياع والنسيان فنهب وسبى (وسهم الرزايا بالنفائس مولع) *(فائدة مهمة)* فى تفسير هذا المثل قال ابن خالويه فى كتاب ليس أحد يحيى نواة النخلة جريعة الأوس الانصارى فى حديث له وهو أن أوسا ابن حارثة لم يكن له ولد الا مالك ولاخيه خمسة أولاد فلما حضره الموت قال له قومه كنا نأمرك بالتزوج فى شبابك فلم تفعل فقال لم يهلك هالك ترك مالك وان كان الخزرج ذا عدد فليس كمالك ولد فلعل الذى استخرج النخلة من الجريعه والنار من الوثيمه أن يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا يا مالك المنيه ولا الدنيه والعتاب قبل العقاب والتجلد لا التبلد واعلم أن القبر خير من الفقر وشر شارب المشتف وأقبح طاعم المقتعف وذهاب البصر خير من كثير من النظر ومن كرم الكريم الدفاع عن الحريم ومن قل ذل ومن أمر قل وخير الغنى القناعة وشر الفقر الضراعة والدهر يومان فيوم لك ويوم عليك وكلاهما مستحذر وانما تغر من ترى ويغرك من لا ترى ولو كان الموت يشترى لسلم منه أهل الدنيا الشريف الابلج واللئيم المعلهج والموت المقيت خير من أن يقال هبيت وكيف السلامه لمن ليست له اقامه وشر من المصيبة سوء الخلق وكل مجموع الى تلف (حبالك الهلك) قالوا فكان من نسل مالك بعدد الخزرج أو نحوهم (تفسير

الجريعة) التمرة تسمى بها النواة لانها منها والوثيمة حجر القداحة وأمريعنى كثر والهبيت الضعيف الجبان والابلج السيد الوضاح والمعلهج المختلط النسب انتهى
(خاتمة) اعلم أنى كنت فى رحلتى متجرا فى بضائع الفوائد مغرما بصيد الشوارد وقيد الاوابد واستعلام خبر من لم أره من الادباء والفضلاء فسألت من لقيته من المغرب عمن قرب عهده بها من الاعيان وعن خبايا الدفائن التى ادخروها وهم أقل من القليل والدهر حسود بخيل فمن تعطرت بطيب أخباره وتفكهت بباكورة ثماره بالمغرب (حسام الدين بن أبى القاسم الدرعى المغربى) أديب حسام طبعه مرهف ومشرفيه بحلى الآداب والعلم مشرف قدره أعلى من النجوم الزاهيه ومسك مداده يرخص شذاه الغاليه فاخرت الارض السماء بطالع شمسه وعلم قطر به أن يومه خير من أمسه فهو روض تقبل الارض فيه ثغور الزهور وتطرز برود الآداب بما له من المنظوم والمنثور أخبرنا صاحبنا محمد بن ابراهيم الفاسى لازال فى روح وريحان ولا برح جدثه روضة من رياض الجنان أنه أنشده لنفسه مضمنا يخاطب محمد بن يعقوب الاندلسى

ولى صاحب قد هذبت لى يد الصفا * مودته فى غيبة وعيان
ولكن هواى مع هواه تخالفا * تخالف رؤيا السجن للفتيان
فيهوى بنى نجد ولبن خصورهم * وأهوى بنات الغور طول زمانى
يذكرنى حالى واياه قوله * رفيقك قيسى وأنت يمانى

(عبد العزيز الفشتالى) أديب عذب اللسان ماضى شبا السنان له دمث أخلاق وشمائل تجر وراءها ذيول الصبا والشمائل ألطف من وجنات وردعذارها الآس وأسحر من عيون الغيد اذا عارها النعاس ان خط زين برد البلاغة ووشاه وتغاير على أخذ الرقة لفظه ومعناه

فيطرب السمع لالفاظه * ويرقص القلب لمعناه

بهمة هى خدن القضا ولطف طبع ألذ من ذنب محاه الرضى فريد همته الى هضبات الهمة ناظره وحيد تقف دون اشتهاره الامثال السائره عبث بالبيان راحات فكره الساحره فأيقظت من مهد الالفاظ عيون المعانى الفاتره وكان قبل ما جر عليه الدهر ذيوله قام لاقباله وقربه من الدولة العلوية الاحمدية على أمثاله فما ارتشفه فم سمع الآذان وروى بنميره العذب ظامئ الاذهان قوله

حين

حين أزمعت عند خوف البعاد * وعدتني من الفراق العوادي
قال صحبي وقد أطلت التفاتي * أي شيء تركت قلت فؤادي

(عبد السلام بن سوسن المغربي) أديب فاس ومسك غزلان ذلك الكناس وريحانة أهدي نفحة خبره الى الصبا الطيب الانفاس فلله طيب الاخبار وما أهداه لي من المسار من كل حديث هو لعين الفخر قره وفي وجه دهم الليالي غره ألفاظه تضحك على ثغور الانوار الضاحكة لبكاء الامطار أنشدني له بعض الادباء

وبدر لاح من تحت السلاهم * يقول لكل قلب قد سلاهم
لئن خشنت ملابسه عليه * فقد خشنت على الورد الكمائم

السلاهم جمع سلهامة وهي بلغة أهل المغرب برنس أبيض خشن وأنشدني عبد العزيز الثعالبي شعراله في القمر منه

دع ذا وقل للناس ماطارق * يطرقهم جهرا ولا يتقي
ليس له روح على أنه * يركب ظهر الادهم الابلق
شيخ رأى آدم في عصره * وهو الى الآن بخد نقي
وهو بوسط البحر مع قومه * لا ينثني عن نهجه الضيق
هذا ويمشي الارض في ليلة * أعجب به من موثق مطلق
فتارة ينزل تحت الثرى * وتارة وسط السما يرتقي
وتارة يبصر في مغرب * وتارة يبصر في مشرق
وتارة تبصره سابحا * يجري بشاطئ البحر كالزورق
وتارة تحسبه وهو في * ضيعته والبعض منه بقي
ذبابة من صارم مرهف * بارزة من جفنه المطبق
يدنو الى عرس بها حسنها * يختطف الابصار بالرونق
حتى اذا جامعها يرتدي * بحلة سوداء كالمحرق
وهو على عادته دائما * يجامع الانثى ولا يلتقي
ثم يجوب القفر من أجلها * مشتملا في مطرف أزرق
حتى اذا قابلها ثانيا * تشكه بالرمح في المفرق
وبعد ذا تلبسه خلعة * يا حسنها في لونها المونق

جسمه من ذهب جامد * وجلده صيغ من الزئبق
ثم يرى فى حال اتمامه * مثل مجن الحرب الملتقى
وهو اذا أبصرته هكذا * أحسن من صاحبة المفرق

وقد نسب هذا لغيره

(السيد عبد الخالق الفاسي) أديب تجتنى منه الالباب يانع ثمراته وسماء لم تخرج بدور كماله عن هالاته انها فرع من شجرة النبوه المسقية بماء الوحى والفتوه فعلا وسما فأصله ثابت وفرعه فى السما فطرازه مذهب على كم المجد لانه من ذؤابة تنوس بين تهامة ونجد عقد على صدر المناقب العليه وتاج معقود برأس العصابة العلويه

تولد بين المصطفى ووصيه * ولا غرو أن تزكو هناك الغرائس

شمامة فى يد الادب وريحانة من رياحين العرب لم تزل سيارة المسائل تلقط أخباره وركبان الاخبار تتزود بثمار أشعاره فمما أنشدنى له الاديب محمد الفاسى

اذا مارمت نصح الناس طرا * تحر المقبلين ذوى الاياب
فلا تسمع سوى من كان حيا * والا الاخراج على خراب

(السيد يحيى القرطبى) هو فيما بلغنى روض مخصب ربيع من واد بالفضل مريع من فروع الدوحة العلية العلوية وثمرات تلك الشجرة النبوية الباسقة بما سقاها من ماء الندا والمورقة المثمرة بالعلم والهدى

نجار لوان الشمس تكسى سناءه * لما غشيتها المظلمات الدوامس

أسر بالاندلس فى وقعة أسرت أفراح القلوب وشقت قلوب المؤمنين قبل الجيوب فأصبح فى حال تعد المنايا أمانيا ويرى لضعف الدين الموت طبيبا شافيا اذ عثرت خيول الفتن والنقم بذوى المروءة والنعم فأرسل قصيدة نعى بها الاسلام ونادى ملوك الروم وعلماءها الاعلام فلم يجد بها صفيا يقول له لقد أسمعت لو ناديت حيا وذلك فى عهد السلطان سليمان الذى دخل فى خبر كان وهى هذه

لكل شئ اذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وعالم الكون لا تبقى محاسنه * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة * اذا نبت مشرفيات وخرصان

و ينتضي كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذو والتيجان من يمن * وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد من ارم * وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب * وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له * حتى قضوا فكأن الكل ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله * وأم كسرى فما آواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولم يملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللمصائب سلوان يهونها * وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة خطب لا عزاء له * هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الاسلام فامتحنت * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فسل بلنسية ما شأن مرسية * وأين قرطبة أم أين جيان
وأين حمص وما تحويه من نزه * ونهرها العذب فياض وملآن
كذا طليطلة دار العلوم فكم * من فاضل قد سما فيها له شان
وأين غرناطة دار الجهاد وكم * أسد بها وهم في الحرب عقبان
وأين حمراؤها العليا وزخرفها * كأنها من جنان الخلد عدنان
قواعد كن أركان البلاد فما * عسى البقاء اذا لم تبق أركان
والماء يجري بساحات القصور بها * قد حف جدولها زهر وريحان
ونهرها العذب يحكي في تسلسله * سيوف هند لها في الجو لمعان
وأين جامعها المشهور كم تليت * في كل وقت به آي وفرقان
وعالم كان فيه للجهول هدى * مدرس وله في العلم تبيان
وعابد خاضع لله مبتهل * والدمع منه على الخدين طوفان
وأين مالقة مرسى المراكب كم * أرست بساحتها فلك وغربان
وكم بداخلها من شاعر فطن * وذي فنون له حذق وتبيان
وكم بخارجها من منزه فرج * وجنة حولها نهر وبستان

وأين جارتها الزهرا وقبتها * وأين يا قوم أبطال وفرسان
وأين بسطة دار الزعفران فهل * رأى شبيهها في الحسن انسان
وكم شجاع زعيم في الوغى بطل * بداله في العدا فتك وامعان
كم جندلت يده من كافر فغدا * تبكيه من أرضه أهل وولدان
ووادِ يا من غدت بالكفر عامرة * ورد توحيدها شرك وطغيان
كذا المرية دار الصالحين فكم * قطب بهاء لم غوث ماله شان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة * حتى المنابر تبكي وهي عيدان
على ديار من الاسلام خالية * قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد أمست كنائس ما * بهن الا نواقيس وصلبان
يا غافلا وله في الدهر موعظة * ان كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه * أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة آنست ما تقدمها * وما لها مع طويل الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة * كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة * كأنها في ظلام الليل نيران
وراتعين وراء النهر من دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أمر أندلس * فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث صناديد الرجال وهم * أسرى وقتلى فلا يهتز انسان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم * وأنتم يا عباد الله اخوان
الا نفوس أبيات لها همم * أما على الخير أنصار وأعوان
يامن لنصرة قوم قسموا فرقا * سطا عليهم بها كفر وطغيان
بالامس كانوا ملوكا في منازلهم * واليوم هم في قيود الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم * عليهم من ثياب الذل ألوان
فلو رأيت بكاهم عند بيعهم * لهالك الامر واستهوتك أحزان
يارب طفل وأم حيل بينهما * كما تفرق أرواح وأبدان
وغادة ما رأتها الشمس بارزة * كأنما هي ياقوت ومرجان

يقودها العلج عند السبي صاغرة * والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان في القلب اسلام وايمان
هل للجهاد بها من طالب فلقد * تزخرفت جنة المأوى لها شان
وأشرف الحور والولدان من غرف * فازت لعمري بهذا الخير شجعان
ثم الصلاة على المختار من مضر * ما هب ريح الصبا واهتز أغصان

﴿فصل﴾ هنالك تسكب العبرات لتطفي نيران الحسرات فهذه الاندلس دار الاسلام ملكها الكفار وبدل نورها بالظلام وجوامعها صارت كنائس وأسودها لكلاب الكفرة فرائس وجامع قرطبة الكبير مملوء بالكتب مسدود الباب ومأوى للحشرات ومرقد للكلاب وأسطول الروم ينفق عليه الاموال فتخرج رؤساؤهم بعدد الحرب والرجال ويأخذون الجزية من فقراء المسلمين فاذا عادوا عدوا أنفسهم غزاة غانمين ولولا أهل الغرب والجزائر لم يكن للدين معين ولا ناصر وقد سلط الله عليهم بني الاصفر فصار عيشهم أسود بالموت الاحمر وسلط على قسطنطينية دوام الطاعون الجارف فقلوبهم راجفة وعيونهم بالدماء ذوارف وترى حريق تلك الديار لا يخمد في ليل ولا نهار لما بها من ظلمة الوزراء واغاليط علماء سوء وقضاة عم جهلهم سائر الورى

لعمرك قد عم الحريق ببلدة * بها علماء الروم في الجهل والعمى
ومن مالك وافى رسول حريقهم * دعاهم الى نار الجحيم جهنما
فقال اقفلوها واقبضوا أجرة لها * فان هدمت يبني بها ما تهدما
فطالبهم خزانها بوقودها * وما صر فوه في زمان تقدما
فافتاهم المفتي بأن ضمانه * عليهم وان الغرم للبطء مغنما
ومن كثرة الدين المحيط عالهم * أباح رشا قد كان ربي حرما

فهذه انذارات ثلاث جرت عادة الله بعدها بالخراب واستئصال من بها بأشد العذاب والعقاب كما قال الله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وهذا المعنى في الحريق ظننت اني لم أسبق اليه ثم رأيته في شعر ابي الحسن المنجم حيث قال

أقول وقد عاينت داراً بصورة * وللنار فيها مارج يتضرم

كذا كل مال أصله من نهاوش * فعما قليل فى نهابر يغرم
وما هو الا كافر طال حبسه * فجاءته لما استبطأته جهنم

ومنه قول الآخر فيمن انكسرت يده

قالوا فلان على ما فيه من عبر * قد أصبحت يده مذمومة الأثر
تأخر القطع عنها وهى سارقة * فجاءها الكسر يستقصى عن الخبر

وقوله يستقصى الخ فيه لطف يعرفه من له سهم من الادب

ذكر مكة المشرفة ومن بحماها صانها الله وحماها وزادها تشريفا وتكريما وتعظيما لما امتطيت مطايا الهمم ووجهت وجه عزمى الى قبلة الامم ورعيت بالاحداق حدائق تلك المسارح وقد سالت باعناق المطى الاباطح فى وفد ركب عزمهم غارب المسرة وامتطى وهدتهم النجب الى أودية يضل فيها القطا فقطعوا امهامه وأطلالا يخاف أن يسرى بها طيف الخيال فكم لاحت جداول موارد النوق جسورها وسارت بهم سفائن بزالسراب بحورها فكأنها أشجار يحركها صبا الاسحار تسقيها من السرى غمائمه وتزهو على نور الحدود كمائمه بليل يتعاطى فيه الركب من خمر النعاس راحا لم تذق نشأتها مراشف كاس والشمال تحدوهم بمسكى الانفاس والسماء حديقة نرجس بين ريحان وآس حتى التقط كف الصباح زهور زهره وقطفت بنفسج الظلماء راحة فجره وورد سرحانه غدير الصباح ونادى القمرى على منار الدوح حى على الفلاح ولم أزل أداب فى التسيار الى ان نفضت عن منكب المشقة غبار الاسفار فنزلت بجوار بيت الله الحرام وتطيبت بمسك تراب الحطيم والمقام وقلت

بمكة لى غناء ليس يفنى * جوار الله والبيت المعظم
ففيها كيمياء سعادة قد ظفرت بها من الحجر المكرم

فلما أفضت من تلك المناسك بتلك البقاع طفت بها بل بالمسرة طواف الوداع وخرجت من أحب البلاد والله لا يدعوا الى داره الامن استخلصه من العباد

ومادرى البيت أنى بعد فرقته * ماسرت من حرم الا الى حرم

قاصدا طيبة المطيبة واردا موارد آمالى المستعذبة

وقد قيل فى زرق العيون شامة * وعندى أن اليمن فى عينها الزرقا

فكلما سرى فى الصبا نسر بطاحها وددت لو أعارتنى العقاب خفاف جناحها الى أن

لمعت أنوار الهدى من سماء العلى وقباب الحمى

لمهبط الوحى حقا ترحل النجب * وعند هذا المرجى ينتهى الطلب

فنزلت أعتنق الاراك مسلما وكدت ألثم أخفاف الرواحل اذ أوصلتنى الى أعذب المناهل ولم أقل على قلق الوضين أشرق بدم الوتين

فاذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام

فحللت فى أربع مقام تفاخر فيه الرؤس الاقدام ويشهد نشر المسك بفضل غباره وتقرأ الجواهر بانها دون حصاه فضلا عن أحجاره (وفاخرت الشهب الحصى والجنادل) فلذا صح رمى الجمار بحصياتها الصغار ولم يصح بالجواهر والدرر وماذاك الا لشرف خصه بها خالق القوى والقدر فنزهت عيون أملى فى روضة ذات أنوار وعلمت وهى من رياض الجنة انى لا أدخل بعدها النار وأنا الآن منتظر لالطاف ربى وهو فى كل الامور حسبى أن يعبدنى لجواره واجتلاء نور حبيبه ومختاره به اليه متوسلا وفى نيل رجائى متوكلا لامتأكلا وقد تأملت دعوة أبى الانبياء ابراهيم وقوله واجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم اذ لم يقل اجعل الناس تهوى اليهم لان المراد أن الشوق يجذبهم اليه ويعلق مشكاة قلوبهم بسلاسل أنواره حتى يراهم بغير اختياره له متوجهين وهم على تحمل المشاق بوعثاء السفر غير متضجرين

كأنه مغناطيس أنفسنا * فحيثما كان دارت نحوه الصور

ولذا جعل الطائف البيت على يساره لان القلب فى جهة اليسار وقد كان قبل الوصول مائلا اليه فلما وصل دام على ما كان عليه كما قلت

قل لمن لام على سعيي له * قصر اللوم وان شئت لم

من أتى قلبي اليه ساعيا * كيف لا يسعى اليه قدمى

(ذكر الدولة الحسينية ومن بها من بقية العلماء والشعراء والاعيان)

هو بيت أسست عمده على الخلافة وقطرت من شعب شجرته مياه اللطافة وغرست بين أثلاث المجد أعواده فاستراحت عنده الآمال وتعبت حساده مقصر معال يرد الطرف كليلا ونسيم الشمال عليلا (أعلى الممالك ما يبنى على الاسل) فهو سور المطلوب وخليفة أخلاق الصبا والجنوب تقصد بتحف المدائح فيشترونها بنقد

المنائح فعندهم محط الركبان من الاطراف وربع المحامد متجر الاشراف فاذا كان الدهر قاتم الاعماق مسود النواجذ فوجوههم نجومه وضاح غررهم صباحه فكم راضوا الزمن بعد الحران فأصبح سهل القياد رخى العنان تتحلى بذكرهم الافواه ويفوح نشر الطيب خالطته الافواه وغررهم فى جباه الليالى والايام يعجز عن وصفها أفواه الدوى وألسنة الاقلام فى سماء معال ماء مجرتها مورود ينبت فى حافاته شقائق الشقيق متورد الخدود فاكتحلت بالسحر مقلة دياجيها وقلدت بجواهر النجوم لبات لياليها الى ان أديت أمانتها الملك الى (أبى غنى بن بركات) فبطلت منه على رياض الحرمين سحائب البركات وله شعر بليغ نفحاته ذكية وفصاحته علية علوية كقوله فى المقام اليوسفى بمصر والاداهم أحجال والقيود كما قيل خلاخيل الرجال وقد لمع برق الحجاز فكاد يطير شوقا لحمى حبيبه النوى والحجاز

مايلمع البرق من تلقاد يارهم * الاولى مدمنع بالسفح هطال
والله لولا قيود فى قوائمنا * من الجميل وفى الاعناق أغلال
لكان لى فى بلاد الله متسع * وفى الملوك لبانات وآمال
لى حرمة البيت والجار القديم ومن * أتاكم وكهول الحى أطفال
أتيتكم فى جلابيب الصبا قشب * فكيف أرحل عنكم وهى أسمال

وفى البيت الاخير معنى لطيف وهو كقولى

تالله مافارقت لى وطنا به * برد جررت من الشبيبة زاهى
الا لانى أستحى من رده * خلقا أرقعه بعذر واهى

ومن فحول شعرائه المقلدين جيد محبتهم بطوق ولائه (شهاب الدين أحمد الفيومى) أديب اتسق من جواهر كلامه أكاليل درها المنظومها سلك وجرت مياه البلاغة فى رياض نظامه فذابت كذوب التبر أخلصه السبك اذا امتد خطوه الى المجد وكرم الحيم فهو أسرع من رجع يد الذئب وأوسع من خطو الظليم جمعت له الحظوظ من تلالها ووهادها وقيدت له القلوب بأزمة ودادها وأنشده يوما قصيدة بائية امتدحه بها فلما وصل الى قوله فيها

يهتز من تحت السلاح كأنه * ريحانة لعبت بها ريح الصبا

جثى على ركبتيه ووثب وتطاير من احداقه شرر الغضب وكاد أن يكلمه بألسنة السيوف ويخلع عليه خلعة حمراء بلا أزرار فصلتها أيدا الحتوف فلما قال بعده

في كل منبت شعرة من جسمه * أسد يمد الى الفريسة مخلبا

قال عفوت عما فات أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وديوان شعره مشهور ودر براعته في نادي الادب منثور ولما ارتحل الى القاهره قال متشوقا لام القرى معاهده ومآثره

يارب لا وصل ولا سلوة * لازورة من طيفهم لا لقا

ان لم يكن في وصلهم مطمع * فلا تعذب مهجتي بالبقا

وله فيه مدائح عديدة للامثال سائرة في الآفاق سير الامثال منها قصيدته التي عارض بها قصيدة صفي الدين الحلي التي مطلعها

أذاب التبر في كأس اللجين * رشا بالراح مخضوب اليدين

(وأولها) بدت فأرتك شمس المطلعين * فتاة أسهرت بالمطل عيني

وعلى منوالها قصيدة الشهاب المنصوري أحد الشهب السبعة وأولها

بكيتك يا غزال الاجرعيني * وقد بحت عليك الاجرعيني

(ومن شعره قوله مضمنا)

لقد عزلت فلان الدين حين علا * عليه عبد فقال أقلل من العذل

فان علاني من دوني فلا عجب * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(وله أيضا) أواخر الحرف فيهنا * على الاوائل فضل

تمر دور أفدورا * وكلما مر يحلو

(وله فيمن اسمه حسين)

تركت جفني واصلا والكرا * راء لجد بالوصل فالوصل زين

ولا تجبني عن سؤالي ببلا * فالقلب يخشى كرب لا يا حسين

وفي قوله زين ايهام غير زين لان العامة تقول في حروف الهجاء زين بمعنى زاي والصحيح فيها زاء بالمد والقصر ويقال زي بزنة كي كما قاله ابن جني وأما هذه فتحريف قبيح وله أيضا

ج للبيت اختلالسا * وفساد اللانام

منذ رآه الناس قالوا * حج للبيت الحرام

﴿السيد حسن بن أبي نمي﴾ ثم خلفه ابنه حسن ومن حديث مناقبه مستفيض حسن (وما محاسن شيء كله حسن) فقد سارت بمآثره الركبان وتحلى بذكره كل لسان فالحل يعرفه والحرم والمجد ينطق بمحامده والكرم

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

فقد خفقت في الخافقين رايات مكارمه ونصبت على أعلام كماتها بين معالمه وسرت سحائب كرمه ولها من غرته بريق وتفرقت أنهار جوده في كل فريق حتى طفت على هضبات العذيب والعقيق وله فصل قضاء علوى حل بين الرفق والباس وأيس عن ادراك حدسه فيه اياس بين حماسته وسماحه وفصاحته وصباحه

اذا زان قوما بالمناقب واصف * ذكرنا له فضلا يزين المناقبا

وجلالة هيبة لا تريد حاجبا وشيم شم لو تجسمت كانت بوجه الدهر عينا وحاجبا فكم أورد النجيع سيفه المجرد عن العلائق وأصدره ناثرا على غدير لامته من الدماء شقائق من فتية اذا تصافحوا بالصفاح تهللت ضاحكة بالنجيع ثغور الجراح

حليم اذا ما الحلم فك حزامه * وقوف ولو كان الوقوف على جمر

مع محاضرات لو سمع بها الراغب سعى لها راغبا وأبكار أفكار لا يكافئها الا من كان بمتاع الحياة مخاطبا

ماعذر من ضربت به أعراقه * حتى بلغن الى النبي محمد

أن لا يمد الى المكارم باعه * وينال غايات العلا والسودد

متخلقا حتى تكون ذيوله * أبد الزمان عمائما للفرقد

بلغني أن بعض بني عمه ورد ناديه جار الذيل التيه والحمية الهاشميه فتصدر عليه شخص في ذلك النادي فتجعدت أسارير وسيف حدته من غمد التصبر بادي فلما فطن لذلك قال انه ليقود في زمام العجب ويهز عطف أريحيتي ساعد الطرب بقصيدة المتنبي التي أولها

فؤاد ما تسليه المدام * وعمر مثل ما تهب اللئام

فتسلى بذلك وتعلل وتبسم وجه مسرته بعد القطوب وتهلل اذ فهم تلويحه لقوله فيها

ولو كان المكان له علو * لطار الجيش وانحط القتام

وفى معناه قولى من فصل لو كان الشرف بالمكان ما انحطت النار ولا الدخان وقولى من قصيدة

لم أدر يوم الحرب هل ثار الثرى * أم خيمة نصبت عليه وقد سرى
أم ناله شرف بمس نعاله * فعلا رؤس عداه حين تكبرا
أم راح مشتكيا الى خلاقه * دوس الجياد عليه حتى ينصرا

ومما يحسن ايراده هنا قول أحمد المعرى

قل للرئيس أبى محمد الرضى * قول امرئ أبلاه حسن بلاء
من حول بركتك البهية سادة العلماء والفضلاء والرؤساء
لو أنصفوك وهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالها فى الماء

❊ومنه أخذ الارجانى قوله❊

هذا الزمان على ما فيه من كدر * يحكى انقلاب لياليه باهليه
غدير ماء ترا أى فى أسافله * خيال قوم تمشوا فى نواحيه
فالرجل تنظر مرفوعا أسافلها * والرأس ينظر منكوسا أعاليه

وقوله على ما فيه من كدر من حشو اللوزنيج أما ترى قول المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

❊وأحسن من هذا كله قولى❊

خليلى ذى الدنيا الدنية لم تزل * تعادى فتى حرا شريف المناقب
أسافلها تعلو أعاليها كما * يراه لبيب عارف بالعواقب
اذا صورت للناس معكوسة بدت * فلا تعجبن والدهر بحر العجائب

عودا الى سيرة ابن سيد الناس الذى تسير الصبا بعبير لطفه طيبة الانفاس كنت قبل أن تعرى أفراس الصبا ويتفرق شمل الايام أيدى سبا لما ارتحلت مع والدى لذلك المعهد لنجتلى وجه المليحة فى الخمار الاسود رأيته وقد ابيض عنبر لمته وثقب الشيب مغفر هامته وقد علا هام الستين وترقى شرف السبعين

وان امرأ قد سار سبعين حجة * الى منهل من ورده لقريب

مشمرا لمضاضها واقفا على حياضها بفكرة ما كانت الشعراء تحمد لو رزقت بعض ذكائها وبكر همة اذا جليت لا يغدو غير المجد من أكفائها قد قلمت يد عزائمه أظفار

الخطوب وكادت لا تطأ الحرم بغير اذنه الصبا والجنوب يسوق لاعدائه جنود الحتوف ويرى وجودهم ذنبا لا يعتذر عنه غير ألسنة السيوف فبكل خدث صدر منهم وجدث لا يرفعه الا التيمم بتراب الجدث

ولى صوارمه تكذيب قولهم * فهن ألسنة أفواهها القمم

اذا تربع رأيه فى نادٍ واحتبى قامت بين يديه الهمم وحلت الحبى يضطرب لهيبته اذهبت رياح النصر سمر الرماح وسالت بسوابح الجرد وأعناق المطايا الوهاد والبطاح وكان من سنة سلفه ومن خلفهم من خير خلفه أن يقدم للإمامة من قدمته الايام وفى المثل أكبر منك بيوم أعرف منك بعام وكان يليه سناذو الرأى الصائب أغر السعد والوجه والمناقب

(أخوه السيد الاجل ثقبة) من لو وجه لدر الكواكب سنان همته ثقبه ومشكاة بصيرته مشرقة بنور اليقين وكلامه ينثر على الفصاحة نثار الجوهر الثمين وكل من نسله يحدث نفسه بالامامه وأن يتلو فى صحفها آيات مجده أمامه فنهم من جعل لذلك وسيلته الدخول فى جواشيه ومصاهرته ولسان حاله ينادى فيما يبدى ثم يعيد مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلما برع (حسين) وترعرع ولبس لامة النجابة وتدرع وهو بحر نوال أمواجه الهمم وروض سيادة الفخر والكرم لم يزل يرسل له هدايا وتحف ويتضرع له بعودة بأنواع الخلوص تحف فقال له والده يوما فى أثناء الكلام ائذن لحسين فى أن يلى الرفادة فى هذا العام فقال له تريد أن تضيف السباع وهذه ضباع المنحنى جياع فلما علم ما فى هذه الكنايه صرع من النكايه صرح اليأس بجوابه وهجم على قلبه هم أحل تباريح الجوى به فرجع بخفى حنين وشاهد منه كربلاء حسين حتى ذاق بسيف الحسرة طعم الشهاده ولبس عليه الدهر من دياجيه حداده فسقى قبره ريق الغوادى الباسمة البروق وان كان فيه بحر كرم يعذب فى أفواه الامانى ويروق ثم نهض أخوه (مسعود) على قدمه طالع بدره المسعود بين نجوم أتباعه وخدمه وهو اذ ذاك فى المعرفة علم وفى طريق المجد ثبت القلب ثابت القدم يتبسم لغرته وجه النهار ويناجيه السعد عما فى ضمائره من الأسرار وله حسنات شعر ماخط فى مجموع الدهر مثلها ولا سجعت ورق الفصاحة بجنة فى ذوابة هاشمية قبلها ومسعود لو مس عودا بسعده أورق لما جال فى بشر محياه من ماء الندا وترقرق مع

شجاعة يرتعد لها الاسد والاسل ويعد الطعن فى الهيجاء كالقبل كما قلت فيه

قوم غزوتهم رأيت جسومهم * مقلا لهن اشارة المتكلم
من كل مقلة طعنة نجلاء مذ * نظرت فراق الروح تبكى بالدم
رمدت فكحلها مراودسمرة * من اثمد النقع المثار المظلم
وكانما رمدت لخوف قواضب * صلت فتسجد وهى ذات تيمم

فلم يزل يخطب من الملك كواعب أبكاره حتى أدركه الغرق فى حياض عمانه المترعة من بحار أفكاره فارسى بسواحل شعوب وأنشدته الحال بلسان الخطوب (عياء به مات المحبوب من قبل) فبلغ فى سفينة أمله وفاته وسبقه الاجل كما سبق السيف العذل وفاته فرأيت جنازته والدموع حوله طوفان وقد أرست سفينة تابوته على جودى الفناء والاحزان فلما بدل الامنية بالمنيه وسقاه الدهر كأس المنون رويه قام مقامه

(أبو طالب) مترشحا الامرها مترقبا بعد موت ثقبة لاجتلاء بدرها وكان قبل لا يردمو ردا من مناهل آماله الاوقد غص بقذى رقبائه وعذاله

لم تردماء حسنك العين الا * شرقت قبل ريها برقيب

فاراد والده أن يقلده بصارمها ويجعل هياكل جياده فى أجيادها مقام تمائمها فارسل الامير بهرام قرطا يستسقى له ماء المرام وهو منتظر لها انتظار ليلة القدر راجيا أن يحل منها محل القلب من الصدر فنثر على ذلك الرسول جواهر الاحسان والقبول وأهدى له مع كتاب العهد خلعا حسان أزهى مما توشحت به معاطف الكثبان وألبسته عطايا الربيع قدود الاغصان فكان كما قيل

قرت عيون المجد والفخر * بخلعة الشمس على البدر
زرعليه الملك فضفاضها * واغا زرعلى البحر
ماهو انعام ولكنه * ماخلع الغيث على الزهر

فافيضت عليه خلعة معلمه وأصبحت قلائد الجود فى جيد السياد منظمه مما تقربه عين الزهرا ويرفع الله به لآل البيت ذكرا وأمره بالدهر عابث وأغصان المنار بأسمه مورقة أثاثت وأمطر عليه عهاد الكرم وسميا ووليا وتلا منشوره المعرب عن أنه أصبح لابيه وليا فتبوأ صدر الخلافة والجلاله وورثها عن أبيه حيا لا عن كلاله فاقر بعهده

لسانا السيف والقلم ونودى هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والحل والحرم قام فطاف بالبيت شكرا لذلك الانعام الجسيم فكاد يمسكه عرفان راحته لما استلم الركن والحطيم وصورة منشوره وهو مما أنشأته بأمر رئيس الكتاب الحمد لله الذى نشر على الخافقين أعلام عدله وزين حلل الوجود بجوده وفضله ونشكره شكرا تطوف وفود الاخلاص حول كعبته وتقصر الفصاحة بعد التحليق فى أفق البلاغة عن أن تكون مزدلفة من شكر نعمته وتسجد له الاقلام فى كعبة الطرس المكسو بسواد مداده وتسعى للصفى فى مواقف اصداره وايراده وصلاة الصلاة المسكية النسيم العنبرية الشميم تتوالى توالى القطر المكرر على تلك الاقطار والمثوى الذى ترابه اثمد البصائر والابصار

حياك يا تربة الهادى الرسول حيا * ينطق الرعد بادمن فم السحب
ضممت أعظم من يدعى بأعظم من * يسعى اليه أخو فضل ولم يخب
وحزت أوضح من يهدى وأفصح من * يبدى وأربح من يعزى الى نسب

محمد المرسل بكتاب تمسك باهداب سحر البلاغة والايجاز واستوثق دون بلغاء العرب بعرى الاعجاز فرمى قلوب المعارضين بجمراته وكحل بصائر المطيعين بميل الهداية فاقر والبينات آياته وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه أولياء عهده والخلفاء من بعده ما جردت صوارم البروق من اغماد الغمائم وسرى نسيم نجد فابتسمت له ثغور النور فى الكمائم هذا وقد أظهر الله عز سلطانه كنز سره المكنون بقوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون فعلم به سر الامر فى قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر فانه ليس بعد النبوة والرسالة الا مراتب الصلاح ولهذا كانت الرعايا بلا سلطان كالاجسام بلا أرواح وما الشريعة الا روضة زاهية الثمار متفتحة الانوار تجرى من تحتها الانهار والسلطان متعهد لها بالحراسة يحميها من كل جان بشوكة السياسة واذا كان ظل الله فى أرضه وشمسه المتضح بأنوار سنن سنته وفرضه فعلى من طلعت عليه الشمس أن يجنح لظله ويقيل فى دوحة احسانه وفضله فانه الشمس الذى تضىء بدور الكواكب بأنواره والبحر الذى تستمد جداول الامراء من أنهاره والسماء الذى تتمنطق الجوزاء لخدمته ويخاف الاسد أن يمد اليها يد سطوته والجنة التى تحت ظلال السيوف والمتقرب اليه بمحاسن الاعمال

والمستجار

والمستجار به من الصروف والحرم الذى يأمن فيه الخائف وكعبة اللطائف البادية لكل طائف والربيع الذى اعتدلت أيامه بالعدالة فصدحت حمائم الثناء على أغصانها المايدة المياله

وتهتز أعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت أيامها وهى أغصان

ومما ينبغى أن يرسم فى صحائف الافكار ويجعل طرازا على كعبة المحاسن والآثار انه من أهم مايهتم به من جعل الحجى زيه خدمة طيبة الطيبة ومكة المشرف بها سائر الاقطار الحجازية معدن جوهر النبوه ومهبط آيات الوحى المتلوه ومشرق شموس الانوار المحمديه ومظهر الآثار العلوية العليه ومثوى من شرف الله به نوع الانسان والانموذج الذى صاغه الله مثالا للجنان كما ورد فى السنة ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنه وكذلك أول بيت وضع للناس وأسس على التقوى منه الاساس

كأنما هو مغناطيس أنفسنا * فحيثما كان دارت نحوه الصور

وكان أولى ما يقلده الانسان عقود جواهر الاحسان ويجتهد فى تقليده وتأبيده وتأبيد تأبيده ويتوجه بتاج التكريم ويعممه بحلل التبجيل والتعظيم ويجزل الصلة لجنابه الموصول ويضمر له فى القلوب القبول بدور فلك السعاده وصدور مسند السياده السادة الاجلاء الاشراف فخر آل عبد مناف وكيف لا يزدادون حبا بعد قوله قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى

كل من لم يرفر ضاحبهم * فهو فى النار وان صلى وصاما

وبالجملة فان مادحهم كمن قال للاسد ما أشد شجاعتك وللبحر المحيط ما أوسع ساحتك لاسيما طود المجد الشامخ المنيف المرفوع عليه علم العز والنسب الشريف تاج هامة بنى الحسن والحسين الجناب العالى مغرس ثمرات المعانى والمعالى العريق الحسيب الاصيل النسيب ذخر الأنام فخر الليالى والايام زهرة الشجرة العلوية فرع الدوحة النبوية

اذا وجهه أو رأيه أو فعاله * تبلجن فى ليل تجلت غياهبه

صارم الخليفة المغمد فى رقاب أعدائه ورحمته المطرة درر سحابها على أوليائه الحسن الذات والصفات

(أبو المحاسن حسن بن أبى نمى بن بركات) أيده الله بنصر لا يبلى جديده ولا

تنتثر بيد الحوادث عقوده آمين وقد ورد من جنابه رسول تلقاه من سد تنا نسيم القبول اذ جاب الفيافي من حزنها وسهلها وأدى الامانات الى أهلها وكان كالميل سلك بين الجفون فأجاد ومتع العيون بائمد الصلاح والسداد ومعه منشور أرق من نسيم السحر معرب عن العين بالاثر فأخبر أن مرسله أراد الفراغ وما على الرسول الا البلاغ وتضمن منشوره المذكور أنه أراد الاستراحة من نصب المناصب والتقاعد عما بهما من المراتب رغبة عن زخرف الحياه الى خدمة سيده ومولاه وان نجله النجيب الجليل الحسيب الاصيل الناشئ في حجر الشرف الباهر المستخرج من أكرم العناصر ليث غابة بيض الصفاح وسمر العسالة الرماح عليه أمارة الاماره ومخايل النجابة والصداره

بلغ السيادة في ابتداء شبابه * ان الشباب مطية للسودد

سأل أن يقلده صارم امارة تلك الديار وما يتبعهما من البلدان والاقطار على ما جرت عليه عادة سلفه الذى سلف وقانون من خلفهم من الخلف فأجبناه الى مرامه ومراده وأمددناه باسعافه واسعاده لانه انتزع صارمهما من يده الاخرى وجعل خاتمهما بعد عن اليمنى في يسار اليسرى فسارت الامارة من حرم الى حرم ولم تخرج من جيران نجد وذى سلم فعليه بعد ما خلعنا عليه حللا تأنق واشيها ورقت على نسيج وحده حواشيها ونظرنا اليه بنظرنا الذى هو اكسير أن يحسن في العمل والتدبير وينظر الى الرعايا بعين الرعايه ويصونهم عن أهل الضلالة والغوايه ويؤمن تلك المناسك ويحرس تلك المسالك ويختار من قومه من يحرس أطرافهما من العدا ويحميها من كل قاصر في فعله اعتدى ويبطل ما فيهما من المكوس والمظالم ويقيم الحدود على مستحقيهما من كل باغ وظالم ليخلد في صحائف تلك البلاد الحسنات ويمحو ما فيهما من آثار السيآت ويتصرف في بندر جدة على العهد القديم ومن جاور ذلك المقام فليسعفه بالنعيم المقيم ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ويحرس الوافدين الى ذلك البلد الامين لاقامة شعائر الدين ويحمي بحمايته من ورد أو صدر ويحرس موارده الصافية من الكدر ويلاحظ ما للخليل عليه الصلاة والسلام من صالح الدعوات في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات ثم ليعلم كل من يكحل بصره باثمد منشورنا الكريم وشنف مسامعه بلآلى لفظه النظيم ممن في دارة تلك الديار أو هالة

تلك الاقطار وانتظم فى سلك سكان القرى والامصار من السادات الكرام والقضاة والحكام وولاة الامور والاعيان والوافدين على تلك الديار والسكان أن امارة تلك المعاهد وما فيهما من العساكر وما أحاطت به من الأصاغر والاكابر وسائر الوظائف والمناصب والجهات والمراتب مفوضة الى السيد السند أبى طالب ناظرا بعين الانصاف متجنبا سبيل الاعتساف مصرفا جميع المستحقين بحسن التصريف صارفا من لا يستحق برأيه الشريف وقد أقمناه مقام نفسنا فى ذلك المقام وفوضنا اليه النقض والابرام والعلامة السلطانية حجة لما فيه مرقوم محققة لما فيه من منطوق ومفهوم فليتحقق من وقف على هذا الخطاب ومن عنده علم من الكتاب من أهل مكة زادها الله شرفا وما فى جوارها وطيبة الطيبة طيب الله ثراها وسائر أقطارها وبقية الثغور الباسمة لدولتنا عباسم السرور من حاضرها وباديها أنا أعطينا القوس باريها

فلم تك تصلح الاله * ولم يك يصلح الالها

سدد الله سهام رأيه فى اغراض الصواب وفتح له بمفاتيح السعد كل مغلق من الابواب ماسقطت من كف الثريا الخواتم ورقت على منابر الاغصان خطباء الحمائم (والسلام) واذا انتهينا الى هذا المقام فاصغ لما نقصه عليك من عجائب الايام فان المصدور لابد له من نفثه ومن جهده المسير يطلب على الطريق مكثه فاعلم انما رأينا كل ملك له مبتدأ تظهر فائدته وعائدته فى خبره وانتهاء يقف السعد بعدوره عند صدر صدره ثم يرجع ماجرى الى قراره فينذر الاقبال بادباره ويعود تدميره فى تدبيره ويقدر صانع القدر أديمه على مقدار تقديره والى الله ترجع الامور وعلى بحور الارادة يجرى الفلك ويدور وقد تظهر قبل آخره فيه قوة فيظهر فرعون طغيانه وعتوه وللشمس زوال اذا ارتفعت وللثمرة سقوط اذا ازهت وأينعت وقد يزيد قبل الانطفاء نور المصباح ويحصل للمريض افاقة يسمع بعدها الصياح وتسمى هذه الاطباء النعشة الاخيرة فكم من نعشة تقرب من السقيم نعشه وهذا فى غير الخلافة النبويه فانها بالحى الذى لايموت محميه وقد كان انتهاء صعود الشرف فى الحجاز بالسيد حسن وفى المغرب بمولاى أحمد وفى الروم بالسلطان مراد ونحن الآن لاندرى مايريد ولا مايراد فقد ذهب سليمان وانحلت الشياطين ووقف الرجاء على شفا جرف هار بين قوم مجانين فالجواد دون الحمار المصرى وأبو جهل وعظ الحسن البصرى

فقل بعده للدهر يأتي بصرفه * وقل لليالي افعلي ما بدا لك

(وقلت)

قد جن شيخي وفي الامثال من قدم * ان الشباب جنون برؤه كبره
يارب فاعقد بقولنج له دبرا * حتى يعود عليه بعد ذا ضرره

(قطب الدين المكي النهراوني أصلا ومحتدا) قطب مركز دائرة تلك الاقطار والصدر المستودع لما فيهما من الاسرار. وهو فاضل جرى في بساتين فضله جداول الآداب وتمسك بالشعر منه بأعظم الاسباب فوقف دون مداه ضده وحسوده ومن قيده الكلال لا تنفك قيوده

فذاك كمن جاري جوادا بقرف * قوائمه مشكولة بجران

فسماء مجده مطلعة لكواكب شعره وزهرة عمره سقيت بماء سروره وبشره تنقطع عند كرمه الآمال وتعجز الاماني ويقصر سلك الالفاظ عن نظم ما فيه من درر المعاني وتقبل أفواه الاقلام لي مداده وتهيم سويداء كل لبيب في سواده وتنفتح عيون الانوار لتشاهد ساطع أنواره وتترنم حمائم الحرم بامداحه وأشعاره ويهب نسيم نجد لشغفه برقته عليلا ويجرع لي ثراه تيها اعطافه ذيلا بليلا لتغذيه بلبان فصاحة نجد وذي سلم واقتناصه أوابد المعارف بها فاعجب لمن حل له الصيد في الحرم وقد شحذ مرهف طبعه بيد الكمال وسن أسنة لسانه فانجلى به فرند سحره الحلال حتى تفيأت فتوى تلك الاقطار ظلال براعته وسالت مسائل المسائل في جياد براعته فكان قطب تلك الدائره وعليه مدار فلك الفضل وبه الامثال سائره فعول أمورها عليه ومنصرف وجوه الاقبال اليه حتى أصبح عاطل حاله حاليا ومرتفع حظه عن وهاد الخمول عاليا فلا يرد مكة أحد من أهل العلم والصلاح الا فيأه ظلال الكرم والسماح وهز عطف أمله بنشوة الارتياح الى أن تعدى الاجل من القطب دائرة الامل فدارت عليه رحى المنون وطحنت دقيق أفكاره البينون فدعاه الله لجوار الجنان وتلقاه جدثه بروح رحمة وريحان وطافت بمثواه وفود الغفران وقد نعاه الفضل والكرم وناحت لفراقه حمائم الحرم

حمائم أبلت في الحنين لباسها * فلم يبق منها غير طوق بجيدها

فمما تهادته الركبان من شوارده وعلق في كعبة الفصاحة من نتفه وقصائده قوله

حين

أقبل كالغصن حين يهتز * في حلل دون لطفها الخز
مهفهف القد ذو محيا * بعارض الخد قد تطرز
دار بخديه واو صدغ * والصاد من لحظه تلوز
الخمر والجمر في لماه * وخده ظاهر وملغز
يشكو له الخصر جور ردف * أزعجه حمله وأعجز
طلبت منه شفاء سقمى * فقال لحظى لذاك أعوز
قد غفر الله ذنب دهر * لمثل هذا المليح أبرز
جز فؤادى بسيف لحظ * أواه لو دام ذلك الجز
أفديه من أغيد مليح * بالحسن في عصره تميز
كان نديمى فذر آنى * أسيره في الهوى تعزز
حرم من وصله مباحا * لما أحل القلى وجوز
يا قلب لا تسل عن هواه * واثبت وكن في الغرام مركز

(وقلت في عروضه)

من علم الغصن حين يهتز * ميل قدود تميل في الخز
غيد رماح القدود منها * ليست بغير الفؤاد تركز
وان يكن هزها دلالا * ليس لغير الطعان ذا الهز
كم وعدت بالوصال مضنى * وعوده بالمطال تنجز
وما حسودا ذا توارى * تراه من غيظه تميز
في ألين القوام لين * بعطفة الصدغ ليس تهمز
خطابه يطرب الأماني * ولو بهزه على طنز
وشتمه كالمديح يطرى * وسهب القول منه موجز
كم لحظة منه لى بطرف * فيها رضاه على ملغز
له محيا بديع حسن * فيه جميع الجمال يكنز
ولى به مطلب مصون * بقفل صدغ له مرزز
لو لم يكن حبه بقلبى * ما كان بين الضلوع يحرز
قضيب آس على كثيب * أزعجه ردفه وأعجز

كأغا خصره جفاه * معنى له ذو الجمال ألغز
جل الاله البديع صنعها * ومن لهذا المليح أبرز
فاغنم زمان السرور والطرب * ففرصة العمر فيه تنهز
وانظر بساط الربيع يدعو * لصفو عيش عليه قد عز
مهده لاجتماع شمل * مشتت برده مطرز
تنحر فيه الزقاق نحرا * طبق فيه مفاصل الحز
والورق في روضة تنادى * من ذل فى الحب فهو قد عز
كذاك قد ذل فى الورى من * بغير ربه له تعزز
كطالب الصوف من لئيم * وهو لجرب الكلاب قد جز
وكان من عز يزقدما * واليوم من بز فهو قد عز
وهذه حلة ترقت * عن نسج برد يروق أو قز
لها على القطب دائرات * أضحى لها فى الحضيض مركز

وله فى الوزير سنان لما فتح اليمن

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر * على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت * له الهمم العليا الى شرف الذكر
جنود رمت من كوكبان خيامها * وآخرها بالنيل من شاطئ مصر
تجر من الابطال كل غضنفر * بصارمه يسطو على مفرق الدهر
عساكر سلطان الزمان مليكنا * خليفة هذا العصر فى البر والبحر
حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا * وبيض المواضى والمثقفة السمر
(منها) وحين أتاه أن قد اختل جلبنا * من اليمن الاقصى أصر على القهر
وساق لها جيشا خميسا عرمرما * يدك فجاج الارض فى السهل والوعر
لدى أسد شاكى السلاح عرينه * طول الرماح السمهرية والبتر
وزير عظيم الشأن ثاقب رأيه * يجهز فى آن جيوشا من الفكر

(ومنها)

سنان عزيز القدر يوسف عصره * ألم تره فى مصر أحكامه تجرى

(ومنها)

وهل

وهل تطمع الاعداء فى ملك تبع * وتأخذه من آل عثمان بالمكر
أبى الله والاسلام والسيف والقنا * وسر أمير المؤمنين أبى بكر

ومن مشهور شعره قوله

يا الدن لى والكاس والقرقف * وللفقيه الكتب والمصحف
ان كان ما تعجبه قسمتى * فليقتسمها مثل ما يعرف
كم يزدرى الكاس ويهزو بها * يخشى على هذا الفتى يقصف
يسب شراب الطلا عامدا * أليس فى الحكام من ينصف
فانزع الكاس على غيظه * وعاطنيها أيها الاهيف
وقل هو القطب بحر الهوى * قد عام والله به يلطف

(وله أيضا)

أحبة قلبى أنتم قد وردتم * معى منهل اللذات وهو غدير
و والله ما استغنيت عنكم بغيركم * وانى اليكم ما حييت فقير

(وله أيضا)

أحسن من غفلة الرقيب * ولحظة الوعد من حبيب
وقبلة كانت اختلاسا * فى وجنتى شادن ربيب
كتب أديب الى محب * طالت به مدة المغيب
تبرك من سطرت اليه * أهيم من عاشق طروب

(وله أيضا)

بدا عرق فى خده فسألته * اذا ما تبدى قال لى وهو يمزح
ألا ان ماء الورد خدى اناؤه * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وهذا مثل أورده الميدانى فى أمثاله ولم يزد فيه على قوله كل اناء يرشح بما فيه ويروى ينضح بما فيه أى يتحلب انتهى وقد سبقه الى هذا مجير الدين بن تميم كما وقفت عليه فى ديوانه بقوله

سقى الله روضا قد تبدى لناظرى * به رشأ كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وعن الشيخ نصر الله بن مجلى انه رأى فى المنام سيدنا أمير المؤمنين عليا ابن أبى طالب كرم

الله وجهه فقال له يا أمير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دار أبي سفيان فهو آمن وقد تم على ولدك الحسين منهم ما تم فقال له أما سمعت أبيات ابن الصيفي يعني به الحيص بيص فقال لا قال اسمعها منه فلما انتبه ذهب الى داره وذكر له ما رأى في منامه فبكى وحلف أنه نظمها في هذه الليلة ولم يقف عليها سواه وهي هذه وأنشدها له

ملكنا فكان العفو منا سجية * فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الاسارى وطالما * غدونا على الأسرى نمن ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا * وكل اناء بالذي فيه ينضح

وقد سبقهم الى هذا أبو الفتح كشاجم فقال

ومستهجن مدحي له ان تكودت * لنا عقدة الاخلاص والحر يمدح
ويأبى الذي في القلب الا تبينا * وكل اناء بالذي فيه ينضح

(وقلت في الهجاء)

فتى كان من قبل الشباب مؤاجرا * وقد لاط كهلا وهو تيس منطح
يبيع برأس المال في السوق ما اشترى * وكل اناء بالذي فيه يرشح

وهذا المثل لم أر من شرح مورده ومضربه وهو يحتمل معنيين أحدهما وهو الظاهر المتبادر أن كل أحد يلوح على ظاهره ما في باطنه وان أخفاه كما قيل من أسر سريرة رداه الله بردائها والثاني أن كل أحد يجازي من جنس عمله وهو الذي قصده الحيص بيص وقد قلت في بعض الفصول وكل عداوة تزول الا عداوة الحسد وكل زارع لما زرع حصد وبيضة ابن داية النعاب وان جثا عليها طاوس عدن لا تفرخ الا الغراب وان كان عشه في سدرة المنتهى وقد غذيتها من ثمار الجنة ومنتها وفي صحيح الخبر الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وقد قيل من قال خيرا فله ومن يقل شرا فشر وقال قطرا الخارجي متمثلا قيل للعقرب أنت محبوسة في الشتاء أفلا تخرجين لمشارق الشمس بالغدوات كما تخرج الناس فقالت ما أحسن أيادي عندهم في الصيف حتى أأنس بهم في الشتاء ولله در أبي القاسم الدبوسي في قوله

أقول بنصح يا ابن آدم لا تنم * عن الخير مهما دمت انك عادم
وان الذي لم يصنع العرف في غنى * اذا ما علاه الفقر لاشك نادم
فقدم صنيعا عند يسرك واغتنم * فأنت عليه عند عسرك قادم

❀ جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين العلامة الاسفرايني ❀ فاضل نشأ بمكة بين تهامة ونجد وربى فى حجر المعالى والمجد ففاق طبعه رقة وطيبا نسيم النرجس والورد وخلعت عليه الايام جمالها وأفاض الله عليه فضلها وافضالها والله جميل يحب الجمال والدهر قد يسعفه وان كان عدو الاهل الكمال فحاز كرما ومجدا وفاح عنبرا وندا

عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

وهو فى الفضل عصامى عريق وله عذب مشرب نشأ بين العذيب والعقيق وأنا وان لم أره فقد صاحبت أخاه عليا ورأيته وقد رفعه الله مكانا عليا ففزت بصحبته وقد طافت وفود الآمال حول كعبته

جمال ذى الارض كانوا فى الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير

فمن شعره قوله

فنجان قهوة ذا المليح وعينه * الكحلاء حارت فيهما الالباب

فسوادها كسوادها وبياضها * كبياضها ودخانها الاهداب

قال أبو منصور الجواليقى فى كتاب المعرب الفنجان معرب وصوابه فنجانة وفيه نظر وتشبيه الدخان بالاهداب تشبيه بديع ومثله فى الحسن قول الصنوبرى

مجمرة طاف بها الغلمان * أبدع فى صنعتها الزمان

كأنها فيما حكى العيان * فوارة وماؤها دخان

فى بركة حصباؤها نيران * اذا تبدت حزن الريحان

وسرت الجيوب والاردان

وقلت فيها من أرجوزة أيضا

لله ما أحسنها من مجمرة * أنفاسها طيبة معطرة

كأنها وريحها طياب * نرجسة من فوقها ضباب

وعلى ذكر الاهداب انظر حسن قولى فى مليح لبس فروة سمور

وظبى من السمور ألبس فروة * وماس كما هزت صبا سحرة سروا

كأن عيون الناس من دهشة به * تخلف أهدابا فتحسبها فروا

ولشيخنا العناياتى من قصيدة

قهوة لا صداع فيها نعم فيـ * ـها مزيل من الصداع مريح

صين في الصين مسكها لحكاها * لعس في بياض ثغر يلوح
ليل وصل في صبح لقيا حبيب * طاب منها غبوقها والصبوح

وللاستاذ محمد البكري أو لمحمد ماماي المعروف بالرومي

أنا المعشوقة السمرا * وأجلى في الفناجين
وعود الهند لي طيب * وذكري شاع في الصين

وكتب جمال الدين القطب المكي يهنيه بشهر رمضان

ياشيخ أهل العلم في أم القرى * رمضان هل بهجة لم توصف
فتهن وحدك ان ذاتك أصبحت * هي أشرف في أشرف في أشرف

(فأجاب وأجاد وأجاز)

ياواحد الفضلاء أنت جمالنا * فتهن بالشهر الشريف الاشرف
شعر بشعر لا ربا فيه ساوان * زاد العيار فوزن هذا الاشرفي

الأشرفي في العرف بمعنى الدينار نسبة للملك الأشرف وتوحيده حرته القافية ولابن القاسم وقد مدح من أجابه وأجازه

ولما مدحت الهبرزي بن أحمد * أجاز وكافاني على المدح المدح
فعوضني شعرا بشعر وزادني * عطاء فهذا رأس مالي وذا ربحي
لفظت ملوك الارض حتى لقيته * فكنت كمن شق الظلام الى الصبح

وهذا من قول ابن سنان الخفاجي

طويت اليك الباخلين كأنني * سريت الى شمس الضحى في الغياهب

ومما يشبه هذا قول الببغاء

زمن الورد أشرف الازمان * وأوان الربيع خير أوان
أدرك النرجس الجني وفزنا * منهما بالخدود والأجفان
أشرف الزهر زار في أشرف الدهـ * ـر فصل فيه أشرف الخلان

ومدح البحتري طاهر بن اسماعيل الهاشمي فبعث له بدنانير وكتب معها

لو يكون الحباء حسب الذي أنـ * ـت لدينا له محل وأهل
لجثت اللجين والدر واليا * قوت حثوا وكان ذاك يقل
والشريف الظريف يسمح بالعذ * ر اذا قصر الصديق المقل

(فردها وكتب له)

بأبي أنت أنت للبر أهل * والمساعي بعد وسعيك قبل

والنوال القليل يكثر ان شا * ء مرجيك والكثير يقل

غير أني وددت برك اذ كا * ن ربا منك والربا لا يحل

واذا ما جزيت شعرا بشعر * يبلغ الحق والدنانير فضل

ومثله قول أبي القاسم الداودي

ربما قصر الصديق المقل * عن حقوق بمن لا يستقل

ولئن قل نائل فصفاه * في وداد ونيبة لا يقل

أرخ سترا على حقارة برى * هتك ستر الصديق ليس يحل

ولنورد هنا ربا بالشعر وما قيل فيه فان الحديث شجون وقد قال الصنوبري

لست أستحسن الربا في سوى الـ * ود فأجزي مثلا بمثل وأضعف

ولما هنأ الشعراء ابن طاهر بولاية خراسان وأنشدهم تمام بن أبي تمام

هنالك رب العرش هنا كا * ما من جزيل الملك أعطا كا

قرت بما أعطيت ياذا الحجا * والباس والانعام عينا كا

أشرقت الارض بما نلته * وأورق العود بجدواكا

استضعف الحاضرون شعره وقالوا ما أبعد ما بينه وبين أبيه فأجابه بعضهم بقوله

حياك رب الناس حيا كا * ان الذي أملت أخطا كا

مدحت خدنا مثلهما ماله * ولو رأى مدحا لواسا كا

فهاك ان شئت بها مدحة * مثل الذي أعطيت أعطا كا

فقال أعز الله الامير الشعر بالشعر ربا فاجعل بينهما شيئا من الدراهم حتى يحل فضحك وقال ان لم يكن معه شعر أبيه فمعه ظرفه وأجزل جائزته وقال السراج الوراق

وعوضني على شعري بشعر * فجازى بالمحال على المحال

ولست ألومه فيما أتاه * لعادته قديما بالبدال

وكتب دعبل لأبي دلف وقد انقطع عنه

هجرتك لم أهجرك كفران نعمة * وهل يرتجي نيل الزيادة بالكفر

ولكنني لما أتيتك زائرا * فأفرطت في بري عجزت عن الشكر

فان زدتني برا تزايدت جفوة * فلا نلتقي طول الحياة الى الحشر

فوجه له ألف دينار مع رقعة فيها

الا رب ضيف زائر قد بسطته * وآثرته قبل الضيافة بالبشر

أتاني بترحيب فما حال بينه * وبين القرى والبشر من نائل نزر

رأيت له فضلا على بقصده * الى أن يراني موضع الحمد والشكر

فزودته مالا يقل بقاؤه * وزودني حمدا يدوم على الدهر

فرد دعبل الالف وقال الشعر بالشعر والبر بر باو مثل قول دعبل لأبي العلاء المعري

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * فالعذب يهجر للافراط في الخصر

وكنت كتبت لبعض الناس شعرا فأجاب عنه بشعر فكتبت له

فديتك قد بعثت الشعر درا * نفيسا عقده من الرقاب

بحثت بمثله من غير وزن * يخفر في الوجوه ولا يحابي

عملت بسنة المختار لما * منئت به سريعا في جوابي

وقلت بلا رباو فيت مدحا * بمدح منك صرت به ترابي

أخوه علي العصامي * كعبة المعالي ومن به حال الكمال حالي لا عيب فيه الا أن لفظه عطل الياقوت والدر ولا عيب في نداه الا أنه يستعبد كل حر فهو غرة الجمال وصورة الكمال اذا نطق فالروض زاره الحيا واذا تهلل فالنهر حياه برق السما ولعمري ان جده أسعد الله بجمع شمل الفضائل جده

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما

وهذا الحفيد عقد المناصب به نضيد لم يفتخر بآبائه ولم يتبهج بنضارة أصله وغمائه لما اعتصم بعروة الفضل الوثقى وصعد الى ربوة المجد وترقى وقال أنا عصامي لا عظامي وان كنت لذمار ما ترى حامي فألف وصنف ونوع قرى الاسماع والتحف وأفاد الطلاب وحل باسنان قلمه عقد المشكلات الصعاب وأقام في جوار بيت الله وحماه معتزلا عن الناس ولا بدع أن يعتزل جار الله وكان ممن ورى به زنادي وروى من ورده فؤادي وسعرت بالاستفادة ناري وفك عن ربقة الجهل بفضله أساري ولم يزل يرسل الي وفود أخباره ويهدي نسيم نجد الى نفحات آثاره الى أن صم الحسبر وعمى قائد الاثر وبيني وبينه مكاتبات منها ما كتبته اليه مع هلال مولاي أطال الله بقاك ورفع

على

على هام السماك أنهى اليك ناثر اللآلىء المعذرة بين يديك انى زرت البحر أخاك ويد الرجاء مدت اليه تحت عيون الشباك فأهدى الى من الميسره ما كدت معه أصطاد حوت السماك بشباك المجره وأرسل لى يارتى أمواجه فآنسانى الدهر وخطبه فلا أدرى أأعرض عنى أم واجه وأهدى الى حيتانا كأنها خناجر قطعت من الجوع العلاصم والخناصر فصير جيد آمالى حاليا وأذكرنى وما كنت ناسيا بحر عطائك وهو أكبر ولكن الشىء بالشىء يذكر فارسلت وان كنت كمن أهدى للجنان غض الزهر وأرسل الشمع للشمس والتمر لهجر

أرسلت أسمكا كالى * من مجده حل الفلك

أرأيت قبلى مهديا * أهدى الى البحر السمك

وذكر مرة فى درسه قول الرئيس ابن سينا فى بعض كتبه حديث ان الحكمة لتتنزل من السماء فلا تدخل قلبا فيه هم الغد فقلت انه لم يسنده وهو بكلام النبوة أشبه وقد نظمته فقلت

من يترك الدنيا يسد أهلها * ويقتطف زهرتها باليد

لاتسكن التقوى ولا حكمة * منزل قلب فيه هم الغد

وللامام الشافعى رضى الله عنه قريب منه

كم ضاحك والمنايا فوق هامته * لوكان يعلم غيبا مات من كمد

من كان لم يؤت علما فى بقاء غد * ماذا تفكره فى رزق بعد غد

﴿أحمد المدنى المعروف باليتيم مصغرا﴾ در فى حقائق الدهر يتيم ودوحة أدب هزها مرور النسيم بعذب طبع مسلسل وبرد فصاحة على الشعر مهلهل اذا نسج حلله على منوالها فهو من الطراز الاول فهو توأم نسيم السحر وشقيق الماء والزهر وربيب الحسن سقاه ماء الصبا وغذته الخمائل قدم عليها رسول الصبا مع خلاعة ومجون وحديث صبابة كلها شجون فى فتية ينظمهم الطرب نظما يرقص له الحبيب

لايجمعون على غير الحرام اذا * تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

فمن دره اليتيم وعقده النظيم

لله محكم قهوة تجلى لنا * فى أبيض الصينى طاب شرابها

فكأنما هى مقلة مكحولة * ودخانها من فوقها أهدابها

ونحوه ماقلته

زرت روض الحمى الاريض سحيرا * اذ دعاني اليه سجع الطيور
وكأن الشقيق تحت ضباب * مجمر فوقه بخار البخور

وقدمر قريبا نحوه

(سراج الدين بن عمر الاشهل المدني) سراج وهاج أشرقت منه أنوار الفصاحة وانجلت أبكار أفكاره في حلل الملاحه حديقة سحر وحة شجر تقطر منه مياه اللطف الجاريه وتجري برقة الحجاز وظرف العراق وجزالة الباديه ولم يزل مقيما بجوار الرسول عليه أشرف تحيه حتى أطفأ سراجه صرصرا لمنيه فمن شعره قوله

أرسلت رسلي لقهوة سحرا * فما أتوا سرعة من الكسل
فقيل صفها فقلت مقتبسا * جاءت على فترة من الرسل

(وله أيضا)

ما الحال قالوا صف لنا * فلعل ما بك أن يزاح
فاجبت ما يخفاكم * حال السراج مع الرياح

وقد سبقه لمثله في كثير من شعره السراج الوراق فمن محاسنه قوله

بني اقتدى بالكتاب العزيز * فزدت سرورا وزاد ابتهاجا
فما قال لي أف في عمره * لكوني أبا ولكوني سراجا

(وله أيضا)

المنى قد جاوزت سبعين حجة * فشكر النعماك التي ليس تكفر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعم نور الشيب رأسي فسرني * وماساءني أن السراج منور

(وللسراج الوراق أيضا)

كم قطع الجود من لسان * قلد من نظمه النحورا
فها أنا شاعر سراج * فاقطع لساني ازدك نورا

وللشعراء المتأخرين كثير أشعار تتعلق بأسمائهم وقد نحوت نحوهم لما قلت

قالوا ترى الك سقطت من رتب * أترى الزمان بمثل ذا غالطا
قلت الشياطين اللئام علوا * ولذا الشهاب من العلا سقطا

و عبد الرحمن وعلى ابنا كثير البكيان * أديبان سميا في وجه الكمال غره وجوادان سما، كرمهما للعافين سره امتطيا ظهر المجد ونزلا بطن تهامة وظهر نجد بهمة اذا غزتها النوائب كانت عن حد المرهفات نوائب التجأ في الدولة الحسينية الى طراز الدول وأو يا لها حيث لا عاصم من طوفان الخطوب الا ذلك الجبل فأصبحت يد الجود لاسباب الغنى رابطه ونظمت عقود الكرم في جيد أملها بلا واسطة ففي تلك الاكف بحار تغرق فيها الآمال ويرشح من عرق الجبل لها جبين السحاب الهطال من كل من مسحت راحة احسانه قذى الفقر عن عين زمانه فنادى لسان العيان قد وضح الصبح لمن له عينان فمما أنشد لعبد الرحمن قوله

كبار زماننا أضحوا صغارا * وقد غضب الزمان على الكبار
كأن زماننا من قوم لوط * له ولع بتقديم الصغار

وفي معناه قول المعمار

أيرى مغرى باللواط الذى * يقبح لا سيما على مثله
أوقف حالى لا تسل ما جرى * وصرت خلف الناس من أجله

(وقلت)

وزمان فيه الصغير تقدم * أتراه لذلك الذنب يندم
لعن الله قوم لوط فهم قد * علموه التقديم حتى تقدم

وقلت أيضا وهو أحسن مما تقدم

أقول لهذا الدهر عتبا على ملا * تقدم من قد قدمته الورى حقا
فهم بتقديم المقدم نوبة * فكان الذى قد رام تقديمه علقا

ومما أنشدته لعلى بن كثير قوله

صحبت الأنام فالفيتهم * وكل يميل الى شهوته
وكل يريد رضى نفسه * ويجلب نارا الى برمته
فلله در فتى عارف * يدارى الزمان على فطنته
يجازى الصديق باحسانه * ويبقى العدو الى قدرته
ويلبس للدهر أثوابه * ويرقص للقرد فى دولته

وقوله يجلب نارا الى برمته البرمة قدر من حجارة بلغة أهل مكة وهذا المثل كقولهم فى مثل آخر كل يحطب فى حبله ويجر النار الى قرصه أى رغيفه وما أحسن قول الآخر

ويوم قر زاد أرواحه * يخمش الابدان من قرصها
يوم تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها

وفي معنى قوله ويرقص للقرد الخ قول الاهوازى

قل لمن لام لاتلمني * كل امرء عالم بشأنه
لاذنب فيما فعلت انى * رقصت للقرد فى زمانه
من كرم النفس ان تراها * تحتمل الذل فى أوانه

(ولابى تمام)

لابد يانفس من سجود * فى زمن القرد للقرود

وتقدم الصغار داقديم ممن ابتلى به الثعالبى وقد اشتكاه بقوله فى قصيدة له

لك الدنيا ومافيها بلاد * تلاحظها بعينيك احتقارا
تكبر الزمان على بنيه * فعش حتى تعلمه الصغارا
وصار صغارهم فيه كبارا * فدم حتى تردهم صغارا
خدمتك للملوك أروض نفسي * لآمن تحت خدمتك العثارا
ولو كانت الدنيا جعلنا * لك الدنيا ومافيها نثارا

(محمد أبى الخير بن العلامة ابن حجر الهيتمى المكى منشأ وموطنا)

بليغ عذب البيان نجيب سبط البنان طويل النجاد وسيف اللسان رأيته وأنا بالحجاز وليس بينه وبين الكمال حجاز وأنشدنى له شعرا من خير الامور وقد يقع مايجلو طيف السرور الا أن أكثره فى الاهاجى ومنه ماهو فى المعميات والاحاجى فمما أنشدنى له قوله

ياذا الذى فى خاله حبة * سوداء فى الخد الشديد الصفا
دعنى أقبلها تزيل الضنى * فالحبة السوداء فيها الشفا

وله فى مليح اسمه على

لعلى محاسن * ماالهاقط مشبه ولشامات خده * كرم الله وجهه

والدعاء بكرم الله وجهه مختص بالامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فى لسان الناس لانه أسلم صبيا ولم يسجد لغير الله وقد روى الشيعة فيه أثرا وهوان أمه رضى الله عنه وهى حامل به كانت اذا جاءت لصنم أحست بتحويل وجهه عنه فى بطنها ولم ترفيه

ثم لالغيرهم انتهى

(العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي نزيل مكة شرفها الله)
علامة الدهر خصوصا الحجاز فاذا نشرت حلل الفضل فهو طراز الطراز فكم حجت وفود الفضلاء لكعبته وتوجهت وجوه الطلاب الى قبلته ان حدث عن الفقه والحديث لم تتقرط الآذان بمثل أخباره في القديم والحديث فهو العلياء والسند ومن تفك سهام أفكاره الزرد غرز منيرات أضاءت في وجوه دهم المشكلات فكم أغنى بتحف أفكاره محتاجا وأوضح للارشاد منهاجا ولود الليالي عن مثله عقيم ودرياق نفثات طبعه السليم شفاء كل سقيم نشرت على الدنيا خلع الفرح وتزينت ببديع صفاته المدح أقلام فتاواه مفاتيح ما ارتج من المسائل المشكلة والعلم باب مغلق مفتاحه المسئلة وهو من أجل مشايخ والدي الذي ورثت من علومه طارفي وتالدي رحمه الله تعالى

(علاء الدين بن عبد الباقي) صاحب كتاب الطراز المنقوش في محاسن الحبوش رأيته فرأيت منه عذب بيان بديع في صورة أديب خليع ورأيت كتابه هذا وهو في وجه أدبه شامه وعينا في محيا عمره نظر به الدهر وشامه وله ربيع أدب وريق وسلافة خلاعة نقلها اقبل وريق وأنشدني من شعره طرفا لم يتعطر كتابي بنشره وكتاب ابن الجوزي في معناه فاح من مسك مداده عرق طيبه وشذاه

مصور من حدق الحسان * مركب من ملح الغيلان
كأنه في ناظر الزمان * انسان عين الحسن والاحسان

(القاضي حسين المالكي المكي) سماء سحائب الكرم وصائد قنص المعالي في حمى الحرم اذا نشرت صحف نداه طوي ذكر حاتم طي أو رفعت رايات علاه فليس في غير السودد في أوفد كر الكرام فهم له خدم أو أينعت رياض محبرة دارت أنهار جوده حولها خدم ذو همة نظمت راحتها عقد المكرام وبددت ما تجمع من خطوب الايام بطبع ألذ من محادثة الحبيب وأعذب من مفاكهة الصديق الاريب وغرة أشهر من مثل وعن الملوك فلا تسل شريف النسب سري الحسب اذا أخصبت غمائم الندا عذباته الخضر أجدبت ساحته من الحمر والصفر

ان قال يا عنبر جاء الشذا * أو قال يا ياقوت جاء الذهب

يشرق نور النبوة من بارق أسرته وتطلع بدور الهدى من هالة أسرته ثم لم تزل السعود

في خدمته قائمه وعيون النوائب عن معاليه نائمه راقيا من مطالع الكمال أوجها نجميا يفيض سنا من بدر التم أوجها الى أن تولى قضاء طيبة الطيبة وأمنت خيام سعده على هام الفلك مطنبة فبدا المحاق بدره وختمت بيد القضاء مصحف عمره ويقال انه هبت عليه شعوب بعواصف السموم وجرعه ساقي أجله كأس السموم وكان في شرخ شبيبته واقبال راية طبيعته في خمول يرى الدهر الصبر كيف يكون ويعز والخطوب عليه تهون

همم الفتى في الارض أغصان الغنى * أبدا وليست كل حين تورق

(شيخنا العلامة على بن جار الله المكي الحنفي الخطيب مفتي الحرمين الشريفين) خطيب مصقع لفظه بالفصاحة موشى موشع اذا انحدر من تلعته ماء بلاغته وسال لبطحاء أم القرى سلسال براعته شهد بفضله الناس من فاجر ومن بر وكاد يخضر تحته أعواد كل منبر

فتهتز أعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت أيامها وهي أغصان

فعطر المحافل طيبا فلا ندري أضمخ طيبا أم ضم خطيبا رأيته وقد طعن في السن وليس له غير الغصا فنا وقدرقي شرف السبعين وهي سلم الفنا وهو ينشر في ناديه حبر الربيع الأثيث وترفع له الفتاوى في عصره وأسانيد الحديث ووردت منهل افادته رائقا وأخذت من اجازاته ما صرت به على الاقران فائقا وهو في مذهب النعمان لشيخنا المقدسي شقيق وأم القرى لم تلد مثله من نجيب عريق

(على البكري وانى المغربي نزيل مكة المشرفة) صوفي أقام بمكة لابسا برد التقى حتى أحرم وتجرد من لباس البقا وله شعر على طريقة أرباب الحقيقة كقوله

رق الشراب وراقت الكاسات * وتشابها فأضاءت المشكاة

اشرب هنيئا ان فهمت حديثنا * أنت الكليم وذا تلك الميقات

وهو كقول الصاحب ابن عباد

رق الزجاج وراقت الخمر * وتشابها فتشاكل الامر

فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

(معين الدين بن البكا نزيل مكة المكرمة المعظمة شرفها الله) نديم دمث الأخلاق متوشح ببرد لطف حواشيها رقاق فهو للادباء صدر وناديه مثله واسع الصدر

نبتت

نبتت دوحته فى رياض الحسب فأجتنى منها زهرة الحياة وفواكه الادب وله من طيب الانفاس ماتسكر به الحيا والكاس مما هو أحلى من ثمرات الامانى غب مرارة الباس وهو ممن ساجلته وأنا للادب ممتاح ونادمته والعمر مورق بالمسرة مثمر بالنجاح

ليالى أعطيت البطالة مقودى * تمر الليالى والشهور ولا أدرى

كان بعد ماوقع له بالر وم هاجر لبنى حسن وأقام فى ظلهم بمكة مؤتلفا بهم ائتلاف المقلة بالوسن فأينعت ثمرته بعد الذبول وسقاه صيب كرمهم وهبت له نسمات القبول فلما توفى السيد مسعود تبدل بالنحس السعود فجرد ديباجته وارتحل عملا بقولهم اذا نبا بك منزل فتحول ولأمر ماثنى القرن عطفه وجدع قصير أنفه وكانت أيامه غضة نضره تكاد فى عصره تقطر منها مياه المسره وكان فى جمع المعارف والنوادر ممن لم ير الدهر نظيره ولم يطن على سمعه حديث كاحاديثه النضيره فهو ذكاء الفلك وماهو بشر بل ملك فما ترشح من قطراته وجرى فى المسامع من عذب كلماته قوله

ياشقيق الروح والجسم ويا * دوحة بالود فضلا أثمرت
بحياة الود الاصنته * لمحب روحه قد سعرت
كنت لا أخشى حسود الاولا * عين واش ان بسوء نظرت
وأرى الود وهى بنيانه * ماكان العين الاأثرت

ومن شعره تذييل لبيت القاضى الفاضل

تراءت ومرآة السماء صقيلة * فأثر فيها وجهها صورة البدر
ولاحت عليها حليها وعقودها * فأثر فيها صورة الانجم الزهر

(وله أيضا)

حاذر زويلة أن تمر بها بها * وطعامها كن آيسا من خيره
فوسط القتلى يقول بها انظروا * من لم يمت بالسيف مات بغيره

وهو تضمين لقول ابن نباتة السعدى من قصيدة

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تعددت الاسباب والموت واحد

ومن شعره قوله فى تقسيم الايام

الدهر أربعة أيامه انحصرت * صحو وغيم وريح ثم أمطار

فالصحو ظرف لاصلاح المآرب اذ * تقضى من الصيد يوم الغيم أوطار
ويوم ريح لنوم لاحراك به * ويوم هطل السما للكاس مدرار
واليوم قد نثرت دراسحائبه * على بساط ربى يكسوه أزهار
فبادر الكاس يابدر الزمان فمن * ضياء وجهك لافى الافق أقمار

(العلامة عبد الرحمن الخيارى نزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) فاضل اذا جمعت الفضائل فهو منتهى الجموع وكامل كماله كثمر الجنة لامقطوع ولاممنوع لما رأى الوقت سيفا لايقطع الا الاعمار وان المرء قبل فوت الفرصة على أيامه بالخيار لم يمض له وقت فى غير العباده ولاساعة فى غير الاستفادة والافاده بوجه أبلج وضاح يلوح من غرته نور السداد والصلاح كان الله جمع له المناقب فاختار منها وانتقى ورأى أن أحسنها وأكرمها التقى وآثار أقلامه يحسدها الحور واللما ويعرق منها خجلا خد الروض بالندا

أبدى صنيعك تقصير الزمان ففى * خد الربيع طلوع الورد من خجل

كان فى زمن الطلب ومنافثة اخوانى أولى الادب صديق روحى وشقيقها وريحان مسرتى وشقيقها وعود الزمان خضر وريق ووجه بشره بسام طليق ولما رأى أن الله أوصى بالجار وحل لطيبة الطيبة وسكن فى جوار النبى المختار فدخل روضة من رياض الجنة فى حياته واذا أنعم الله على عبده حباه بنعمة لايسلبها منه بعد مماته فكتبت له متشوقا للقائه وملتمسا صالح دعائه

يانسيما من نحو طيبة سارى * مهديا عطرندها والعرار
مزريا نشره بعنبر شحر * فى حشا جونة الفتى العطار
خذ فؤادى فذاك مجمر شوق * وغرام بجمر الوجد وارى
موقدا فيه عنبرا من مديحى * لحبيب المهيمن المختار
المقام بمقتضاه بليغ * لايوفى بلاغة الاسرار
وفصيح فصاحة اللفظ فيه * زاد حسنا بكثرة التكرار
ولمن فى ذراه من كل جار * حاز حفظا لعيشه بالجوار
فهم خزرجى وأوسى وان لم * يسعف الدهر بالمنى أنصارى
سيما صنوى الشقيق لروحى * وهو عبد الرحمن حامى الذمار

قد تملى بروضة حازفيها * بثمر السعد مزهر الانوار
باع دنياه نتباه أخرى تسامت * فغدا فى مبيعه بالخيار
فعساه يمن لى بدعاء * مستجاب فى ليله والنهار
ليحوز الشهاب أعظم سؤل * وأمان من مطلع الاقمار
ما ارتدى الليل من برود الدياجى * حلة طرزت من الاسحار

فأجاب سقى الله ثراه

بعد اهداء أسنى السلام السارى * من ربى طيبة أجل الديار
فاق قاطنيه شذا كل مسك * فاتقا نوره دجى الاسحار
لحبيب فى الله خل وفى * طيب الاصل ذى الثناء السارى
أحمد الفعل والشهاب المرجى * كاشف المشكلات كنز الفخارى
دام فى نعمة وعز ولطف * من اله الورى الكريم البارى
محييا سنة الاولى سبقوه * باتباع الاولى وحسن الوقار
وصلاة مع السلام دواما * للنبى الممجد المختار
ولآل وصحبه ما اضمحلت * ظلم الظلم باجتلا الانوار

فانى أحمد الله تعالى وأصلى واسلم على نبيه صلى الله عليه وسلم وأعرض كثرة الاشواق وتزايد الوداد الذى لم يغيره تعاقب المدد والمعاد ودوام الدعاء المرجو القبول لاسيما بجاه أكرم نبى وأشرف رسول ووصول مكتوبكم الكريم وحصول السرور بلوامع مضمونه وبدائع مكنونه وقد بلغنا حسن سيرتكم فى المناصب ومزيد العفة فجزاكم الله تعالى خيرا وأعانكم وسددكم ولا تقطعوا أخباركم السارة جمع الله لنا ولكم خيرى الدنيا والآخرة بجاه المصطفى الامين آمين]

تتمة من نفحات اليمن ومن بلغنا خبره فى هذا الزمن ممن بقى بها من الفضلاء والشعراء وكان قريب العهد فمنهم رحمهم الله تعالى

(عبد الله بن شمس الدين بن مطهر اليمنى) فرع من ذؤابة هاشم ونبعة من وشيج تلك المكارم من آل مطهر وهم ملوك مكرمون لايمس معنى مجدهم الا المطهرون من حدث البشرية ودنس الهيولى الدنية من كل من قضى للعلياء وطرها وتلا آيات المجد وسورها تعبق منهم أنفاس النبوة وتجر على وجه البسيطة

أذيال الفتوه ولم تمح محاسنهم من صحف الليالي والايام ولا تثمر بمثلها أغصان البراع والاقلام

مغارس طالت فى ربى المجد فالتقت * على أنبياء الله والخلفاء
اذا حمل الناس اللواء علامة * كفاهم مثار النقع كل لواء

حتى أغارت عليهم جيوش ابن عثمان فذوى ذلك الثمر واستفت الايام ماء حياتهم فلم يبق الا الكدر فالتجا الى جبل كوكبان واستظل به من هجير حوادث الحدثان وهو جبل تضىء به قناديل النجوم وتلتف على هامته عصائب الغيوم يزاحم الافلاك بالمناكب وتكاد أن تلتقط سكانه لآلئ الكواكب

عال كان الجن مذ مردت * جعلته مرقاة الى السمر

وهو الآن تاج على رأس الزمن وخال تتزين به وجنات اليمن كانما شمخ كبرا بمجاورة من به نزل وصار كبير أناس فى بجاد مزمل

وطود على ظهر الفلاة كانه * طوال الليالى مطرق فى العواقب
يلوث عليه الغيم سود عمائم * لها من وميض البرق خضر ذوائب

تحيي به آثار آبائه بعد مماتها ويرد روح المكارم للآمال بعد وفاتها وفواتها فمما التقطته من بعض السيارة من أشعاره وأهدته الى تجار اليمن من تحف آثاره قوله من قصيدة مدح بها أخاه عز الدين

خطرت فقال الغصن صل على النبي * وبدت فقالت للشموس تحجبي
وسموطها دارت على لباتها * وزهت فقلنا للنجوم تغيبي
لاحت لنا كالبدر ثم تبرقعت * فرأيت بدر احل قلب العقرب
وبخدها خال أراه عمه * حسنا وناسبه بلون أجنبي
فلطرفها عز انكسار جفونها * ولعطفها تيه المدل المعجب

(ومنها)

منى على بزورة أحيا بها * فى أنس قربك أوعديني واكذبي
رفقى بعزك يا سعاد لذلتي * منى ومنيني أماني أشعب
ما أحسن الاطماع يرجى نيلها * والصب بين مصدق ومكذب

(ومنها)

يا ليت

ياليت شعري هل أفوز بعطفي * من لثم ذيالك الخد يد المذهب
من لي بشمس الجمال تمنع * مادونه لمحبه من مذهب
متلون كدا معي فوعوده * لقيتني بالخائف المترقب
ياقلب مالك ما انقلبت عن الهوى * والقلب قد قالوا كثير تقلب
خل النسيب فقد أطلت وعدعن * ذكر الصبابة واشتغل بالانسب
كفر زخارف زورلهو بالثنا * وانشر ملاآت الحديث الاطيب
بصفات عزالدين والدنيا ومن * ماقلت فيه من الثنالم تكذب
حدث وقل ماشئت في أوصافه الحسني وجيء * بكل فن معجب
أسد تخاف الاسد ثعلب رمحه * وعجبت من خوف الاسود لثعلب

قوله صل على النبي المراد به التعجب والناس يستعملونه بهذا المعنى كثيرا كقول شيخ الشيوخ الانصاري بحماة فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صل على محمد

وقال عرقلة

أقبل يهتز في غلالته * من ليس يشفي لعاشق غله
فقال كل امرىء تأمله * ألف صلاة على رسول الله

وقد تابعتهم فقلت في قصيدة

ظبي على الصب حين سلم * صل على المصطفى وسلم
مدنفه والدموع بحر * بترب أقدامه تيمم

ومثله قولهم الله أكبر كما قال ابن النبيه

الله أكبر ليس الحسن في العرب * كم تحت كمة ذا التركي من عجب

وهو قد اقتدى بعلي بن الجهم في قصيدة مدح بها بعض الخلفاء

الله أكبر والنبي محمد * والحق أبلج والخليفة جعفر

وقد طابه شعراء عصره حتى قال فيه مروان يهجوه

لما وصلت الى الامام عشية * وكذبته ومدحته بأذان

(وقال أيضا)

أراد علي أن يقول قصيدة * يمدح أميرا لمؤمنين فأذنا
فقلت له لاتعجلن باقامة * فلست على طهر فقال كذا أنا

والامام النووى رحمه الله تعالى صرح فى الاذكار بأن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى مثله ممنوعة شرعا والوارد فى مثله سبحان الله وقال الحليمى من أئمة الشافعية انه جائز بلا كراهة وبينوا وجهه فى فقههم (لطيفة) من غريب التمليح ما وقع فى مجلس أبى بكر ابن زهر من أن بعض أدباء الاندلس كان عنده فدخل فاضل من أهل خراسان عليهم فأكرمه ابن زهر وأجله فقال الاندلسى ما تقول فى علماء الاندلس وأدبائهم وشعرائهم فقال كبرت فلم يفهم جوابه واستبرده فلم يفهم ابن زهر انكاره ثم قال أقرأت شعر المتنبى قال نعم وحفظته قال أما سمعت قوله

كبرت حول ديارهم لما بدت * تلك الشموس وليس فيها المشرق

فعلى نفسك فلتكبر ولفهمك فاتهم وأنكر فخجل واعتذر أقول هكذا فلتكن محاورة الادباء وأراد أبو الطيب بتكبيره التعجب وقوله فى القصيدة أسد الخ فيه ايهام بديع فان الثعلب طرف الرمح الداخل فى السنان والحيوان المعروف ومثله قول ابن الساعاتى

ولو علك الملك الاهلة عنده * أبى فخرها الا انعالا لجرده

اذا مد جيشا للعدو تلاعبت * ثعالب أطراف الرماح بأسده

وقوله أو عدينى وا كذبى يقطر منه ماء اللطافة كقول مهيار

يا ماطلى بالدين ما ساءنى * اليك تردادا المواعيد بى

ان كنت تنجز ثم لا نلتقى * فدم على المطل وقل وا كذب

(ولالشريف الرضى)

يعجبنى مطل غريم الهوى * لطول ترداد الى الماطل

ومثله حسن كثير قديما وحديثا كقول الطغرائى

وتعجبنى المواعد كاذبات * لترداد اليه على المطال

(ولابن الفارض رضى الله عنه)

عدينى بوصل وامطلى بنجازه * فعندى اذا صح الهوى حسن المطل

(السيد حسين بن مطهر اليمنى رحمه الله تعالى) هذا أيضا من أشراف العصريين وقد أنشدنى له بعض أصحابنا شعرا يفوح منه عرف تهامة ونجد ويترجم عما فيه من المجد كقوله من قصيدة له

من

من أين يخلق جدك المتجدد * ويزول عنك حنينك المتردد
وقد استفزك بالرحيل مودع * قالوا الرحيل غدا عدمتك يا غد
يا نازلين على العذيب وثهمد * بأبي وبي كيف العذيب وثهمد
أخزامه وبشامه وأراكه * خضر على ما تعهدون وأعهد

(ومنها)

الحج يقصد كل عام مرة * ولك العوالم كل حين تقصد

وهذا المعنى كثير مسبوق اليه كقول بعض العصريين

كعبة أسست على الفضل لكن * كل حين لها تحج الوفود

أصله قول سعيد بن سلام وقد قال له بعض ندمائه في بستان ما أحسن هذا البستان فقال له أنت أحسن منه لانه يؤتى أكله كل عام وأنت تؤتى أكلك كل حين ومن قرب عهده باليمن

(عبد الهادي السودي صاحب الديوان المشهور) فاضل جمع في أغصان الالفاظ ثمار المعاني وعارف بالله جناه في كل حين داني شيخ الطريقه العابر من قنطرة المجاز الى الحقيقه جمع من بضائع الادب ما راق صنعا وحسدته لرقة نسجه برود صنعا ونسج من مهلهل الاشعار في السلوك ما كان قلمه على منوال طرسه مكوك وشعره مطبوع وعلى أكف القبول مرفوع تلذ به الاسماع وتطرب على السماع وأكثره على لسان أهل العرفان الذي هو للحضرة الالهية ترجمان كقوله

كيف حار واقيك واعجبا * يا منى سمعي ويا بصري
أنت لا تخفى على أحد * غير أعشى الفكر والنظر
حيرة عمت فأي فتى * رام عرفانا ولم يحر

وقوله من قصيدة

عاذلي في الحب أو خطره * لست من ليلى ولا سمره
أنا في واد أظنك ما * قلت في الافياء من شجره
لا تطل فيه الملام الى * أن تذوق الحلو من ثمره
يا حلول الشعب من أضم * أنشقوني النشر من زهره

وهذه على منوال قصيدة أبي نواس التي مطلعها

أيها المنتاب من عفره * لست من ليلى ولا سمره

لكن الشنآن فيه لنا * ككمون النار في حجره

لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره

وهي طويلة في ديوانه وممن قرب عهده أيضا

اسماعيل بن ابراهيم بن اسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر بن علي العلوي الزبيدي الشافعي من ذرية اليمني شارح الكشاف أغر عماني منه تجني ثمار الاماني سحاب فضله أوطف الأهداب أخصبت به رياض المعاني والآداب نقاب محدث تمم أفكاره على أسرار الغيوب وربيع مريع اذا أنبت الربيع البقل أنبت ريحان القلوب ولد بزبيد وبيت شرفه فيها مشيد

ولدت به أم السيادة أوحدا * متضمنا معنى العديد الأكثر

وللدهر فيه عداة لا تعرف المطل ومقدمات مرتبة لنتائج الفضل حتى ظهرت له اليد البيضاء في الفنون العقلية والنقلية لا سيما أبدعه في شرح الجامع الصغير من دقائق العربيه فكم شفى افهاما مراضا قلوبها ولا يعرف الادواء الا طبيبها كما قال تلميذه الصدر فيه من قصيدة

وان تكن للنحو أصلا فلا * غروفا سماعيل أصل العرب

مع شرف الحسب وعلو شجرة النسب فهو مكرم مفضل معم مخول والفخار فنون كما أن الحديث عنه شجون والاخبار الصادقة على محاسنه عيون وقد رأيت من آثاره أبكار عرائس وحورا مقصورات في خيام الأفكار أوانس لا ترتضي الثريا عقدا والزهرة قرطا ولا تلبس المجرة رداء ولا مرطا كشرح الجامع الصغير وتعريف البيان في شرح لقطة العجلان للزركشي في المنطق والاصلين والجدل وهو كما قال فيه نسيبه الفاضل عفيف الدين

ياسائلي جهلا عن اسماعيل عن * مقدار رتبته ورفعة شأنه

أنصت تجد تعريفه وبيانه * كافيك عن تعريفه وبيانه

أو لا فعذرك فيه عذر واضح * والشيء قد يخفى لبعد مكانه

ولشعراء عصره فيه مدائح كثيرة كقول عامر بن هرون الموزعي

رأوك فضلتهم أدبا وسمتا * فنالوا منك عدوانا وبهتا

ورامُوا النقص منك فأكذبتهم * ظنونهم وعاد الذم نعتا
حماهم نجم سعدك أن يحلوا * محلك أو يحوموا حيث حمتا
تصرف يا ابن ابراهيم فيما * حويت من المعارف حيث شئتا
وكيف يسومك الحساد خسفا * وأنت أجلهم حظا وبختا
وأبرع من تلفتت المعالى * اليه ومن برى قلما وأفتى
وقد ناديت لما سرت ربى * بما ناداه ذو النون بن متى
بأن يكفيك عادية الليالى * وتصحبك السلامة حيث كنتا
وقد أتت سؤلى فيك اذلم * تزل فوقا ومن عاداك تحتا
فدونكها عروسا من صديق * تمت بصحبة الآباء متا
وخذها غضة من منطق لا * بألثغ لا يبين ولا أرتا
وبطت بها معالى الشمس قسرا * وقومت القوافى فيك نحتا
يود البدر لو ترضى به أن * يكون لها أخا والشمس أختا

وقد حاز قدرا عاليا وجاهه ونشر من الفضل ما أيد الله به عزه وجاهه مع زهد ليس طرفه لزخرف الدنيا برانى ولا بدع فالحكمة يمانية والايمان يمانى روح الله روحه وزاد من نعيم الجنان فتوحه

﴿القسم الثالث فى مصر وأحوالها وسبب العود لرسومها وأطلالها﴾

لما كانت مصر القاهره ربوعها بالفضلاء والادباء عامره وهى عشى الذى منه درجت ووكرى الذى به ريشت ومن بيضة بلده خرجت

بلاد بها نيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

رأيت أهنى العيش ما كان فى الوطن والنعيم المقيم انما يكون فى الاهل والسكن الا انها أبدت العقوق من حين عفت التميمة واذاقتنى الاذى وجرعتنى الدم فى المشيمه وأخرجتنى من مضيق لمضيق وشدت فى المهد قيدى الوثيق وما كشفت عن وجهى القناع حتى فطمتنى قبل الرضاع

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها * لأوسع مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

فنفرت من ظلى وأسأت الظن بسميرى فكرى وعقلى وعادتنى نفسى فاظنك باهلى وأعدى عدوك بين جنبيك فالك بغيرك ان كان لك أو عليك

قلـــبى الى ماضرنى داعى * يكثر أسقامى وأوجاعى

كيف احتراسى من عدوى اذا * كان عدوى بين أضلاعى

فقلت أهل بأهل ودار بدار والعمر فرصة فالبدار البدار فالدهر عقب والعجز نصب وكل ماتهواه حسن وليس لما قرت به العين ثمن ومن كان من تراب فالناس كلهم أقاربه وماخاب حر رفيقه الرجا والعزم تجائبه وما أحسن الثبت ان ساعدت الاقدار وما أجمل الصبر لو صبرت الاعمار وما قال الله تعالى أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت الا أرشادا لك للرحيل وأن كل دار سقفها السماء ظلها ظليل

وكم نبت الاوطان يوما بأهلها * فاورثهم عز الحياة التغرب

وهذا رسول الله فارق مسكة * على جفوة لم ترضها فيه يثرب

ففى كل قوم أوس وخزرج ومن العمود الى العمود فرج وكليم الله آنس نارا ذهب ليأتى منها بقبس فكلمه الله جل جلاله حتى اقتبس من نور النبوة ما اقتبس ولما ارتحلت حمدت السرى ونبهت عيون حظى من سنة الكرى تركت بها من سادات نا العلماء والادباء والرؤساء عصابة وأى عصابه ﴿أهل السماحة والرجاحة والاصالة والاصابه﴾ كرام اذا أخلفت الانواء خلفوا سحابه واذا استعبد الكرم الاحرار ملكوا رقابه ففارقت من فارقت غير مذمم وعممت من عممت غير مميم وهكذا الدهر مولع بالبين فكأنه خاف اللحن فلا يجمع بين ساكنين

ومما أعان عـــلى الزمان * عفاف يدى وعلو الهمم

فانى من العرب الاكرمين * وفى أول الدهر ضاع الكرم

فمن كان بها فى ذلك الزمان ثم دخل بعد ذلك فى خبر كان

﴿محمد بن يس المنوفى﴾ فاضل أديب وصديق لى صادق الود نجيب علم أقلامه نفثات السحر وعمها بغالية مداد أرخصت مسك الشعر فامسك نبت عند نفحة رياض له لرياحين العقول نبت فكم حل عرى النوم عن مقلته فاقتنص أوابد المعالى ببازهمته واجتنى ثمرات المعارف من جنان أمله وغصن شبابه معتدل لم تطمع

الحادثات فى ميله

أمامن الظرف عنده الدهرثاو * لكن الظرف عنده ابن سبيل

وكانت لنا معه أو يقات هى فى صحائف العمر حسنات وخمائل الشباب دانية القطاف زاهية الزهرات فى عنفوان عمرى واقبال طليعة أمرى وماء الحياة مغدق وغصن الشبيبة مورق متفيئا فى هاجرة التحصيل أفياء الصبا نازلا حيث لا عليل الا عيون الغيد ونسيم الصبا ولا باكى غير طرف النرجس بدمع الندى ولا ساهر الا عيون النجوم التى هى للسارين هدى والدهر طلق طيب الأخلاق وسوق الفضائل لا ينفق فيه النفاق لا كهذا الزمان الذى كسد فيه الادب و بار حتى قيل فيه نفق الحمار وبارت الاشعار فما جاد به طبعه المريع وزها به فكره فى كل زمان ربيع قوله من قصيدة يرثى بها الوالد رحمه الله تعالى

مابال أيدى النائبات تخون * وتديم رضف المجد وهو رصين

يادهر لاعتبى عليك ولا رضى * كل المصائب بعد ذاك تهون

تعد الورى البؤسى فتسرع وقعها * واذا وعدت بمايسر تمين

(ومنها)

لو كان يجدى النوح ميتا قبله * نفعا لناحت أعصر وقرون

ياواعظا بسكونه حركتنا * ولأنت بالوعظ المفيد قمين

(ومنها) وغدا ضجيع الرمس الا أنه * فى قلب كل موحد مدفون

حفتك رحمة ذى الجلال وعفوه * وسقى ثرى جدث حواك هتون

وسرت محاسن ماصنعت حواملا * حسن الثناء يحثها التأمين

ومما أنشدنيه قوله من قصيدة أخرى

تائهة بالدلال يثنيها * عن حائر فى الهوى تثنيها

قرح فيض الدموع مقلته * فاشتبك الماء فى مآقيها

ومن غدت فى سواد مهجته * لواعج الشوق كيف يخفيها

يبعدها الصد والهوى محن * عن ناظرى والغرام يدنيها

هل بارق ما أرى أم ابتسمت * فانتظم الدر فى تراقيها

عن فتكها قدها يحذرها * ولحظها بالصدود يغريها

ان سفرت فالهلال طلعتها * أو خطرت فالغصون تحكيها
أو نظرت فالظباء فى خجل * أو نكهت فالعبير فى فيها
أو سخطت حيها وقل لها * كل صديق عساه يرضيها
لو سمحت بالكرى لأرقنى * وهنا من الليل خوف واشيها
أو بعثت طيفها العرفها * ماذاقة الصب من تجنيها
شقة بين لهجر نانشرت * فلا يكاد الزمان يطويها
جرعنى الدهر بعدها غصصا * أكتمها تارة وأبديها
يا بائعا نفسه بلا ثمن * أرخصتها فالهوان يشريها
ما بال هذا الزمان يتحفنى * بمصعبات الى يهديها
طلائع للشيب ضاحكة * بعارض والشباب يبكيها

(ومنها)

خذ روضة طاب فيك مغرسها * منها ثمار المديح تجنيها
فى لهوات الرواة أنبتها * ذكر علاك الذى يرويها

(ومن أهاجيه)

ومسبلين على لبس الوقار لحى * يشكو ظلامتها صدر وأكتاف
يشك ناظرهم فيهم اذا ركبوا * حتى كأن وجوه الخيل أرداف

(وله أيضا)

ومن تمسح الايام رأس شبابه * براحة بلواها يشب قبل مسحها
ومن يرع سمعا للنصيحة من عدا * يجد ما تحامى فى أسرة نصحها

(وله أيضا)

ساومتنى الهموم والحزن عن * كان يرعى على البعاد جوارى
كنت أبكى بعد الديار اشتياقا * فدهانى بكاء قرب الديار
أى قلب يقوى على فقد الف * فين رهين الثرى وناءى الدار

(وقوله أيضا)

ما حال من رمت النوى بعد الجوى * فى عارضيه وقلبه بهموم
ففؤاده فى أرض مصر وجسمه * شابت مفارقه بأرض الروم

قوله أو سخطت البيت هكذا فى النسخ ولينظر اه

(وله أيضا)

عذبت الليالى فأفنيتها * وعذبت فكرى بطول السهر
وخضت البحار وما خفتها * وأخرجت منها نفيس الدرر
وفصلتها ثم نظمتها * وعلقتها فى رقاب البقر

(وله من قصيدة)

ما لعصر الشباب رثت بروده * ولوت جيدها عن الوصل روده
ولميّاده وما طال عهد * بن سقيط الندى ذوى أملوده
وسواد العذار عادم بيضا * فأتى ناصع البياض يعوده
ما لحب يحلو عليه ولكن * بزمام الى الحمام يقوده

(وله أيضا)

ومن تخطئه نيران المنايا * فسوف يصيبه ألم الدخان
وابلغ من مذاق الموت بأس * جناه المرء من روض الامانى

وله أيضا

قضيب للربى وافى * لخد الورد فى خجل
وعين النور شاخصة * وشخص الظل لم يمل

(وله فى رأس على رمح)

هامة فى الحياة طاولت الشهب وما نالها هبوب الرياح
أنفت بعد موتها الترب فاختا * رت لها مسكنا رؤس الرماح

وهذا كقول البحترى فى غريق

ولما لم يسعه البر قبرا * غدا البحر المحيط له ضريحا

ومن بدائه الاستاذ البكرى البديعة انه التمس منه بعض الادباء شفاعة لبعض الوزراء فاخذ القلم ليكتب له ما أراد فسقط القلم من يده فقال بديهة

ولما ضاق عنه الطرس وصفا * جعلت له بسيط الارض طرسا

وأصل هذا كله قول ابن الانبارى فى مرثية الوزير ابن بقية لما صلب وهى مشهورة

ولما ضاق بطن الارض عن أن * يضم علاك من بعد الممات
أنابوا الجو قبرك واستنابوا * عن الاكفان ثوب السافيات

ومما أنشدني بعضهم للنوفي

حلف المتيم أن يوده * بلغ المنى أو نال صده

عكفت عليه العاذلا * ت يلمنه ويردن رده * والله يعلم أنهن بعذلهن يزدن وجده

سلب الفؤاد وليس من * شرط الملاحة أن يرده

وهذا الشعر ليس له وأغاه ولشاعر مكي عصري الآن اسمه نسجت عليه العناكب وهبت على رسمه الصبا والجنائب

(عبد الوهاب المحلي الحنفي) شاب غض الشباب كان لي من أجل الاصدقاء والاحباب لما قدم لمصر في طلب العلم مرتديا برداء الاغتراب وكان في عنفوان شبيبة الامل بالمحله اذا رجا من الدهر أملا رآه أهله ومحله وقد نسجت بيد المحاسن شملة شمائله وبهتت عيون الازهار الى بديع خمائله وقد غردت في رياض المحامد بلابله وسيف طبعه المشحوذ قد علقت في عاتق المجد حمائله وفصاحته تفعل مالا يفعله السكران سكر الشباب وسكر الشراب وتخلب بما لا يؤثره السحران سحر النفثات وسحر الكلمات العذاب

هو شرط النبي اذ قال حقا * اطلبوا الخير من حسان الوجوه

وتباشير صبح نجابته باسمة الثنايا تقول ان في الرجال بقايا وظل مجده سجسج وروض فضله مدبج وجوده سحابة وطفاء سقت ظمآن القفار وأيقظ رشاشها أحداق النوار بطلعة اذا لاح سناها فالعيون من بعض أسراها تفديه اذا تقاطر منه ماء الظرف والندا وتقول له امامنا بعدوا ما فدا وقد جرى بيني وبينه في مضمار الصحبه بدهم الليالي والايام طراد خيل اللهو في حلبة المحبه فحاز قصب السبق من الاقلام حيث النسيم عليل والوقت سحر وأصيل حتى قطفت يد الاجل نواره وأطفأت رياح المنية أنواره فبينما بديهته ترشف الاسماع على ظما زلالا فاجأه الاجل فخلننا موته كان ارتجالا فمما أملاه وطرز برده ووشاه قوله من قصيدة أهداها لي

أثغر بدا يفتر أم شنب الزهر * زها أم سقيط الطل أم أنجم الزهر

أم القضب في خضر البرود رواقص * لها نقطت أيدي الغمائم بالقطر

فارخين من تلك الكمام معصفرا * ومسن كغيد في ملابسها الخضر

وديج وشي الروض منها مطارفا * مطرزة منها الكمائم بالزهر *

وولى هزيم الليل مذ سل صارما * عليه ضياء الصبح من مغمد الفجر
وبات يعاطيني الغزال مشنفا * من الكاس راحا قد أذيبت من التبر
رخيم من الاتراك هندى لحظه * يصول بقسر وهو فى غاية الكسر
اذا رمت ضما منه ينصب عاملا * غدا ماضيا فينا ويجزم بالهجر
ويبعث خلفا منه شعرا منشرا * مليح أتى فى الحسن بالبعث والنشر
وتحسدر بات الشنوف وشاحه * ومن قلق قد بات يشكوا ظمأ الخصر
يراضعنى ثدى الليالى من مدامة * براح لنا منه معطرة النشر
نعمنا بها كاسا اذا ما تشعشعت * ولاحت رأيت الشمس فى راحة البدر
كأن نثار الدر فوق كؤوسها * رسائل ذى فضل تنظمن من شعر

وكان ذهب فى يوم نام فيه الحدثان وغفل عن صفوه رقيب الزمان الى روضة طرزها الربيع ووشاها وصحيفة نقطها القطر لما رأى النبات حشاها والطير يبدى فى قراءة أوراقها ولوعه وقد أوقد لها الزنبق فى حافاتها شموعه وهى شاكرة للديم محدثة بلسان النسيم عما لها من النعم ومطرف الجو مسك معتبر والماء فضى القميص وطيلسان الروض أخضر وقد غنت بلابلها وصفقت طربا جداولها وتضرجت خدود أزهارها الجنية وتلفعت أرداف ذوائبها علائلها السندسيه وتعذرت أنهارها بعوارض الريحان يكاد السحر يعبدها اذ تحير فى وصفها البيان فكتب لى يدعونى الى التمتع بعبير شميمها وان نعود على فرش الربى عليل نسيمها فقال

مولاى ان الروض من وشى السحب * يختال فى زهو الحلا على الكتب
معنبرا مسك الاذيال * معطر الاردان بالاوصال
مفوقا آذانه بالدرر * مدبجا أكمامه بالزهر
قد صافحت أزهاره الغمائم * فضاحكتها بالربى الكمائم
وفرك الريح على متن النهر * جيوبه وفك أزرار الزهر
وأظهرت حلا الربى الامطار * وطارحت أشجانها الاطيار
وقام يعلوا منبر الاشجار * خطيبها محرك الاوتار
منمق الديباج قد تتوجا * مطوقا مقرطقا مدملجا
مطرزا أكمامه بالعسجد * مرصعا من معدن الزبرجد

يدعوك شوقا معربا بشجوه * فكن امامى مسرعا لنحوه
وانف الهموم والغموم والترح * واستجلب الانس خاليى والفرح
فهاك أوقات السرور قد دنت * مبشرات بالهنا وأعلنت
ودع مقال كل واش يعذل * فالعذر حقا ليس فى ذا يقبل
وذم تكاتب برقيق الفكر * عبدا على حكم الهوى فى الاسر
قد قيدته غربة الاوطان * عن الدمى وخرد الغزلان
لازال مولانا الشهاب الثاقب * لعبده وقنسه يكاتب
مادبجت بوشيها الاقلام * محبر الاوراق والسلام

ولما فارقنى لوطنه كتب الى يشتكى أمرا أنزل به فأجبته بقولى مولاى يشتكى من الدهر وهو أبو العبر وفى المثل من سابق الدهر عثر فانتظر عقب الزمان عليك وكل الى الله أمر من أساء اليك فان الدهر دول ولله جنود منها العسل وكم أغنت الوحوش عن صدمات الجيوش وما سميت الحال بالحال الا لسرعة التحول والانتقال فأيامه يوم بيوم وحرب به سجال فعابس مساء بوجه أفقه الا وبعده صباح يضحك عليه فم شرقه فأوقد مصباح فكرك ان أظلم الدجا واصبر فان الصبر يفوح منه أرج الرجا وان جفت قريش فلله أنصار وان نبت بك دار فلله ديار واذا كان انتظار الفرج عبادة فأوقات الضيق كلها سعادة وقرب الاشرار أعظم مصائب الاحرار ولله در القائل

مرضت من الحمقى فلم أدرك المنى * تمنيت أن أشفى برؤية عاقل

فان لم تجد الشفاء فالزم الاحتماء كما قيل

أرى مرض الحمقى بعدواه مهلكا * فمن لى بذى لب به يشتفى باسى
يئست ولم أنظر حكيما فلا شفا * سوى حميتى بالبعد عن سائر الناس
جزى الله عنى اليأس خير جزائه * فانى لم أظفر باعقل من يأسى

وقد قلت فى الفصول القصار فى الترك غنى بلا من والحمية دواء بلا ثمن والسلام

(عبد المنعم المحلى الطرينى) أديب اجتمع بى وأنشدنى ما تهز له الفصاحة أعطافها من كلمات اذا انتسبن عددت الدر أصدافها من كل عقد تبسم العقود لمحا كاة انتظامه وتحيا النفوس بماء الحياة الذى فى مداد أقلامه والدر مجتلب من الظلمات ولطيف

شيم

شيم ليس للرياض أخلاق كماله ولا للبدر ولو تكلف أن يحكي كماله وقد درس آيات الفضل وتلاها واقتنص شوارد الآداب وما تلاهى والشباب لف شمله بشمله ومراده وسعده أطوع من ظله حتى اقتنصه في ليل شبابه صياد المنية وضرب سورا بينه وبين الامنية فمن نفثات أسحاره ونسمات أسحاره قوله من قصيدة أنشدنيها

أمولى به روض الفضائل مزهر * ويانع أغصان المآثر مثمر
لك الله من مولى به يفخر العلا * وتشرق شمس الفضل منه وتظهر
بشاطي بحر الطرس منك جواهر * ولا عجب من ذا ففكرك أبحر
وهتان سحب الفكر هل أنت منبت * به أى معنى من معانيه يستر
رفعت اليك الحال يا خير سيد * وان كان رفع الحال لا يتصور
نظمت لخلناه الدرارى تنظمت * نثرت فقلنا النجم فى الافق ينثر
علقت بظبى بابل السحر لحظه * فأجفانه كالبيض والقد أسمر
لئن لاح يوما وجهه متهللا * لهلل كل الناس من ذا وكبروا
اذا ماس قال الغصن ما أنا قده * ويكسف بدر التم اذ هو يسفر
ويزرى لعمرى بالغزالة فى الضحى * اذا ما رنا شزرا فلا لاح جؤذر
تجمع كل الحسن طرا بوجهه * ألم تر نقط الخال ختما يخبر
وان لص لحظى رام يسرق نظرة * ففى جنبات الخد تبدو وتظهر
علقت به لا عن مراد وانما * محاسنه نادت فلبيت أعثر
سحرت بلحظ بابلى ولم أكن * أظن من الالحاظ انى أسحر
تعددت مواضى مقلتيه بمهجتى * بعامل قد كسره ليس يجبر
تنازع فيه عاملا البين والقلى * فأمسى وكل فى الضمير مؤثر
اذا قلت صلنى راح بالهجر جازما * وينصب ماضى القد والجفن يكسر
ألين له عطفى فيزداد قسوة * اذل له جهدى يعزو يكبر
بذلت له روحى ابتغاه وصاله * فلم يرضها اذراح منى يسخر
فهل تعلمن وقيت كل كريهة * سبيلا الى ما أبتغيه ييسر
فلا برحت هام العلا لك موطنا * باعلى سماء المجد لازلت تخطر
مدى الدهر ماحن المشوق لاهله * وزمجر رعد الشوق والجفن يمطر

وقوله رفعت اليك الحال فيه اغراب مسبوق اليه كقول الصفى الحلى

رفعت حالى ورفع الحال ممتنع * اليكم وهو للتمييز محتمل

(وأحسن منه قولى)

أأشكو الحال والرزاق أدرى * بها وهو الغنى عن السؤال

وانى مخطئ ان عدت يوما * لنحو شكاية ورفعت حالى

قوله فلالاح جؤذر كقول ابن مطروح

وأقول يا أخت الغزال ملاحة * فتقول لا عاش الغزال ولا بقى

وها هنا نكتة بيانية لم يتفطنوا لها وهو أن التشبيه البليغ له أنواع أدناها أن يدعى اتحاد ما بينهما فيحمل أحدهما على الآخر كزيد بدر ونحوه وأعلاها التجريد وبقى منه نوع أبلغ من كل ماذكروه وهو أن ينفى التشبيه فيقال ما هو بحر فانه عذب زلال يقذف الدر فى كل حين والبحر اماماء أجاج أو عذب ليس فيه در ثمين ونحوه مما هو كثير فى كلامهم والنفى بحسب الاصل يدل على انه من شأنه أن ينسب له فى الجملة ولذا لا يقال للحائط ليس بعالم فى كلام البلغاء الا لنكتة فلذا كان تشبيها أبلغ مما عداه فاحفظه

وقوله نثرت فقلنا الدر فى الافق ينثر وأحسن منه فى مدح كلام منثور

وفصل من النثر البديع قرأته * فقلت حباب تحته الخمر مسكر

أو الطرس روض زهره متفتح * بلى هو عقد الزهر فى الصبح ينثر

(محمد بن الخياط المحلى) شاب أديب نشأ بالمحله لم يحل أحد فى خياطة حلل الشعر محله وكان كعبة ظرفائها وقبلة ندمائها من سابقه فى طرق الرقه بعدت عليه الشقه فمن شعره قوله

لنا صاحب مازال يتبع بره * بمن وذاك البر بالمن لا يسوى

سلوناه لا بغضا ولا عن ملالة * ولكن لاجل المن تستعمل السلوى

ومثله قول التلمسانى

هوا كم هو المن الذى ماله سلوى * وحبكم عندى هو الغاية القصوى

ومن محاسن الاردبيلى قوله فى غلام يهودى

من آل اسرائيل علقته * أوقعنى بالصد فى التيه

قد أنزل السلوى على قلبه * وأنزل المن على فيه

ومثله ماقلته

بالمن لا يوزن احسان من * صرنا على احسانه نقوى

أما ترى الرزاق جل اسمه * قد قرن المن مع السلوى

وقوله يسوى بمعنى يساوى وقال بعضهم انه من خطأ العوام وليس كما قال فنى تهذيب الازهرى بعد ما ذكر لا يساوى ما نصه لم يعرف الفراء لا يسوى وقال الليث هى نادرة ولا يقال لهما سوى ولا سوى وهى لغة أهل الحجاز وأما لا يسوى بالضم فليس بعربى صحيح انتهى وفى الارتشاف لابى حيان عد البهارى فيما لا يتصرف من الافعال يسوى وقال ابن الحاج بمعنى يساوى انتهى أقول قد علم مما نقلناه أن يسوى برتبة يرضى لغة صحيحة فصيحة حجازية وماضيها الا ابتذالها وهى من الافعال التى لا تتصرف أى لم يسمع منها الا فعل واحد وذلك يكون بالاقتصار على الماضى كعسى وتبارك وقد يكون على المضارع كيسوى وينبغى فى قول وان ترك لفظ من مادة دون غيره فاماتة كماضى يدع ويذر على المشهور وهذا مما ينبغى حفظه

(القاضى تقى الدين التميمى) بحر تدفق منه أدبه الجارى وتضوع فى طى اردان فضله نشره الدارى فسنت الايام من أسنة لسانه فولاذها وأطعمته المعالى على خوان الدهر من كبدها أفلاذها ولما آل اليه كتاب وقف جده تميم انتظم فى جيده من الفخار عقد نظيم ثم اختلسته منه يد الدهر فاذاقته حنظل الفقر والقهر حتى أضرم فى فؤاده غليلا بعدما ورد من ماء الحياة على ظمأ سلسبيلا وكان فى أول أمره واقبال طلائع عمره حرفته الزهاده وحانوته السجاده ثم ساقه القدر الى القضا فرضى بما قدره الله وقضى بعدما كان يقول

من تمنى القضا فلا تغبطنه * واجعل الموت سابقا للقضا

وقد قالوا من تولى القضاء ولم يفتقر فهو لص والآن قد افتقرت اللصوص لما سرقت الامراء من الخواتم الفصوص والسارق اذا سرق من سارق فقد عامله برأس ماله وقالوا الربح والفائدة السلامة من الخسران ووباله وما يسلب قاطع الطريق العريان بل يهديه للسبيل ويعطيه الامان فكل قاض منقوص أبدى غصبه وأظهر مع كل عامل نصبه ورفعه وجره لم يزل ينوى وحاله لم يطب وان عمت به البلوى ودود النحل يموت اذا رمى فى العسل وطيب الورد فيه هلاك الجعل وله تصانيف سمعناها منه

منها طبقات الحنفيه وهى فى مجلدات جمع فيها من شقائق النعمان كل ثمرة جنيه وله نظم ونثر كقوله وقد لبس من القضاء خلع المذله وما كتب له الاطماع من نصب المناصب حله

أحبابنا نوب الزمان كثيرة * وأمر منها رفعة السفهاء
فتى يفيق الدهر من سكراته * وأرى اليهود بذلة الفقهاء

وله أيضا

ما أبصرت عين امرئ * فى الدهر يوما مثلنا عشق وحرمان به *
أبدا ترانا فى عنا الدون لا نرضى به * والعال لا يرضى بنا

والعال بمعنى العالى كقولهم لم نبل الا انها لغة عامية مبتذلة وقيل لابن المقفع لم لا تقول الشعر فقال ما يجئ مانرضاه ومانرضاه ما يجئ وله أيضا

اذا أكثر العبد الذنوب ولم يكن * له شافع من حسنه يوجب العذرا
وأبصرت مولاه مع الذنب منعما * عليه فحقق أن بينهما أمرا

وله فى عبد الرحيم القسام

فى مصر قسامان كل يدعى * فى العلم توسعة له ويحاول
فسئلت أيهما أجل فضيلة * فاجبتهم عبد الرحيم الفاضل

وله أيضا

واذا أساء اليك خادم سيد * فاقره فارحل ولا تتوقف
واعلم بانك قد ثقلت وانه * أعطاك اذنا للرحيل مخفف

وله مضمنا

لنا صديق له فى الغانيات هوى * وايره لا يزال الدهر طراقا
كأنما هو حرباء الهجير ضحى * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

وقد سبقه لهذا ابن نباتة المصرى فقال

لا يشغلنك شئ فى زمانك عن * وصل الملاح وحاذر كل ماعاقا
وكن كما قيل فى الحرباء من فطن * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

وهو تضمين من قول بعض شعراء الجاهلية

انى أتيح له حرباء تنضبة * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

والساق

والساق فيه غصن الشجرة ومن الانسان معروف وبه قامت التورية وضربه بعض العرب مثلا لألد الخصام الذى كلما انقضت له حجة أقام أخرى والحرباء دويبة تسمى أم حبين تتلون ألوانا مع الشمس وتكنى أبا قرة ويقال حرباء تنضب كما قيل ذئب غضا وهو شجر يتخذ منه السهام جمع تنضبة وفى المثل أحزم من حرباء لانه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصن حتى يمسك آخر وهو الذى عناه الشاعر وضربه ابن الرومى مثلا للقبح ويضرب به المثل فى كثير التقلب أيضا وكان بينى وبينه مودة أكيدة ومكاتبات ومراسلات بالروم فما كتبته له

يا روض مجد عناه المكرمات سقى * وجامعا شمل فضل غير مفترق
لا أتقى زمنا أصبحت واحده * فأنت حصن لريب الحادثات تقى

وكتبت له مرة أستدعيه

ولما نزلنا منزلا ظله غدا * أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الامانيا

يا غاية الامانى وسلوة الحزين العانى قد دعانى الربيع بلسان النسيم وصاحت الطيور هلموا الى النعيم المقيم وعيون الازهار شاخصة للطريق وقدود الاغصان واقفة لانتظار الرفيق فبالله عليك الا جعلت يومنا بك عيدا وجددت لنا بلك سرورا جديدا والسلام ولم يزل كذلك حتى طلع ثنية الوداع وهبط منها لوادى الفناء وبلغ ساحل الحياة فركب سفينة نعشه واستراح من العناء

﴿يوسف المغربى﴾ عزيز مصره بنانا وبيانا ويوسف عصره حسنا واحسانا نشأ بمصر يتعاطى صناعة الادب وثبت بأوتاد شعره كل سبب يشارك فى تجارة الفضل بنصيب ويرمى لأغراضها كل سهم مصيب بطبع ألطف من نسمات الشمال سرت سحرة بليلة الاذيال متتابعة الانفاس فنبهت طرف نور فى مهد الرياض نعاس وقد خشت الصبا خد الشقيق وخاضت بحار الدياجى فى كل فج عميق مرتدية برداء السحر معانقة لقدود الشجر حتى ألقى هندى العنبر فى النار نفسه من حسد عليه وتفتتت سويداء المسك حيث لم تصل اليه وكان سابقا فى ميدان التصابى بين العذيب وبارق مجرى عوالينا ومجرى الجياد السوابق فروينا كل حديث حسن صحيح يسنده راوى الزمن حيث الدهر غض الشباب والآمال

المورقة فسيحة الرحاب وله مورد من الادب صافى وديوان سماه الذهب اليوسفى فمما أنشدنى منه قوله من قصيدة له

هذى كنوز فتحت أم مبسم * والبرق لاح أم الغوانى تبسم
هذى شمائل قد نزلن جوانحى * وجوارحى يبقى النزيل ويسلم

(وله أيضا)

أوصيك ان شخص غدا * يضحك ان مر بكا
لا تغترر بضحكه * فان هذا كالبكا

وله فى العاملى

ان اليهودى غدى عاملا * فى الناس بالجور وبالباطل
يعمل فى الدين كما يشتهى * فلعنة الله على العامل (ى)

(وله من قصيدة أخرى)

اشرب ولا تعتب على عاذل * تبله فى الناس لم يعتب
وان تكن ياسيدى طالبا * درا وياقوتا من المطلب
فالكاس والصهباء فيها الغنى * فخذ حديث الكنز عن مغربى

(وله من قصيدة)

جعلوا الشعور على الخصور بنودا * والراح ريقا والشقيق خدودا
جعلوا الصباح مباسما ثم الظلا * مضفائرا ثم الرماح قدودا
والورد خدا والغصون معاطفا * والشمس فرقا والغزالة جيدا
ورأت غصون البان أن قدودهم * فاقت فاضحت ركعا وسجودا

وهذا كقول ابن قلاقس من قصيدة له

عقدوا الشعور معاقد التيجان * وتقلدوا بصوارم الاجفان
وتوشحوا ازردا فقلت أراقم * خلعت ملابسها على عقيان

(ومنها أيضا)

وهلال شوال يقول مصدقا * بيدى غصبت النون من رمضان

وله فى مليح اسمه رمضان

رمضان قد جئته رمضانا * وهو بدر يفوق كل الحسان

قلت

قلت صلني فقال وهو مجيب * لا يجوز الوصال في رمضان

وهذا كقول الآخر

بليت به فقيها ذا جدال * يجادل بالدليل و بالدلال

طلبت وصاله والوصل حلو * فقال نهى النبي عن الوصال

واعلم أن هذا كله ليس بشعر ترتضيه الادباء وهو كل شعر أكثر فيه من البديع قالوا وأول من أتلف الشعر العربي بهذا النمط مسلم بن الوليد ثم تبعه أبو تمام وأحسن هذه الصنعة التجنيس والتورية وهما في الشعر كالزعفران قليله مفرح وكثيره قاتل ولذا لم نجد في أهل مصر من يعرف الشعر ولا ينظمه ومنهم من غلط في ذلك فأكثر من اللغات الغريبة وتوهم انه بذلك يصير بليغا على أن باب التورية قفله ابن نباتة والقيراطي ثم رميا المفتاح في تلك الناحية وهذا لا يعرفه الا من له سليقة عربية وليوسف المغربي يمدح أستاذه يحيي الاصيلي فانه تخرج عليه

مدحت البحر اذ أضحى يحاكي * علوم البرذي الفخر الجليلي

واني ان مدحت البحر يوما * فدعني فيه للبر الاصيل (ى)

فكتب له مخمسا ومقرظا حمدا لمن أطلع من الافق الغربي بدر بلاغته مشرقا وشكرا له اذ أبدع جمال دينه بما أودع فيه من الكمالات التي زينت مغربا ومشرقا وصلاة وسلاما لمن أضاء الوجود برسالته متألقا حبيب الله عز وجل الذي متعه بدوام وصلته بلقائه فلم يقل متى اللقا وأرشد أمته الى حسن الادب بقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وبعد فان الشيخ الاديب الكامل الاريب الكاتب الشاعر الناظم الناثر ذا النظام الجوهري والنثار الذهبي أبا المحاسن يوسف جمال الدين الازهري المغربي أدام الله عز وجل محاسنه ومحاسن كماله وأبد جمال رونقه ورونق جماله ممن جمع الله له بين الحسن والاحسان وبراعة البنان وبراعة البيان فقد أربى بنضارة كلامه على زهر الخميله ورقت دقائق بديعه على درج المعالي الجليلة الجميله حتى صار مع صغر سنه شيخ الآداب وظهر فضله كالشمس وقت الظهيرة في عصر الشباب وكان كثيرا ما يجاملني بحسن المجالسه ويعاملني بلطف المؤانسه وينعم باجتلاء جواهر محاضراته واجتناء زواهر محاوراته فتفضل باهداء بيتين مطربين ولا طرب المثالث والمثاني مغنيين عن أجمل الغواني جلا

فيهما عرائس صفاته فى مرآتى وأشرق مصباح ذاته فى مشكاتى فأوسعنى أوسعه الله من فضله المزيد مجابرة وتأنيسا والتمس منى حرسه الله بسر التوحيد أن أجعل له تخميسا قاصدا بذلك أنجح الله مقاصده وكثر فوائده تنويه ذكرى فأجبته لذلك مطيعا لامره حافظا ولا أقول مضيع الطيب ماانطوى فيهما من عاطر نشره معترفا بأن نظمه ثوب لم أكن من بزه ووشى فكرى مقصور على رخيم خزه فأبقاه الله عز وجل لاعلاء أعلام العلوم وتحلية أجياد الآداب بجواهر المنثور والمنظوم والبيتان العامران بل الروضان الزاهران والكوكبان الزاهران قد تقدما والتخميس المذكور هو قولى

رأيت الشئ يمدح باشتراك * لآخر فى صفات الفضل زاكى
ألم ترنى بعزم وانهماك * مدحت البحر اذ أضحى يحاكى

* علوم البرزى الغمر الجليل *

أسيلى جفا فى العلم نوما * وبر قد غلا فى المجد سوما
ولج فى بحار الفضل عوما * وانى ان مدحت البحر يوما

* فمدحى فيه للبر الاصيل * (ى)

أهل مصر تقول لما بلغ الغاية راح للبر الاصيل وهو مشهور ومعناه ظاهر ولما خمس قصيدة البردة بعض المتشاعرين من أهل الروم قلت فتح الله عين بصيرته أتى فى تخميس البردة بما يدل على جمود قريحته فخمس بل خمس ودلس بغموض معانيه بل دنس والبردة برد لا يحتاج جديده لترقيع بمثل كلمات هذا الاحمق الرقيع وبالجملة فالاصل درثمين بل جوهر نفيس يجل عن التثمين لما فيه من عظيم التوحيد والتنبيه بمدح النبى المجيد فهو روض فى شباب الربيع لا يحتاج لمنة غيث مريع وأما الفرع فشوك فى رياضها أودنس يحتاج للتسبيع

اذا خمس الناس القصيد لحسنه * فحق لشعر قاله أن يسبعا

* يحيى الاصيلى * أديب ماهر وشاعر ساحر عبقت بالديار المصريه أنفاسه الندية النديه بطبع يعبر عيون الحور سحره ويفضح رقة الصبا اذ انبهت جفون الانوار سحره نشأ بدمياط وقد ابتسم بمحياه ثغرها ودرت عليه سحائب نعمها فلله درها ثم هاجر لمصر وعود شبابه خضر وروض محاسنه بماء الصبا مع نضر فتخرج

بالنور العسيلي حتى حلا في ذوقه شهد آدابه وتزينت حقاق أفكاره بفرائد خطابه وكان يتغنى بالقرآن ويقرئ بصوته الحسن الآذان وله أنفاس في الغناء تميت الهموم وتحيي الطرب وترشف منها الآذان ما تسكر منه ابنة العنب فاذا ترنم في نادي سادة أعيان فكأنه نسيم الصبا والقوم أغصان فأنفاسه أطرب من عود وذكره الجميل أطيب من عود

فان العود مشتق * من العود باتقان
فهذا اطيب آناف * وهذا اطيب آذان

ولم يزل بعد العسيلي يدير سلافة اللطافة ومابرح بديوان في محل خلافة لا يرضى خلافه يقطف ثمرات المنى ويقيل تحت ظلال الهنا حتى مد الغناء له في الغنى مع ماله في فنون العلم والآداب من المآرب

فلله منه جانب لا يضيعه * وللهو منه والخلاعة جانب

مع انه خفيف الروح خفيف الشقة على سائر الناس فمحبته لذلك تجري مع الانفاس

واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة للناس

ولم يزل كذلك حتى قصد الحج بطلب من شريف مكة أمله وتنويله ولم يدر ما أضمرت له سود الليالي وما تنوي له فلما ألقى العصا بها واستقرت النوى قضى مناسك حجه وأخلص لله ما نوى ودعاه الكريم الى داره فحل ممتعا بالرحمة في جواره واقفا في عرفات احسانه محرما في ازار أكفانه وكان بيني وبينه ود جميل الا أنه لضيق وقته كشمس الشتاء عند الاصيل فمما نطق به لسان قلمه وأودعه من نور معانيه في كمام كلمه قوله

من منصفي من ظالم * بيت المظالم بيته
أخفيه خشية بأسه * وأود لو سميته

وهذا كقول السراج الوراق

رزقت بنتا ليتها لم تكن * في ليلة كالدهر قضيتها
فقيل ما سميتها قلت لو * مكنت منها كنت سميتها

وقد قيل عليه ان التورية لم تعقد له لانه انما يقال من السم سممتها وقيل مثله يسمى ايهام

التور يتوالصحيح انه من باب تقضي البازي بمعنى تقضض وفى كلام بعضهم ما يقتضي اطراده وله أيضا

ألا ان لى يا آل صديق أحمد * لشمس هدى منكم به الكرب ينجلى
فلى منه استاذ ولى منه مرشد * ولى منه قطب ذو اتصال ولى ولى

وهذا نوع من البديع زعم ابن الوردى انه اخترعه وسماه ايهام التأكيد وهو فى القرآن كقوله تعالى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته ومثله قول ابن مكانس

نعم نعم محضتهم * صدق الولا تطولا
ومارعوا عهدا ولا * مودة ولا ولا

(وله أيضا)

لى صاحب متعرض * متقلق فى ذاته
يارب صبرنى عسى * أقوى على مرضاته

(وله مما جنا)

لابد يا مولاى أن * تسمو لديك مواكب
انى رأيتك كاشفا * وأنا وراءك راكب

(وله أيضا)

وبى عروضى اذا * أبصره البدر احتجب
أعطافه لصبه * فاضلة بلا سبب

(وله أيضا)

ياذا العروضى الذى * أضحى بسيط الحسن كامل
وعن ابن قطاع روى * هلا رويت عن ابن واصل

(وله أيضا)

ياحسن جنان له وجنة * من وردها بالاثم حيانى
أتحفنى يوما بما راقنى * من رطب خلو وحيانى

(وله)

أتيت جنينة أستاذنا * وقد جمعت كل معنى كمل
بها أى وردو آس به * تفرق شمل عداه وفل

والغل

والفل نوع من الياسمين بلغة أهل اليمن ذكى الرائحة ولم يذكره أهل اللغة فهو لغة مولدة
وسماه ابن البيطار فى مفرداته بالنمارق وكتب لخاله بثغر الاسكندرية

لخالى بثغر اسكندرية رغبة * ومن بعد عقد حال لى فى الهوى حال
فان يك أضحى ثغرها موطنا له * فيا حبذا فى ذلك الثغر لى خال

وكتب لشيخنا الصالحى يستأذنه فى الدخول اليه لما قدم مصر

على الباب من كاد من شوقه * يموت وذلك يحيى الاصيلى
أتى يتغنى بأوصافكم * فهل تأذنون له فى دخول

(فأجابه رحمه الله بقوله)

لمولاى يحيى رقيق الطباع * ولطف السماع وحسن القبول
أمولاى هل خارج ضربكم * ليحتاج للاذن عند الدخول

والدخول مصدر معروف ويستعمله المولدون بمعنى آخر وهو حسن الصوت الجارى
على قانون الموسيقى وضده خروج والضرب النقرات التى توزن بها النغمات
ويسمونها أصولا ومنه علم حسن الايهام هنا كما فى قول أبى الحسين الجزار

أمولاى ما من طباعى الخروج * ولكن تعلمته فى خمولى
أتيت لبابك أرجو الغنى * فأخرجنى الضرب عند الدخول

وللاصيلى أيضا)

قيل لى ان فلانا * قد تعالى وتكبر
وان قد ساء رأس * قلت لا بل رأس منسر

(وله أيضا)

شفنى فاحم شعر * حسن الجمة سبط
شجنى على عليه * وهو فى الارض يخط

(وهو كقول مهيار)

بعيدة مسقط القرطين تقرا * خطوطا ذوائبها فى التراب

(ولابن سناء الملك)

وأشكوا الى ليل الغدائر غدرها * وأملى عليه وهو فى الارض يكتب

وله أيضا

مذ بان من أهوى همت * عينى بماء منهمر
فقلت للقلب اذا * لم تلق صبرا فاستعر

(وله أيضا)

رب قاض قبل الرشوة لما * أن علك قال للظالم انى * سأنجيك وأهلك

وله أيضا رسالة من لطفها أشبهت * ريح الصبا مرت بزهر الربى
ولم يزل ما بين أهل الهوى * رسائل العشاق ريح الصبا

(وقريب منه قولى)

يا يوسف الحسن الذى لم يزل * عذابه للصب مستعذبا
سرى نسيم منك فى طيه * نشر لكرب القلب قد أذهبا
لولم أكن يعقوب حزن لما * أزال أحزانى نسيم الصبا

وله من قصيدة يرثى بها العلامة النحريرى البصير خاتمة المفسرين

ان عصانى شعرى لفقد شعورى * فدموعى ترثيك بالمنثور
ياأماما لما سكنت جنانا * فاض دمعى عليك فيض البحور

ومنها

وبكى الازهر المعمر بحرا * كان فى الله رب دمع غزير
فصابيحه باحشائها النا * رعليه من لوعة التذكير
ومحاريبه لفرقة ذاك الصدر أضحت مقوسات الظهور

وهذا معنى حسن سبقه اليه بلديناابن نباتة فى قوله من قصيدة مطلعها
على مثل ذا فلتبك أعيننا العبرا (وتطاق فى ميدانها الشهب والحمرا

(ومنها)

فقدنا بنى الدنيا فلما تلفتت * وجوه أمانينا فقدنا بنى الاخرى
سيعلم كل من ذوى المال فى غد * اذانصب الميزان من يشتكى الفقرا
كأن المحاريب القيام بصدره * لفرقة ذاك الصدر قد قوست ظهرا

(وله أيضا)

لا يهدين الفتى لصاحبه * آلة قطع كالسيف والنصل
الا ومع ذاك ابرة لتكن * مع آلة القطع آلة الوصل

﴿شمس الدين محمد النحريرى الحنفى البصير﴾ خاتمة المفسرين والقراء والمحدثين والفقهاء علم فضله مشهور على عاتق الحاذقين منشور ذو بيان عذب طليق وروض فضل هو للنعمان شقيق تفجر منه ينبوع الحكمة معينا فنادى لسان حاله

قوله كان المحاريب الخ لعل قبله ومنها والاقصار جمع القمير فى قوله بصدره ا ه

لو

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فله فى كل لفظ براعه وفى كل عبارة براعه عليه حلل الفضل سوابغ وبجيد الدهر قلائد من كلمه النوابغ وكان فى ابان أمره واقبال طلائع عمره سعده فى كمين الخمول يراقب فرصة يطلع منها له القبول ان غرس غراس المنى جنى منه ثمر الغنى لا الغنى

ومع العفافة ثروة لو أنها * نوم لما شعرت به الاحداق

وله أخ شقيق وصنو عريق متسربل بسربال الثروة شارب من كل ورد صفوه فاتفق أن زاره الحمام وحياه طارقة بالسلام فقرب روحه لقراه ولم يكن له وارث سواه فبدل فقره بالغنى ونور له رياض الآمال والمنى

بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

وقد حضرت ناديه وهو على التفسير يقرى المسامع بالمواعظ والتذكير ثم يكسو الوفود ديباج الحقيقه ويحلى واديه بنور كلماته الانيقه ويجرى أمطار عبرته حتى تعشب ذلك الوادى ويرعى بربيعه المخصب سرح كل حاضر وبادى فتود الاعضاء لو أنها كلها مسامع والاذهان لما عليه عليها لو أنها كلها دفاتر ومجامع وبالجملة فهو فذلكة كتاب الدهر ومنطقه نتيجة مقدمات السحر ممن تنقشع بذكره سحائب النقمة وتنبع منه ينابيع الحكمة لا زالت هتانة على جدث حواه هواطل الرحمه ولذاته واترابه وأقرانه وأصحابه

ع (محمد الحنفى المفتى المعروف بالذئب) وما هو ذئب بل أسد له رأى فى مذهب النعمان أسد وحبر تكملت بحبره عيون الفتوى وبحرتروى المسامع بماء عذبه وروى ارتفع من حضيض التقليد الى ذرى الفضائل وسابق فى حلبة العلوم فحاز قصب الفواضل فبحره لا تكدره الدلاء ومورده العذب لا تنزحه الركاء ونجله سرى فى ليل المجد فما كره فلاحا وحط رحله فى نادى الكرم فما ترك من أبيه مغدى ولا مراحا ومن يشابه أبه فما ظلم فأفتى ودرس ونزل فى ساحة الفضل وعرس وكنت قلت فيه فى زمن الشباب وقد اجتنيت من ثمره المستطاب

للذئب نجل فضله * لاح على غير غلط

حاكى أباه فى العلا * فهل رأيت الذئب قط

وهو كقول لؤلؤ

وذى قوام أهيف * بين الندامى قد نشط

قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبي قط

وللشهاب الحجازي

وبدر تم قدسي * بكأس راح وانبسط
حيي وقط كأسه * فهل رأيت البدر قط

* (وقلت أنا)

وكاتب كأنه * غصن النقا اذا نشط يقط أقلاما له * فهل رأيت الغصن قط

(فائدة) القد والقط متقاربان معنى وهما نوعان من القطع وفيه لطيفة اتفاقية لان القد قطع الشيء من نصفه أو قطعه نصفين والقط قطع الطرف كما في الشمع والقلم فكأنه لكونه قليلا من القطع نقص منه العين ثم ان هذا النوع من التشبيه غريب بديع تعرض له المبرد في الكامل ونقله الامام المرزوقي في شرح ديوان أبي تمام وأهل المعاني لم يتعرضوا له وسماه المرزوقي بالايماء وهو غريب في بابه ومنه قول المنازي في وصف نهر

تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وقد بسطنا الكلام عليه في كتابنا طراز المجالس وفيه فوائد لا توجد في غيره والشيء بالشيء يذكر فلنذكر هنا بعض من أدركناه من العلماء الاعلام الذين هم مسك الختام ولله در من قال

يا دهر بع رتب المعالي بعدهم * بيع الكساد ربحت أم لم تربح
قدم وأخر من تشاء من الورى * مات الذي قد كنت منه تستحي

* (فمنهم شيخ الاسلام علي بن غانم المقدسي) * امام اقتدت به علماء الامصار وتنزهت من فضائله في حدائق ذات بهجة وأنوار أثمرت أغصان الاقلام في رياض فضائله وسالت في بطاح المكارم بحار فواضله

فالناس كلهم لسان واحد * يتلو الثناء عليه والدنيا فم

فالعلم مدينة وعلي بابها وكعبة حجت اليها آمال الفضلاء وألبابها لو مست راحته السحاب أمطر كرما ومجدا أو النجوم السيارة جرين في البروج سعدا لو رآه النعمان لقال هذا أخي وشقيقي أو الصاحب لقال له أنت في طريق المعالي رفيقي

صفاته لم تزده معرفة * وانما لذة ذكرناها

وله في كل فن كعب علي وفكر ينقد جواهر مجلي مع نباهة تحلت بها الاشعار

وصيت طار بأجنحة الثناء فى الاقطار وقطع كل سهل وجبل كأنه بكر معنى سار فى مثل كما قال من قصيدة

لله درك يامن نظمه درر * قلادة النحور الغيد تدخر
أوروض فضل نضير لانظيرله * فى دوحه ثمر ماثله ثمر
مسك الفصاحة من فحواه منتشق * واللؤلؤ الرطب من معناه منتثر

وكنت فى زمن الصبا وأنا مسفون الاسنة حاد الشبا دخلت ناديه والكون متعطر بنشره والدهر مبتسم للقياه بثغر سروره وبشره وقرأت عليه طرفا من العلوم وحديث الرسول فأمدنى بدعاء لا أشك أنه على أكف القبول محمول حتى كان ينوه باسمى ويفتح جريدته برسمى وأنا أجتنى باكورة التحصيل فكتبت له عند ورود البشائر بوفاء النيل بيتين هما

قسما ليس نيل كفك كالنيل اذا راية المكارم تنشر
أنت عند الوفاء طلق المحيا * وأرى النيل فى الوفا يتكدر

فنثر عليهما انثار الاستحسان وقال هكذا ينبغى أن تنتظم عقود الجمان وله شعر كان ينظمه لرياضة الخاطر ولا يرتضى أن يلصق باسمه سمة الشاعر فلذا لم يعتن بتشييد أركانه ولا تمييز ياقوته من مرجانه لاشتغاله بالتأليف والفتوى وتهذيب نفسه القدسية اللابسة حلل التقوى وله شرح نظم الكنز المسمى بالرمز ورسائل كثيرة منها الشمعه فى أحكام الجمعه التى يقول فيها شيخ الاسلام على بن أمر الله الحناءى

لقد آنست عيناى لمعة شمعة * توقد من مشكاة علم واتقان
جلا نورها البادى بصبح كماله * غياهب شك كان فى ليل نقصان

وكتبت عليها أنا لما طالعتها

شمعة تقطع رأس الشمع اذ * سرق الانوار منها والتقط
ضوءها من غير قط ساطع * ما رأى شبها لهاذا الدهر قط

واعلم ان ابن بسام قال فى الذخيرة أشعار العلماء على قديم الدهر وحديثه بينة التكليف وشعرهم الذى روى لهم ضعيف * حاشا طائفة كخلف الاحمر وقطرب وليس كما قال وعندى انه كدعوة البخيل وحملة الجبان على ما يعرفه من له أدنى اذعان

❊محمد الدمياطي الحنفي تلميذ شيخنا المقدسي المفتي بمصر بعده❊ فاضل مقدم في نتائج الفضل وغيره التالي وشيد بنيان المكارم بطبعه العالي بوقار تذل عنده الراسيات الشوامخ ومحكم مجد لا يرد على آياته البينة نواسخ ان خط فما خط الربيع والعذار أو تكلم فما مطربات الاطيار والاوتار ورد على بالروم اذ جاب الفيافي والبوادي وعزمه بعنان مطايا الهمة ثان وحزمه لها حادي وأنا بها عديم الانيس حتى اليعافير وحتى العيس وشوقي الى الكرام كما قال أبو تمام

واجد بالخليل من برحاء الشوق وجدان غيره بالحبيب

فأنعم برقيق المكاتبة وجاد على بالمؤانسة والمصاحبة ففزت منه بأوفى نصيب وكل غريب للغريب نسيب فما كتبته لاستجلاء أنواره واقتطاف جني ثماره

ايا روض مجد منبتا زهر الحمد ❊ ومن ذكره أزكى من العنبر الورد
ومعدن فضل منه تبدو جواهر ❊ نفائس عزت أن تقابل بالنقد
أرى ثغر دمياط بكم كان باسما ❊ ومذ سرت أمسى عابسا وهو ذو وجد
وكم شرف في الروم من شمس ذاته ❊ بمقدمه قد بدل النحس بالسعد
أحبك حبا لو تقسم في الورى ❊ غدوا في أمان من عدو ومن ضد
وفي القلب جمر من بعادك فوقه ❊ يفوح ثنائي فيك كالعود والند
ومن كان في القلب المتيم حاضرا ❊ يجاور فيه خالص الحب والود
فسيان منه القرب عندي والنوى ❊ على أن قرب الدار خير من البعد
فلا زلت ذا فضل يخلد ذكره ❊ ويظهر في جيد المكارم كالعقد

فأجاب

أفائق أهل العصر في كل ما تبدي ❊ وأوحد هذا الدهر في الحل والعقد
ومن مدحه بانا وقسا فصاحة ❊ ومن نظمه المشهور بالجوهر الفرد
نظمت قريضا في حلاوة لفظه ❊ وفي الذوق أزرى بالنباتي والوردي
وضمنته معنى بديعا فمن يرم ❊ لادراك شأو منه يخطي في القصد
ملكت أساليب الكلام بأسرها ❊ فأنت بارشاد الى طرقها تهدي
لقد كنت في مصر خلاصة أهلها ❊ وفي الروم قد أصبحت واسطة العقد
وحق شهاب أصله الشمس ان يرى ❊ حريا بأن يرقى الى غاية البعد

فعذرة

فعذراً منى اليك وما ترى * من العجز والتقصير قابله بالسد
فلازلت فى أوج العلا متنقلا * وشانئك الممقوت فى العكس والطرد
ولابرحت أبياتك الغرفى الذرى * وأبيات من عاداك فى الدك والهد
ودمت فريداً للفرائد رانقا * مناهل فضل منهلا طيب الورد

فقلت لما ورد هذا الجواب

رعى الله اخوانا لنا من ذوى الود * لقد خيموا فى روضة المجد والسعد
أناس كماء النيل صاف ودادهم * بهم أملى الظمآن يروى من الورد
لقد شرب الدهر الخؤن صفاءهم * وأبقى وجوها كدرت مورد الحمد
غسلنا بماء النيل ما دنس الوفا * وقد صبغوا من مثلهم أزرق الحقد
وعهدى بهم وردا اذا ما تكدرت * مشار به فيها وفاء لدى المد
وقالوا الناحد به يذهب الجفا * جفاء فتم الحد بالعكس والطرد

شيخ الاسلام سراج الدين الحانوتى الحنفى المفتى السراج الوهاج والبحر المتلاطم بالامواج من حاكته الشمس نورا فكانت سراجا وفاخرت البدور فزادت ابتهاجا رض نضير ماله فى سائر العلوم نظير وهو فى فقه أبى حنيفة الجامع الكبير وقور حليم لا يعرف الطيش والخفه وله ثروة عظيمة وعفه حسن اللباس منقطعا عن سائر الناس قائلا لطارق الوسواس ونفسك أكرم عن أمور كثيرة

فمالك نفس غيرها تستعيرها * ولم أر فى عصره من يضاهيه الا الشمس وهيهات لها نيل معاليه وان لم يكن لها ثانيا ولا سميرا فى السماء مدانيا فلله دره ما أعرفه بالزمان وأقدره على الانس بالوحدة وترك الاخوان كما قلت

لا تلمنى على انفرادى وحبى * وحدتى واعتزال أطماع وهمى
علمتنى الايام مذ كنت حملا * خلوة الاربعين فى بطن أمى

لازالت سحب الرحمة تحدوها له الصبا والجنوب حتى تشق على ثرى جدثه غر السحاب الجيوب آمين

السيد عبد الرحيم العباسى أنا وان لم أره فهو لقرب عهده سمعت خبره حسيب طرز كم المجد وأعاررقة شمائله نسمات نجد أنجبته أم الفضل كريم الحسب سعيدا فأبى أن يكون على الفضائل الا مأمونا ورشيدا وله رايات فضل عليه تعممت الاقلام

بسواد أنقاسها العباسيه وكتائب ثناء تعطرت الكتب بنفحاته القدسيه طفح سكرا بشمولها فم الكاس وابتسم فرحا بها كل زمان عباس

واذا أردت مديح قوم لم تمن * فى مدحهم فامدح بنى العباس

فنسبه ناهيك به من نسب وعرف معارفه اذا رآه الروض نادى عليه أصبح للورد يجب

ابن عم النبي واللابس الفخرين من نوره ومن برهانه

ولما ارتحل الى الروم وبها بقية من الاعيان أجله علماؤها لما رأوه به من نوادر الزمان وكان المولى عبد الباقى عيبة لطفه وظرفا ترشح منه رشحات ظرفه فانه ممن قدم من برد الشمال شماله وارتضعت أخلاف المزن مع طفل النور خلاله يقطر منه ماء البراعه وتثمر بمآثره أغصان البراعه وله تآليف وآثار سطورها سبح اذا رأتها سجدت الاقلام وكبرت بعجائبها ألسنة الخاص والعام اذا قدم معناها على الأسماع برزت لاستقباله طلائع الافهام وتسجد الابصار لرواته وتخضع الرقاب لزهوه وحسن بهائه ولم أر من آثاره غير معاهد التنصيص فى شرح شواهد التلخيص وسمعت له شرحا على البخاري ورأيت له شعرا وانشاء ومدائح فى المولى المحقق سعدى فما رويناه من شعره قوله

أرعشني الدهر أي رعش * وكنت ذا قوة وبطش
قد كنت أمشي ولست أعيا * فصرت أعيا ولست أمشي

وقوله أيضا

مالى أرى أحبابنا فى الناس * صاروا كمثل حبابنا فى الكاس
بينا نرى وقلت عند أول نظرة * كاللؤلؤ المتناسق الأجناس
فاذا أعدت الطرف فيهم لم تجد * شيأ وصار رجاؤهم كالياس

وقوله أيضا

من يبغ بالفضل معاشا يمت * جوعا وان كان بديع الزمان
تبغي الحجى ثم تروم الغنى * ياقلما تجتمع الضرتان

وله أيضا

اللؤلؤ نظم هذا الثغر أم حبب * وقرقف طعم ذاك الريق أم ضرب
وما أراه بصحن الخدو ردها * أم وجنة بدم العشاق تختضب

وله أيضا

لست عن ود صديقي سائلا * غير قلبي فهو يدري وده
فكما أعلم ما عندي له * فكذا أعلم ما لي عنده

(وله أيضا)

لو كان ذا الكاشح في بلدتي * لم يستطع يومضني ومضا
وكنت في العز سماء له * وكان لي من ذله أرضا

وله أيضا

يعقد النقع فوقها سحبا كالليل فيه السيوف أضحت رجوما
ومتى ما رأت سواد شياطين بغات الحروب عادت نجوما

وله أيضا

رأيت لئيم قوم في محل * وبين يديه أشخاص لئام
فسلم من جهالته ابتداء * فقلت له متى كسد السلام

وله أيضا

حال المقل ناطق * عما خفي من عيبه
فان رأيت عاريا * فلا تسل عن ثوبه

وهذا كقول الحريري

فكل ما حلا حين تؤتى به * ولا تسأل الشهد عن نحله

وقول الآخر

كل البقل من حيث تؤتى به * ولا تسئلن عن المبقلة

وأمثاله كثيرة كما بيناها في غير هذا الكتاب وله أيضا

اذا ما كنت في قوم غريبا * فعاملهم بفعل يستطاب
ولا تحزن اذا فاهوا بفحش * غريب الدار تنبحه الكلاب

وهذا اشارة الى ما جرت به العادة من نبح الكلاب على من لم تعرف وكذلك أيضا تنبح على الفقراء وفي أنس الحكمة للزندوسي الكلب ينبح على الفقير دون الغني لانه من جنسه ولانه يرجو منه المواساة بخلاف الفقير ولذا قال الشاعر

حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * ذلت لديه وحركت أذنابها

واذا رأت يوما فقيرا معدما * هرت عليه وكشرت أنيابها

وقوله أيضا

أرى الدهر يكرم جهاله * وأعظم قدرا به الجاهل
وانظر حظى به ناقصا * أيحسبنى اننى فاضل

ولما سمعه البدر الغزى أجابه بقوله

أعبد الرحيم سليل العلا * ويا فاضلا دونه الفاضل
أتعتب دهرا غدا موقنا * بانك فى أهله الفاضل

وقرأت فى ديوان الزمخشرى

ولا ترض ياصدر الكفاة بأن ترى * أعالى قوم ألحقوا بالأسافل
والا فوقع للزمان فانه * غلامك يجعلنى كبعض الاراذل

وللدباسى البغدادى

انى رأيت الدهر فى صرفه * يمنح حظ العاقل الجاهلا
لما رآنى نائلا ثروة * أظنه يحسبنى عاقلا

ولمجير الدين بن تميم

الدهر عندى لامحالة أحول * فاسأل به من كان طبا عاقلا
يرنو ليلحظ فاضلا فيرده * حول بعينيه فيلحظ جاهلا

وللباخرزى

كيف لا يمسك عنى برقه * بعد ما أمسك عنى وبله
ساءنى الدهر لانى عاقل * ليت انى مثل غيرى أبله

وأجاد القائل

ومالى لدى دهرى ذنوب أعدها * سوى تهمة الاعداء لى بالفضائل
وانى منه تبت توبة نادم * مقرا بأنى اليوم أجهل جاهل

وفى معناه قول المنجنيقى

ان كان ذنبى أننى شاعر * فاصفح فقد تبت عن الشعر

وقال أبو تمام

ينال الفتى من دهره وهو جاهل * ويكدى الفتى من دهره وهو عالم

ولو كانت الارزاق تأتى على الحجى * هلكن اذن من جهلهن البهائم

وما ألطف قول الوزير ابن زيدون وقد سجن

لم يطو برد شبابى كبرة وأرى * برق المشيب اعترى فى عارض الشعر
قبل الثلاثين اذ عهد الصبا كثب * وللشبيبة غصن غير مهتصر
أيها الشامت المرتاح خاطره * أنى معنى الامانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر

(ولهُ أيضا)

أما ترى البدران تأملت والشمس هما ينكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك يجنو * بالمصاب العظيم نحو العظيم

(سراج الدين عمر الفارسكورى) فاضل قلد جيد دهره من فضائله بحليها ونظم عقد محاسنه فى صدر نديها جنى من ثمرات العلوم الرياضية فواكه ذاقتها الافهام واجتنى من رياضها أنوارا لم تبرز من الاكمام واجتلى أبكارها وعرفها وهى حور مقصورات فى الخيام فلك من ذلك الفن خمائله ورياضه وراض فى مضمار جواد فكره أحسن رياضه وكثيرا ما كنت أستنشق عرف خبره واتحلى من الشقة الفارسكورية رقيق حبره فتبكر من كماله ما ثنى الاعجاب وعطفه وحقق أن عمر علم فى العدل والمعرفه وانه مفرد لا يثنى وقد نال من الفضل ما عنى ورأيت له من الآثار مالم يسمع به الفلك الدوار فكم دار عليه فما رأى له مثلا لديه ككتابه ناشئة الليل ونظم الارتشاف وغيره مما قطعت دونه توابع الاوصاف وله شعر منه قوله

شكل اشتياقى ماله من حد * ونقطة الصبر محاها وجدى
وامتد خط الدمع من محاجرى * بلا تناه فوق سطح الخد
وهيئة الجسم اضمحلت مذ نأى * وانحصرت حياتها بالبعد
وضاق صدرى حرجا لما استدا * رت حركاتى حول قطب الصد
وأصبحت كرات حظى مركزا * مسكنها فى وسط جزم الجهد
ومن قسى الهجر كم من أسهم * تحوى ماشقت جيوب وجدى

والزمن القطاع قد ألف ما * بين محاجري وبين السهد

واعلم ان استعمال ألفاظ اصطلح عليها أرباب العلوم كما هنا قالوا انه مما يخل بالفصاحة لانها كالغريب بالنسب أوضعيف التأليف ولعلهم أرادوا الاكثار منها كقول الجاحظ على لسان طبيب

شرب الوصل دستينج الهجر فاستطلق بطن الوصال بالاسهال

ورماني حبيبي بقولنج بين * جالوس منه بأكسف بال

وابن هذا بيني و بينه مودة وصداقة وهو

﴿تقي الدين بن عمر الفارسكوري﴾ فاضل عريق وأديب في بحار آدابه حاسده غريق له خلق خليق بالالطاف وفضل تقطع دونه النعوت والاوصاف

ونهى غادرت ضمير القراطيس مصحفا لألسن الاقلام

وهو بالروم صديقي وفي الغربة القارظية رفيقي فكم دار بيني و بينه رحيق مدامة من الكدر صفا (يحكي النسيم لطافة لما سرى) وحديث

كتحدث الماء الزلال اذا صفا * لجرى النسيم عليه يهمهم ماجرى

وللامل فيه عدات يرجى وفاؤها وله على الدهر ديون بينة يحق أداؤها ومما أنشدني لوالده قوله

اذا كانت الافلاك وهي محيطة * علينا قسيا والسهام المصائب

ومرسلها البارى فأين فرارنا * وسهم رماه الله لاشك صائب

وكان انشاده لي لما تذاكرنا أمور الدهر وتصدر الجهلة وأنشدته قول الشريف الرضي رضي الله تعالى عنه

أما تحرك للاقدار نابضة * أما يغير سلطان ولا ملك

قد هادن الدهر حتى لاقراع له * وأطرق الخطب حتى مابه حرك

كل يفوت الرزايا أن يقعن به * أما لأيدي المنايا فيهم درك

أقصر الدهر عجزا عن لحاقهم * وأين أين ذميل الدهر والرتك

أخلت السبعة العليا طرائقها * أم أخطأت نهجها أم مصر الفلك

وقلت أنا في ذلك

مدافع بالنجوم و بالصواعق * بروج أرسلت منها شواهق

مصيبات تخر على الاعادى * تزمجر بالرعود وبالبوارق
ودارت دائرات قد أحاطت * من الافلاك ماعنهن عائق
ومن كل الجوانب راميات * قسى قرطست هدف الخلائق
قسى فى الركوع لها سهام * أصابعها تشير الى البوائق
ستدرك هذه الاوتار منها * فلو باقد غدت فى فتر خافق
فلا تيأس ستفتح عن قريب * حصون ذا الرخاء لمن طارق
وسهم الله لا يخطى بليل * وان أمسى من الظلمات غاسق

(وأنشدنى له قصيدة مطلعها)

يامن محياه يستسقى به المطر * وعدله كاد ينسى عنده عمر

(ومنها)

ان كنت تبغى بنار الهجر تجربنى * انى على الحالتين العنبر العطر
وأهجر الماء ان كانت معلقة * به حياتى اذا ماشابه كدر
وسوف ينبيك عن صبرى جفاك على * لظاه هل أنا ياقوت أم الحجر

(ومنها)

أراك دهرى مامنه تؤمله * حتى نراك ومن أنصارك القدر

(وأنشدنى له من أخرى)

ماالدر فى حقة الياقوت ان بسما * وما نسيم الصبا والندان نسما

(ومنها)

ماشق سرح عذار روض وجنته * حاشا شقائقها أن لا تكون حمى
فلو سواك غزانى كنت تمنعه * عن ساحتى لو يكون الشيب والهرما

(ومما أنشدنيه قوله مضمنا)

تقول سليمى بعدما بنت تبت عن * هواى وعن ذى الحال لست بتائب
تواصل واوات بخد معذر * وتجفوا بلا ذنب ذوات الذوائب
اليك فانى لست ممن اذا اتقى * عضاض الافاعى نام فوق العقارب

(محمد بن أحمد الحنائى) ريحانة الندمان وفكاهة الخلطاء والاخوان وفاكهة الظرفاء وهدية الزمان مهر فى الفنون فاتى بما تلذ به الاسماع وتقر به العيون

لاسيما فى الطب والحكمه فانه كان فيهما ماذا همه ولما غلب عليه الهوى سقط نجمه من أفق السعادة وهوى فلم يتنبه حظه بغير قهقهة القنانى ودغدغة المثالث والمثانى الا أن له شعرا يحط قدر الحطيئة ويبلد لبيد اوذهنا يدع اياس من الذكاء فى اياس وبديهة بديعه كأن لها على كمين الغيب طليعه وقد كان كثيرا ما يسامرنى فينشدنى من أشعاره وينثر فى نادى الادب فوائد نثاره فمن ذلك قوله من قصيدة

نعم أتتك فلا اخضاب الموعد * متنصل تبدى اعتذار المجتدى

جاءتك تدرع السعود كأنها * غصن من الياقوت فوق زبرجد

(وقوله أيضا)

فكم ليال كست بدر الدجا شرفا * تمنت الشمس فيه رتبة القمر

أبدى لنا ضوءه لحفا بطائنها * ريح الصبا وافترشنا زهرة الزهر

ويقرب من هذا قول بعض المغاربة

وفتيان صدق عرسوا تحت دوحة * وليس لهم الا الهناء فراش

كأنهم والنور يسقط بينهم * مصابيح يهوى نحوهن فراش

(وقوله أيضا)

أجل الله أعطاف الحبيب * وأينع قامة الغصن الرطيب

وأنبت ورد هاغضا طريا * وسيجه بريحان القلوب

ولا زالت شمائله نشاوى * مرنحة كغصن فى كثيب

وعطفها نسيم الشوق حتى * تميل الى معانقة الكثيب

وروى أرضها سحرا مطيرا * يغيث من محاجفن صبيب

(وقوله)

عمر الفتى قالوا زمان الرضى * بالصفو والاحباب واليسر

صدقت ماقالوه كى يقبلوا * لينظروا شيخا بلا عمر

وهذا كقول الامير أسامة بن منقذ

قالوا نهته الاربعون عن الصبا * وأخو المشيب يحار ثمة يهتدى

كم حار فى ليل الشباب فدله * صبح المشيب على الطريق الاقصد

واذا

واذا عددت سنى ثم نقصتها * زمن الهموم فتلك ساعة مولدى

وللامير أبى فراس الحمدانى

ما العمر ما طالت به الدهور * العمر ما تم به السرور
أيام عزى ونفاذ أمرى * هى التى أحسبها من عمرى
لو شئت مما قد قللن جدا * عددت أيام السرور عدا

وفى هذا أقول

يقولون أوقات السرور قصيرة * وأوقات عمر الغم قد برزت طولا
فمن كان بالهم المبرح لابسا * يظن بأن العمر صار طويلا

وللامير أسامة بن منقذ أيضا

لا تحسدن على البقاء معمرا * فالموت أيسر ما يؤول اليه
واذا دعوت بطول عمر لامرئ * فاعلم بأنك قد دعوت عليه

ومن بيوت العلم بالقاهرة العلاقمة فمنهم

(شيخنا العلامة ابراهيم العلقمى وأخوه شمس الملة والدين) أما الشمس صاحب الكوكب المنير فى شرح الجامع الصغير فشيخ الحديث فى القديم والحديث لم تزل سحب افادته فى رياض الفضل ذوارف حتى صار وهو العلم المفرد من أعرف المعارف فهو هضبة مجد وفى التقى جوهر فرد قد تحلى بخدمة الجلال السيوطى كمالا ورقى الى سماء المعالى فازداد جمالا وأما ابراهيم فللفضل خليل وطبعه لطفا يحكيه النسيم لو أنه عليل لازمت القراءة عليه فى ابان الطلب واجتنيت ثمراته الجنية من كثب فتبرجت لى عرائس معانيه وتجملت لى على منصة الكرم معاليه ولعمرى انه دوح فضل حلت فى جثمان علاه وسماء مناقب تزينت بكواكب هدايته وحلاه لا زالت تهمى على جدثه عيون الغمائم كلما حيته حسان الحور ضاحكة المباسم ومما مدحته به لما حضرت عنده وهو يفتى

أنادرة الزمان بقيت أنعم * باصغاء الى العبد الضعيف
زمانك كله أمسى ربيعا * خصيب الفضل ذا ظل وريف
فما بال الفتاوى فى انتشار * ببابك نثر أوراق الخريف

وله كتاب تهذيب الروضة للنووى سمعته منه بقراءة الفاضل الشيخ منصور الطبلاوى

ع(أحمد بن علي العلقمي نزيل الخانقاه السرياقوسية) ﻫ. شمس تنجلي به الابصار والبصائر وان كان وجه الشمس يعشي ناظر الناظر وروض فضله نضير وماله في سعة الحفظ نظير ومع ذلك لم يعرف أستاذه ولم يحتج سيف ذهنه أن يشحذ فولاذه وله طبع بالصلاح زاه زاهد ونقد فكر لم يصرف نقد ناقد وشعره مدام الطل في كاس الزهر وحلل الربيع المنسوجة بأنامل المطر

يمد على الآفاق بيض خيوطة * فينسج منها الثرى حلة خضرا

وكان في اقبال عمره لمعرفته بمكر دهره فان الشهوات أجرة تستخدم بها النفوس في عمارة عالم الطبيعة لتذهل عما يلزمها من التعب ويلحقها من الكلال كما قال ابن لتلميذ الحكيم اعتزل الناس وارتض من سفر الحياة بغنيمة الياس فلذا جعل الخانقاه السرياقوسية مألف سكنه ومراتع آماله ومرابع وطره ووطنه ثم انتقل الى مصر فدرس بها وأفاد وترنمت ورق فصاحته بدوحها الميعاد ثم اختار جوار بيت الله المعظم وظفر من كيمياء السعادة بالحجر المكرم وقد طفت بكعبة فضله في ذلك المقام وو ردت صفاء موارده بالصفا والمقام

وملأت السمع منه كل ما * يحسد القلب عليه الاذنا

وعقيب ذلك الاجتماع طافت به المنية طواف الوداع فانتقل لجوار الرحمن واستوطن قصور الجنان فجرعنا فراقه غصصا علقمية وما جرد من لباسه حتى تردى حلل المغفرة السندسية لازال يسقي ربعه ويروي مضجعه

سحاب حكى ثكلى أصيبت بواحد * فعاجت له نحو الرياض على قبر

ومما أنشدنيه من شعره قوله من قصيدة

بأبصارنا وجهك المذهب * يكاد سنا برقه يذهب

وأشواقنا فيك لاتنقضي * وشمس جمالك لا تغرب

وحبك في الماء مستودع * وأشربه كل من يشرب

وفي كل قلب وعين به * مشيرالك المنزل الأرحب

وذاتك جنة أهيل النهى * ونفسك عنصرها طيب

فمن غير نطقك لانشتفي * ومن غير ذاتك لا نطرب

وكم لك من رتب في العلا * تعالى العلا اذ لها ينسب

وله من أخرى

مذ نسيم الصباء إلى الزند هبا * سحرا نبه الفؤاد ونبا
هز غصن القوام فاهتز حتى * مال شوقا اليه شرقا وغربا
وروى عن عريب نجد حديثا * فدعا قلب من يحب قلبي
وركبنا سفينة الصبر لما * حال وجه دون السفينة غصبا
وقتلنا غلام من عاقنا عن * سيرنا نحوهم فأرب قربا
وأقمنا جدار وجد قديم * بعض ما انقض أو أراد فأربى

* شمس الدين البصير * ضرير كان الله أراد أن لا ينظر الا الى جنانه فأغمد صارم طرفه في قراب أجفانه

والله ما في الزمان شئ * تأسى على فقده العيون

ذكي لوذعي فطن ألمعي عجنت طينته بماء المعارف وتآخت طبيعته مع العوارف وكان في غرة العمر رفيقي وفي روض التحصيل شقيقي الى أن اخترمته في شبابه يد الأجل فقطعت شمس عمره منطقة الأمل وغابت في عين حمئة من قبره حتى بكى الافق بالشفق دما على أثره فكأن الدهر الحسود لما رآه جمع الكمال جمعا جماعبس وتولى ان جاءه الاعمى وكان يسكن الخانقاه وللفضل فيه أماني وطرف الكمال اليه يراني الى أن آذنت شمسه بالزوال وغربت بعد ما طلعت من مشرق الاقبال فمن شموس معانيه المشرقة من منازل مبانيه قوله *

بين حروب العيون والمهج * دمعي جرى عندما من الوهج
لأحلفن والله أو أقطع عن * ريم من الترك كيس غنج
مكحل الناظرين ذي حور * مضرج الوجنتين ذي بلج
أمسيت من محنتي عليه ومن * دمعي بين اللجاج واللجج
لا انتهي عن تهتكي أبدا * ليس عن المستهام من حرج

قلت ولا على الاعمى حرج وأنشدني له أيضا

قلت لما أراد الله مسكا وخمرا * ذو دلال وأعين سحاره
لك والله نكهة في رضاب * تلك عطارة وذي خماره

وهذا كقول ابن نباته المصري

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى فتاله

ومما أنشدنيه أيضا قوله

أحبب به قارئا أمسى له نغم * أحلى وأملح من ضرب النواقيس
يا حسنه من مليح راق مبسمه * لكنه قارئ يروى عن السوسى

وهو كقول الفيومى

نسيم من ديار الخل هب على * موتى الفراق يحاكى النفخ فى الصور
يروى أحاديث نشر من دياركم * ما أحسن النشر اذ يروى عن الدور (ى)

(*عبد الله الدنوشرى*) جامع التقرير والتحرير الراقى الى ذروة المجد الخطير تآليفه عقائل أصبح الدهر من خطابها وآثاره تتشوق الاسماع الى فواكه آدابها طالما جلاها على وأهدى باكورتها الى الا أنه كان يعد الشعر سهلا ويمزج بالجد منه هزلا فهو فى سماء الفضائل تحسد النجوم سناه وأنى لها أن تشابه علو مجده وعلياه

وهى تخفى عند الصباح وهذا * ظاهر فى صباحه والمساء

وكان بينى وبينه مودة وصداقه وعلاقة محبة حقيقة لا تحتاج لعلاقه كثيرا ما يجاملنى بالمطايبة ويتحفنى بالمكاتبة وهو جوهر نفيس فى خزائن القبول وسر مكتوم مستتر فى ضمائر الخمول ويعرض على تآليف له مفيدة وينشدنى من أشعاره ما عنه القرائح بعيده كقوله

أرى فى مصر أقواما لئاما * وهم ما بين ذى جهل ونذل
شجاعتهم بألسنة حداد * وعيشهم بجبن وهو مقلى

وفى معناه قول الآخر

أقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعونى فانى آكل الخبز بالجبن

ومما كتبه الى بعد المهاجرة من مصر

نوالك يا شهاب الدين زائد * وبحر نداك يا مولاى زائد
تركت العبد لم تنظر اليه * وقد عودته أسنى العوائد
متى يأتيه منك جواب كتب * وتأتيه الصلات مع العوائد
ويكحل جفنه ميل التلاقى * ويغمد سيف هجرك عنه غامد

فلا

فلا برح الثناء عليك عقدا * نضيد النظم فى جيد المحامد

وله فى موسى قاضى مصر

لقد كان فى مصر الامينة حاكم * تسمى بفرعون وكان له موسى
وفى عصرنا هذا القلة قسمنا * لنا ألف فرعون وليس لنا موسى

ومما اتفق لى فى نظيره قولى

يا من أذل النفس من حرصه * جرحك بالمرهم لا يوسى
لا تسلم الناس فأنت الذى * أعطيت فرعون عصا موسى

وركب ثورا بعض الشهود تشهيرا له فكتب له

ان ركوبك الثور فى مصر اذ * جرست بالظلم و بالجور
فاصبر ولا تحزن لما قد جرى * فالناس والدنيا على ثور

قلت وعلى ذكر فرعون فقد ورد فى مناجاة موسى انه قال يارب لم أمهلت فرعون وقد كفر بك فقال انه كان سهل الحجاب فأحببت أن أكافئه على ذلك فى الدنيا وقد قلت أنا

فى مصر جبار علينا اعتدى * حكم فينا بخلاف الصواب
ان كان فرعون فما باله * لم يحكه اذ كان سهل الحجاب

وله شعر كثير لم يعلق بسمعى منه الا اليسير وقد عرفت أن خير الكلام ما دعا بلفظه الاسماع الى حفظه

يستنبط الروح اللطيف نسيمه * أبدا ويتوكل فى الضمير ويشرب

(عبد الواحد الرشيدى) شيخ عده بعضهم حسنة بها ذنب الزمان غفر وأصبح به الدهر عما قدم من اساءته يعتذر وعندى أن عذره أقبح من ذنبه وتوبته لا أراها مقبولة عند ربه

والشوق يعمل فى ثيابى مثل ما * عمل الهجاء بعرض عبد الواحد

فمن لؤلؤه الرطب ورشح قلمه العذب قوله

قلت للنائب الذى * قد رأينا معايبه
لست عندى بنائب * انما أنت نائبه

وهذا كقول الآخر

وقاض لنا حكمه باطل * وأحكام زوجته ماضيه

فياليته لم يكن قاضيا * و ياليتها كانت القاضيه

وللارّجانى

ومن النوائب اننى * فى مثل هذا الامر نائب
ومن العجائب أن لى * صبرا على هذى العجائب

وأنشدنى له بعضهم

لا تحسبن أن هجوى فيك مكرمة * شعرى بهجو لئيم قط ما سمحا
لكن أجرب طبعى فيك فهو كما * جربت فى الكلب سيفا عندما نبحا

وهو كقول الآخر

هجوتك لا لأنك أهل هجو * ولكن كى أجرب فيك سبى
وليس يضر شفرة لهذمى * اذا ما جربت فى جلد كلب

وكان مع انه بزى أهل الصلاح تصدر عنه كلمات سخيفة قباح كما أنشدنى له بعضهم فى رشيد وكثرة أمطارها

كل قطر عند من يدرى محاذ * قطعة من فلك من غير شك
فلئن صح مقال الناس ذا * فرشيد تحت سنداس الفلك

وسنداس لفظة عامية معناها بيت الخلاء وهذا مع سخافته وما فيه من رائحة الكفر الكريهة لما سمعته قلت لله دره ما أعرفه لولم يصدق فيما جرى لم يخرج منها مثل وهذا الخرا وأين هذا من قول ابن لؤلؤ الذهبى لما توالت الأمطار

ان أقام الغيث شهرا هكذا * جاء بالطوفان والبحر المحيط
ما هم من قوم نوح يا سما * أقلعى عنهم فهم من قوم لوط

(رمضان الهوى) أقبح وأحمق من الشيخ المهوى طال عمره على الأيام وثقل حتى أقلقها ولبس حلل الجديدين حتى أخلقها

وسخ الثوب والعمامة والبر * ذون والوجه والقفا والغلام

ذو أخلاق مجعده وألفاظ محلولة مبدده أثقل من الفهر وأكثر ذنوبا من الدهر وأشأم من طويس وأثقل على الراجى من لا وليس يعتنى كثيرا بغريب الكلام والتصرف فى أنواع الالتزام حتى عارض المقامات الحريريه فأصمت الاسماع كلماته الحوشيه ولم يزل مبتلى بالفقر لما له من بذاءة لسان وقبح كلمات ولقد أنصف الدهر فى

مقته

فقته ولليله اصابات فهو على ما به من مكر وكيد كما قال الصاحب فى أبى زيد

انظر الى وجه أبى زيد * أوحش من حبس ومن قيد .
وحوشه ترقع فى ثوبه * وظفره يركب للصيد

وهو بلدة بالصعيد لم يخرج منها نجيب ولا سعيد وما يسوء الفؤاد الابهو .

(أحمد بن عبد السلام) رأيت والده وقد أحالت الايام سبجة فضه وقد ذبلت بعواصف الهرم زهرة حياته الغضه متسما بسمة الصلاح قد خلع حلل الخلاعه واستراح وأما ولده فكان فى ريعان عمره يتجر فى بضائع شعره ثم ارتحل الى الروم فلبس حداد فقر كاد لابسه وابتسمت فى وجوه آماله ثغور حظه العابسه الا أنه مكثار متشدق متفيهق ثرثار ولعدم تهذيبه لا تزال أفكاره تهذى به وربما عزت عليه مطالبه حتى نظم الجزع ثاقبه ولم يزل كذلك حتى اجتثت دوحته بعد ماسقاها ماء الشباب وقطعت يد المنون ثمراتها العذاب ومن شعره قوله من قصيدة له

فى كل حين يطلعون على ذرى * فلك المعالى طالعا مسعودا
لم يمض دون الملك أن ملكوا به * ملكا على مر الجديد جديدا
تجنى لهم ثمرات هذا الملك اذ * غرسوا به لدن القنا أملودا

وثمرات هذه الأغصان من بدائع المعانى الحسان ومما يضاهيه قول البحترى فى السيف

حملت حمائله القديمة بقلة * من عهد تبع غضة لم تذبل

الا أن هذه بقلة حمقاء والاحسن فيه قول ابن هانئ الاندلسى

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

ولقد أخذ منه عباءه ورد هاديباجه ومن شعره أيضا

قيل شبه لنا الشقيق وقد كنا * نشاوى جميعنا بالرحيق
قلت قضب من الزبرجد يحملن * على الهام أكؤسا من عقيق

وهذا من قول غيره فى النرجس

أنامل من فضة * يحملن كأسا من ذهب

ومن المعانى الغريبة فيه أن العجم والروم فى ليالى الزينة يصبون فى طشت ذهبا ويدور به انسان فى الاسواق يعلنون به الأمان ويشهرون به عدل السلطان فى ذلك الزمان

فقال على الباخرزي في قصيدة له

ان شئت أن تعرف أن عدله * قد فرش الامن فلاق النرجسا
اذ حمل التست من التبر على الرأس فلولا أمنه لاحترسا

والمشهور هنا قول الصنوبري في قصيدة له

وكان محمر الشقيق اذا تصوب أو تصعد أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

وله وجوه شقائق تبدو وتخفى * على قضب تميس بهن ضعفا
اذا طلعت أرتك الشمس تذكو * وان غربت أرتك السرج تطفى

وللقاضي عياض

انظر الى الزرع وخاماته * تحكي وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

ونحوه قول ابن الزقاق نثر الورد في الغدير وقد درجه بالهبوب نشر الرياح
مثل درع الكمي مزقه الطعن فسالت به دماء الجراح

ومما قلته هنا

كأس الشقيق امتلأت * خمر ندى لم يعصر
كمجمر من ذهب * فيه بقايا عنبر
أو مشعل يهدى به * للهو من لم يشعر

وهذا أمر استطردناه قضاء لحق الآداب ولولا خوف الملل أريناك هنا من السحر الحلال من ثمرات الألباب ما لا عين رأت ولا اذن سمعت لتعلم ما من الله به علينا من الوقوف على كنوز مطالب لم يقف عليها غيرنا

* محمد بن بدر الدين الزيات * شاعر كان في عنفوان شبابه قبل أن تجب عليه زكاة نصابه يحترف بالزيت والاسمان من قوم همهم في أدعهم جفانهم مملوءة للوافدين لحريعهم من أولاد جفنه أترع فيها زيته وسمنه حتى نزعت به همته عن ميزان السفر الى ميزان الشعر والدهر كالميزان يخفض ويرفع ويعطي من يريد ويمنع الا انه كان مولعا بالسرقة ولص البيت لا يؤمن فاذا أنشد شعرا قيل له أحسن الناس ولله در من أحسن

ومن العجائب انه لا يشتري * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

فراقت آدابه وان لم تساعده أحسابه فكان كما قيل فى المثل كل العسل ولا تسل
فمما أنشدنى قوله فى الفاضل العزى

الى الفاضل العزى وجهت مطلبى * لأظفر منه بالذخيرة والكنز
وقالوا أتنال تبلغ المجد والعلا * فقلت لهم قد نلت ذلك بالعزى (ى)

وهذا العزى ممن له بيت شرف وفضل بالقاهرة فمنهم

(صفى الدين بن محمد العزى) ماجد اذا تليت آيات أوصافه ركع لها القلم ومجد تفرد بعلو سنده فى الحديث فأصبح دار علم بين العلياء والسند فحديثه فى الفضل مرفوع وأثر سواه ضعيف ومقطوع فلفظه مما يستحق أن يرسم بنور البصر فى عنوان صحائف الاذهان والفكر وسكر طبعه المصرى مما يحلو مكرره ومعاده ولم يزل بالقاهرة وثناؤه يتلوه لسان الدهر ويحفظه فؤاده وهو أحد شيوخى الذين رويت عنهم السنن * وتشرفت بلقائه ورويت حديثه الحسن فمما أنشدنى له فى مليح نحاس

على رقة من ذابت حشاه ضنى * صب أزال الكرى من مقلتيه وصب
حديد قلبك يا نحاس يمنعه * لجين جسمك والنوم المصون ذهب

(وله فى صديقه الصحافى)

يا عاذلى فى هواه * تلاف قبل تلافى
وهات لى الدن واجمع * بينى وبين الصحاف (ى)

(أحمد بن على العزى) أحد أترابى ولداتى ورفيقى فى اجتناء لذاتى وهو شاب رقيق الجلباب يقطر من اهابه ماء اللطف والشباب تأدب وبرع ووعى ما جمع معتكفا فى زوايا الخمول قانعا بشقاشق آبائه الفحول وكان فى ابان الطلب حدثنى يجنى من خمائله كما أجنى حتى قطع عليه الطريق الاجل وناداه عجلا فقال أجل فمما سمعته من شعره قوله

لازال هذا الجمع جمع سلامة * لا نقص يعروه ولا تغيير
والجمع من أعدائكم فى قلة * ونقيض تلك القلة التكثير

وولداه من شيوخ العربية وصدور أنديتها الندية

(عمر العزى) أديب نظم ونثر وشعر بعد ما شعر فى حالة أضيق من فم الحبيب

وصدر العاشق اذا حضر الرقيب كمصحف فى بيت زنديق أو سر فى صدر أحمق غير صديق ومن شعره قوله

رب ثقيل امام قوم * يؤم بالناس ثم يجفى
خالف فى الفعل قول طه * من أم بالناس فليخفف

(رجب الشنوانى) ناظم قلائد المدح وخاطب خرائد الملح مضى له بمصر زمن وهو يهدى نثار كلماته ويطلع فى رياضها النضرة غض نباته ويأتى العلوم من أبوابها ويجرد مرهفات ألسنه من قرابها ومولده بشنوان وهى بلدة بالمنوفية صورت بها الجنان كانت مخيم لذاته ومنبت أترابه ولداته ثم ارتحل الى الجامع الازهر فأثمر به غصنه الرطيب وأزهر ولم يزل به معانقا للخمول وروضه بطل آدابه مطلول وكنت كثيرا ما أجتلى وجه وداده وأرقد نار الفكر بقدح وارى زناده وأستظل بدوحه المريع وأستمد من بحر فكره السريع وأسامره بمائذ كرنا عهود الرقمتين وأتنزه من صفات رجب وذاته فى الربيعين كما قيل

وكانت بالعراق لنا ليال * سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالى * وعنوان المسرة والامانى

وكانت مفاكهة أثماره ألذ عندى من فواكه أشعاره وأخلاقه ونقود آدابه نضة أطوع من الكأس للنديم ومن قدود القضب لأيادى النسيم فمن رأى رجبا فقد رأى عجبا وبدى عيد السرور والطرب وقال من شاهده من رأى عيدا فى غرة رجب (ياليت ان شهورى كلها رجب) لازال ضجيع الغفران وجليس ملائكة الرضوان فمن حباب مدامه الرائق فى انتظامه قوله

عذار معذبى قد خط خطا * من الريحان فى روض الدلال
كتاب بالامان له أتانا * وعنوان المسرة والوصال

ومما كتبه الى وأنا بالروم

أقبل بالاجفان ياسادتى أرضا * وبالقرب لا بالبعد من حيكم أرضى
وان سار نجم فى السماء ذكرتكم * وحنت لكم من بعد كم سائر الاعضا
وان جعل الناس المحبة سنة * جعلت على طول المدى حبكم فرضا
ووالله ان العين من بعد بعدكم * جفاها الكرى عمدا فليست ترى غمضا

وان لم نفز منكم برؤيتة وجهكم * فأرواحنا حتى جوارحنا مرضى

وأنشدني له أيضا

لا تجعلن على اللحاء وغيرها مأسفتاك

واعشق مليحا أهيفا * كالرمح ان ماس فتك

وله من قصيدة .

تهلل وجه الدهر بالنور والهدى * وأشرق روض الزهر بالقطر والندا

وفتح أحداق الحدائق هاطل * من الطل خد الورد منه توردا

ومن لطف خلق النيل جاء مخلقا * ومن عظم غيظ البحر أزغى وأزبدا

ومايستوي البحران هذاك مالح * أجاج وهذا طاب للناس موردا

(القاضي بدر الدين القرافي المالكي) القاضي الفاضل والحاكم العادل الغاصل بدر كماله من أفق المعالي مشرق وغصن دوحه من سحائب الفضل مورق رأيته ولياليه محمرة خدود الشفق وعيون النجم في خدمة سعده لا تكتحل بغير الارق وقد طلع بدره في هالة التدريس وأحاطت به منطقة ناد له المجد جليس وأقلام الفتاوى تسعى لخدمته على رأسها وتجعل وجه الطرس كعبة مستورة بسواد أنقاسها فتحج لها الابصار والبصائر وتعتكف في حرم أدلتها الاسماع والضمائر وآثاره في فقه مالك مدونه وفواضله بموطا أخلاقه معنونه وشرح مختصر خليل شرحا شفى به الغليل وله القول المأنوس في حل مشكلات القاموس كادت له الصحاح الجوهرية تغوص في البحار خجلا من اتساق عقوده الدرية ولم يزل في القضاء على سنن السنة سالكا ولمحررقها الموشى بالكتابة مالكا فهو ثالث العمرين ونديم القمرين أظهر فيه اليد البيضاء ولم يلتفت بهمته المسودة الى الصفراء والبيضاء

وما سمعنا قط ان امرأ * أهدى له شيأ ولا قدر شاه

والآن قد قام من غلط الدهر بوجوده فاحتاج للحل جهل الحكم والتسجيل فاحتاج للصلك ولم يزل طالعا في أفق العز حتى غرب بدره وانمحق بسرار الضعف فكسف عمره فبدا زواله وتم كماله

ان فراق الكمال صعب * حتى على البدر في السماء

وله شعر العلماء ونثر طارمع العبقاء تأنق فيه وتصلف ولا عجب للبدر أن يتكلف كقوله

منك البداءة بالاحسان حاصلة * ملكتني الرق فضلا منك لي ساري
ألهمتني بعده عتقا التكرمني * فاختم بخير به عتق من النار

وفي معناه قول النور ابن حجر العسقلاني

يارب أعضاء السجود عتقتها * من فضلك الوافي وأنت الواقي
والعتق يسري بالغنى ياذا الغنى * فامنن على الفاني بعتق الباقي

ولغيره في معناه

ان الكرام اذا شابت عبيدهم * في رقهم عتقوهم عتق أحرار
وأنت ياخالق أولى بذا كرما * قد شبت في الرق فاعتقني من النار

وهو ممن يروي عن خاتمة المحدثين الديبعي وفيه يقول

وشيخ حديث طبق الارض علمه * وصار بعلم في الانام كما العلم
هو الديبعي كالغيث منهل فضله * فلا تعجبن فالغيث تأتي به الديم

وأحسن من قولي مضمنا وكتبته على شرحه للبخاري

فاق الورى الديبعي الحبر حين أتى * في خدمة السنة الغراء كالعلم
وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم

(أحمد بن عواد) أديب استقر أخلاف الصناعه وجاب الى مدينة العلم المعمورة متاعه الا أنه جعل الشعر له سلاحا وسطا وجاء شعره في أمته أمة وسطا فمما أورد له صاحبنا علاء الدين المكي في كتابه الطراز المنقوش قوله في بعض الحبوش

حبشية حسنية أبصرتها * تهتز كالغصن الرطيب المثمر
فسألتها عن جنسها مع ماخفي * قالت فما تبغيه جنسي أمهري

وهذا كقول الآخر

بي أمهري ناعم الخدين ذو * شرطين فعلهما كفعل السمهري
لم أدر اذ صافحت صفحة خده * وردزهي أم خد يد أم جري (ر)

وللنواجي رمت التغزل في أجفانه فبدا * عذاره فوق ورد الوجنتين طري
وقال قلبي لاتحفل بغزلهما * وخص عارضه بالمدح فهو حري

وههنا أمر لابد من التنبيه عليه وهو أنهم عدوا من أنواع البديع الاكتفا وقد ألف فيه النواجي كتابا سماه الشفاء في بديع الاكتفاء وقد طالعته وهو كتاب لطيف كما قال

هوفيه من كل معنى بديع لو عرّ على * فهم السقيم ولو فى نومه شفيا
وقلما أبصرته عين ذى أدب * الا وراح بذاك البر مكتفيا

ومما أفاده فيه أن ابن رشيق حده بقوله وهو أن يدل موجود الكلام على محذوفه واعترض عليه بدر الدين بن الصاحب بأنه يدخل فيه كل حذف وتقدير وقال انه لم يجد له حدا سالما من الاعتراض ألا ترى انه دخل فيه نحو واسأل القرية وليس منه والمشهور من شواهده قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهو على أنواع فمنه ما يكون بجملة ومنه ما يكون بكلمة ومنه ما يكون بكلمتين فأكثر ومنه ما يكون ببعض كلمة حرف أو نحوه وهذا اما أن يخرجه الحاقها عن الوزن أولا وكل منهما اما مع التورية أو بدونها واعلم ان فى الآية المستشهد بها نكتة لطيفة لم ينبهوا عليها وهى انه انما اقتصر على الحر لانه أهم هنا لما عرف من غلبة الحر على ديار العرب ثم ان ما بقى الحر يحصل به برودة فى الهواء فى الجملة فوقاية الحر انما هى لتحصيل البرد وهذا فيه من اللطف ما هو ألطف من النسيم فلله در التنزيل فكم فيه من أسرار لا تتناهى بقى ههنا بحث جليل وهو ان المتأخرين من أصحاب البديعات لما أكثروا من أنواع البديع وفيهم بعض من لا خبرة له بدقائق المعانى والعلوم زادوا فيها أنواعا مدخولة فنها الاكتفاء ببعض الكلمات وتبعهم من بعدهم كالدمامينى فى شرح الخزرجية حيث ذكره وأنشد عليه قول ابن نباتة المصرى

بروحى أمر الناس نأيا وجفوة * وأحلاهم ثغرا وأملحهم شكلا
يقولون فى الاحلام يوجد شخصه * فقلت ومن ذا بعده يجد الاحلا (م)

ولابن مكانس

لم أنس بدرا زارنى ليلة * مستوفزا ممتطيا للخطر
فلم يقم الا بمقدار أن * قلت له أهلا وسهلا ومر (حبا)

وللبدر الدمامينى

الدمع قاض بافتضاحى فى هوى * رشا يغار الغصن منه اذا مشى
وغدا بوجدى شاهدا وشى بما * أخفى فيا لله من قاض وشا (هد)

(وله أيضا)

يقول مصاحبى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر

تعال نبا كرالروض المفدى * وقم نسعى الى روض ونسر (ين)

وقال ابن جنى فى كتاب التعاقب باب الاعياء وهو الاكتفاء عن الكلمة بحرف من أولها كقوله * قد وعدتنى أم عمرو أن ت * أى ان تسمع وليس منه قلنا لها قفى قالت قاف لانه اسم لا حرف ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا يريد شاهدا وقول علقمة

(مقدم بسبا الكتان مختوم) أى بسبائب وقول لبيد (درس المنا بمتالع فأبان) أراد المنازل اه وقد ذكر فيه الحديث وذكر انه اكتفاء عن شاهد كقول ابن الرومى (والدم فى النصل شاهد عجب) وهو ثقة وقال غيره انه مكتفى به عن شافى زله وجمع انهم ذكروا أيضا من الاكتفاء ما اكتفى فيه بحرف الجر عن مجروره كقوله (ان غاب عن انسان عينى فهو فى) وما حذف منه شرط ومجزوم وصلة موصول ونحو ويرد عليهم قاطبة ان المحسنات البديعية انما تعد محسنة بعد مراعاة الفصاحة فما خالفها يعد قبيحا ممنوعا عند أهل العربيه وقد صرحوا بانه لا يجوز حذف بعض الكلمة الا فى ترخيم المنادى على اللغتين بشروطه وما عداه وان سمع من العرب شاذ مناف للفصاحة فعدهم له محسنا لا يصح وكونه مع التورية كما مر لا يسوغه ولو صح كان المحسن له التورية لا هذا الاكتفاء فعدهم له منها وهم على وهم نعم لو جرى هذا على وفق العربية كان حسنا وقد نظمت له مثالا لم أسبق اليه فقلت

رمت الندا للمالك وفر الكى * يولى الجميل لرقة فى الحال

فنهانى الصبر الجميل وقال لى * للكيس ناد وقل له يامال (ك)

ففيه اكتفاء وتورية مستوفية لشروط الترخيم وهذا من السحر الحلال الذى يعرفه من له ذوق فان قلت ماوقع فى الحديث من قوله كفى بالسيف شا ان كان صحيحا فصيحا نقض ماقلته والا يلزمك أن يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم كلام غير فصيح وهو أفصح الفصحاء قلت أفعاله وأقواله لا يقاس عليها غيرها وكما كان يتكلم مع كل قوم بلغتهم حتى صدر منه احيانا ألفاظ فارسية وحوشية وغيرها مما لا يوصف بالفصاحة فعدت من معجزاته صلى الله عليه وسلم جاز صدور مثل هذا عنه لسر ظاهر أو خفى وأما ما قاله شارح البردة السيد الغبريني المقرى من قوله ان كونه أميا معجزة له كما قرروه حتى لا يرتاب أحد فى كلام الله يرد عليه انه لو تم قيل عليهم لم خلق أفصح الناس ولم يخلق غير فصيح

حتى يعلم أن ما يتلوه من الكلام المعجز ببلاغته ليس كلامه فليس بشيء لان الامية شائعة في أكثر فصحاء العرب وهم في غناء عن الكتابة وأما عدم الفصاحة فلكنة وعيب عظيم منزه عنه عالى مقامه وطاهر فطرته وجوهر جبلته ومن هذا علم أن الحروف المقطعة في أوائل السور ليست من حذف بعض الكلمات المحظور وهذا البحث مما لا تراه في غير كتابنا هذا * وممن صنف في جميع أنواع البديع في عصرنا ولم يهذبه حتى كان بيني وبينهم منافاة ومنافسة لاجل هذا

(عبد الرحمن محمد بن الحميدي شيخ أهل الوراقة بالقاهرة)

الاديب الذي تفتحت بصبا اللطف أنوار شمائله ورقت على منابر الآداب خطباء بلابله اذا صدحت بلابل معانيه وتبرجت حدائق معاليه (جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري) نظم في جيد الدهر جمانه وسلم الى يد الشرف عنانه خاطرا في رداء مجد ذي حواش وبطانه ناثرا فرائد بيان ينثرها اللسان فتودع حقاق الآذان وله في الطب يد مسيحية تحيي ميت الامراض وتبدل جواهر الجواهر بالأعراض

مبارك الطلعة ميمونها * لكن على الحفار والغاسل

وديوان شعره شائع وذائع الا انى استودعته للنسيان (ولا بد يوما أن ترد الودائع) ولما نظم بديعيته أرسلها لي فنظرت فيها في الاوائل والصبا تتنافس على أرجه وقد فاح مسك الليل وكافور الصباح

ولا عقرب الابصدغ مليحة * ولا جور الا في ولاية ساقي

ومما اعترضت عليه فيه تشابه الاطراف فانه أخطأ في حده ومثاله فلما كتبته له ووافقني فيه بعض الاصحاب لم يعترف بخطائه وكتب أبياتا منها

بكم علمت تشابه الاطراف من * فن البديع بحثه وجداله

فكتبت له متهكما مولاي أسرفت في الامتنان وأسأت لناقص الاحسان وعافيت من غير جناية سابقة وحرمت من ليس له فيك آمال رائقة فكانت حالي معك كما قيل ان هبت ريح شديدة فصاح الناس القيامة القيامة قال بعض المجان ماهذه القيامة على الريق وأين الدجال والمهدي واشراطها وفي ذلك أقول

أسرفت في الصد خف خالقا * لا يرتضي اسراف مخلوق

يا هاجرا من لم يذق وصله * جرعته الصبر على الريق

(الرئيس داود الحكيم) ضرير بالفضل بصير كأنما ينظر ما خلف ستارة الغيب بعين فكر خبير لم تر العين بل لم تسمع الآذان ولم تحدث بأعجب منه مسألة الركبان اذا جس نبضاً لتشخيص مرض عرض أظهر من أعراض الجواهر كل غرض فيغنى الاسماع والابصار ويطرب بجس النبض ما لا يطرب به جس الأوتار

يكاد من رقة أفكاره * يجول بين الدم واللحم
لو غضبت روح على جسمها * ألف بين الروح والجسم

فسبحان من أطفأ نور بصره وجعل صدره مشكاة نور فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وله فى كل علم سهم مصيب ومنطق محلى بتهذيب التهذيب وكنت قرأت عليه الطب وغيره فى سن الصغر فسمعت منه ما يغار له نسيم السحر ويطرب من لطفه نغمات الوتر ينثر فيه نثار العلوم على عرائس المنثور والمنظوم وكان يقول لو رآنى ابن سينا لوقف ببابى أو ابن دانيال لا كتحل بتراب أعتابى الا أنه على مذهب الحكما ومشرب الندما ولذا كثر كلام الناس فى اعتقاده ونقل عنه رشح قطرات من خفى الحاده ثم لما كثر اللغط فيه ارتحل للبيت العتيق فطافت به المنية من كل فج عميق فقضى نحبه ولقى ربه ومما سمعته من شعره قوله

من طول ابعاد ودهر جائر * ونسيس حاجات وقلة منصف
ومغيب ألف لا اعتياض بغيره * شط الزمان به فليس بمسعف
أوآه لو حلت لى الصهباء كى * أنسى فأذهل عن غرام متلف

وهو كقول شيخ المعرة

تمنيت أن الخمر حلت لنشوة * فتذهلنى كيف اطمأنت بى الحال
فأذهل انى بالعراق على شفا * ردىء الامانى لا أنيس ولا مال

وله تآليف منها شرح قصيدة ابن سينا فى الروح والتذكرة الكبرى والصغرى فى الطب وغير ذلك رحمه الله تعالى

(محمد بن بدر الدين القوصونى الطبيب) سماء مجد أشرف بدرها ودرت سحائبها فلله درها فياله من بدر فى سماء الكمال وحيد صب بمعاقل المجد المخدرة عميد قليب كرم لا يرد رشا ماتح فهو لعمرى عقلة المستوفز وعلقة لسان المادح وهو فى الطب رئيس لم يخرج عن القانون وفارس فى حلبته لا تدركه سوابق الظنون فلو راجعه الهلال لأبرأه من المحاق

والدنف

والدنف بلا تكلف من وصمة البرص والكلف ارتحل الى فخر آل عثمان المرحوم السلطان سليمان فاعتكف عنده فى حرم الاحسان فاصطاد فى حرمه أوابد الكرم فواعجبا أنى حل له الصيد فى الحرم فداوى سقامه وقد قبل النقرس أقدامه وله ما ترلها الدهر مستزيد والمجد سامع له مستفيد منها ما كتبه لفضل الله الرومى وقد أهدى له شرح الموجز للنفيسى

سطور أودعت بطن الطروس * أم السحر المؤثر فى النفوس
ومكتوب بديع اللفظ وافى * أم الصهباء تجلى فى الكؤس
قرأناه فأنشأنا كأنا * طربنا باحتساء الخندريس
فقبلناه تعظيما وشوقا * لمنشئه الرئيس ابن الرئيس
تفضل ثم كاتب عبد رق * فأعتق رقه من كل بوس
ولم يقنعه اهداء القوافى * تحلت بالجواهر كالعروس
فزاد هدية أخرى فأهلا * وسهلا بالنفيسى من النفيس
أبا الفضل ابن ادريس فأكرم * به نسبا يضىء ضيا الشموس
قبول العذر مأمول فانى * أجبتك عن جليلك بالخسيس
وهل أبكار فكرك لائق أن * تقابل بالعجوز الدربيس
بقيت الدهر مسرورا مهنا * وشانيك المعنى فى عبوس

(ابراهيم بن المبلط) أديب أدار على الالباب رحيقه المصفى ان قصر سواه فابراهيم الذى وفى ملأ بيوته جواهر و ياقوتا وغيره من الشعراء ينحتون من الجبال بيوتا حتى هدم عبابناء من الاشعار ماشيده من قصوره المعمار فالتحق بصناعة الشعر بالاشراف فغاص فى بحوره واستخرج منها لآلى لها الآذان أصداف وكان شيخ سوق الوراقة بالقاهره وثمرات آدابه فى رياضها زاهية الاوراق زاهره الا أنه كان يجيد نسج مقطعات الابيات و يقصر اذا نظم المطولات وقد طالعت ديوانه فمن معمور أبياته ومبانى كلماته قوله من قصيدة له

حدثت بانة الحمى عن صباها * عن ثنيات مكة عن صفاها
ان عصر اللقاء آن ووافى * وزمان النوى انقضى وتناهى
ونسيم الصبا يؤدى الامانا * ت الى أهلها كما قد رواها

كم نسيم سرى فسر قلوبا * شفها البعد والنوى فشفاها
تعرف العاشقين منها نسيما * ت وهم يعرفونها بشذاها
ان أيدى الفراق جارت علينا * فى قضاء لحسبها وكفاها
آه واوحشتى لأحشاء قلبى * وقليل قولى على البعيد آها
كان للبين ساعة يا لها من * ساعة ان نسيت ما أنساها
حملوا العيش بالهوادج حتى * ضل فى ركبها الفؤاد وتاها
واستقلت ظهورها ببدور * طال فى ظلمة الدياجى سراها
وظباء عهدى بها فى قصور * فاذا بالظباء وسط فلاها
ولكم فى غصونها من غصون * قد حلا ثمرها ومر نواها
ما أمر الفراق طعما وأهنى * ساعة الملتقى وما أحلاها
وقسيمى فى الشوق ذات جناح * ظاهر حزنها وباد جواها
فارقت من تحب مثلى ولكن * ما هواى المصون مثل هواها
فعيونى على الدوام دوام * وهى لم تبل قطرة عيناها
وكتمت الهوى عن الناس طرا * وهى باحت به لمن فى حماها
وهجرت الرياض وهى ثوتها * ورقت من غصونها أعلاها
فاجتمعنا فى صورة من بعيد * وافترقنا من بعد فيما عداها

وهذا كقول ابن لؤلؤ الذهبى من قصيدة له

وتنبهت ذات الجناح بسحرة * فى الواديين فنبهت أشواقى
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن * يعقوب والالحان عن اسحاق
قامت على ساق تطارحنى الجوى * من دون صحبى بالحمى ورفاقى
أنى تباربنى جوى وصبابة * وكآبة وأسى وفيض مآقى
وأنا الذى أملى الهوى من خاطرى * وهى التى تملى من الاوراق

ونظائره كثيرة لا تحصى ولصاحب الترجمة

يا عائبا السواد قهوتنا التى * فيها شفاء النفس من أمراضها
أفلا تراها وهى فى فنجانها * تحكى سواد العين وسط بياضها

﴿بدر الدين بن الازهرى شاعر عصرى﴾ طلع فى هالة الكمال بدرا وسابق فى حلبة

الآداب نظما ونثرا فصحت معانيه وقويت مبانيه ولذت بأفواه القائلين وساغت بأسماع السامعين لحلاوتها على اللسان وموقعها فى الآذان مواقع ماء المزن فى البلد القفر أورد له بعض أدباء عصرنا شعرا فاخترت منه قوله

شكا الىّ من أحب دملا * فى ردفه وقال قول جازع
يطلع فى كل مكان ضيق * فقلت ذا فى أوسع المواضع

وفيه كناية فيها انكاية مع تلميحه لمثل العوام لمن يجئ فى غير محله كالدمل يطلع فى أضيق المواضع وقوله أيضا

لقد عثرت بجنح الليل رجلى * على شخص ولم يك فى حسابى
فقال مجاوبالى أنت أعمى * فقلت نعم ودوّاس الكلاب

(وله) هذا حشيش أخضر * مخدر للجسد
يقول من يبلعه * يارجلا خذبيدى

(وله) أمنت من خوف العدا وشرهم * مذجاءنى بخاتم الامان

(وله) لا ترتجى الشفاء الا من الله فان الحكيم رب الوجود
وعجيب فى ذا الزمان غريب * مسلم يرتجى الشفا من يهودى

اشارة الى ماعرف من غش اليهود للمسلمين والى ماخلا يهودى بمسلم الاهم بقتله ومما قلته فى معناه

أيعرضنى الدهر الخؤون بدادهى * ويخلف فى وقت المضيق وعودى
فان رمت من يشفى الفؤاد بطبه * فيومى سبت والطبيب يهودى

(وله أيضا فى شبابة)

ياحسنها شبابة لم ينقطع * موصولها لماغدت تترنم
بالرمز تفهمنى اشارات الهوى * أوما تراها بالعيون تكلم

وهذا كقولى مضمنا

لنا مجلس فيه من اللهو مطرب * وآدابنا ما بيننا تترنم
وناى يناجينا بأسرار ربنا * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومثله قول مجير الدين بن تميم مضمنا

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندها وتترجم

سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * ونحن سكوت والهوى يتكلم

(وله أيضا)

عاطلى رجلى شكت * ترددى اليه
وكان لى سرموزة * قطعتها عليه

وسرموزة لفظ فارسى عربوه وهى النعل المعروف والعامة تقول له سرموجة على قاعدة التعريب فانه تبدل فيه الزاى جيما

(محمد الابيارى القبانى) لبيب ان ذكر الحساب فهو أول من يسجد له البيان أو الشعر تلا لسانه أقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان انما به ظرف ملئ بالظرف وبوارق فكره أسرع من لمحة الطرف فما نسيم الصبا وما عتب صب صبا ومع ذلك فكوكب سعده لم يزل ساقطا وعاثر جده لم يبرح فى ظلمات الخمول هابطا

والدهر كالميزان يرفع ناقصا * أبدا ويخفض كامل المقدار
فاذا انتحى الانصاف عادل عدله * فى الوزن بين حديده ونضار

ان أنشد الشعر أقام أوزانه وأهدى دره المنظوم من فكره أو زانه فمن دره المكنون وتبره الموزون قوله

وهيفاء تهوى الراح قالت لصبها * بمجلس أنس وهو يخشى ملالها
اذا لم تدر لى الكأس ملأى فاننى * أبيتك مهجورا تخاف ملالها

وهو كقول البدر الدماميني

يقول لها هلا حكيت بناظرى * مهاة سبتنى اذ سمعت كلامها
وأعرض عنى ثم وجه عتبه * لها حين لم تشبه غزالا ولامها

وقول ابن مكانس

أقول لحبى قم ومس يا معذبى * كميسة خود حرك السكر راسها
ولا تسه عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا وماسها

وله رونق البدر فى صفا الماء لما * جعلته أيدى الصبا كالاساور
شبه جام من لؤلؤ يتلألأ * فوق صرح ممرد من قوارير

وله من قصيدة

لقد حل فى مصر بلاء من البرش * به عدت الارواح والمال فى أرش

وكان

وكان بها حرث ونسل فرقوا * وأهلك ذاك الحرث والنسل بالبرش
والبرش اسم معجون معروف وأصله برشعثا ومعناه برساعة باليونانية فعرب وهو نوع
من الحرافة عند أهل مصر وبه يتم التلفيق والتورية والله أعلم
(يحيى بن الخطيب القمانى) غلام هذا الاديب المقدم ومن صحبه فاصبح طراز
مجده به معلم ففتحت صبا اللطف نور شمائله وسقى ربيع كماله بطل أدبه ووابله وصحبة
الالباء صيقل الالباب كما أن الشجاعة صيقل الاحساب وكان كثيرا ما يخصني بانس
مذاكرته ويتحفني بهدايا مفاكهته فكتب الى مرة يدعونى لبيت له على الخليج

محيط علوم مولانا بأنا * على النهر المقلد بالخليج
فان شئتم تفضلتم وجئتم * الى سكن يقول الى الخليجى

وكتب له بعض أدباء الشام مفاكهة

ماقولكم سادتى فى أهيف خطرا * غصبته قبلة مذ مرت فى خطر
فرام قتلى بلحظ للنهى سحرا * وبت منه أراعى النجم للسحر
هل جائز قتلتى أفتوا لمن حضرا * لباب مولى رئيس البدو والحضر

فأجاب بقوله

ياسائلى عن حبيب بدره سفرا * عن برق ثغر هدى الركبان فى السفر
فراح يغصب لثما عندما نظرا * فى طاقيات مراعى ذلك النظر
وغاية الغاصب استرجاع ماصدرا * منه بعذب اللمى فى الورد والصدر
وفى القصاص حياة للذى ظفرا * بلثمه ومآل الصبر للظفر
والله يغفر للجانى الذى شجرا * عن الميسى جذع من الشجر

وفى ذخيرة ابن بسام روى أن رجلا قبل امرأة فشكته الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له ما تقول فقال صدقت يارسول الله فاقتصها منى فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لاتعد فقال لا أعود والى هذا نظر ابن نباتة فى قوله

لئن لثمتك يوما * وللسرور اقتناص
فهاك فاقتص منى * ان الجروح قصاص

وللقاضى أبى عامر الجرجانى

ومنتقب بالورد قبلت خده * ومالفؤادى من هواه خلاص

فاعرض عنى مغضباقلت لاتجر * وقبل فى ان الجروح قصاص

وللقاضي عبد الوهاب المالكى البغدادى

وناعسة قبلتها فتنبهت * وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت لها انى وحقك غاصب * وماحكموا فى غاصب بسوى الرد

وتلاطف من قال

بالردف قد قتلتنى * وقاتل النفس يقتل
قالت فنعمان خدى * فى قصاص المثقل

(شهاب الدين أحمد السنفى المعروف بقعود) بليغ سحب ذيل بلاغته على سحبان وروض أدب فى كل ورقة خطها بستان ألفاظه أرق من دمع السحاب وأطرب من كأس يضحك بثغر الحباب سطور شعره قضب عليها من قوافيه حمام وعصره وان تأخر لمدام الادب مسك ختام ان ورى فالكلمات لحيائها ذات توارى أو زف أبكار أفكاره فالكنس لشهبها جوارى وهو من أعيان مصر فضلا وأدبا ومن مال لرقته كل نسيم وصبا ورب ما جعل الشعر لكسبه سببا واتخذ سبيله فى البحر عجبا وله مكارم أخلاق تجدد مآثر الجود الأخلاق كما قال فيه صاحبنا الأصيلى

لله در شهاب الدين مرتقيا * فى الجود والنسب السامى على السلف
من رام يبغى وفا أو منتقى نسب * قالت فضائله فى ذا وذا سنفى

مع كون طبعه يهزأ بالشمال والشمول أدركته حرفة الأدب فاعتكف فى زوايا الخمول ومن شعره قوله

ياصاحباى اتركا معنى * أو فاعذلاه وعارضاه
فما تطيقان رشد غاو * بما يلاقى وعى رضاه
سباحشاه والعقل منه * عيناغزال وعارضاه
ياجمع من صيروا النصابى * فى الحسن عارا بالعارضاهوا

وله

لى حبيب من هجره زاد سكرى * وسلوى هواه أقبح ذنب
جاءنى داعيا وقال أنت انى * أولم اليوم قلت قلب المحب

ولابن مكانس

قال خلى لحبيبى صل فتى * فيك قد أضحى معنى مغرما

قال هل يولم ان واصلته * قال ان فاز بثغر أولما (لمى)

وله وحقك لو أتلفت مالى جميعه * لما رضى الواشون فيك مكارمى
ولو أننى أولمت ألف وليمة * لاجلك لم يشكره ذولى ولا ثمى

وللصلاح الصفدى

يامن اذا ما أتاه * أهل المحبة أولم أنا محبك حقا * ان كنت فى القوم أولم

(وله من قصيدة)

تفت فؤادك الايام فتا * وتنحت جسمك الساعات نحتا
وتدعوك المنون دعاء صدق * ألا ياصاح أنت أريد أنت

ومنها فى العلم

وكنز لا تخاف عليه لصا * خفيف الحمل يوجد حيث كنتا
ستجنى من ثمار الجهل عجزا * وتصغر فى العيون اذا كبرتا

وله هم بابنة البن فقدودها * للطفها رب الحجى والدها
مذ سادت العنبر لو ناشذا * لاتدعنى الا بياعبدها

ونحوه قول القيراطى

فى خد من أحببته شامة * ما الند فى نكهتها ندها
والعنبر الرطب غدا قائلا * لاتدعنى الا بياعبدها

وهو تضمين لقول الشاعر

لاتدعنى الا بياعبدها * فانه أشرف أسمائى

(محمد البلبنى) فاضل شافعى المذهب ولبيب طراز فضله بالآداب مذهب وشمال لطفه سلسل ماء براعته رائق المشرب من القوم الذين هم فى طرق الخيرات ساعون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون الا انه تجاوز عن رقة النسيب الى كثرة التجنيس والحوشى الغريب فلذا لم أثبت من شعره الا القليل النزر فمنه قوله من قصيدة أولها

أهلا به ملكا فى زى انسان * أهلا ببدر أتى فى شهر نيسان

(ومنها أيضا)

وانتاشنى باليد البيضاء سودده * من أسود الخطب لما أن تخطانى
قد كنت غصان بالماء الزلال وهل * يجرى سوى الماء فى ثغر لغصان

(ومنها)

عجبت غيرك عما ظلت تملكه * ارثا من الفضل عجبا عجب حرماني

وهذا على ماتراه معنى مبذول كقول الشاعر

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

وهو فى معنى قوله

كنت فى مختفى أفر اليهم * وهم مختفى فاين الفرار

ولابى فراس

غصصت منك بما لا يدفع الماء * وصح حبك حتى مابه داء

وله

قد كنت عدتى التى أسطو بها * ويدى اذا اشتد الزمان وساعدى

فرميت منك بضد ما أملته * والمرء يشرق بالزلال البارد

والاصل فيه قول زيد بن عدى

لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

ومن كلام ابن المعتز ربما شرق شارب الماء قبل ريه ومن فصولى القصار واعجبا لمن اكتحل بالعمى وغص بالظما وقلت مضمنا

قد كنت أرجوك للجلى اذا طرقت * فصرت عونا لحسادى وأعدائى

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

ومن البديع هنا قولى

يامن أطال مطالى فى مضايقتى * المطل فى شدة المطول يرديه

اذا المياه أطالت مطل ذى غصص * فمن حياض المنايا المطل يرويه

ع (محمد الاسيوطى التاجر) تاجر ربحت بالآداب منه التجار وبدت وجوه كماله وعليها من رونقه نضاره فنشرت بين يديه بضائع الأدب الزاهر وقالت للطف طبعه النقاد على عينك ياتاجر وكان بينه و بين والدى عهود موده وعروة ميثاق أحكمت يد الايام عقده وله شعر محتبه من صحف الفكر السنون ولم يعلق به الا قوله فى المجون والهزل أحيانا جلاء العقول

لنا صديق له فى الصلح معرفة * تفضى الى أنه يغنى بغير تعب

اذا رأى أمردا كالورد وجنته * تذكر الشام عما قد رأى وحلب

والهلج بصاد مهملة وجيم لغة عامية رديئة معناها النظر بشهوة
(القاضي أحمد المحلي المالكي) فاضل فضائله مدونه ومآثره بأنوار فواضله ملونه لم يزل فيما مضى مرفوعا بنصب القضاء مع قطع وقته النفيس في أنواع الافادة والتدريس وكان جمعني واياه نطاق الزمان في هالة ناد طلعت فيه بدور الاخوان فرأيته يظن الغمة جملا ويرى مشهور المسائل مشكلا اذا رأى غير شيء ظنه رجلا فقال لي لم منع صرف أشياء مع صرف أسماء فقلت له ملاطفا يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ثم كتبت له مفهما

أشياء لفعاء في وزن وقد قلبوا * لامالها وهي قبل القلب شيآء
وقيل أفعال لم تصرف بلا سبب * منهم وهذا لوجه الضعف اعياء
أو أشيئاء وحذف اللام عن ثقل * وشيء أصل شيء وهي آراء
وأصل أسماء أسما وكباب كسا * فاصرفه حتما ولا يغررك أسماء
ومنع صرف اذا ما كان في علم * لاجل تأنيثه والاصل وسماء
فقل لمن يدعي في العلم توسعة * حفظت شيأ وغابت عنك أشياء

(سري الدين بن الصائغ الحنفي) سري طابق اسمه مسماه وكاد أن ينطق بلفظه معناه تدفقت جداول علمه ونبتت في شاطئها حدائق نثره ونظمه ترفع عن صناعة الصياغة لما وصل الى معدن جواهر البلاغة فاصبحت ذاته للمعالي ألفا ولبس حلل الكمال فأين منه السري الرفا أبرز في الطب نفس جواهر لم يدركها ابن النفيس وجرى في الشفا على قانون الصناعة حتى لقب بالرئيس فأصبح به وشي صناعته مطرزا وعد الكلام المسهب في احصاء أوصافه موجزا وله فرائد أخلاق في سلك الايام ذات اتساق حكت الروضة الغناء اذا وقع قطرها بللا وبلبلها غنى في معال لو رآها ابن جلا ستر وجهه ورأسه خجلا كأنما الصبح تنفس عن محياه والعنبر الرطب فاح منه رياه صاغ بفضله حلى المكارم فمنها في سواعد المجد أساور وفي أكفها خواتم

سمع البديهة ليس يملك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله

وجرت بينه وبين ابن نجيم مكاتبات معسولة الالفاظ مدنسة المعاني أكثرها من رسالة ابن زيدون منحولة المباني ومما صاغه من تبره وصبه في قالب شعره قوله

ما الناس الا حباب * والدهر لجة ماء

فعالم في طفو * وعالم في انطفاء

ومنه قولي

انما الدنيا ظلال * في أو يقات قليله
أو رذاذ متوال * فوق كثبان مهيله

(منصور البلبيسي) ندب انجر في حرفة الأدب واقتطف بيد فكره فواكه الفضة من كثب ثم غلبت عليه السوداء ولعبت به الصفراء والبيضاء فانعكست تلك الفنون بالجنون والجنون كما يقال فنون فجعل دساكر القهوة رحلة صيفه وشتائه وهوى الأحبة منه في سويدائه فمما أنشدنيه قوله في التاج بن الجيعان حيث رماه بعرض أكابر الزمان

قلت لتاج الدين في خلوة * وقد علاه عبده الاكبر
التاج يعلو فوقه غيره * قال نعم ياقوت أو جوهر

(عبد النافع الطرابلسي نزيل مصر) فاضل تود العيون قربه وترى القلوب وده أعظم قربه وأديب هو بديع زمانه وتاج مرصع بجواهر المناقب على رؤس أقرانه يستعير المجد مقامه الرفيع ولا تنكر الاستعارة من صاحب البيان البديع درس وأفتى وصنف في فنون شتى الا انه اقتدى في شعره بابن حجاج كقوله في هجاء من لقب بالتاج

أقبح خلق الله في خلقه * وخلقه وهو خسيس وضيع
لقب بالتاج ولكنه * تاج الخصى ومجاز وسيع

(صاحبنا عبد المنعم الماطي) أديب أسكرنا بلفظه العذب لانه جام وأدار علينا من مدام لطفه في مجالس الانس جام وكان في شرخ الشباب والعيش غض أغصانه الرطاب

زماني به كالورد طيبا وبهجة * فياليت ذاك الورد كان نصيبي

ونشر أفكاره داري ومن موارد أنسه لناري وانه مع ذلك توقد ذكائه لناري وله أخلاق ذات حواش رقاق الا انه على الشعر مقصور وليس له من الاعراب نصيب فطبعه على عاميته يخطىء وقد لا يصيب وأكثر شعره نتف وهجو وهزل وقلما يقع فيها المطبوع الجزل كقوله

اذا رام محفوظ يريني للشرا * من الدفن قطرا الا نظير لحسنه

فقولا

فقولا له انى وحق حياته * مرادى أرى تعليقه قبل دفنه

وقوله

وعن كبش الذبيح سألت يوما * خبيرا عالما بعلوم الاحيا

أيحيى الكبش بعد البعث أيضا * فاخبرنى بأن الكبش يحيى

وهاهنا أمر نفيس تمحو به السيئات وبحث عظيم تحيى به عظام الرفات وهو أن الحيوانات هل يحييها الله تعالى وتحشر ويقتص لبعضها من بعض فأكثر أهل الحديث والسنة والاصول على انه كذلك لوروده فى القرآن فى قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ولقول سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فى خبر القصاص يوم القيامة يؤخذ للجماء من القرناء وخالفهم الامام أبو الحسن الاشعرى فقال فى كتاب الايجاز ما نصه لا يجب على الله تعالى أن يعوض البهائم والاطفال والمجانين وجميع الخلق الذين خلق فيهم الالم خلافا للقدرية حيث قالوا ان الله تعالى اذا آلم الحيوان لا على سبيل الاستحقاق وجب عليه أن يعوضهم والا يكون ظالما ودليلنا أن العقل لا يوجب على الله شيأ واذا ثبت أن البهائم وغيرها من الحيوان الذى خلق فيه الالم من غير جرم ولا ذنب لا يستحقون ذلك لم تجب اعادتهم ولا نشرهم ولا حشرهم يوم القيامة وقالت القدرية ان لم يعوضهم فى الدنيا فانه يجب عليه حشرهم فى الآخرة وبعثهم كبعث المكلفين فان قالوا وقد قال النبى فى خبر القصاص حتى يؤخذ للجماء من القرناء قلنا المراد به حتى يؤخذ للضعيف من القوى فكنى بذلك عنهم لان الدليل قد قام على انهم غير مكلفين ومن لا تكليف عليه لا يعاقب ولا يقتص منه انتهى وفى سراج الملوك اختلف السلف فى هذا فقال ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها وهو تأويل بعيد لان الحشر الجمع وليس فى موتها جمعها بل تفريقها بتمزيقها ومعظم المفسرين على انها تحشر كلها حتى الذباب يقتص منها ثم يقال لها كونى ترابا وقال بعضهم لا نقطع باعادتها كالمجانين ومن لم تبلغه الدعوة وتوقف بعضهم فى ذلك والدليل عليه الآية واذا الوحوش حشرت والحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وأنكره الاشعرى لانها غير مكلفة والخبر تمثيل لشدة التقصى فى الحساب وقال الاسفراينى يقتص منها عما تفعله فى الدنيا ورد بأنها ليست مكلفة نعم هى فى المشيئة يفعل الله بها ما أراد انتهى أقول قد حصل بهذا التفصيل الوقوف على الاقوال الاربعة وأدلتها والحق الذى تشتفى به

الصدور وأن لا تؤول الآية والحديث بما هو خلاف الظاهر والشبهة الداعية له من انها غير عاقلة ولا مكلفة والحشر والحساب مبني على ذلك فاذا اسقط الاساس سقط ما بني عليه فالجواب عنها أن نسلم انها غير مكلفة لانها لا تعقل والنزاع فيه مكابرة الا انها لما كانت في المشيئة يفعل الله بها ما يريد وهو لا يسئل عما يفعل باتفاق أهل السنة بل العقلاء فنقول ان الله تعالى يعيدها وينصف بعضها من بعض بما فعلته بارادتها لادراكها الجزئيات وليس هذا بتكليف ولا مبني عليه لان جزاء التكليف انما يكون في داري الخلود الجنة والنار وهي تعود ترابا قبل دخول أهليهما فيهما وأما فعل الحكيم القدير لذلك فليعرف أهل المحشر أنه عز وجل لا يترك مثقال ذرة من العدل ليتحقق أهل النعيم ما لهم من النعيم المقيم وأهل الجحيم ما أعد لهم من العذاب الاليم تنويرا لهم وارشاد الان يعلموا عظمة كبريائه وتساوي جميع مخلوقاته عنده بالنسبة لذلك ولك أن تقول قول ابن عباس حشرها موتها معناه أن حشرها لاجل أن يغنيها ويقول لها كوني ترابا ولولا بعد كلام الاشعري بتصريحه بما ينافيه حملنا انه تمثيل على ما ذكر أو قلنا انه انما أنكر الوجوب ولكن الحق أحق أن يتبع وهذا مما ينبغي أن يكتب بالنور على صحف خدود الحور وانما ذكرناه هذا مع طوله وعدم مناسبته لموضوع الكتاب تصدقا على من طالعه بجواهر الفرائد ومما ينبغي ايراده هنا ما قلته في عتاب بعض الناس وهو

قل للذي لام ولم يحتشم * لخبث لؤم حشو طبع دني
هب انك الثور تغير على * جم له مرعى فلم يذعن
أما تخاف ان غدا ما الكا * يقتص للجم من الاقران

﴿حسن بن الشامي﴾ ماجد صيغ من معدن السماح وابتسمت في جبينه غرة الصباح اللطف حشو اهابه والفضل لا يلبس غير جلبابه

لو مثل اللطف جسما * لكان للطف روحا

اذا نزل بناد ارتحلت الهموم وارتضع من أخلافه أخلاق بنت الكروم فمما أنشدنيه من أبياته ونزه سمعي في ربى مقطعاته قوله

مصر تفوق على البلاد بحسنها * وبنيلها العالي ورقة ناسها
من كان ينكر فالتحاكم بيننا * في روضة والجمع في مقياسها

اسماعيل

(إسماعيل بن الحسين كاتب السر الخزرجي) تاج مفرق عصره وعقد ترائب نحره اشتعلت لحمة الليل باسماره وسال نهر الصبح في أخباره فتخمرت طينته بالندى وأفرغت في قالب الهدى وسقى في عصره صيب الأفضال حتى أورقت به رياض الكمال وهو قريب العهد فمن لم يره فقد سمع في بديع الآثار خبره وقد طالعت ديوانه فلم أر فيه ما يلذ به الذوق السليم ويعترف به الطبع المستقيم كقوله في سطل

ضربت وأدخلت نار الجحيم * فنلت بصبري نعيما مقيما
وصيرت بينكم عبرة * لمن شاء منكم أن يستقيما (يستقي ما)

ومثله قولي مضمنا

يقول مؤاجر اغضبا لماذا * أيور الناس أمست لن تقوما
وكنت اذا عمزت قناة قوم * كسرت كعوبها أو تستقيما (تستقي ما)

ومن البيوت بمصر بيوت الغزية

(فمنهم محيي الدين الغزي) بدر سماء الكمال كوكب غرة الاقبال فاح من أخلاقه روح الجنان وفضحت كلماته عقود الدر والمرجان رأيته بمصر ومورد عيشه صافي وبرد نعيمه على معاطف النعمة ضافي وله شعر ردي وربما ورد فيه ما هو ندي فمنه قوله يداعب صديقا له يسمى الخصوصي

يا راكب البغلة الشموص * وقائد المهرة والقلوص
بساحل المرج لا تعرج * وانزل على ساحة الخصوص
أحب مصر التي تسامت * ففضلها جاء بالنصوص
لان مقت الاله ربي * قل حل في الروم بالخصوص

(أحمد الغزي ابنه) شهاب طلع في أفق الكمال غره وجر أذيال همته على ساحل جدول المجره فنثر ونظم ومن يشابه أبه فما ظلم فمن لمعات ذلك الشهاب وقطراته العذاب قوله من قصيدة

الجوهر الفرد من معناك منتثر * والمندل الرطب من رياك منتشر
كل الشهور ربيع عند مقدمه * وكل شهر سوى أيامه صفر

(ومنها)

يا من أياديه أبكار أفوز بها * ومن زماني لديه كله بكر

ومن بيوتها بيوت الطورية

(ومنهم عبد القادر الطوري) والطور وكتاب مسطور وهو الصديق لي تجربه المودة حلل الحبور وروض مجد ناضر وبحر أدب وافر لكن طبعه أم الصقور مقلات نزور ولم يورق حتى احتضر ومضى بأمر عزيز مقتدر فما أنشدني قوله

تنور بغيتي ببديع صنع * معالي حسنه أضحت غزيره

له قد رشيق ثم جسم * عليه حين لاح رأيت نوره

وفي تحرير التحريف يقولون تنور الرجل من النورة والصواب انتور وانتار ولا يقال تنور من النورة بل اذا أبصر النار قال امرؤ القيس

تنورتها من أذرعات ودارها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

انتهى وقد صرح بعض أهل اللغة بخلافه وكانوا في جمع جم بسفح الجبل المقطم وبعض المشايخ يدعو بالاستسقا والسحاب قد غطى على وسادة الجو واستلقى فلما دعا ارتفعت حجب السماء بدعائه حتى لا تحول بينه وبين سمائه فأنشدني قول الشاعر وهو لبعض شعراء الاندلس

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت * غريبة فمن بها السح

حتى اذا اصطفوا لدعوتهم * وجرى لبعض دموعهم سفح

كشف السحاب اجابة لهم * فكأنما خرجوا ليستصحوا

فأنشدته قول التنوخي

خرجنا لنستسقي بيمن دعائه * وقد كاد هدم الغيم أن يبلغ الارضا

فلما ابتدا يدعو تقشعت السما * فما تم الا والغمام قد انفضا

ثم قلت أنا

وولي قطب لرب السما * أسرع الصحو اذا دعا بالماء

في صراخ وأدمع وهو يغني * عن رعود منهلة الانواء

كان في الجو للغمام ازدحام * فاشتفى صدره ببرء الدعاء

فكأن السحاب كان مريضا * مات لما دعا بالاستسقاء

وكان رجل منحوس له قميص واحد اذا غسله يجلس في بيته حتى ينشفه كما قيل

قوم اذا غسلوا الثياب رأيتهم * لبسوا البيوت وزرروا الابوابا

فاذا

فاذا نشره لم تزل السماء مغيمة ماطرة فرأى الناس منصرفين من الاستسقاء وقد أجيب دعاؤهم لما غسل ثوبه فقال

غدا الناس يستسقون من كل وجهة * بكل كريم للدعاء مجاب
فوافاهم الغيث الذى سمحت به * يد المزن هطالا بكل سحاب
وفى ظنهم أن قد أجيب دعاؤهم * وما علموا انى غسلت ثيابى

وما أحسن قول القائل

قام قوم بسنة الدين حتى * غلب النجم بالاجابة ياسا
فكأن الغمام لما أتاهم * ضاحكا ظن الورى عباسا

ومما كتبته له مضمنا

أيا صديقا اعرفه ندى * وكفه من الندى ندى
لم يحل من بعدك لى ندى * وبلدة ليس بها طورى

على بن الجزرى شيخ الشيوخ بالسيوفية الضرير) فاضل مكفوف وأديب بالمعروف معروف له شعر وسط وأثر عن علوم تبته منحط كقوله فيمن عابه بالعمى

ليس العمى داء ولكنه * شطفة تشريف على ضره
ما الهم والداء وكل البلا * الا ابتلاء المرء فى دبره
فالحمد لله الذى صاننا * مما يحار الطب فى أمره

أنشده فى كتاب له سماه نيل المنى فى الكلام على أولاد الزنى وذكر فيه حديثا لا يدخل الجنة ابن زانية وقال فيه ان ولد الزنى فى أصله خبيث وهو فى نفسه خبيث وذلك الخبث يدل على سلب الايمان منه وكذا الملوط وذو الابنة المستمر على ذلك أقول فى اللآلى المصنوعة للسيوطى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد زنى ولا ولده ولا ولد ولده وفى رواية فرخ الزنى لا يدخل الجنة وفى رواية لا يدخل الجنة ولا شىء من نسله الا سبعة آباء قيل هذا لا يصح وفى الحلية له رواية وقال عبد الرزاق عن ابن التيمى قال حدثنى أبو بكر وكان عندنا مثل وهب عندكم أنه قرأ فى بعض الكتب أن ولد الزنى لا يدخل الجنة الى سبعة آباء فخفف عن هذه الامة فجعلها الى خمسة آباء وسأل بعضهم أبا الخير الطالقانى عن هذا فى جمع من الفقهاء فقال هذا لا يصح لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وذكر بعضهم قال فى

معناه انه اذا عمل عمل أصليه وارتكب الفاحشة لا يدخل الجنة وزيفه بأنه لا يختص بولد الزنى بل حال ولد الرشدة مثله ثم فتح الله على جوابا شافيا لا أدرى هل سبقت اليه أولا فقلت انه لا يدخل الجنة بعمل أصليه بخلاف ولد الرشدة فانه اذا مات طفلا وأبواه مؤمنان ألحق بهما وبلغ درجتهما بصلاحهما كما قال تعالى وأتبعناهم ذرياتهم بايمان فولد الزنى لا يدخل الجنة بعمل أبويه أما الزانى فنسبه منقطع وأما الزانية فشؤمها منع من وصول بركة عملها اليه انتهى وقد يقال انه لخبث طينته ونطفته وفساد بذره يقدر الله ويكتب شقاوته فى الأزل بخلاف ولد الرشدة ولا بعد فى هذا وكونه من الاخبار بالمغيبات ومن كفريات أبى العلاء المعرى قوله فى لزوم مالا يلزم

اذا ما ذكرنا آدما وفعاله * وتزويجه بنتيه لابنيه فى الخنا
علمنا بأن الناس من نسل فاجر * وان جميع الخلق من عنصر الزنى

وأجابه الحسن بن أبى عقامة اليمنى بقوله

لعمرك أما فيك فالقول صادق * وتكذب فى الباقين من شط أودنا
كذلك اقرار الفتى لازم له * وفى غيره لغو كذا جاء شرعنا

وفى الحديث نكتة وهى انه سمى ولد الزنى فرخا وهو استعارة بديعة وعليها استعمال أهل الحجاز فيقولون فى الشتم هو فرخ يعنى ولد زنى لان الفرخ لا يعرف له أب وانما يعرف الدجاجة التى باضته ففيه لطف لا يخفى ومما قلته

كم من كريم قد بات فى دعة * أتاه سيل الصباح بالنكد
ورب فرخ أراشه زمن * فصار بالعز بيضة البلد

(زين الدين محمد الانصارى الخزرجى الحنبلى) زين زمانه وعين أعيانه درة تاجه عقيلة نتاجه كان فى عصره بيت القصيده وعنوان الادب وأول الجريده لم تعقد على مثله الخناصر ولم تحمل بتوأم له بطون الدفاتر ولم يدر على نظيره نطاق نادى ولم تحمل كتحف أخباره الركبان من حاضر وبادى تفقه على مذهب أحمد بن حنبل فكان لطلابه سهل الورد عذب المنهل (وللناس فيما يعشقون مذاهب) وهم فى كل عصر أقل من القليل وهكذا الكرام كما قيل

يقولون لى قد قل مذهب أحمد * وكل قليل فى الانام ضئيل
فقلت لهم مهلا غلطت بزعمكم * ألم تعلموا أن الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وهو جواد لم يهب ان وهب فالذهب عنده كاسمه ذهب وكان له بالقطب المكي صحبة واجتماع حتى كأنه نديم جذيمة وجاز القعقاع ولم يزل كذلك حتى أغار عليه الدهر وانتهب ورآه بة نفيسة فرجع فيما وهب فمما كتبه للقطب المكي

يقبل أرضا أشرقت شمس علمها * به شرفت أصلا وفرعا ومحتدا
محب يرى بذل الدعاء فريضة * لمأوى العلا والشوق قد زاد واعتدى
تريحه ذكراكم كل ساعة * على مابه من حر وجد توقدا
يهيم الى مغناكم وفؤاده * أقام وبعد الجسم قد زاد في المدى
فيا آل ليلى هل أبيت بحيكم * وطائر ليل الوصل يمسي مغردا
وهل تسمح الاقدار يوما بعودة * فأطرب في تلك المعالم منشدا
أعيناي ناما طالما قد سهرتما * فهذا زمان الوصل أصبح مسعدا
لكم من محب ألف ألف تحية * لها المسك يعنو بالخضوع تعبدا

(فأجابه)

اذا كتبت كفي كتابا اليكم * محته دموع طول أوقاتها تجري
وان سطرت سطرا تمنيت انني * أكون من الاشواق في ذلك السطر
عليكم سلام الله مالاح بارق * وماسارت الركبان في البر والبحر
واني محب مستمر على الدعا * لحضرتكم في الصبح والليل اذ يسري
وأسألكم ردا الجواب فانني * يفرج عما قد تمكن في صدري
فأوراقكم عندي أجل من الرضى * وأحلى من الايسار عند ذوي العسر

(نور الدين بن الجزار الشافعي) بدر أشرقت من أفق الكمال أنواره وخطت في صحائف المحاسن آثاره جنيت اليه ثمرات الالباب لجبي زكاتها الفقراء الطلاب عذب المشرب واسع المذهب ضاعف الله حبوره ويأبى الله الا أن يتم نوره دعاه الندا فأجاب ورمى حدق المعاني فقرطس وأصاب فلم تكن الآراء في فواضله تختلف فابن الجزار يعرفه من أين تؤكل الكتف اذا طبق مفاصل الاشعار أنسى محاسن الشواء والجزار نحر الامور نحرا وقتل الدهر خبرا فمن محاسنه قوله في الوجه وهو منهل معروف بطريق مكة شرفها الله تعالى آمين

ولما رأيت الوجه سال من الحيا * وقد طاب فيه للحجيج مقام
وعاينت ركب الحج حل بسفحه * وقد ضربت فى جانبيه خيام
ومدوا الى الغيث الهطول أكفهم * لجاد عليهم بالعطاء غمام
فقلت على الوجه المليح تحية * من الله ما سح الحيا وسلام

ومثله لابن أبى حجلة

أياسادة فى الوجه فزت بقربهم * ولم أدر أن القرب يؤذن بالبعد
سريتم الى أكرى فشردتم الكرى * وخلفتموا فى الوجه دمعى على خدى

ومثله للقطب المكى أيضا

أقول ووادى الوجه سال من الحيا * وقد طاب فيه للحجيج مقام
على ذلك الوجه المليح تحية * مباركة من ربنا وسلام

والقيراطى أيضا

أتيت الى الحجاز فقلت لما * تبدى وجهه لى وارتويت
وكم فى الارض من وجه مليح * ولكن مثل وجهك ما رأيت

وقلت فيه عند قلة مائه

أقول وقد جئنا الى الوجه مرة * عطاشا وكل خاب فيه رجاؤه
اذا قل ماء الوجه قل حياؤه * ولا خير فى وجه اذا قل ماؤه

وللفارضى فى بعض مناهله أيضا

روّنى من ماء نبط * لو يكن فى العمر مره
ودع الحورا فانى * أبغض الحورا وأكره

(ولابن حجر العسقلانى)

أحبتنا الا تنسوا العهد من فتى * غريب أليف الحزن مقلته عبرى
تذكرت فى درب الحجاز عهودكم * فلم يبق سن فى العهود ولا أكرى

وقد جعل أكرى مقصورا وغيره جعله بالهاء فكأنه منقول من الفعل وهو الجارى على الالسنة *(محمد الفارضى)* فاضل جرت فى مضمار الادب سوابقه وتألق فى سماء الفضل من خلال سحائبها بوارقه حتى ترنمت بمآثره ورق الحمائم ومزقت طربا لها جيوب الغمائم وطال عمره حتى لف الدهر على هامته ثلاث عمائم وصفا ماؤه

فتلون بلون اناثه ونفض الزمان عليه صبغ صباحه ومسائه وله سهم عائل فى العربية والفرائض وبديهة فى ارتجالها تسبق لما يعجز عنه ألف رائض فاذا خاطب بالخطابة تهتزله أعواد المنابر ويورق بفضل فضائله روضها الناضر واذا ارتجز فلا يشق رؤبة غباره العجاج واذا أحمض بهزله ذهبت مجانا الطائف ابن حجاج وربما مال الى جعله مقراض الاعراض منهجا سالكا بحروف الهجاء مسالك من هجا وشعره بديارنا يتلوه فم الدهر وتتفكه الاسماع منه ببعض الثمر والزهر فمنه قوله فى قصيدة يهنى بوفاء النيل

أناس بهذا البحر قاسوا نوالكم * وبينكما فرق يحققه الحبر
ففى العام جبر النيل يحصل مرة * وفى كل يوم من ندا كم لنا جبر

وقوله مضمنا

لى جوخة مجرودة ياطالما * قد كنت ألبسها بغير تكلف
كم رمت أقلبها فقالت جهرة * قلبي يحدثنى بأنك متلفى

وهذه الجوخة لو ركب عليها فروة ابن نباتة وابن سارة وأسدل عليها طيلسان ابن حرب كانت أنحر لباس يهدى الملوك الافلاس كما قال ابن سارة

أودت بذات يدى فروة أرنب * كفؤاد عروة فى الضنى والرقة
لو أن ما أنفقت فى اصلاحها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت بسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

ومما أنشدت له أيضا قوله

فى مصر من القضاة قاض وله * فى أكل موارث اليتامى وله
ان رمت عدالة فقم عدله * من عدله دراهما عدله

(وله أيضا)

ألا يا أيها القاضى تيقظ * لامرك واحترز من ترجمانك
ألم تنظر يداه كل حين * بعكروه وسوء ترجمانك

وهذا مأخوذ من قول الميكالى

صل محبا أعياه وصف هواه * فضناه ينوب عن ترجمانه
كلما رافه سواك تصدت * مقلتاه بدمعه ترجمانه

(وله أيضا)

كونوا على الحق لكي تسلموا * من مغرم يذهب بالمال
لو سلك الناس سبيل التقى * ما استفتح القاضي ولا الوالي

وله
تزود حكمة مني * وخل القيل والقالا
فساد الدين والدنيا * قبول الحاكم المالا

وله
يصلح للحكام في عصرنا * وذاك في الاحكام مما يجب
الصلب للوالي على شعبة * والضرب بالدرة للمحتسب

وله في العلامة صنوش التونسي
توفي التونسي فقلت بيتا * يؤرق كل ذي شجن ويونس
أتوحشنا وتونس بطن أرض * ولكن مثلما أوحشت تونس

ونحوه قول الشهاب المنصوري في مليح اسمه يونس
لست لاغصان النقا مادحا * لان حبي قده أميس
ولست بالاقمار مستأنسا * لان عندي قمري يونس

ومن هزلياته قوله
اذا قام في سوق مناد لحاكم * معاشر جمع الناس ينصت من حضر
فغاية ما يأتي به أن يقول ما * مقدم باب اللوق الا أبو عكر

وله قصيدة مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد وهي
انهض اذا خفت كلالا أو وجا * بعيسجور ألفت جذب البرا
وسربها الوخد اذا علتها * أو الزميل ما تحريت الوحا
مهد لها ظلال شعب المنحنى * وردبها ماء غديرا بالنقا
ان قصارى العزم حمد وغنى * وقيل جدوا تحمدوا غب السرى
من طلب العلياء يشقى دونها * وعدم الصباب أحلى مجتنى
من قعد الجبن رآثر الثرا * بجانب المجد فقد أعيى الاسى
فلا يهولنك بقع بتلك * ان الحزن يورين المنايا في المنى
يارب خبت جبته في حالك * بعشمغر دون مرماه الحجى
عرمورا كظليم نافر * أهوج محبوك القرى عبل الشوى
ثم انبرى يخب في حزن وما * تمزقت بعد سرابيل الدجا

أطلب نجداو بنجد شجنى * مهاجرا من الهوى الى الهوى
لله حين سمح الدهر به * فى دارة تم بها شمل المنى
كنت بها لم أخش بينا آمنا * ارفل بين الاخشبين فنى
بها رفؤادى فاحم همت فما * أسلو اوللشيب برأسى مخطى
لم يثنه العذل ولا يعطفه * طول المدى ولا تداويه الرقى
أقصر أخا اللوم ملاما وأطل * صب صبا لا يلتوى عن اللوى
لو جرع الصب كؤسا ماسلا * فاقطع رجاوقل قد انقد السلى
لا يطبيه دون سلع مربع * ولم يرقه للبقا الا النقا

ومنها أين الجهام الخلب البرق من الكنهور الواهى العذالى بالحيا

وهى طويلة عديمة الطول والبعرة تدل على البعير ومن الوافدين عليها من الفضلاء الاعلام وكرام مشايخ الاسلام

﴿العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى المغربى المالكى نزيل مصر﴾ فاضل لغر المناقب مشرق و بدر لعلو همته سار من المغرب للشرق وهو رفيق السداد وبيت مجده منتظم الاسباب ثابت الاوتاد وهو كما قيل فيه دمث من غير خفر ولين جانب من غير خور ذو رأى يرد اللبن فى الضرع والنار فى الزند وله آثار يثنى عليها ثناء النسيم على الند وأدب امتزج باللطف امتزاج الماء بالخمر وفيصل حكم رفع به التنازع بين زيد وعمرو وهو لفقه مالك أكرم سيد مالك وقد بوأه الله فى الحديث تكرمة بين العلياء والسند وجد فى ارث المجد بغير كلالة عن أكرم أب وجد

مضت الدهور وما أتين بمثله * ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

أما الشعر فهو أصمعى باديته وسلمان بيته وحسان فصاحته فما مس قصب الاقلام الا مجدت شكر اذرأته قبلة الآمال وأقسمت ان من البيان لسحر الكنه السحر الحلال وهو من قوم تعاديذهم الصوارم وآثارهم فى كل جيد تمائم أنفق عمره فى كسب الخير الرابح لما علم أن ما ل المال غادو رائح ولما رأى ماعصر من الحسد والنفاق وتجارة الآداب ليس لها بسوقها نفاق ولم يرض بالكساد ومسابقة الحمير للجواد ارتحل للشام ذات العماد فقال له رائد السداد

من سابق الجواد بالحمار * جنت يداه ثمر الغبار وقد كنت

أستقطر خبره وأستودقه وأومل أن ربيع التلاقى يخضر ورقه ويرد على منهما يسر الشكالى وينسيها صعاب لآونت والرزايا مما يستنزل العصم للوهاد وتصغى له أوابد الايام حتى تصاد وعصر اللئيم لئيم وزمان الكريم كريم

والورد فى زمن الربيع طلوعه * والعقد ليس يزين غير الجيد

فضن على بالاثر والعين لم يرض أن يجمع بين ساكنين فسبقت المنايا الامانى وجاءنى بنعيه من كنت أرجوه بشير التهانى

فبكيت للظل الذى * لم ينبسط حتى انطوى

وعلى اناء شيبة * فى وقت ما متلأ انكفا

وقد نزهت طرفى فى رياض آثاره وملأت أردان المسامع بجنى أخباره فرأيت له نظما ونثرا ومحاسن تملأ الأفواه والأسماع دراومن تآليفه أزهار الرياض فى أخبار عياض وفتح المتعال فى وصف النعال وغير ذلك ولما مر فى طريقه بمحمد بن يوسف التاولى المغربى كتب له يستدعى منه الاجارة

أموقظ جفن العلم من بعد ما أغفى * وباسط كف البذل من بعد ما كفا

ومحيى رسوم الاكرمين التى عفت * ومجرى معينا فضل من بعد ما جفا

أجزنى بما قد قلته ورويته * ففضلك ياذا الفضل قد حير الوصفا

فأجابه بقوله سقى الله ثراه وعطر مثواه

أيا فاضلا أعيت محاسنه الوصفا * وانسان عين الود والمنهل الاصفى

ومشكاة أنوار القرا آت والأدا * وساحب أذيال الكمال على الاكفا

وحائز أشتات الفضائل اذ غدت * مفاخره فى أذن مغربنا شنفا

بعثتم بطرس بل بروض بلاغة * تعطرت الارجاء من نشره عرفا

وأملتم أعلى الاله مقامكم * وألبسكم من عزه المطرف الاصفى

من القاصر الباع الضعيف اجازة * ألم تعلموا أن الصواب هو الاعفا

ولست بأهل أن أجاز فكيف أن * أجيز على أن الحقائق قد تخفى

فأضواء فكرى أظلمتها حوادث * فآونة تبدو وآونة تطفا

ولولا رجائى منكم صالح الدعا * لما سطرت يمناى فى مثل ذا حرفا

فأرجو امن الرحمن جل جلاله * ومن فضله أن يقبل العدل والصرفا

وها أنا ذا أشهدت أنى أجزتكم * على سنن المألوف والمقصد الاوفى
جميع تآليفى ونظمى وان وهى * ونثرى وان حاز الركاكة والضعفا
وكل الذى أرويه عمن لقيته * من السادة الغر الاولى أحسنوا الوصفا
كسيدنا شيخ الائمة عمنا * سعيد فكم نلنا معارفه قطفا
عن أشياخهم من أهل فاس وغيرهم * كمثل ابن هارون فاعظم بهم كهفا
وهذا هو الشيخ ابن عازى ووصفه * شهير فلم يحتج لتشهيره كشفا
رعى الله عهدا كان فيه امامنا * ووالى على مثواه رحمته عطفا
ولا تغفلونى من دعائكم اذا * مددتم بباب الله سبحانه الكفا
وعند ضريح الاولياء وذكرهم * عسى نرتوى من بحر غفرانهم رشفا
وان جهل الناس الحقوق بعصرنا * فثلك من راعى الحقوق وما وفى
وكاتبه المقرى أحمد يرتجى * من الله جل العون والبر والعطفا
بجاه شفيع الخلق مأملنا الذى * نؤمل يوم الدين من حوضه رشفا
عليه من الرحمن ألف تحية * ننال بها حسن الختام مع الزلفى

وله فى مثال نعل النبى صلى الله عليه وسلم

لك الله من تمثال نعل كريمة * بخير الورى فاقت سناء وسناء
يحق لذى داء يلازم وضعه * على جرحه منه ينال شفاء
وذلك قليل فى مآثر من علا * على كل أوج اذ أجاب نداء
ومن ذا الذى يحصى فضائل أحمد * وقد جود القرآن فيه ثناء
عليه من الرحمن أزكى تحية * تؤسس للمدح الشريف بناء

وله

يا مثل نعال خير فخر العرب * يس أجل واطئ للترب
كم رمت مديحه بقصد القرب * والعذر أجل والمعانى ترى بى

وله

أعظم بمثال نعل عز العرب * من أرشدنا الى أجل القرب
قبله وكن بحقه معتنيا * واجعله وسيلة لدفع الكرب

وله

ومثال نعل عرفه متأرج * فى الخافقين ونوره متبلج
حاكى نعال أجل من وطئ الثرى * وبدت كواعب مجده تتبرج
فاجعله خير وسيلة ترجوا بها * دفع المكاره حين ضاق المخرج

صلى الاله على مشرفه الذى * اشكل منطقه الهداية تتبع

ولما وقفت على كتابه فتح المتعال قلت مضمنا البيت المعرى

حكى المحراب تمثال ففيه * لنا سجدات تقبيل توالى
أقول لنعل خير الخلق طرا * وقد حاز المهابة والجلالا
وعز به التراب فكل مسك * لرياه لقد هجر الغزالا
ليهنك فى المكارم والمعالى * كمال علم القمر الكمالا
وانك لو تعلقت الثريا * بشعثك ما قطعت له قبالا

وكتب له صاحبنا عبد العزيز الفشتالى بارك الله فيه

يا نسمة عطست بها ريح الصبا * فتمخضت بعبيرها حلل الربى
هبى الى ساحات أحمد واشرحى * شوقى الى لقيا مشرحا مطنبا
وصفى له بالمنحنى من أضلعى * قلبا على جمر الغضا متقلبا
بان الأحبة عنه حتى قد ثوى * منهم وآخر قد نأى وتغيبا
فعساك تسعد يا زمان بقربهم * فأقول أهلا باللقاء ومرحبا

أقول استعارة العطاس للنسيم غير مستحسنة والمعروف فى كلام فصحاء العرب عطس الصبح والفجر وفى شرح الفصيح للمرزوقى يقال عطس اذا أخذته صيحة من غير ارادة ومصدره العطس والعطاس الاسم جعل كالادواء ويقال أرغم الله معطسه أى أنفه وعطس الصبح انفجر على التشبيه ولابى اسحاق الغزى فى قصيدته المشهورة التى أولها

أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا * واجعل لحج تلاقينا مواقيتا
كم من بكور الى احراز منصبة * جعلته لعطاس الفجر تشميتا

ومن لطائف بعض المتأخرين قوله

قلت له والدجى مول * ونحن فى الانس بالتلاقى
قد عطس الصبح يا حبيبى * فلا تشمته بالفراق

وكتب أبو عبد الله محمد بن أحمد المكلاتى على كتابه زهر الرياض فى أخبار عياض

أهذه أزهار هذى الرياض * أم هذه غدرانها والحياض
يبيت معتل الصبا عندها * يروى حديث الشفا عن عياض

فيا اماما جامعا للعـــلا * ومن غدا بحرا على الناس فاض
أبكار فكرى بين أبوابكم * تنزه الاحـــداق بــين الرياض
اليكم قد رفعت أمرها * فاقض على الافكار ما أنت قاض
قد بايعت بالحق سلطانكم * توفيــة للعهد دون انتقاض

ومن البيوت بمصر بيت الجيعان وأولاده وآثارهم تدل عليهم وممن أدركناه منهم وهو آخرهم ﴿القاضى أحمد بن الجيعان﴾ شقيق النسيم ربيب النعيم ريحانة الادب شمامة الطرب طراز كم المكارم خليفة هطال الغمائم جواد طليق غصن فى ساحة المجد عريق ملكى الصفات ملكى السمات بسام العشيات راحته سحابة نداها يروى الاقطار وبرقها اللامع فى أياديه النضار اذا قدمت وفود الحاجات كان رحيب النادى واذا ضاق صدر الدهر فنديه واسع الصدر للحاضر والبادى غض الادب موزق الحسب لم يزل يجنى زهر الحياة من حدائق الايام و يحسو صفوها من مناهل اللذة والناس صيام حتى كدر الموت ورده و بدد الدهر الحسود بنوائبه عقده وكان كثيرا ما يذكرنى الآداب والمعارف و يأخذ منى على رغم الزمن تحف اللطائف فى أو يقات كانت لعين الفضل قره وعلى مكتوب العمر عنوان المسره

اذا ما مضى يوم ولم أصطنع يدا * ولم أقتبس علما فما ذاك من عمرى

والدهر يهم بالاحسان و يلف برد الشمل على أعطافه الحسان وهو لا يحسب من عمره غير أوقات صفوه ولا يسطر فى صحف أعماله غير لذاته ولهوه كما قلتــه له مخاطبا وأنشدته مداعبا

لا تبك هندا ولا تعتب بأسماء * واصرف زمانك فى لهو وأهواء
يوما ببرش و يوما بالحشيش و بالافيون يوما و يوما كاس صهباء

وسألنى يوما أن أصف له الشمعه وأذكر من السمات على لسانها لمعه فقلت له لم يترك الارجانى فى قوس الوصف لها منزعا ولا لاهل البيان لمعانيها مطمعا ثم بدا لى امتثال أمره لما كان له من حقوق ألطافه و بره فقلت

لعسال الشموع سنان نار * اذا ما لاح ينهزم الظلام
أقول له وقد وافى ببشر * كأنك فى فم الدنيا ابتسام

لما لاحت الشمعة وهى صاحب مستقيم ولطفت حتى صرها رور النسيم مسامر

أينما طلبت كان معك وصاحب يضر نفسه لينفعك يقف طول ليله فى خدمة الاصحاب
ويؤتمن على الخلوة بالحريم والاحباب

لما رأت أن الظلام يكيدها * ويكاد يؤذن شملها بشتات
أكلت من الغيظ المبرح نفسها * وتلمظت كتلمظ الحيات

فقامت على الكرسى تجلو نفسها فى الظلمات ذات غرة تشق قناتها جيوب الدياجى عن
صدر الخلوات لا يرتضى ثالث سواها اذا اختلى المحب بحبيبه فى دجاها

فلئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فلتك شمعة فى المجلس

أحببت ان ألذ السمع بوصف محاسن الشمع فأقول هى غصن فضة مثمر بالنضار أو
هندية تحرق نفسها بالنار بأنفاس النسيم يدنو مماتها ويقطع رأسها تزداد حياتها
تدب النار فى جسمها كما دب فى العمر الاجل وتبكى فما ندرى أذلك لحرقة النار أم
لفرقة العسل ويقول لسانها الحوادث لما أدنت بينه وفرقت يد الدهر بينها وبينه

بالنار فرقت الحوادث بيننا * وبها نذرت أعود أقتل روحى

تساقط على معصمها من الدمع سلاسل فضة أو شماريخ طلع كأنها عاشق ناحل ملتهب
الاحشاء ذو مدمع سائل وموتها من قلبها وهو عجيب فان القلوب تحيي أجسامها وهذه
لها تذيب اذا جن الظلام زادت أشواقها وظهر اشتعالها واحتراقها وكيف تحاكيه
وهى تنعم بالنهار وتعذب بالليل وذلك فى كل حين حريق بشجن كالنار وغريق بدمع
كالسيل

هيهات ما أنت مثلى أنت فى دعة * طول النهار ويومى كله حرق

لا يرجع عن معشوقه ولو بقطع رأسه وينشد اذا رفع صدر أمله براحة يأسه

علقت به كالنار فى الشمع فهى لا * تفك يداعنه ولو جز رأسها

وفى معناه قولى وبلاء مما أقاسى * اذ صرت فى الناس سمعه
قد أحرق القلب منى * حتى كأنى شمعه

وأنى يستوى من عذابه فى عذباته بمن ناره فى أحشائه بعد ما أحاطت بسائر جهاته
غصن أثماره تجنى على من يجنيها تميتها الليالى وهى تبيت تحييها (طرة صبح تحت
أذيال الدجا) غرة فى وجه أدهم الليل اذا دجا سحارة اذا أخذ منها المقص ويرده تردها
عنبرا واذا بدت فى محل مظلم جعلته مقمرا

ويقطف من رأسها الجلنار * فيرجع اهايلها أسودا
أظهرت من قبسها نارا على علم * ونضدت بعصمها درا ماثقب

فكيف انتظم فتاة اشتعل بالشيب رأسها وحميت من حرارة القلب أنفاسها

أو ضرة خلقت للشمس حاسدة * فكلما احتجبت قامت تحاكيها

أم يتولد منها سنا الطف فاياك أن تقول لها أف فهي على ماتريد من طرب واقتراح في وقت عبادة أو وقت راح تارة في مجلس شراب وطورا في وسط محراب

فلله منها جانب لاتضيعه * وللهو منها والخلاعة جانب

تبكي في حالة التداني قائلة (من عظم ماقد سرني أبكاني) (فقد تدمع العينان من شدة الضحك) ومن غريب أمورها حرارة دمعها في وقت سرورها ألف عليها حزرة من النضار حرزة تقطع لاتزال تستفهم عما خفي من الاسرار شجرة تسقي أسافلها من أعاليها أطلعت وردة لاشوك لها تجني على يد جانيها قامة هيفاء لولحت صبغ الدجى لمحت ولولا خوف نارها لغنت الورق عليها وصدحت

قالوا جنة الورد الا في تنازلها * والقامة الغصن الا في تثنيها

طلت على مشابهة الخدود تجترى فقطع لسانها وهذا جزاء المفترى اذا أشارت الى الظلام بلسان أفعى شمر ذيله وهرب واذا وافت النار حاسرة رأسها أعادته بتاج من ذهب واذا أرخت الليالي أستارها السود أمست بنورها مطرزه ولو رام المتنبي وصفها بكافورياته كانت له معجزه صدقت رأى المانوية المشهور في القول بأن الخير مخلوق من النور

وأظنها لما الهب قلبها * حسدا أسالت دمعها مدرارا
وغدت لفرط الغيظ تعطى كل من * وافى ليقطع رأسها دينارا

سرقت ما في وجنات الغيد من الاشراق وما في قلب الصب الكئيب من الاحتراق فلزمها بحكم الهوى جناية السراق فانتدب المقص ونشط وقام لقطع رأسها فقط فواعجبا والسارق يقطع منه اليد والبنان فلم قطعوا منها الرأس واللسان فكأن ذلك الجمر رأس غراب أسحم أو فراش رفرف على اللظى أوطائر يلتذ بقطف شقيق السنا (كأنه نعامة يقطف منها لهبا) وماقصها عند ظهور لهيبها الالظنه أنها ذوائب اشتعلت بشيبها فزاد ذلك القطع في الانوار كما تنمو بالتقليم الغصون ذات الانوار

فمحياها مبتسم مسرور ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور كما قلت

وترى الشمع اذا زاد السنا * ضاحكا مبتسما من بشره
كالفتى قد سره أوقاته * وهى نقص زائد من عمره

تغني الندامى عن الغلق أضواءها وان مرض فضرب العشق شفاؤها فطرفها من اللهب قطعة سبج ملبسة بذهب أو بنفسج تحت ورد أو كافور على جنى ندأ واصبع يشير الى الصباح أولسان أخرس يتحرك ولا يقدر على الصياح مشعبذة تلعب بالريح فتصيره أنمله ثم تسبله على يدها فتبدى منه سلسله وتارة تحوفه فتصيره مدهنه وطورا تنشره فتراه أو راق سوسنه وآونة تنشره منديلا وترفعه فوق رأسها اكليلا وطورا تسدده سنانا ثم تحركه فتراه لسانا وتارة تطويه ثعبانا ثم تدقه ابرة ذهب أو تجعله حمة عقرب فاذا طلع الصباح انطفأ منها المصباح فهى صب أظهر ما فى سويدائه وأفنا ما تقطر من دموع بكائه وليس معذب بنار عدمائه كمعذب ناره فى احشائه

يقول لسان الشمع للنار عندما * بكى بدموع عقدها ظل ينثر
ترفق فما هذى دموع التى ترى * ولكنها نفس تذوب فتقطر

فى أول عمرها ترى فرقها شابا ثم اذا طفئت يرجع اليها سواد الشباب واذا أسبل الليل أذياله تراها واقفة كأنها تريد صيد الغزاله لكنها اذا دنت تهرب فكأنها خافت من الصبح اذ خرج خائفا يترقب واذا أوقدت بجانب الغدران تخالها بانعكاسها خياما على عمد من المرجان وكأنما الخليج وسناها النهب صرح زجاج على عمد من ذهب

والشمع فوق البحر تحسب أنه * من لجة قد أطلع المرجان
والماء درع والشموع أسنة * ولها اذا لخفق النسيم طعان

تارة تبدو سافرة كالعروس وتارة تحتجب فى خدر الفانوس فتراه حانيا ضلوعه على النيران متنفسا من حرارة الاشجان متصبرا على الاوصاب تعد ضلوعه من تحت الثياب فى حالة ليست تنكر لكنه لكتمانه يتستر

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب قلبه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

فهو رواق النور ونديم السرور والشمعة منه فى حجاب كنجم خلف رقيق سحاب كليم لا يخاف الردى اذا وجد على النار هدى يستر نور الشمع بكمه ويغنى قلبه

فيجد قلبا آخر من منامه وقد جنت القناديل لغير تهامنه فهي مسلسله وصارت بنار الهوى مشتغله مشتعله فاشتعلت النار على رأسها معلنة بالشكوى متظلمة الى عالم السر والنجوى وقال لسانها وهي بخضاب السنا مختلفه ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقه وكيف لا وقد أفنت نفسها في خدمة من أشرقت ببهجة ذاته واشتعل رأس الشمس وحاجب الهلال شيبا وما أبصر انظير السنا صفاته وانى لأعجب كيف لقب بالجيعان والدهر من موائد كرمه يذوق ألوان الاحسان وكل ظمآن من موارد نداه ريان ومن شمع قام في مجلسه منتصبا لم لا ينثني من سروره برؤياه طربا كأن الشموع وقد أظهرت * من النار في كل رأس سنانا

أصابع أعدائك الخائفين * تضرع تطلب منك الامانا

كما أعجب من قلم مسه بأنامله كيف لا يورق وقد سقته بحور فضائله وأظن الشموع ما أجرت دموعها وأطالت ولهها وولوعها الالانها قد علمت فراقها رؤياه وبعدها عن وجه تستمد من سناه ويعوض الليل عن الشمس محياه

ليس فيه عيب يعد سوى أن أياديه تجعل الحر عبدا

فهل ناديه سماء طلعت فيها الدراري أم النجوم هوت ترجو سعد اقباله الساري

أم أنت يوسف موعودا وقد سجدت * لك النجوم وهذا كله حلم

ولو كان الشمع استجار ماقدرت تسطو عليه يد النار فان حماه جنة من الجنان فكيف يعذب فيه بالنيران كما أني لما الذت بجنابه وانتظمت في سلك أحبابه اعتذر الى الزمان عما جنى ولم أعرف من أحواله الا الغنى تخلص روحي من يد الاجل وتركني أصحب الدنيا بلا أمل وقد اهتديت لسدته بأضوائه ولولا نداه خفت عليه نارذ كائه

كن محسنا مهما استطعت فهذه الدنيا وان طالت قصير عمرها

ان المآثر في الورى ذرية * يفنى مؤثرها ويبقى ذكرها

فترى الكريم كشمعة من عنبر * ضاءت فان طفئت تضوع نشرها

لا زال حماه روضا تقطف منه زهرات الاماني ولا تصل الى سياج حمايته يد الجاني ماتلا لسان الشمع صورة النور ونسخ سورة الليل من صحائف الديجور وجلى كف الصباح نور النجوم وانحل من جيد الدجى عقدها المنظوم وأراها ما أهلكت نفسها بالنار الالانها لم تقف بين يدي النبي المختار حتى تقتبس من أنواره وتقطف من روضته معطر

أنوازه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مادامت الشموع معتكفة بين مرقده ومحرابه قولى انها لم تقف بين يدى النبي المختار اشارة الى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوقد فى مجلسه شمع أصلا وان كان الشمع موجودا فى عصره وقبله وقد سئل خاتمة الحفاظ الجلال السيوطى عن ذلك فأجاب بأنه كان فى القديم وقبل عصر النبوة وأول من أوقده من العرب جذيمة الابرش وكان موجودا فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولم ينه عنه فهو مباح وقد روى فى حديث أنه أوقد للنبي صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبد الله ذا البجادين وله فيه مؤلف سماه مسامرة الشموع فى ضوء الشموع وقد نحونا فى هذه الشمعة نحو القاضى ناصح الدين الارجانى فى قصيدته الشمعية وهى من بدائعه وهى هذه

غت بأسرار ليل كان يخفيها * وأظهرت قلبها للناس من فيها
قلت لها لم يرعنا وهو مكتمن * الا ترقيه نارا من تراقيها
سفيهة لم يزل طول اللسان لها * فى الحى يجنى عليها ضرب هاديها
غريقة فى دموع وهى تحرقها * أنفاسها بدوام من تلظيها
تنفست نفس المهجور اذ ذكرت * عهد الخليط فبات الوجد يبكيها
يخشى عليها الردى مهما ألم بها * نسيم ريح اذا وافى يحييها
بدت كنجم هوى فى اثر عفرية * فى الارض فاشتعلت منه نواصيها
نجم رأى الارض أولى أن ينورها * من السماء فأمسى طوع أهليها
كأنها غرة قد سال شادخها * فى وجه دهماء يزهيها تجليها
أو ضرة خلقت للشمس حاسدة * فكلما احتجبت قامت تحاكيها
وحيدة بسنان الرمح هازمة * عساكر الليل اذ حلت بواديها
ما انبتت قط فى أرض مخيمة * الا وأقفر للابصار داجيها
لها غرائب تبدو من محاسنها * اذا تفكرت يوما فى معانيها
فالوجنة الورد الا فى تناولها * والقامة الغصن الا فى تثنيها
قد أثمرت وردة حمراء طالعة * تجنى على الكف ان أهويت تجنيها
وورد تشاك به الايدى اذا قطفت * وما على غصنها شوك يوقيها
صفر غلائلها حمر عمائمها * سود ذوائبها بيض لياليها
كصعدة فى حشا الظلماء طاعنة * تسقى أسافلها غيثا أعاليها

كمكوة الليل مهما أقبلت ظلم * امست لها لحظة للصبح تذكيها
وصيفة لست منها قاضيا وطرا * ان أنت لم تكسها تاجا يحليها
صفراء هندية فى اللون ان نعتت * والقد واللين ان أعمت تشبيها
فالهند تقتل فى النيران أنفسها * وعندها ان ذاك القتل يحييها
ما ان تزال ببيت الله لاهبة * وما بها علة فى الصدر تلهيها
تحيي الليالى نورا وهى تقتلها * بئس الجزاء لعمر الله تجزيها
قدت على قدر ثوب قد تبطنها * ولم يقد عليه الثوب كاسيها
غراء فرعاء ما تنفك قالية * تقص لمتها طورا وتغليها
شيباء شعثاء لا تكتسى غدائرها * ليل الشبيبة الا حين تبليها
قناة ظلماء ما تنفك يأكلها * سنانها طول طعن اذ يشظيها
مفتوحة العين تفنى ليلها سهرا * نعم وافناؤها اياه يفنيها
وربما نال من أطرافها مرض * لم يشف منه بغير القطع شافيها
أهلا بها فى سواد الليل مسعدة * اذا الهموم دعت قلبى دواعيها
لولا اختلاف طبائعنا بواحدة * وللطباع اختلاف فى معانيها
بأنها فى سواد الليل مظهرة * تلك التى فى سواد القلب أخفيها
وبيننا عبرات ان هم نظروا * غيضتها خوف واش وهى تجريها
ما عاندتها الليالى فى مطالبها * ولا عدتها العوادى فى مباغيها
ولا رمتها ببعد من أحبتها * كما رمتنى بقرب من أعاديها
ولا تكابد حسادا أكابدها * ولا تداجى بنى دهر أداجيها
أبدت الى ابتساما فى خلال بكى * وغرنى ان محض الحزن عريها
فقلت فى جنح ليلى وهى واقفة * ونحن فى حضرة جلت أياديها
لو أنها علمت فى قرب من نصبت * من الورى لثنت أعطافها تيها
ترى المصابيح زهرا من جوانبها * وقد جلى صفحة الغبراء ذاكيها
كأنهن نجوم الافق نازلة * جاءت تقبل أرضا أنت واطيها

وللصابى فيها أيضا

غصن من الذهب الابريز أثمر فى * أعلاه ياقوتة حمراء تستعر

ترنو بعين لها نور تقلبه * ليلا وتغمضه والصبح ينفجر
حتى اذا قذيت كان الجلاء لها * قلع السواد فعاد النور ينتشر
تأتيك ليلا كما يأتي المريب فان * لاح الصباح طواها دونك الحذر

(نور الدين علي العسيلي) نور حدقة الزمان ونور حديقة الحسن والاحسان وكحل عيون الفضلاء والاعيان وانسان طرف الظرف وعارض وجنات اللطف وقبلة وفود الفضلاء وفاكهة تتنقل بحديثه الندماء ألفاظه ريحانة الأدب وشمامة الطرب وكان في عنفوان عمره يقطف بالجامع الازهر من رياض العلم غض زهره في ربوة ذات قرار وجنة تجري من تحتها الانهار حتى عبقت من شمائله نسمات الند وقطرت من سلسبيل أوصافه مياه المجد ومازال يشتري متاع الحياة بجوهر عمره النفيس معتكفا في حرم التأليف والتدريس حتى جذبه ساعد الافتقار الى مخالطة دهماء الامصار فاندرج في مقولة الكيف وحاكت ذاته بالنحول ضيف الطيف حتى قاسى الامرين الفقر والهرم وهما أسوأ من الفضيحتين المعصية والندم

وما كل افضال وان جل قدره * يخف على ظهر المروءة حمله
وأكثر من تلقى يسرك قوله * ولكن قليل من يسرك فعله
وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي * فادبني هذا الزمان وأهله

فما كل غرة تحلو على غاشها ولا كل بارقة تجود بغاثها فلما يئس من الدهر والكرم حط رحل أمله عند الاستاذ البكري في أجل حرم وصيته لركاب أمله حادي ونور غرته في ظلم الخطوب له هادي ففتح عادي الكنوز بريقة أبهمائه ومندل ذكره وعطر آلائه فحل منه محل النوم من الاحداق والمدام من الاقداح وتوجه وجه أمله بعدما أحرم من الرجاء الى كعبة المجد والسماح وله به وله المحب بالحبيب ونظرت اليه عيون أمانيه نظر المريض للطبيب فقابله الدهر بوجه طليق واهتز في روض كرمه غصنه الوريق فكانت غرر أزمانه تحت طراز حلله واحسانه

عقود في طلى الايام تجلى * وطرز فوق أكمام الليالي

حتى تم عليه الكمال فنم ثغر النور بلسان النسيم ونثر كف الدهر حسدا عقد ذلك الاجتماع النظيم فاطفأ صرصر الموت أنواره ومحا عينه وماقدر أن يمحو آثاره وله شعر رائق ونثر فائق فمنه قوله من قصيدة له

هل بالحمى من بدور التم امكان * أم في خلال بيوت الحي غزلان
أم الغواني تهادى وهي سافرة * أم الشموس أقلتهن أغصان
سقى الحمى ولياليه التي سلفت * من أدمعي ومن الوسمي هتان
حيث الرقيب عم والضد ذو صمم * والحب ذو كرم والوقت امكان
وحيث نرفل في برد الشباب الى * تيك القباب وغصن العيش ريان
ياصاح ان لم تمت من بعدها أسفا * فان عيشك بعد اليوم خسران
لى في الديار سقاها المزن صيبه * غزال حسن بديع الخلق فتان
يارب الحسن قد بالغت في تلفي * أما الهجرك يا ليلاه هجران
هلا نظرت الى مضناك راحمة * فكان يشفع منك الحسن احسان
ولائم ظل يبدى لى نصيحته * لولم تمج أجاج اللوم آذان
وكان ظاهره عنوان باطنه * والوجه للقلب فيما قيل عنوان

(ومنها)

انى امرؤ ما حييت الدهر أمدحكم * لعل جائزتى عفو وغفران
حسنت ظنى ومدحى فيكم فعسى * يقال انى على الحالين حسان

ومن مقاطعاته قوله

كأن الخال في شفة الذى قد * كسانى الشيب قبل أوان شيبي
قطاة أفردت من بين سرب * تروم الورد من ماء العذيب

وقوله

كل فعال الحب محمودة * وان تجافى وتجنى وتاه
فوصله قطع لداء الاسى * وهجره قطع لقول الوشاه

(وقوله)

دبت له ذؤابة * كحية من خلفه تحمى ضعيف خصره * من خارجى ردفه

(وقوله)

كأن الذى أهوى على نفسه جنى * فقال على تلك المحاسن بالفتك
فأغرق خديه بماء جماله * وأرقع في الظلماء ناظره التركى
وألقى بنار الخد خالا كأنه * من المسك مطبوع فناديت يامسكى
وها جفنه يبكى عليه من الضنى * وها خصره من ثقل أردافه يشكى

(وقوله) صحيفة الخد الذى * للحسن فيها سور
مذ خشيت بعارض * لم يبق فيها نظر
وفيه توجيه وجيه وفى معناه قول ابن النبيه
كأن ذاك العذار حاشية * خرجها كاتب لنسيانه
ومما قلته من الرباعيات فى معناه
غصن غض له المعانى ثمر * يجنى فيظل دائما يعتذر
لم ألق شبيه وجهه فى أحد * الا المرآة صفت وفيها نظروا
(وقوله) وفاعل يتركنى عامدا * وهو لرقى فى الهوى مالكى
أقول للناس ألا فاعجبوا * من صنع هذا الفاعل التارك
الفاعل بلغة أهل مصر خادم البناء ويقال الفاعل التارك عندهم كناية عن القبائح ففيه ايهام ظاهر وله
بكفك طوفان تروى به الورى * وعهدى بالطوفان يأتى بتنكيد
ولا غرو أن أرست بنا سفن الرجا * ببابك يا مولى النوال على الجودى (د)
وله فى عبد له يسمى فرجا
انى ابتليت بزنجى قبائحه * ليست تعد على ما فيه من عوج
كل الامور اذا ضاقت لها فرج * الا أمورى اذا ضاقت فمن فرج
وله يا بحر جود نواله * نداه للناس مطمع
لا تخش فى الدهر سوأ * ان المحدارك يقلع
وفيه تورية على متعارف أهل مصر يعرفها من له خبرة باللسان وله فى دولاب
ودولاب مررت به محيرا * يئن كأنه الصب المروع
غدت أضلاعه تنعد سقما * ويفنى جسمه صب الدموع
يدور كمن أضل الالف منه * وذاق تشتت الشمل الجميع
فقلت له فديتك من كئيب * كساه الهم أثواب الخشوع
علام أراك تبكى كل وقت * وتهتف فى المنازل والربوع
فقد قربت لى حزنا بعيدا * ونحلت نواحك عن هجوعى
فقال أما علمت بأن مثلى * خليق بالصبابة والولوع

فاني كنت في روض رفيعا * أبيت من الازاهر في جموع
ولي في المنتمى أعراق صدق * أصول أنجبت أزكى فروع
اذا ما الورد قابلني وحيا * تضرج وجنتاه بالنجيع
ويصفر البهار لدى خوفا * كصفرة عاشق صب مروع
وان قصدت بنوا آداب ربعي * أجود من النثار على الجميع
فقيضني الشقاء الى غبي * شديد البطش جبار قطوع
فالقاني على رأسي سريعا * وأنت مشاهد حال الصريع
وقطع لطف أوصالي بعنف * وصار يدق عظمي في ضلوعي
فصرت أرى الذي قد كان دوني * أناف وصار ذا شأو رفيع
على قلبي أدور عني وأبكي * عليه أسى كمقلات هلوع
فكيف ألام ان أدمنت نوحي * وجدت بدمع الطرف الهموع
وحالي ناصح أبناء جنسي * فلا تعتمد بالجدع المنيع
فان الذهر كالصياد كيدا * وأسباب القضا شرك الوقوع

والدولاب لفظة معربة لها معان منها الساقية وهو المراد وللشعراء فيه معان كثيرة من بديعها قول الامير مجير الدين بن تميم رحمه الله تعالى

ودولاب روض كان قبل أغصنا * تميس فلما فرقتها يد الدهر
تذكر عهد بالرياض فكله * عيون على أيام عهد الصبا تجري

وله مضمنا

اذا حمل الشيخ الكبير له عصا * فقد رحلت عنه اللذاذة والهوى
وعممه الدهر اللئيم عمامة * ثلاثة ألوان بها تكسف القوى
وجاءت له الاحزان من كل جانب * وألقت عصاها واستقر بها النوى

والمصراع الاخير مضمن من قصيدة معقر بن الحارث البارقي وقبله

تهيبك الاسفار من خشية الردى * وكم قد رأينا من ردى لا يسافر
وألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

والقاء العصا تجعله العرب كناية عن الاقامة وقد يجعل عبارة عن الظفر والمسرة ولقد أجاد الباخرزي في قوله

حمل العصا للمبتلى * بالشيب عنوان البلى
وصف المسافر أنه * ألقى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيل من * حمل العصا أن يرحلا

ولعمر بن أبي جبلة الدمشقي وينسب لغيره

ولي عصا من جريد النخل أحملها * فما أقدم في نقل الخطا قدمي
ولي مآرب أخرى أن أهش بها * على ثمانين عاما لا على غنمي
كأنني قوس رام وهي لي وتر * أرمي عليها بريد الشيب والهرم

ولأبي العلاء المعري

رميح أبي سعد حملت وقد أرى * وإني يلدن السمهري لرامح

أبو سعد كنية الهرم ورميح أبي سعد عصا الشيخ الهرم وقال صدر الافاضل وهو أبو سعد ابن عاد وكان من المعمرين وهو أول من اتكا على العصا وقال بعض المعمرين

أعار أبو زيد يميني سلاحه * وبعض سلاح الدهر للمرء كالم

وأبو زيد كنية الدهر ويقال له أبو سعد أيضا وسلاحه العصا التي يتوكأ عليها الشيخ وقيل انه كنية الهرم وقال أبو الأصبع العدوي المعمر

أما ترى شكتي رميح * أبي سعد فقد أحمل السلاح معا

وفي شرح أبيات الكتاب أبو سعد لقيم بن لقمان وكان كبر حتى مشى على العصا وقال الجاحظ رميحه عصاه ولذا صغرت وقلت أنا

رميح أبي سعد اذا حملت يد * وفي السن طعن ليس عنه يحول
فقد حارب الايام في حومة الفنا * ومن نازل الايام فهو قتيل

وقلت أيضا

اذا حمل العصا شيخ فأمسى * ولا يكفيه رجلان اثنتان
فسوف يزيدها حتى تراها * وقد تمت ثلاثتهم ثمان

كناية عن الموت فان تابوته يرفع بأربعة رجال ومما قيل فيها

قوس الدهر قامتي * فاتخذت العصا وتر

﴿وقال اسامة بن منقذ﴾

جفاني الدهر وابلتني الليالي والعبر

فصرت

قصرت كالقوس ومن * عصاى للقوس وتر
أهدج فى مشى وفى * خطوى فتور وقصر

(وقال الشريشى)

لما تقوس منى الظهر من كبر * وابيض ما كان مسودا من الشعر
جعلت أمشى كأنى نصف دائرة * لاحت على الارض أو قوس بلا وتر

وقوله وعممه الدهر ثلاث عمائم وثلاثة ألوان هى عبارة عن ألوان الشعر فانه يكون أسود ثم يصير أشمط ثم يصير أبيض وهذا معنى وقع فى كلام العرب قديما كما قال بعض العرب

قصر الليالى خطوه فتدانى * وحنون قائم صلبه فتحانى
يامن لشيخ قد تخدد لحمه * أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداء حالكة وسحق مفوف * وأجد لونا بعد ذاك هجانا
والموت يأتى بعد ذلك كله * وكأنما يعنى بذاك سوانا

وله تآليف كثيرة أجلها شرح المغنى وهو تأليف جليل عما سواه مغنى وقال فيه انه هذب معانيه وأودع فيه حورا عينا فى جنة أبوابها ثمانية يشير الى قول لبدر الدين الدمامينى

ألا انما مغنى اللبيب مصنف * جليل به النحوى يحوى أمانيه
فما هو الا جنة قد تزخرفت * ألم تنظر الابواب فيه ثمانية

وهو من قول الحسين بن مصدق الواسطى من شعراء الخريدة

دمشق فى أوصافها * جنة خلد راضيه
أما ترى أبوابها * قد جعلت ثمانيه

وقلت أنا

مغنى اللبيب جنة * أبوابها ثمانيه
أما تراها وهى لا * تسمع فيها لاغيه

ومن البيوت العامرة بمصر بيت السادة الوفائية

(منهم السيد على وفاء وأولاده المعلق على عاتق السيادة نجاده) سادات السادات لهم المجد والزهد عادات لهم أنفس قدسيه أفيضت عليها العلوم اللدنيه لم يخالف أحد منهم ملة جده المختار الا انه نظم جواهر الاشعار ولهم شوارد مقال لها

السمع مناخ والعقل عقال تخالها تربت في سويداء البطاح وآباط الجبال بحار طمت وعلت ربى المعالي والقلل فتوارث البحار في منخفض الوهاد من الخجل وبيتهم الآن معمور ولواء فضلهم على كاهل الدهر منشور ولهم مساع ومآثر ورثوها كابرا عن كابر وري زندهم ولم يقدح فيه قادح فضربت لهم آباط المفاوز (وسالت بأعناق المطي الاباطح) وتوقدت من مشكاة الحقيقة مصابيحهم ذات اللألاء نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء فمنهم الاصاحب ديوان نافذ في سبيل البلاغة بسلطان ألطف من الامطار اذا وسمت بالنبت شفاه الانهار فمن ديوان السيد على وفا قوله

تغيبت عن عيني فغيبك شاهدي * ووجهك مشهودي وما عنك عائق
فان غبت فالاشباح مني مغارب * وان لحت فالارواح مني مشارق

ولابي اليقظان الوفاءي

كأن وجهك مغناطيس أنفسنا * فحيثما درت دارت نحوه الصور

ولابي التداني الوفاءي

كل ما في الوجود منك مليح * ليس فيه يا نور عيني قبيح
مذهبي فيك يا وجودي وعيني * مذهب صادق قويم صحيح
لم تزل قائلا لكل محب * كلما يفعل المليح مليح

ولسيدي محمد بن أبي الفضل الوفاءي من قصيدة له

ألا صاحب كالسيف حلو شمائله * يسائلني عن فتيتي وأسائله
يدور غرام بيننا كلما انقضت * أواخره عادت الينا أوائله
رعى الله أياما أهاج بلابلي * اليهن روض قد تناجت بلابله
فما راقني في الماء الا صفاؤه * ولا شاقني في الغصن الا تمايله
كأن به القمري صب له الصبا * رسول وأوراق الغصون رسائله
مصارف همي في مناجاة طيره * اذا أنفذت ما حوته حواصله

(ومنها)

رشافيه قد أملت ما لا أناله * مغالطة حتى كأني نائله
وكان حسابي أن غلطات خاطري * تصح اذا بالجبر منه يقابله

وله

(وله أيضا)

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حماحما

(حمى حمى)

والحماحم نوع من الريحان معروف في اللغة والعرف وله أيضا قدس الله سره

يا من يبالغ في سقية خده * ماء الحيا ولذا قيل مورد
في خدك الراح التي بكؤسها * سكرت لحاظك فهي في تعربد
سدت الانام غداة خدك أبيض * واليوم خدك بالعذار مسود
نسخ العذار ملاحة بملاحة * قلم بسعدك لا يزال يجود
قلب يميل الى حديثك هل له * فيما يؤمل من ورائك مسعد
عكفت على مضناك أرواح الضنى * فلأنت للطرب المحرك معبد
فعلى محياك السلام فديته * بالنفس بل بالعين فهو مؤكد
وعلى فؤادي المستجير تحية * ما طار نحو ربى الرياض مغرد

وفيه مع التورية مراعاة النظير التي ليس لها في الحسن نظير لما فيه من الجمع بين التبييض والتسويد المعروف بين المصنفين وكذا التجويد فان معناه التحسين ويطلق في العرف العام على تحسين الخط وفي عرف أهل الاداء على تحسين مخارج الحروف وهيا تم اوممايعجبني هنا قول القاضي الفاضل في وصف المسودات المسودات للاقوال كالاحشاء للاجنة والحور للاطفال ان خرج منها مالم تنضجه الارحام لم يبلغ التمام وان فطم قبل بلوغ أشد الفطام فربما كان عرضة للسقام وما جعلت الا ليستند لها صاحبها الا انها بذلة الخاطر تارة يخلع الثياب فيكون عريانا وتارة يأخذ معول قلمه فينقب من الناس جدرانا

(ومنهم الآن شيخ السالكين ورأس العلماء العاملين)

(شيخنا أبو المكارم وأبو الاسعاد قدس الله سره) ولما عاد من الحج أدركه الاجل فقلت أرثيه

قضى نحبه والحج قطب لروحه * دعا ربه نحو الجنان فلبت
فمن حج البيت العتيق على تقى * فروح أبي الاسعاد لله حجت

وقد أحرمت لله احرام حجة * مجردة عن جسمه دون موقت
فلا برحت سحب الرضى فوق قبره * مظللة هطالة سحب رحمة

ومن البيوت التي كانت بالفضائل آهله ومن مياه النعيم المقيم ناهله بيت الطبلاوي فمنهم

﴿العلامة ناصر الدين﴾ وقد أدركته في زمن الطفوليه فرأيت له رتبة عليه وآثارا في التحقيق والتدقيق جليه وحفيده صديقي وفي زمن التحصيل رفيقي وهو

﴿العلامة منصور﴾ حامل علم المجد وناشره وجالب متاع الفضل وتاجره وكان ممن شدت اليه مسألة الفضل رحالها اذا ورت من سماء المعالي بدرها وهلالها وحوى طارفها وتليدها وأرضع من در العلوم كهلها ووليدها ووضع الهناء مواضع النقب وسفرت له خرائد العلوم رافعة النقب وتزينت بمنظومه ومنثوره صدور المجالس والكتب معر ياض مكارم عطرة نفحاتها عليل من فرط الدل نسماتها وكانت تهب على بالمكاتبة نسمات أسحاره ولم أزل أتلق الركبان لاشتراء أخباره حتى طن نعيه على آذاني فكدر على مشرب الحياة وآذاني ومن أتباعه ومواليه الواردين لماء الحياة بناديه

﴿السيد محمد وأخوه عبد الله﴾ هما روضا فضل وبيان فيهما من الفضل عينان تجريان وبحرا مجد يحفهما مرجان ويخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما زهرتان من شجرة النبوه ونبعتان من وشيج الفتوة سقيا بماء المكارم وسحت على رياض سجيتهما غر الغمائم حتى تدفقت جنباتهما واخضرت بالندى عذباتهما وكسيا من سندس الجنات ونشرا بخصيب أوديتهما الحسنات فاخضل بهما وادي الهدى حتى أثقلته ثمار المكارم والندى

تكاد يدي تندى اذا ما لمسته * وينبت في أطرافها الورق الخضر

مصابيح فكرهما مشارق الانوار وأحاديث كمالهما صحيحة الآثار ومطارف ناديهما موشاة بالحبور ورياض نداهما مبتسمة الثغور وطرف هماتهما في مضمار العلياء سابق ومخيم علاهما له على الاثير سرادق ولسان براعتهما بالبلاغة ناطق وجعفر فضلهما اذا وعد وارداً عليه فياله من جعفر صادق وشعرهما ونثرهما مأثور ولواء

حمدهما على كاهل الدهر منشور وقصيدة السيد عبد الله التي مدح بها أستاذه ناصر الدين والتزم في قوافيها تجنيس الخال التي مطلعها

ياسلسلة الصدغ من لوائك على الخال * مشهورة ومحاورينا والسيد محمد قوله

لم أنس ياروضة المحاسن اذ * خلى بك الصب والخلي جمعا
ونحن في روضة ممنعة * يروقنا البحر والخليج معا

(وقوله)

لم أدر أيهما أحرى بمرحمة * قلبي وعيني على الاحراق والسهر
حتى أثار فؤادي صح حجته * وقال اني على طول الزمان حرى (يق)

وقوله

يا ربة الخال كفى * صديك عما أمرت
فقد سلبت البرايا * بأسحري ومحرت

(وقوله رحمه الله تعالى)

يارب أطلبها وتنفر دائما * لما ترى مني تعلق صائد
ان رمت أنظرها يقول عواذلي * أو رمت أمدحها تمل قصائدي

(وقوله)

سرقت نومي بعيد بين * فعز صبري وقد تعسر
وسرض قدي بطول صدي * فكنت في ذاك رأس منسر

وهذا كقول صاحبنا يحيى الاصيلي

قيل لي ان فلانا * قد تعالى وتكبر
وان قدساء رأس * قلت لا بل رأس منسر

والمنسر قوم من المكابرين السراقين معروفون ومن البيوت بمصر بيت السادة البكرية وهو البيت المعمور

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

(الاستاذ أبو الحسن البكري) وهو جامع الفضائل والمحاسن ومظهر اسم الظاهر والباطن الذي شيد لهم منار الطريقه وجاز من قنطرة المجاز الى الحقيقه وتآليفه وآثاره وكلماته التامة وأخباره غنية عن البيان مسطرة في صحف الامكان ثم خلفه من بعده ونشر في الخافقين لواء حمده

* والاستاذ محمد بن أبي الحسن * وله فروع بسقت من دوحة المجد وربت في رباه بين تهامة ونجد من كل من لبس رداء النجابة في صباه ولاح عنوان المكارم على صحائف علاه ولم تقصر عليه أثواب مجده التي ورثها عن أبيه وجده فعلى جبينه نور نسب يخبر أن خلف الدخان لهب وتحت الرغوة الفصيح من اللبن الصريح غادة دولته سابغة المرط بعيدة مهوى القرط يصغي له الدهر اذا نهى وأمر اصغاء نشوان الى صوت وتر

مستيقظ الحزم واري العزم ثاقبه * هموسه حين تبلوهن همات
صافي الطوية من غل يكدرها * وأول المجد ان تصفو الطويات

وقد جرت بينهم منافسات وأمور تسكب عندها العبرات فلم يزل كل منهم ينقص أخاه ويغص منه ويقول لسان حاله أخوك البكري فلا تأمنه كما قال الصنوبري

أحمد الله قد ألاح بروق * منك بالود لا تزال مليحه
حسن قول وسوء فعل كما سمى المسمي في وقت ذبح الذبيحه

ومنه أخذ ابن الوردي قوله

قد بلينا بأمير * ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فيهم * يذكر الله ويذبح

* والاستاذ زين العابدين * زينهم ونور غرتهم وقائد جيش أسرتهم وحامل لواء عزتهم لم يزل سمح السجيه بسام العشيه لم تلن لغامز قناته ولم تغص عباء بشره عداته الى ان أصابته الرزايا ورمت فؤاده بسهام المنايا فنضبت جداوله واستراحت حساده وعواذله وصم صداه وسرت عداه وله نظم ونثر وفضل طيب النشر وخلفه

* الاستاذ الامام أبو المواهب البكري * بدر لاح في سماء المناقب وسما شرفا على الكواكب فاورق روض نداه وأثمر ونادم العيش والعيش أخضر وله شعر منه قوله

عبد النبي قاتلي * بعينه وحاجبه
واعجبا لعبده * يقتل نجل صاحبه

ما أصل هذه الشجرة فهو نادرة الدهر * وغرة وجه العصر انسان عين الاقاليم فريد عقد المجد النظيم ورد فضل عذبت مناهل ورده وربيع كرم تقطف أيدي الآمال غض ورده سائله يرفل في برود الغنى حاليا ويكفيه تسليمه عليه تقاضيا فالنيل

يشير

يشير بالاصابع الى وفائه والعنبر الرطب عبد لحر جوده وثنائه

من ليس يشرق بالسؤا * ل ولا يغص من الندامه

جامع ما تفرق من شمل الفضائل تهزه الاريحية بشمائل الشمائل مالك أزمة البيان سابق لمن يجاريه فى مضماره من الفرسان أوحد الفضلاء مجدا وأصفاهم من قذا الرياء ورداحديث أخلاقه الغر وغرر سماته ازهر عنوان كتاب المكارم ورياض فضائله الخضر ورقيق نائله الحر لمآثر حاتم خاتم ناظم ما انتثر من المآثر فذلكة دفتر كمال الاوائل والاواخر ترب الحدائق جر عليها النسيم أذياله فتنبهت عيون أزهارها وتثنت قدودها المياده الميالة والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها للارض عس نعاله يفاخر العنبر الرطب ثراها فعلمه حدث عن البحر ولا حرج وبراعة منقطه تنتج سلب الالباب والمهج مع حسن منظر تتزاحم عليه وفود الابصار وفيض نوال تضطرب الغيرة منه البحار كم سارت الصبا معطرة بنشره ونشرت له صيت كرم طوى ذكر حاتم طى بنشره سار سيرة الملوك ونثر فرائد النصائح من اسلاك السلوك ليحسن نظمها فى عقد العلم والعمل وتصان فى حقاق الآذان ذخيرة للامل فلو فهمت الورق سجعه فى الخطب خلعت عليه أطواقها من الطرب وقد اجتمع فيه من الكمال ما تضرب به الامثال ان ذكر جوده فما الطائى أو فصاحته فما أبو تمام الطائى أو حدة ذكائه فما اياس أو همته الهاشمية فما أبو فراس وزمانه كان عرس الفلك فكم قال له الدهر وما الكمال فلك

بحر من الفضل الغزير خضمه * طامى العباب وماله من ساحل

لم يزل كذلك حتى غربت شمسه وواراها فى عين حمئة رمسه وقد رأيته وقد شدت بالصبا أمراسي وطيلسان الذوائب عمامى وتمائم الصبا فى جيد عمرى وما شب عن طوق الصبا عمرى ودخلت فى اجازته العامه مع جملة الخاصة والعامه فما رويته من آثاره وخبأت فى حقيبة الفكر من متاع أشعاره قوله

يا يوم بولاق وأنسى به * حكاك من شوال يوم الهلال
وأقبل النيل جنوبا وما * عارض الا النسيم الشمال
يا عارضا أوجب للنيل ما * سلسله وهو طليق الجمال
وقهوة تنفح مسكا ولا * بدع ففى الفنجان شكل الغزال

حبابها من فوقها مانع * نفاره فهو شباك اللآل
تديرها هيفاء ممشوقة * خود تثنت في برود الدلال
كاد حجى من أقبلت نحوه * يذهب من رنات تلك الحجال
بغرة أو طرة زعت * أفكارنا بين الهدى والضلال
تقول للشمس وقد أقبلت * تلتمس ما أنت الا خيال

وبيت الغزال من السحر الحلال وهو بيت القصيد وقد قلت في معناه

أقول وقد دارت بنادى قهوة * وقد سرني منها الغداة صبوح
أصورة غزلان بفنجان قهوة * اذا زفها ساق الى صبيح
أم الظبي حقا قد تردى به فمن * دم طفح المسك الذكي يفوح

وقوله حبابها الى آخره كقول ابن حمديس

بكر حصان اذا الماء واقعها * أبدت لنا زبدا من شدة الغضب
كادت تطير وقد طرنا بها فرحا * لولا الشباك التي صبغت من الحبب

ومنه أخذ القيراطي قوله

صب في الكاس عقيق لخرى * وطفا الدر عليه فطفح
نصب الساقي على حافاته * شبك الفضة فاصطاد الفرح

وله أيضا

ما أرسل الرحمن أو يرسل * من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه * من كل ما يختص أو يشمل
الا وطه المصطفى عبده * نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها * يعلم هذا كل من يعقل
فلذ به في كل ما ترتجى * فهو شفيع دائما يقبل
وعذ به في كل ما تختشى * فانه المرجع والموئل
وحط أحمال الرجا عنده * فانه المأمل والمعقل
وناده ان أزمة أنشبت * أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه * وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة * فرجت كربا بعضه يذهل

ولن

ولن ترى أعجز منى فما * لشدة أقوى ولا أحمل
فيا الذى خصك بين الورى * برتبة عنها العلا ينزل
عجل باذهاب الذى أشتكى * وان توقفت فمن أسأل
لحيلتى ضاقت وصبرى انقضى * ولست أدرى ما الذى أفعل
فانت باب الله أى امرئ * أتاه من غيرك لا يدخل
صلى عليك الله ما صافحت * زهر الربا نسمة شمال
مسلما ما فاح عطر الحمى * وطاب منه الندو المندل
والآل والأصحاب ما غردت * قمرية أملودها مخضل

ومما يقطر منه ماء الفصاحة وغسيم وجه جواده راحة الملاحة من السهل الممتنع والعذب السائغ فى مذاق كل مستمع قوله فى مناجاته وظهر أنوار التجلى بمشكاته

ان يوما يرذ كرك فيه * ذاك عندى لأى يوم مبارك
رب انى عبد ذليل ضعيف * فلحالى باللطف منك تدارك
كل قطر أصابنى منك بحر * كيف والحال فى تجرى بحارك
كل جزء منى لسرك دار * عمر الله يا حبيبى ديارك
من رآنى رآك من غير شك * أى شك وقد جعلت مزارك

وقوله

أقول وقد قيل لى كم مضى * أديب له حسن نظم جليل
دعوا كل ذى أدب ينقضى * ويحيى العسيلى ويحيى الاصيلى

وكان يوما فى منتزه نضر تلاقى فى شاطئه ماء الحياة والخضر فى منازه منازل انتظمت انتظام النجوم فى نهر المجرة والنيل يجرى مضطربا بالما فى مفارقة أوطانه من المسره ولسان النسيم يصف نشره ويعطر بالثناء عليه بره وبحره وحصباؤه تفوق الجوهر ومسود طينه يفاخر المسك والعنبر فكتب الى النور العسيلى ليتحلى بغاكهته ويجتنى من أدبه غض فاكهته يستدعيه الى أن ينزل بدره فى بروج تلك المنازل ويسليه عن عرض ألم بجوهر ذاته من الدمامل (رقعة صورتها) سيدنا البر الذى يجرى بحر الفضائل من بره ويعذب الورد والصدر عما يصدر من صدره ويفيض احسانه نهر الراجيه وآمله وتبتدر الانام لتلقى تيار أنامله وتتزاحم على سيف زخار

علومه تزاحم رقاب أعدائه على سيفه وخصومه ويخضر خضارة الدو وقد أسبل عليها من صوب مدده بردالجو لينام الانام من ظله بوريقه وتأمن من صروف الدهر وحيفه أبقاك الله وبحر افضالك فى مزيد يشار اليه بالاصابع والوفاء طبائع فغيرالمخلق برده اذا تخلق بقياسك لكل أصغر فاقع والجبر يتاح من كسر عدوك بعامل الجر من الرفع الى الخفض فالمد والاطناب والوصل بهمز القطع بالطول والعرض مما لم يدركه فلكى ولو طرح فى نهر المجرة شباك الجداول ولا رصدى ولو تجاوز السرطان والسماك من المنازل اعلم سيدنا لازالت أمواج فضله تنثر لآلى الاحسان وتنثل ولا فنى نهر الله اذا كان غيره نهر معقل أن مدينة بولاق هى مجمع البحور ومدار فلك السرور بفلك الحبور طفحت بالنيل لاجزع عن الجزر مدها المديد واستلت سيف النهر لقطع حروف الجروف من أقصى الصعيد والمنتهى سعيد رشيد غير انها على طمو بحارها اشتاقت الى مدد تلك العين وقالت استفت قلبك هل مد يشغل عن هذا البحر الذى تقصر عنه الانهار من أين والى اين على انى أقسم بالفجران الفرج لحاصل وان معدل السطح لا يظهر فيه للكرة أثر هائل والله جل كبرياؤه مصغر الكبير بفضله فلا حاجة للمعونة بعصره وأهله وعلينا أن نلقى دلو الطلب ولو الى ما تحت الحوت عسى يفيض فتجرى البحور الى البيوت ويحصل توشيح هذا البيت بكل خرجة داخلة فى الطرب نادرة على لزومها المقيس ولا يقاس عليها وهذا من العجب (والسلام) وهذا تسلية له عن دملة اصابته واليه أشار بقلب هل مدو بالفجر ومثله فى التورية قول ابن نباتة

لا تخش من هم كغيم عارض * فلسوف يسفر عن اضاءة بدره
ان تمس عن عباس حالك راويا * فكأنني بك راويا عن بشره
ولقد عثر الحادثات على الفتى * وتزول حتى ما تمر بفكره
ولرب ليل فى الهموم كدمل * صابرته حتى ظفرت بفجره

ونهر معقل الذى ذكره بالبصرة وهو معقل بن يسار المزنى البصرى الصحابى واليه ينسب التمر المعقلى وفى المثل اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل والمراد بنهر الله المطر والسيل فانه يغلب سائر المياه ويطم على الانهار كلها وله أيضا سقى الله ثراه

يا ظباء بقاعة الوعساء * وملاحا بأعين الجرعاء

نزلوا بالعقيق أنضر روض * نسجت برده يد الانواء
باكرته هواطل المزن فافتر يرينا لآلئ الانداء
ما خيام على النقا والمصلى * وقباب بالحلة الفيحاء
ما ارتقاء من العلا المقام * دون علياء أنجم الجوزاء
ما سليمى وزينب وسعاد * الغوانى عن الحلا بالبهاء
(ومنها)
أنه العبد لو غلا روحا * كان أعطى هدية الفقراء

وله من أخرى

لا يعجبنك منه زخرف لهوه * أحواله أين الهبات من الهبا
فبعزتى آليت ما بعد امرؤ * عن نفسه الا وكان مقربا

وله من أخرى

ولى رتبة تقضى بأن مشاهدى * جميعا بها قلبى اليه منيب
فأيان يمم المعاهد يلقنى * حبيب الى كل القلوب حبيب
تفاوحت الازهار من روض وصله * فرق نسيم بينها ونسيب

(وله أيضا)

يا نسيم الصبا ويا عبقة الزهر أفاحت لنا شميم الحبيب
كيف قالت حمامة الايك لما * غردت فوق بانة بالكثيب
هل ترى بلغت حديث غرامى * واشتياقى لمنيتى ونصيبى
أو تراها تخوفت من عذول * وعدو وحاسد ورقيب
لست أخشى اذا ذكرت لدى الحب مقالا للائم ومريب
أنا فى خطة السقام ولكن * عرض حالى على الحبيب طبيبى
عمرك الله يا حمامة جرعى * ان يقل كيف حالتى فأجيبى
ذاب من لوعة وفرط غرام * واشتياق وانة ووجيب
عل ليلى تمن بعد التجافى * ببلوغ المنى وفتح قريب
ليس والله بالعجيب انعطاف * من حبيب قوامه كالقضيب
لا ولا بالعجيب أيضا تلظى * مهجتى والخدود نار اللهيب

وله من أخرى

حبيبك دان رقيب قريب * فماذا البكاء وماذا النحيب
نعم هو دان ولكنني * بعيد فقيد طريد غريب
بكاءى على لانى بليت * بداء الصدود وعز الطبيب
وفاز المحبون دونى بما * به كل وقت لديهم يطيب
فهمى وفهمى زادا فما * بقاءى فى النقص أمر عجيب
فياهل ترى بعد هذا البعاد * يزول الصدود ويرضى الحبيب
نعم هو ذاك ستعطى مناك * بأوفر حظ وأوفى نصيب
وتهتز بالبسط فى مربع * به مرتع للامانى خصيب
وحبس الكواعب عيدانها * وجس رباب الغزال الربيب
وتقضى حقوق الفؤاد المشوق * بخمر يروق وساق أريب
يهز من التيه أعطافه * فتحسبه بانة فى كثيب
ونحن عكوف على لهونا * وليس سوى القبض عنا يغيب

وله استغاثات يعجبنى منها قوله

الى كم نحن فى ظما * وهذا المنهل الاعذب
وهذا المشرع الاحلى * وهذا المورد الاطيب
وهذا باب مولانا * وهذا بيته الاعجب
وهذا سره الاعلى * وهذا فتحه الاقرب
وهذا السؤل والمأمو * ل والمقصود والمأرب
حبيب الله نور النو * ر كنز السر والمطلب
ومن فى لوح حضرته * بدائع سره تكتب
ومن فى تاج غرته * مرامات النهى تخطب
جمال عصابة الرسل الكرام طرازها المذهب
ألا ياخير مبعوث * له مولاه قد قرب
ومن بالعين أبصره * فعنه قط لا يحجب
ويا من لا يفى شخص * بمدحته ولو أطنب

أقلني عثرة عظمت * فانى ضاق بى المذهب
وخلصني وخصصني * بسر منه لا أسلب
أغث ياسيدى لهفى * والامن له أذهب
وقل لى أنت فى جاهى * فلا تخش ولا تتعب
بك استنصرت فانصرنى * فمن تنصره لا يغلب
بك استشفعت فاشفع لى * فمن ذنبى لك المهرب

ومن اشاراته قوله

فيه تجردت عن وهم وعن شبه * لله أحرمت والتوحيد ميقاتى

(وله أيضا)

لست أنسى يوم اللقا اخذوهات * وأدرها بأكؤس اللذات
فاجلها الشمس فى بروج زجاج * من سناها تالق المزهرات
واسقنيها فدا النفسك نفسى * بين صحبى وفتيتى ولداتى
لا تبالى بعاذل يك عليها * وأدرها رغما لانف العصاة
كيف أنسى وكيف تنسى حياة * فتدانيك يا حبيبى حياتى
يوم لقياك عيد روحى ومغنى * فيه ألقاك أشرف الجنات
فبحق الجمال أقسام صب * أحرقته لواعج الزفرات
أرسل الدمع من جفان قا المز * ن استهلت بهاطل المنشآت
وبكى مذ بكى الحمام عليه * نائحا من تواتر الأنات
فكانى مع الحمام ثكالى * نائحات لما دها نائبات
لا أذوق الكرى وسل أنجم الليل وهذا السقام من بيناتى
واغثنى فهل أتى خبر العين أفاضت سحائب المرسلات
أو أتاك النبا بأن فؤادى * لم يزل فى اللهيب والنازعات
لم تزل من كنانة الجفن ترمى * قرشيا بأسهم صائبات
انا اياه فاربح الاجر فى نفس نفيس الآباء والامهات *
وتدارك فدتك روحى بروحى * أى شئ تناله من مماتى
ان لى فى الغرام خير خلال * باقيات من الهوى صالحات

أنا فيه من ألطف الناس طبعا * وصفاتى به أجل الصفات
بى يفتر ثغر وقتى سرورا * ونسيم الصبا شقيق لذاتى
قم فهذا الشمال هب بشيرا * بتدانى اللقا وجمع الشتات
ثم من بعد لمحة شمت برقا * لاح للعين من جميع الجهات
قلت ما البارق المضىء وما نفحة هذا العبير فى النسمات
قيل سلمى أتت وهذا بشير * بالتدانى فقلت طابت حياتى
وابتدرت الطريق أسعى وأدعو * يا صحابى ليهنكم لذاتى
أدركتنى عناية الله حتى * وصلتنى سلمى وتمت هباتى

(وله أيضا)

أما ونسيم الروض ينفح عن ند * وريح الصبا تهفو باعطافه الملد
لقد نعمت نفسى بعزة ليلة * تحدث عما تختاره زمن السعد
وباتت تعاطينى المدام وتارة * حديثا كما هب النسيم من الورد
وأجنى مذاب الاقحوانة من فم * وأثنى رشيق الخيزرانة من قد
وقد مالت الصهباء سكرا بها وبى * فوسدتها زندى وألحفتها بردى
وألقت ذراعيها على حمائلا * فعانقت منها السيف جرد من غمد
وما صدنى طيب الوصال عن العلا * ولم يلهنى هزل عن الجد فى المجد
فعزمى كما زاحمت منكب يذبل * وبأسى كما أنبئت عن أسد ورد
أنازل بالعضب الصقيل بواسلا * شدوا اللوغى من فوق صاهلة جرد
وليتك شاهدت الرقاب تطايرت * بسيفى كما طار الشرار من الزند
ونظمى فى رمح الرؤس قلائدا * وناهيك من نظم وناهيك من عقد
فكن واثقا أنى وان كنت مفردا * اذا ما لقيت الجيش أهزمه وحدى
وأنى فتى الحى العزيز صحابه * وطالع من أهواه فى فلك السعد

وله من أخرى

رب ورد قطفته بيد اللثم من الوجنتين ورد الخدود
وقضيب عطفته بيد الضم رشيق مهفهف أملود
ياسقى الله يومنا والامانى * منجزات لنا جميع الوعود

اذ بدت أنجم السعادة تزهو * طالعات لنا بسعد السعود
حيث كنا ولا رقيب وتلنا * كلما نبتغي بغيظ الحسود
برياض مكللات بدر الدر تزهو على لآل العقود
كم بنات الدنان زوجن بالما * لدينا وكنت بعض الشهود
وأقالهن عرس التهاني * بوريف من المنام مدود

(وله أيضا)

يا أهيف القد جاوز * ت في التمايل حدك
كم ذا تتيه على من * يرعى لك الدهر ودك
والله مذ مال قلبي * اليك ما خنت عهدك
كم غمت عندي أجني * من روض خدك وردك
وبت تشرب نفسي * وبت أشرب خدك

(وله أيضا)

وحياة العيون تنفث سحرا * وغصون القدود تثمر بدرا
وجمال سبي عيون البرايا * فهي سكرى به وليست بسكرى
وعيمنا عنطق ينثر الدر على مفرق البلاغة نثرا
ما أرى في الورى سواك وأني * ملت أشهدتني جمالك جهرا
لا ولا في الفؤاد غيرك فاشهد * يا حبيبي فصاحب الدار أدرى
أنت رب الجمال حسا ومعنى * ومليك الجمال نهيا وأمرا
رب صب يبيت حيران حرا * ن به في الغرام أشعلت جمرا
ذل في وجده لديك ولكن * بتصابيه عز قدرا وصبرا
فتداركه واربح الاجر أولا * أعظم الله فيه عندك أجرا

(وقال أيضا)

هل المجد الا عزمة قرشية * تطاطأ رضوى دونها وثبير
وصولة فتاك هزبر تطاولت * به رتب عنها السماك قصير
اذا استل ما بين السماطين سيفه * ترى الهام فوق الهام منه يطير
وان هز أعطاف القناة بكفه * ترى ذلة الشجعان كيف تصير

حليف المعالى بهاوامامها الخليق بها والمدعون كثير
فتى لايؤم المجد غير جنابه * ونحو سواه المجد ليس يسير
مليك سرير العز ما كمه الذى * له النصر جند والفخار وزير

(وله أيضا)

ان فى الشاروخ معنى * لذوى الالباب عبره
ان تعالى فهو فرد * أوتدلى فهو كثره

قلت والشاروخ لفظة مصرية وهى نوع من ملاعب النيران معروف وله أيضا

خليلىّ اما جئتما حىّ قاتلى * فقولا له مضناك ملتمس نظره
فان تريا فى الوجه ما بشاشة * فانى لا أخشى خليلىّ ما أكره

(وله أيضا)

أنظر الى ثمر الخيار الشنبر * كالغيد تخطر فى قباء أخضر
أكمامهن معصفرات أسدلت * للرقص فى روض الجنان المزهر

وقال من قصيدة يتشوق بها الى الكعبة المشرفة

أودعتك الله سلاما على * وجه سليمى أيها البرقع
فليت اذ أدعو وقد شط بى * عنها مزارى للدعا تسمع
أستغفر الله لقد أنعمت * بما أرجيه وما أطمع
حتى بذكرى حولها دائما * حمائم فى حيها تسجع

وقال من قصيدة أخرى

ان قلت فالدر الثمين قلائدى * شرفت به الاعناق والاطواق
أوقلت فى شرح الغيوب فاننى * ثمر القلوب وغيرى الاوراق
هذا لسان محمد الحمد الذى * من وصفه تتعلم الاخلاق

(وله أيضا)

أأكون وافد ساحتك * ونزيل دار كرامتك
ويصيبنى أدنى أذى * كلا وحق سيادتك

(وقال أيضا)

صوح النبت فاسقه * قطرة من سحائبك

واغثنا فاننا * فى ترجى مواهبك

(وله أيضا)

بين أهل القلوب والحق حال * وهو سر يدق عنه المقال
ما لشخص الى علاهم طريق * بل ولا فى ميدانهم ذا مجال
احذر احذر أهل القلوب وسلم * أمرهم انهم فحول رجال
لا يكن منك ذرة بنكير * فسيوف الاحوال فيها صقال
فاذا ما رأيت نكرا فأول * ليزول الانكار والاشكال
لا تردو سعة المقال بحال * رب حال يضيق عنها المقال
لو ترى القوم فى الدياجى سكارى * وعليهم أديرت الجريال
كل بسط من بسطهم مستفاد * كل عطف بسكرهم ميال
شاهدوا الحق من مرايا النفوس * جل عن كشفها الرفيع المثال
انما العين بالحقيقة للعين تجلت فما هناك خيال
تحت استار عزة وجلال * ما سواها جميعها أسمال
يا لقومى من سكرة بمدام * ما لعقل الندمان منها خبال
هاتها هاتها على كل حال * واسقنيها فما عليك وبال
كل ذنب لشاربيها مباح * وعثار لمحتسيها يقال
لا تبالى بعاذل فى هواها * لم يذقها فقوله بطال
فشمال والكاس فيها يمين * ويمين لم يخل منها شمال

(وله أيضا)

سربى الى حيهم ودعنى * فى أى طور فلا أبالى
فان مولى الكرام منهم * فابشروا أيها الموالى

(وله أيضا)

حدثنا نفح عبير الخزام * عن وجنة الوردة ذات الكمام
عن عذبات الرند مسدولة * عن قامة الغصن رشيق القوام
عن ناظر الاعين من نرجس * من ضاحك الزهر بدمع الغمام
عن سائل الجدول فى روضة * بدوحها الأملد غنى الحمام

عن فتيات لحن وقت الضحى * فنادت الشمس هبوا الى لثام
عن نعس الأعين مكحولة * عن لعس فوق حباب المدام
ان سليمى أسعفت بالمنى * وأسعدتنى ببلوغ المرام

(وله أيضا)

ألا قل لربات الرباوالمعالم * عقائل خدر الحى من آل هاشم
أيا ساكنات المنحنى من أضالعى * هوا كن حرزى فى الورى وتمائمى
فلا افتتحت الابكن فواتحى * ولا ختمت الا بكن خواتمى

وله أيضا من قصيدة

أزال من نوره حجب الجفا وجلا * من بعد ماذبت من ذاك الجفا وجلا
كم عاذل قد لحانى فى محبته * ومادرى اننى لم أسمع العذلا
تالله ماخطر السلوان فى خلدى * أعيذ بالله قلبى أن يقال سلا
وبى مليح كغصن البان ذو هيف * سقيته الدمع حتى أثمر القبلا
أهوى هواه ولو ذقت الهوان به * وكيف والعز يهوى من به اشتغلا

(وله من أخرى)

جريح ظبا تلك العيون النواعس * طعين قنا تلك القدود الموائس
تزايد فى لبى هواه وبشه * فصير قيسا ضحكة فى المجالس
رأى والهوى يولى الفتى كل محنة * شموسا تجلت فى رواق الحنادس
دمى صانها عز الجلال توشحت * برود جمال من أرق الملابس

القسم الرابع فى ذكر الروم وما اتفق لى فيها وذكر من لقيته بها من رؤسائها وعلمائها وبقية دهمائها

لما رأيت الدنيا ميدانا والاجساد فيها خيل عتاق والمسابقة فيها الى الخيرات من أجل السباق والله الملك الجواد المجازى كما قال تعالى والذين يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ونبت بى الاوطان وعادانى الزمان والارض واسعة ان ضاقت صدور الرجال ولا يصلح النفس ان كانت مصرفة الا التنقل من حال الى حال

وأقسم ان لم يحظنى الدهر بالغنى * لأمتطين الصبر اذ حرن الدهر

قت لعنان العزم ثانيا والامل حادى وارتحلت الروم والقضاء والقدر سائق لى

وفؤادي وقلت اذا كان أصلي من تراب فكل الانام أقار بي وكل البلاد بلادي فان ضاق على ناقتي فرعي الغضى فزمامها بيدي وماضاق الفضا وان ضاق الفضاء على الركاب فلله سفن تجري وبحر عباب فلم يكفني البين حتى ابتليت بالبين والغراب

وقالوا ركبت البحر شرقا ومغربا * وقاسيت في الاسفار هول قيامة

فحدث بما لاقيته من عجائب * وأغرب مالاقيت قلت سلامتي

وهو مركب كثير المعاطب والانسان مخلوق من طين والطين في الماء ذائب ولكن الله تعالى من علينا بالسلامه وأنعم بلا كدر للوصول لدار الاقامه فرأيت فيهما من العلماء والاشراف ماتنقطع دون بيانه النعوت والاوصاف فثافنتهم في مدارسة العلوم واستفدت منهم ماتسهر لمسامرته عيون النجوم لاسيما العلوم الطبيعية والرياضيه ومقاطع الانظار المنطقية والكلاميه فظفرت ولله الحمد بما حمدت به عقبى السرى وربحت فيما أنفقته من رأس مال العمر أنفس مشترى وقلت نور على نور وتجارة لن تبور فكان ممن لاقيته وأدرت معه كؤس المذاكرة فعاطاني وعاطيته علي بن الحناءي وهم بيت علم وأدب فيه شرف نسب علي وحسب وعماد ذلك البيت الذي ليس فيه لو وليت

علي بن الحناءي بن أمر الله الحميدي كامل أخلاقه توأم نسيم السحر وعيون آثاره منازل عيون النوار غب المطر فهي في مذاق النهى ألذ من الامل وأحلى من الحياة المقتنصة من يد الاجل وأشعاره بالالسنة الثلاثة في وجوه الطروس تفضح الحلي والحوز وتجذب بأيادي لطفها عنان الفؤاد والبصر تشابهت معانيه الدقيقه بكاسات كلماته الرقيقه فسر الدهر ذكره وعطر برد الوجود نشره

وأرى الحجيج اذا أرادوا ليلة * ذكراه أخرج فديةً من أحرما

أدار في الروم من الادب كاس حمياه ونشر بار جائها أرج أنفاسه حتى تعطرت برياه ببراعة يصف لسان يراعها نفثات السحر وفضائل أرخصت صنائعها بضائع الشعر وعلو قدر يعم هامة الراسيات وسوابق عزم تقف دون مداه أصناف الصافنات تشرف قضاء العسكرين بحكم أحكامه ونشرت على أعلام تلك الاقطار خافقات أعلامه وله رحلة لمصر ألبس فيها أعطاف مجده بردا ونظم بها من الشعر العربي في جيد الدهر عقودا فما صدحت به حمائم فصاحته على قضب البراع وتلت ألسن

براعته ماثنى اليه أعنة الابصار والاسماع قوله

أرى فى صدغك المعوج دالا * عليها نقطة من مسك خالك

فصارت داله بالنقط ذالا * فهاأناهائم من أجل ذلك

وهو أحسن من قول الخوارزمى

وأراك خديه ولاح عليهما * صدغان ذو خال وآخر خالى

فكأن ذا ذال خلت من نقطة * وكأن ذا دال ونقطة خال

ومن قول أبى بكر الخوارزمى

نقطت صدغك دالا * قالوا بل من شكل ذلك

لوأن ذالك ذالى * سجدت شكرا لذلك

(وله أيضا)

أسروه من ثغر العدو فأصبحوا * أسرى بعيسى الشهى وثغره

أسروه كى يعسى أمير جمالة * فهو الذى ملك الفؤاد بأسره

(وله أيضا)

قالوا تبدى وجه من أحببته * فى عارض بخيال وجهك فارضى

شمس الجمال تسترت فى عارض * دع عنك دمعا مثل بحر فائض

فأجبتهم ياقوم ان محبتى * ذاتية ليست تزول بعارض

وهو كقول أبى حيان

راض حبيبى عارض قد بدا * يا حسنه من عارض رائض

فظن قوم أن قلبى سلا * والاصل لا يفقد بالعارض

(وله أيضا)

ولائم لام فى حبى لذى غنج * لما رأى فى حواشى خده لاما

فقلت ذى لام تعليل بوجنته * تبين علة من فى حبه لاما

وهو كقول ابن نباتة

لام العذار أطالت فيك تسهيدى * كأنها الغرامى لام توكيد

وقول ابن رشيق

يارب أحور أحوى فى مراشفه * لو جادلى بارتشاف برء أسقامى

خط العذار له لا ما بعارضه * من أجلها يستغيث الناس باللام

وله وان لم يكن مما نحن فيه

لك تدريس ولكن * عين تدريسك لام

ولصاحب الترجمة

وافى وأنفاسي تصعد من جوى * فقال أمن كأس الصبابة تغتبق

وهل تحترق الحب قلبك في لظى * فقلت أجل ان القلوب لتحترق

ونحوه لابن المبلط

يا ناعما وقنه * من فوقه كحل جن

يحققنه عبائه * مالى أراك تحتقن

وللشهاب المنصوري

قلبي بحبك قد علق * فامنن له وصلا ورق

يا من يحمل مهجتي * في حبه مالم تطق

ها قد ملكت جوانحي * فانظر تجدها تحترق

عيناك تسترق الحشا * ولكل حر تسترق

ولعلي الحنائي في شرح الكشاف للسعد

لقد قلت لما أن تملكت نسخة * لفاضل تفتازان من شرح كشاف

عليك سلام الله يا سعد اننا * نداوي عليل الجهل من شرحك الشافي

وله من قصيدة أخرى

سقى الله عيشا في ظلال ربوعهم * حلا ذكره في الذوق وهو مدام

ليال لنا في مصر وصل كأنها * على وجنة الدهر المنمنم شام

يحين حمامي من حنيني ولوعتي * اذا ناح فوق الايكتين حمام

وتشبيه الليالي بالشامات هنا لا بأس به ولكن أين هذا من قولي لمن لا داء به وله اذن واعيه

سقى الغمام وحيا صفو مرتبه * عصرا تقضى مع الاحباب ألوانا

سود الليالي به شامات لو ظهرت * في حسن وجه زماني كن خيلانا

وله رسالة قلمية منها

لك الحمد يامن أكرم الناس بعدما * هداهم الى التقوى وعلم بالقلم
يؤلف بين الكاف والنون آسرا * وينقش لوح الكون من ذلك الرقم
ويحب من التسليم يسكب وبلها * على مرقد فيه المروأة والكرم
تجافى عن الاقلام طرف بنانه * وقد نسخت من دونه كتب الامم

صلاة الصلاة والسلام عليه وعلى آله الكرام وصحبه العظام مالاحت علائم الاعلام فى وجوه الاماثل وناحت حمائم الاقلام من غصون الانامل (وبعد) فان بعض الموصوفين بالبراعه اعتنى بوصف البراعه وأحرز قصبات السبق فى مضماره وحرم على مصليه أن يؤم شف غباره ورسم بدائع المعانى على لوح البيان فصار ماسطرته أنامله يشار اليه بالبنان وهذا نسج على مثاله ونسج على منواله وشتان بين من اذا ركب القلم أنامله خضعت رقاب الانام له وبين من يكتب فيلغى ويقول فلا يصغى والله المستعان وعليه التكلان ياسائلى عن صفة القلم انه فى العلم علم يتراءى فى بيداء النور والطور وكتاب مسطور فى رق منشور يعجز عن بيان غرر وصفه بنان الافهام ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام ذو اللسانين واللسن والبيان العذب الحسن فقيه فائق سرح فى رياض الهمه فاقتطف شقائق النعمان حكيم حاذق جلس على خوان الحكمه فالتقم حقائق لقمان درس العلوم الرسمية فهو المعلم الاول وجدد مادرس منها وماعلى رسم دارس من معول مد باعه فى العلوم وقده قيد شبر حبر ماهر اذا رأيت أثره تقول ما أحسن هذا الحبر قادر على تحرير العلم وتحبيره يتكلم فيذر على الكافور عنبرا فيا حسن تعبيره اذا أنشأ أغرب واذا أنشد أطرب واذا أعجم أعرب واذا أشكل رفع الاشكال واذا قيد أطلق العقول من العقال يترجم عن الوحى والالهام واذا رفعه الابهام رفع الابهام مزن منه شآبيب العلوم واكفه غصن عليه طيور النهى عاكفه طالماجال وجاب وسأل وأجاب فأبدى العجب العجاب طورا يشرب من كؤس المحابر فيتمايل كشارب ثمل وطورا يخطب على رؤس المنابر فتراه كشيخ عبراته تنهمل وتارة يجلس فى الدست مثل الكرام الصيد ويبيت على كهف المحبرة باسط كفيه بالوصيد متجرد خلى نفسه للتزهد متعبد رافع أصبعه للتشهد يحدث باحاديث الليالى للانام ويظهر ماجرى على لسانه فى صفحات الايام كأنما يتنزه فى مراتع الطرب ويتبختر فى

ملابس القصب اذا نشط مداره فشط عنه مزاره فهو يبكى كالغمامه وينوح كالحمامه يتذكر لداته وأترابه ويحن الى أول أرض مس جلده ترابه

ينوح على رسوم دارسات * كنوح حمامة بارقتين
وقد ينعى الى أهل التصابى * نوى الاحباب مثل غراب بين

ضربوا عنقه فطال عناؤه وشجوا رأسه فسال دماؤه أولج نفسه فى المهالك وأدلج فى ظلام حالك فارتعد من خوف ذلك صب ناحل متى بلبل الفراق ترنح ولها أو كريم اجتداه معدم ماحل فهو يهتز لها على منبر الاصابع خطيب مصقع ألف تراه تارة فى الدواة وأخرى على الاصبع بث مصونات السرائر فاشير اليه بالسيف والنطع وسرق مخزونات الضمائر فحكم عليه بالقطع يصبر مثل أيوب على البوسى ويصير كلما اذا مر على رأسه موسى غريب هجر هنده وواسطه وصار بين الهند والروم واسطه يقوم فى خدمة الناس فاذا قلت له أجر يقول على الرأس يتعيش بكسب يمينه ويقتات من عرق جبينه

أرضعه الجدول من بعدما * رباه فى منزلة شطه
ماظهر الشعر على وجهه * فاعجب له كيف بدا وخطه

يوسع كالاحرار جودا وطولا ورقبته كالعبيد فى يد المولى فهو على مايقاسيه من الحزن والكآبه لايطلب من مولاه الا الكتابه مداح لكنه لايفارق الهجا يسترطرة الصبح تحت أذيال الدجى معدل معروف بالاستقامة أمين مجرد لايميل الى اليسار فهو من أصحاب اليمين بطل يطأ فى الطعان على الرؤس علم يأتيه الفتح والظفر وهو منكوس رمح من رماح الخط يمارس الطعن وما انفك عنه قط طرف يجرى فى الميدان وهو معقود اذا قصدته لايحصل المقصود وسهم فى الاغراض مصيب وليس له منها سهم ولا نصيب ثعبان لايزال يحرق مامر عليه بأنفاسه تمشى الثعابين على بطونها وهذا يمشى على رأسه أرقم يبلغ الاساود أدهم تقيد به الاوابد حية تنغمس فى بحر رتق الماء وتخرج منها وفى فمها دودة سوداء يلدغ الاكباد كأنه عسال ذابل ويشفى الفؤاد كأن فيه أربا اشتارته أيد عواسل أكمل أمره فى السباحه وأفنى عمره فى السياحه يقطع الفيافى وهو رجلان حافى تارة يخرج الفرائد من البحور ويجعلها قلائد بيض النحور عليه من السواد عمامه كأنه عباسى طالب للامامه

سفاح ذو خلاعة ومجون رشيد أمين الا أن طغيانه غير مأمون يجر من الهند جحفلا كالبحر ماجت راياته ولا تنقطع عن ممالك الروم دقائقه وماجرياته يرتب الكتائب فى المصاف ويدرعنه بالرمح الرعاف شادا اذا غنى شفى المفؤود كأنه أوتى مزمارا من مزامير داود أشقر يحب أن يخب فى المرج ألف القطع الا أنه لا يثبت فى الدرج ألف اذا فارق النون فهو صاد حرف نفى كل دال عن عينه الرقاد مطلق لا يعتريه الاسر مرفوع الا أنه يدخل عليه الكسر يستعمل مفردا ويجمع ويكسر على قلة أجوف ويعد ناقصا اذا كان فى حرفه علة ثلاثى عينه لام صحيح الا أن فاءه عين السقام مشتق يصدر من حرفه الافعال عامل اذا كسر يبطل عن العمل فى الحال لسانه ذلق وقلبه ملق لفظوا باسمه فصيحا وهو محرف وأراد أن يصحفوه فلم يصحف ميزاب عين الحكمة منه نابع مقياس يبصر العلم عليه بالاصابع أخرس لكن لسانه قارى يتكلم بعد ما جز رأسه وهذه حكمة البارى تتعجب من أمره العقول ويسأل عنه الملغز ويقول

ما أمرد منه القوام مقوم * والرأس منكوس كشيخ فانى
أبصرته فرأيت منه عجائبا * حدث ترعرع سنه اثنان

كفى من رتبه أن الله أقسم به جل لو لم يكن قدره أجل لما قبل يد المولى الهمام ولما طوقت أياديه رقبة الحمام مولى عيون ذوى الانظار الى مرود قلمه ميل وذر ورتربة قدمه يجلو جفون أولى الابصار من رأس ميل اذا سح سحاب كماله ترى سحبان فى روض الفصاحة باقلا واذا فاض معين افضاله ترى معنا لحوض السماحة مادرا باخلا اذ انتثر نثر الدرر واذا انتظم نظم الغرر حرف من ذلك البنان وطرف من سحر البيان سطر من تلك الأنامل وشطر من حقائق المسائل

فى طرفه أدهم يجرى على سنن * من رأس أصبعه الغراء غرته
أبو العلاء اذا أضحى يعارضه * يبين عنه وقد بانت معرته

اذا ألقى الدروس يحيى رباع العلوم بعد الدروس واذا تعب براحته قلم الفتيا تصل الى كل راحة الدنيا وتعلو كلمة الله العليا قلمه فى بنانه المدرار كأنه قضيب نبت فى الانهار يسعى قدم العلم فى مداد محاسنه وهو كسير وينقلب بصر البصير خاسئا وهو حسير وانى وان أعمل صوارم البراعة ومضاها وأبلغ من مسالك البراعة مداها

والمع

وأملح من غرف الابداع وغوانى المغانى وأصمى بظبى الاقلام ظباء المعانى لو رمت
تعديد نجوم بروج فضائله التى تتنافس بها الاماثل وتتباهى وتتناهى الايام وهى
لاتتناهى لعرفت أنى محصور فى غير محصور ولاعترفت بأنى من جنان مدائحه فى
قصور لقد غدا سابقا فى حلبة العلياء أمثاله اذا تناولت الاقلام راحته تقول
ماقصبات السبق الا له لازالت خمائل الفضائل برشحات أقلامه مخضله ونسائم
الاصائل بنسمات أنفاسه معتله ولابرحت تضحك ببكاء أقلامه الطروس ويرى فى
صورة خطوطه حظوظ النفوس ماتغنت الاقلام بصريرها والانهار بخريرها
وضحكت الاسحار بشروقه والامطار ببروقه بحرمة من لولاه لم يخلق اللوح والقلم
ولم يعلم الانسان مالم يعلم (وله رسالة سيفية) منها وبعد فان السيف فى حنادس
الوقائع شهاب ساطع والى ممالك المعالى صراط واسع وعلى مسائل العزائم بيان
قاطع وان كان فى أواسط الناس بالتقليد مشهورا فأردت أن ارصعه بجواهر
التوصيف وأحليه بعلائق التعريف ومنها

يعرف ضروبا من فنون الحرب * وهو مجد فى كل كر وكرب

اذا اشهر يشرق النور من غربه فهو المشهور بالشرق والغرب ذو علائق لكن اذا جرد
يكون من أصحاب اليمين وقد يعتكف فى خلوة القراب فيكون من المقربين جدول
ربما يشق من الدروع بحرا مواجا يفتح باب النصر فترى الناس يدخلون فى دين الله
أفواجا ذو وجهين له طبع حديد وبأس شديد جدول ماهب عليه نسيم النصر
شعلة نار ترمى بشرر كالقصر نار يؤججه ضاربه ماء يغص به شاربه نهر ملآن تسقى
به حمى الابدان فيجعلها حدائق ذات ورد وشقائق عالم لاينظر الى متن الا ويشرحه
حاكم لايحضره شاهد الا ويجرحه شارح له متن متين على فى صحائفه سورة الفتح المبين
حده ذاتى وقوله قول شارح يبين بدقائق فرقه وجلى شرحه مشكلات المطارح
عالم فى الضرب والتفريق ماهر فى العلوم القطعية على التحقيق اذا طلب منه شرح
الخفايا ينشرح لها ويهتز طالما طبق المفصل فى الابانة وأصاب المحز مرآة ينطبع
عليها صورة الحتف ومنها * شروق غربه يسفر عن فجر يوم الحرب * كأنه جدول
ماء جرى فى ساحة روض فظهر منه رؤس نباته أو لمعة ضياء دخلت من كوة بيت فبدت
على صورة ذاته النبل له كالخدم والرمح يقوم فى خدمته على القدم بل الرمح من

حبه ذابل فهو كالملك الجليل والرمح له عامل اذا رآه القوس يقول مالى من جنس بسالتك سهم واذا لاقاه الدرع يدخل حلقه بعضها فى بعض من الوهم نهر من بحر الحرب تسقى به قصبات الرماح لم تبد على غدير الدرع أمواجه حتى هبت من شطيه للنصر رياح ذكرله حيضه طائر يقع على البيضه أغرق اطلال وجود العدا بسيل أقطار السهام وأنهار الصفاح ونزح حماة أرواحهم بدلاء المغافر وارشاء الرماح يجرى بحارا من العساكر فيها أمواج الدروع وفواقع المغافر ومنها الازالت ألف سهمه مع نون قوسه المشدده لجملة خبر بسالته وايالته مؤكده ولابرح شكل دبوسه همزة لقطع الآجال وسين سيفه مقربة عمر العدو من الاستقبال الى الحال ومنها هذه جواهر مدح ترصع بها هذه السيفيه وحمائل تشد فى جيد الحمية الأدبيه (ومما يحسن هنا ايراده الرسالة السكينية) وهى لابن حجة

يقبل الارض التى قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفقر بمسنون عزائمها وينهى وصول السكين التى قطع المملوك بها أوصال الجفا واضافها الى الادوية لحصل بها البرء والشفا زرقاء كم شاهدت البيض منها ألوان خرساء ومن العجائب أنها لسان لكل عنوان ماشاهدها موسى الامجد فى محراب النصاب وذل بعد ماخضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعدما خط وعلى الحقيقة مارؤى مثلها قط كم وجد بها الصاحب فى المضائق نفعا وأحكم بحسن صحبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالناب والنصاب معلمة الطرفين أغلة صبح تقنعت بسواد الدجا معوذة بالضحى والليل اذا سجا ولسان برقت لمعته فى لهوات الليل فتنكرت أشعة الانجم حتى ماعرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذا لم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم أن السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد

من أجلها تدخل فى مضائق * ليس لسيف قط فيها مدخل
وكلما تفعله توجزه * والرمح فى تعقيده يطول

ان هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف تنسى حلاوة العسال فلا يظهر لطوله طائل وتغنى على آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها المحلى تركت المعادن عاطله ولم يسمع للحديد فى هذه الواقعة

بحالة

مجادله شهد الرمح بعد التة أنها أقرب منه الى الصواب وحكم بصحة ذلك قبل أن يتكمل لها النصاب ماطال فى رأس القلم شعرة لاسرحتها باحسان ولا طالعت كتابا الا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عمدة من العدد وعده وتالله ماوقعت فى قبضة الا أطالت لسانها وكلت بحده ان دخلت الى القراب كانت قد سبكت على الدخول أو أبرزت من عتمة كان على طلعتها الهلالية قبول تطرف بأشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على الخمس وكم لها من عجائب تركت جدول السيف فى بحر الغمد وهو غريق ولو سمع بها من قبل ضربه ما حمل التطريق فلو عاصرها الكمال لعرك من فرسه الاذنين وقال له جددت رسالتك ياذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها وكان لك يد يعتمد وصلت السكين الى العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى هذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم الاما حملت ظهورها أو الحوايا أوما اختلط بعظم ولو لمحها الفاضل لحقق قوله أن خاطر سكينه كل أو أدركه ابن نباتة لما أقر برسالة السيف وفل وقال لقلم رسالته أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك ولم يقصد المملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها الالتكون مختصرة كخدمها لازالت صدقات مهديها تتحف بما يذبح نحر فقرى وتأتى فى كل حين بما يشفى داء الفقر ويبرى بمنه وكرمه (تتمة) قوله بنان الافهام استعارة ركيكة فيها لكنة رومية والطبع نزاع ولما قال الشاعر

نوائب غالتنى فأبدت فضائلى * فكانت وكنت النار والعنبر الوردا

فلولا علاه عشت دهرى كله * وكيس كلامى لا أحل له عقدا

قال ابن بسام كيس الكلام يضحك من برده ماء الملام وقد قال الصاحب كنا نعجب من ماء الملام فى بيت أبى تمام حتى عذب عندنا بحلواء البنين فى قول المتنبى

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا * فلا تحسبنى قلت ماقلت عن جهل

فكيف لو سمع استعارات هذا العصر كقوله (بقراط حسنك لا يرنو الى عللى) وقول المصيصى

اذا كانت جفانك من لجين * فلا شك الغنى فيها ثريد

وقول ابن برد

ياشاعر الحسن بي ترفق * لاتقتلني كذا بديها

وابن عمار وان تبعه فقد ضعفه في قوله

روي ليضرب وابتدهت بضربة * ان الطعان بداية الفرسان

انتهى وقوله حتى يتوارى بعضها في بعض هو كقول الآخر في كرسي المصحف

حملت على ضعفي الذي كلماته * لهيبتها ينصدع الجبل الراسي

تداخل مني البعض في البعض هيبة * لان كتاب الله أضحى على راسي

ولظافر الحداد

انظر بعينك في بديع صنائعي * وعجيب تركيبي وحكمة صانعي

فكأنها كفا محب شبكت * يوم الفراق أصابعا بأصابع

ونحوه قول ابن رشيق في الدرع

كلما دارت بها أبصارنا * صورت فيها مثال الحدق

أو جست في الحرب من وخز القنا * فتوارت حلقا في حلق

وعكسه قوله في سبحة

ومنظومة الشمل يخلو بها اللبيب فيجمع من همته

اذا ذكر الله جل اسمه * عليها تفرق من هيبته

ولابن عبد الظاهر فيها

وسبحة أناملي * قد شغفت بحبها * مثل مناقير غدت * ملتقطات حبها

وأما ذكره الحيض مع الذكورة فمعنى مشهور قديم كقوله

ومن العجائب أن بيض سيوفهم * تلد المنايا السود وهي ذكور

وممن تشرفت به متنبي ذلك الزمان

(عبد الباقي) ربيع مجد هطلت سحائب فضله وبحر شعر استخرج جواهره غواص ذكائه ونبله مشحوذ أسل العزمات مصقول حد همة تكل عندها ألسنة المرهفات تضيق عن جيد معاليه عقود التفاصيل والجمل ويلقى ظامئ المسامع منه ورداعذبا لايسأمه العلل والنهل وهو معجزة تحدى بها آل يافث وساحر ألقى العصا لكل من كان في عقد البيان نافث أخلاقه تفضح نسيم الصبا في الصباح وتسكر بنشأة شمولها أرواح الاقداح فيضحك حبابها على ثغور الكؤس المملوءة برضاب الراح

قوله حتى يتوارى الذي تقدم في بيت خلف

وهمته

وهمته لم تغمد صوارمها الا فى اجياد المطالب ولم تطأ أقدام أقدامه وعزائمه الا على هامات المناصب

قد حكى الصارم المحلى سوى * أن حلاه جواهر الآداب

وكان فى عنفوان عمره يحسن صناعة السروج وهو رخى اللبب طلق العنان لاعبه فى مضمارها الغب حتى رمقه ناظر السعد وابتسمت له مباسم المعالى والمجد فتشرف بخدمة خاتمة المفسرين أبى السعود فرنا اليه الدهر بعين الرضى وعيون الخطب رقود فانتبه طرف سعده من نومة الخمول وتيقظ وقال الدهر انظر الى البخت والحظ فى قصة شرحها مطول وعلى الجد بعد معونة الله المعول فاظهرت ضمائر الايام ما كانت تنويه وصرفت له الجدود العاثرة كل رفعة وتنويه حتى تولى قضاء العساكر وراقت له من مشارب آماله الموارد والمصادر ولله فى تصريف الدهر ما يجعل الآمال أموالا ويقلب الامور حالا وحالا وكنت لما ألقيت بسدة الملك عصا التسيار ونفضت عن وجه الهمة قتير الاسفار رأيته وقد أحالت الليالى بنفسجه ياسمينا وبدلت سبج شعره المسود لجينا

صبغة الله الذى جل ومن * يصبغ المسود مبيضا سواه

وأنا بالروم أسير وفى قيود الغربة أمرح وأسير

ملاعب جنة لو سار فيها * سليمان لسار بترجمان

وبها من الشعر كل مصقول أطراف الحديث مشحوذ شبا اللسان اذا تليت لطائفه سجد لها اليراع وركع البنان مما هو أشهر من الامثال السائرة وأزهى من عيون أنوار الرياض الساهره عيون ناضرة الى ربها ناظرة ممن لبست بمسامرته حلل المسره وأخرجت بفاكهة العشرة من العسرة ثم انقشعت تلك الغمامة وانجلت وتلا لسان الدهر تلك امة قد خلت

ان الكرام قصيرة * أعمارهم مثل الشباب

وأرى اللئام تجاوزت * أعمارهم حد الحساب

ياليتهم اذ عرضوا * شمع تجسد فى التهاب

فاذا اعترتهم مرضة * فشفاؤها ضرب الرقاب

والديار مملوءة بالفضلاء والاشراف معمورة الاقطار بالأعيان والاطراف ومن

أجلهم استاذى زبدة المحققين ونتيجة مقدمات البراهين

﴿فخر الزمان سعد الدين بن حسن خان﴾ كانت أيامه ربيع الافاضل وسدته محط رحال الآمال وسابلة المسائل تلقى عنده عصا التسيار وتنزل بحرم سعادته قوافل الأسفار والاسفار فهى قرارة ماء سالت به الاباطح وميعاد تلاقى كل سانح وبارح وقد جمع فيه من الكمال ما ليس له مثال وان ضربت به الامثال أما خطه فابن مقلة بعينه وأما فصاحة لغاته فما الابن دريد بجمهرته والخليل بعينه فلو رآه قس بن ساعده والاسود رابضة لديه ألقى له يد التسليم وساعده أيامه تواريخ النعم ومواسم الفضل والكرم فهو مجموعة مطارد ونسخة محاسنه التى قيد فيها غرر الاوابد جمع له من زهرة الدنيا من المال والبنين ما ملأ الملا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فاجتمع فيه وفى نسله ما لم تكتحل بمثله العيون حتى تلا الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من غلبهم سيغلبون فهم ختام مسك العلوم والآداب (رب خير يجىء فى الخاتمات) ومقدمات هى نتائج العقول والالباب فهو مثل السلام فى الصلوات فتم به وببنيه السعد حتى أصابتهم عين الكمال ونزلت نجوم سعدهم من سماء المعالى الى حضيض الزوال ففاجأتهم أم قشعم بغتة بلا اعتدال فقلت فى ذلك وهو معنى لم أسبق اليه

مات من كان يستحى الدهر منه * وله السعد خادم فى المنازل
والمنايا تهابه فلهذا * جاءه الموت فجأة وهو غافل

وكان ممن أخذ عن المولى أبى السعود بن محمد بن مصطفى العمادى الاسكليبى ولد بقرية قرب القسطنطينية سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ودفن بجوار أبى أيوب الانصارى وكان طويل القامة خفيف العارضين وتربى فى حجر والده يرضعه در فضله ويسقيه من منهل كماله حتى علا فرعه على أصله حتى رقى لمرتبة الافتاء بعد قضاء العسكرين فتزين الدهر برشحات أقلامه وأثمرت رياض الفضل بثمرات أرقامه وعيون سعده ناظره ورياض مجده ناضره الا أنه أفرط فى محبة المال والجاه قائلا فى ظل الملك وبارد هواه يهز نخلات تساقطت عليه رطبا جنيا وتناثرت نضيرا نضارا مليا وهو أول من جعل تقديم الاطفال سنه فبقيت تلك السيرة كما سنه فصارت سببا لانطفاء نبراس العلم ودروسه وتعطيل أطلال رسومه ودروسه مع افتتانه بآثار مور وأئمع

كتبه

كتبه وأشعاره

والمرء يفتن بابنه وبشعره * لكن ذلك فتنة العقلاء

على أنه لو قيل انه أشعر أهل جلدته فالرائد لا يكذب أهله فانه أدرى بشعاب حلته فمن جز رمده الذى رواه طالع سعده قصيدته الميمية التى عارض بها المعرى وأين الثريا من يد المتناول) وهيهات هيهات العقيق ومن سم الجنادل وأولها (أبعد سليمى مطلب ومرام) وستأتى ان شاء الله تعالى بتمامها ومن صحبته بالروم ابان الشباب فكان عونالى على الزمان

(عبد الكريم بن سنان) فكنا نتراضع ثدى الكؤس ونتجاذب أهداب الانس فى الدروس وهو اذذاك ناشر أودية الفضل والكرم وعامر أبنية الآداب والحكم فكان كما قلت فى خطابه مثنيا على غرر آدابه

وأنت الذى عرفتنى طرق العلا * وأنت الذى أهديتنى كل مقصد

وأنت الذى بلغتنى كل رتبة * مشيت اليها فوق أعناق حسدى

وكان ينظم وينثر بالالسنة ويكتب من الخط المنسوب أحسنه وله رسائل مشهورة وكلمات على لسان الدهر مأثوره منها قوله فى ذى بطنه أخمدت نار الفطنة فلان ضاعت أوقاته وغلبت على حسناته سيئاته متمحضا للفحص عن أحوال الناس وأخبارهم متفرغا النبش خبايا أسرارهم يسأل كل داخل عن الحوادث ويكثر من البحث عن الناس وفيه مباحث فليته يعرف أن من غربل الناس نخلوه وان من أظهر لهم الصعوبة ذللوه فلهفى على اضاعة أوقاته فى حديث غث وكلام بارد رث تمجه نفس السامع وتتلوث به المسامع ولوأ كل لقمان عاد نجسا من التخم وألقاه الى حيث ألقت رحلها أم قشعم وله اخوان تخالهم كلاب أوذئاب عليها ثياب وكان يتحرش بى حين سخنت عينه وحان حينه وقد قيل اذا جاء أجل البعير حام حول البير

ياسالكا بين الاسنة والظبا * انى أشم عليك رائحة الدم

ومن صحبته بالروم

(السيد محمد بن برهان الحميدى) كان أخى شقيقى وصنو روحى ورفيقى فاضل حماه للمجد حرم وكريم يجلى بغرته صدأ الخطوب وتكشف الظلم وكان يوما بمنزلى

مع الاخوان فارادوا الجرى على العادة فى الدخان فأبى ذلك لانه يراه من منكرات الزمان فقلت له بديها

فديتك جد باذن للندامى * ليأتوا بالدخان بلا توانى
تريد مهذبا لاعيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

فقال بديها وأجاد

اذا شرب الدخان فلا تلمنى * على لومى لابناء الزمان
من الاخوان أهوى طيب خلق * كمثل المسك فاح بلا دخان

﴿بيان أحوال الروم وانقراض علمائها ونشر الظلم والعدوان بين أمرائها﴾

لما انهدم من الفضل بنيانه وانقضت عمده وأركانه وقوضت خيامه واندرست رسومه وأعلامه وصار أمر الفتوى والقضاء والمناصب العلميه بعد العلامة شيخ الاسلام أسعد ملعبة وشعبذة وسخريه والمدارس مأوى الحمير وقلد القضاء من ليس فى العير ولا فى النفير ظهرت اشراط القيامه ولبس لباس الجهل من النعل الى العمامة وولى الامارة الفجار الاشرار فصاروا أقسى من الحجارة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وقد قال أفلاطون اذا تسامح فى القضاة والأطباء دولة فقد أدبرت وقرب انحلالها قلت وكذا كثرة العزل والنصب وقد قيل آخر الدور سماحى فما احدث بها لما سعد الزمان فارتفع كل أسفل واتبعت نتيجة هذه الدولة الاخس الارزل أن فوضت صدارة العلماء ووجهت قيادة الفضلاء لشخص ملقب بأسود الحصى يفنى دون عد معائبه الرمل والحصى فجرت بينى وبينه مخاصمه أدت الى المكابرة والمحاكمه فقلت فى وصفه مقامة هذه صورتها

اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث وألوذ بك يا نور النور اذا دجت ظلمات الحوادث يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ويبين كل منقوص حتى يفر منه أبوه وأخوه فانه مما صب من المصائب أن حمل على كاهل الدهر عيبة المعائب نسخة القبائح مسودة الفحش والفضائح جريدة العيوب تمثال السيآت والذنوب اكسير الفساد وشماتة الاعداء والحساد أنموذج الهموم أظلم من ليل المرض والغموم خط الرجال قائد جيش الدجال قبيح الفعل والقول اذا اعتذر عن اساءته غسل

الغائط بالبول لئيم غير ملوم أجور من قاضي سدوم فصدارته هجو الزمان واظهار لعداوة الاحرار والاعيان فلو لم يخسف بأعاليه لما ارتفعت أسافله على أعاليه

كالبحر ترسب في أسافله * درر وتعلو فوقه جيفه

جعل في بستان مزبل اذا أثمرت البساتين حنظل ان لاح انسان جهل فهو اعينه أو ابليس تلبيس فذاك أستاذه وقرينه فلو عاين أحمد خداعه لحياه وأنشد

فلما نظرت الى عقله * رأيت النهى كلها في الخصا

ريقه الزقوم وأنفاسه السموم فهو لعين الدهر قذى لا ينطق بغير فحش وأذى الجهل رداؤه والجذام حليته وبهاؤه والجنون مجنة له من الاعداء فذاته المكروهة عين السوداء ليس في خلقه من الحكم والاعراض الا أن تقف الاطباء على ما جهل من الامراض وتتضح به دقائق التشريح ويكثر رائيه من الاستعاذة والتسبيح تخرق منه الجسد فكله عيون تنظر من الحسد عرضه دنس مشقق ووجهه قرطاس الرماة مخرق أقبح من عسر بعد يسر لا يعرف انه انسان الا أنه في خسر كله منتن الافاه فاستثنه بخلا وكله بلاء لو سئل عنه ابليس لقال بلى يغلب بسلاح الوقاحة في المبارزه ويظن أن الرشوة مباحة لانها تسمى جائزه ويزعم لنفوذ أمره في الانام ان القول ما قالت حذام لا ما قالت أشأم من طويس وأثقل في السمع من ليس ومعنى يحمل لحية التيس يا عين الشوم وخليفة البوم وسلحة الزمان ونجاسة الديوان ألم يدر من صدرك ولم يخش عجرك وبجرك ان زوال الدول باصطناع السفل

ومن يكن الغراب له دليلا * يمر به على جيف الكلاب

يا خيبة الامل ومجمع السفل ونتيجة السقم وضن اليتم والعقم وعدو الادب وأسود اللقب أما استحى زمان حل في صدره الخصي وأصبح لقدر العلم والمعالي مرخصا مادر لديه حاتم والحجاج أعدل حاكم

لو كان يدري جده انه * يخرج من احليله لاختصى

قربه أقبح من الحرمان وبعده ألذ من وصل الحور الحسان قد نجس الارض نجاسة لا يطهرها الطوفان قرة عين أبي جهل فهو ينشد له بكل لسان

نعلاي أطهر منه * والكلب أطهر مني

لايهتدى الى صواب * حتى يشيب الغراب أو يستضىء شيطان بشهاب سفيه الذم حلية فيه وكل اناء يرشح بما فيه أمجد من هدهد فى خلوته خبير بأن يجنى العصا لسائر خدمته نحوى كم نصب وجر ودوام على مذاكرة مشتقة من الذكر رئيس ليس له صيت وسمعه لم يبت الا وفى دهليزه شمعه أنف بالعجب فى السماء وأست من الابنة فى الماء

كأنه فرعون الا أنه * من جانب الوجعاء ذو الاوتاد

كذاب فانظر وجهه وسواده كأنما ألبس الدين به حداده عار على السلف والخلف أكذب ما يكون اذا حلف حرافه فساد قدح شرر شره فساد فان كان أصله النار فهذا الخلف رماد مفلس من دينه وعقله يقول ابليس انما تركت السجود لآدم لانه من نسله أقبح من النقم وأسوء من زوال النعم أزنى من ظلمه وأمر من غمة على غمه لم يزل يسدى بانتقاصه الافاضل غرضا لانه من قوم فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا لا خير فيه الا أنه لا يأثم له مغتاب بل يحمد ويجازى بجزيل الثواب لم يثلب وهو بهجر القول مغرم صب ومن ذا يعض الكلب اذا عضه الكلب

ان تهجه تهج من فى الارض قاطبة * لانه من مياه الخلق قد جمعا

فان كان ذم الناس جل مناه فما الناس الا هو لا سواه لم تبقه لصحة مزاجه السنون وانما ذلك لانه عافته المنون وقد رفع عن هذه الامة المسخ فما باله عاد ممسوخا رتناهى النسخ للشرع فما باله عاد بصدارته منسوخا قاض لم يدرجه فما أحوجه الى الصك وجوده غلط فى صحف الدهر مفتقر الى المحو والحك نور به المانوية الكلام على أن موجد الشر هو الظلام والتناسخى البيان على أن روح الحيوان تحل فى الانسان فلو لم ينقرض نسل آدم لما حكم هذا القرد فى العالم

فان لقبوه بالرئيس سفاهة * فان الخصى تدعى رئيسا من الاعضا

واذا كان من الدين اعلان النصيحة لعامة المسلمين فعليك بالرأى الاسد فر من المجذوم فرارك من الاسد لانه محروم مجذوم ليس فيه من صفات العلماء الا أن لحمه مسموم حمى الله مزاج العصر من سارى مرضه وصان جوهر هذا الدهر عن عرضه وأنار بالزوال كسوفه وصرف بيد نقاد المنية زيوفه (والسلام)

(فصل) وقد أدى تصدر هذا وأمثاله الى اختلال فى الملك وفتن كان ما كان حتى

تضعضع الزمان ووهن وآل ذلك الى حصاد العلم والدين وان ورد فى الحديث
لا تكرهوا الفتن فان فيها احصاد المنافقين فظهرت أشراط الساعة وصارت كلمة الفحش
والشح مطاعه وفشا العجب والغرور وتقدمت أطفال صدرتهم أعجازهم فى الصدور
واختلطت الاحساب والانساب وعمر ربوع المعالى ذو والعقول الخراب وسدت
تكرمة الشرع للاطباء وأهل النجوم وصادا الصقور الضاربة الغراب والبوم وصار
شيخ السلوك طبيبا يحقن من أتاه والطبيب شيخا يقرب من أتاه الى الله وعلت
الجند المنابر والكراسى وقال العبد للحر رأسك كراسى وولدت الامة ربتها وحاضت
الدولة بعد اليأس فقضت عدتها وصار من فدى دينه يعبد العجل الذى حرث فداد ينه
واستترت الاقطاب والابدال والنجبا واغترب أرباب العلياء واتخذوا سبيلهم فى
البحر عجبا واعتمد بقيتهم الى ركن شديد اليه آوى وزكت القرود الشهود لما
تولى القضاء ابن آوى

اذا ابتليت بسلطان يرى حسنا * عبادة العجل قدم نحوه العلفا

(عجيبة) لما نام الرأى والهوى يقظان ووسد الامر لغير أهله تصدر امرؤ رتب العجان

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

فولى ابنه قضاء لتخت واذا إذ فتح الحانوت بان العطار من البيطار وقال للملك اذا سأله
عنه نعم القاضى قاضى جبول فانه من السادة الاخيار وقد كانوا يشددون على القضاة
فى اثبات غرة رمضان ولا يبالون فى غيره بزيادة ولا نقصان فلما هل شعبان
وانقضى رجب خالف المثل وقال فى شعبان ترى العجب فأمر الناس بالامساك
والصيام وقدم الغرة على المستهل بأيام ولم يكتف بذلك حتى أثبت غرة رمضان
بشهود زور وبهتان لحار الناس فى أمره وسكتوا لخوفهم من شر أبيه ومكره
فكتبت فى ذلك قصة رفعت للملك فى قصره وهى على لسان شهر رمضان

قصتى قد أتت اماما هماما * تشتكى الظلم حين صرت مضاما
رقعة فى يد الهلال طواها * ليراها المليك فى العز داما
أنا شوال الفقير الذى قد * خص بالعيد والصلاة مداما
بعد شهر الصيام قد زرت قوما * جائعا أبتغى لهم اكراما
ولى العبد حلة وهلالى * لى طوق من فوق جيدى تسامى

(قوله على لسان الخ) كذا فى النسخ والذى تقتضيه القصة أنها على لسان شوال اهـ

رمضان اعتدى على وأمسى * سارقا ذاك لا يخاف ملاما
أتقاضى ما كان شعبان منه * سارقا فاعتدى على انتقاما
أختشى ذبحه بنصل هلالى * ثم سلخاله وتركى المقاما
ان دعوا الطول قيل ذا بركات * أنا شهر مبارك صرت عاما
غرقوا زورق الهلال بشهرى * وبحر الدجا لقد كان عاما
لا تضيع حقى بشاهد زور * هو أعمى بصيرة أو تعامى
جبهة انشاهدا كوها فهو وسم * لكذوب عن زوره ما تحامى
ان كى الخسوف للشمس ظلم * وكذا الدهر لم يزل ظلاما
دمت فى مطلع السعادة بدرا * يمحق الظلم نوره والظلاما

وكتبت بعد هذا

يا سيدا أضحى الزما * ن بانسه منه ربيعا
أيام دهرك لم تزل * للناس أعيادا جميعا
حتى لا وشك بعدها * عيدا الحقيقة أن يضيعا

أسبغ الله ظل الخلافة حتى يأوى اليها كل مظلوم وينتصف هلال شوال من رمضان فيعطيه حقه وينقد له دنانير النجوم فان ما جرى عليه فى هذا العام ما سمعت بمثله لليالى والايام ولكنه ما جار واعتدى وانما القاضى المنقوص أتى ببدل غلط ظنه بدل بدا وقد أساء عليه كما أساء ابن الرومى فى قوله لما ضل وما اهتدى

شهر الصيام وان عظمت حرمته * شهر طويل ثقيل الظل والحركه
يمشى الهوينا فأما حين يطلبنا * فلا السليك يدانيه ولا السلكه
كأنه طالب ثارا على فرس * أجد فى أثر مطلوب على رمكه
أذمه غير وقت فيه أحمده * من العشاء الى أن تصدح الديكه
يا صدق من قال أيام مباركة * ان كان يكنى عن اسم الطول بالبركه
لو كان مولى وكنا كالعبيد له * لكان مولى بخيلا سيئ الملكه

(ولبعض الظرفاء)

أترى القاضى أعمى * أم تراه يتعامى
سرق العيد كأن العيد أموال اليتامى

وقلت

(وقلت)

سرق النجم والهلال أناس * فشكى الناس فرط جور القضاة
رب سلم شمس النهار فانهم * سرقوها نتيه فى الظلمات

وكانت هذه سببا الهلاكه وهلاك أبيه ووقع بعدها حريق اشتغل به الدهر وشابت نواصيه وعم ذلك بيوت علمائها فلم ينتبهوا من نوم الغفلة فى ظلمة بلائها وكم قرع لهم الدهر العصا وأمطرت السماء عليهم حجارة البلا وصب عليهم ربهم سوط عذاب فما رجع أحد منهم ولا تاب كما قلت

لعمرك قدعم الحريق ببلدة * بها علماء السوء والجهل أظلما
ومن مالك وافى رسول حريقهم * دعاهم الى نار الجحيم جهنما
فقال اقفلوها واقبضوا اجرة لها * فان هدمت يبنى الذى قد تهدما
فطالبهم خزانها بوقودها * وماصرفوه فى زمان تقدما
فقال لهم رأس الضلال ضمانه * عليهم وان الغرم قدصار مغنما
ومن كثرة الدين المحيط عالهم * أباح رشاقد كان ربى حرما

(فصل) من طرف الأخبار وتحف هذه الديار التى لم يرمثلها أبو العجب وهو الفلك الدوار ماجرى على النسب العلوى من البليه وماعم من دخول أولاد النصارى فى فروع هذه الشجرة العليه من كل مكروه وغير مكره أمه معرفة وأبوه نكره غراب خرج من عش بليل علوى صح نسبه عن الدلدل على أنه وحرمة البيت لوصح هذا الشرف لم يمت سرور وقلبى على هذا النسب الطاهر من الاسف وكنت أتجاوز عن قولهم مولى القوم منهم فأقول حمار القوم منهم ولله در بشار فانه أبصره مع عماه اذ قال فى دعى نسب ادعاه

ان عمرا فاعرفوه * عربى من زجاج
مظلم النسبة لا * يعرف الا بالسراج

(وله أيضا)

ارفق بنسبة عمرو حين تنسبه * فانه عربى من قوارير
مازال فى كير حداد يردده * حتى تداعى بناه مظلم نور

(وله أيضا)

هم قعدوا فانتقوا لهم حسبا * يدخل بعد العشاء فى العرب
حتى اذا ما الصباح لاح لهم * بين زيفهم من الذهب
والناس قد أصبحوا صيارفة * أعلم شئ بزايف النسب

وأغرب ما فى هذا أن هذه الانساب المجهوله والدعاوى التى لا تقوم عليها أدلة مقبوله كان منشؤها من القرى وقد قيل لاهلها أطرق كرا ووظفت عليهم الوظائف السلطانية وقد عم هذا سائر الناس الا العصابة العلية العلوية فللهرب من هذه الغرامه تعصبوا بهذه العصابة والعلامه والعلامة شأن من لم يشهر ونور النبوة يغنى الشريف عن الطراز الاخضر وأكثر هؤلاء الاتراك لو طلب منهم الحسن والحسين درهما ما أعطوه وتبرأوا من نسبه وقطعوا اسبابهم من سببه

وحق لمن قد صح تمييز عقله * اذا ما رأى الدينار أن يترك الفلسا

وقد جعلوا خضرة العمامه علامة للسيادة المستلزمة للتقدم والامامه وربما جعلوا فيها شطفه تدل على أن فيهم من النبوة والرسالة نطفه وقد يفرقون بين أولاد البنين والبنات ولم يفهموا مشاركة حطب الاغصان لهم والنبات ولم يدروا أنه حجة للنواصب وعدة لمصائب الدهر والنوائب

كأن الله لم يخلقه الا * لتنعطف القلوب على يزيد

وقد قال أصحاب التواريخ ان أول حدوث هذه العلامة كان فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة لما أمر الملك الاشرف بمصر أن يميز الاشراف عن الناس بعصائب خضر فى العمائم فقال فيه عبد الله بن جابر الاندلسى

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وقال شمس الدين بن المزين

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا ليمتاز وا من الاطراف

وفى الطبقات الكبرى للامام السبكى من أئمة الشافعية أحمد بن عيسى شارح التنبيه استنبط من قوله تعالى يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ان ما يفعله علماء هذا الزمان فى

ملابسهم

ملابسهم من سعة الأكمام والعمة ولبس الطيلسان حسن وان لم يفعله السلف لان فيه تمييزا لهم وبذلك يعرفون فيلتفت الى فتاويهم وأقوالهم اهـ ومنه يعلم أن تمييز الاشراف بعلامة أمر مشروع أيضا لما سمعته آنفا أقول فيه أمران الاول ان قولهم ان أول ما جعل لباس الاخضر شعار العلويين فى زمن الملك الاشرف يرد عليه مانقله السخاوى فى كتابه مناقب العباس من أن عليا الرضى بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه عهد له الخليفة العباسى وجعله ولى عهده بعده وبويع فغير لباس العباسيين وهو السواد بلبس الاخضر فساء ذلك العباسيين ولكنه عوجل فانه مات سنة ثلاث ومائتين فى حياة المأمون وعد ذلك من الالطاف لما فيه من سد باب الفتنة انتهى الثانى ما نقل من أن زى العلماء والاشراف سنة رده ابن الحاج فى المدخل بأنه مخالف لزيهم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من خير القرون فان قيل انهم به يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزى الاول عرفوا به أيضا لمخالفته لما عليه غيرهم الآن وأطال فى انكار ما قالوه وقد يجاب عنه فتأمل فيه (تنبيه) العلامة التى توضع فى العمامة تسمى شطفة وهو لفظ محدث لم يذكره أهل اللغة وكأنه بمعنى خرقة صغيرة من قولهم فى شظف من العيش أى فى قلة وضيق فاعرفه فانى لم أر من تعرض له

(فصل) فى أمراء الدولة وحكامها وما انتهى اليه حالها فى عهد السلطان مراد فاعلم أن قسطنطينية بها حصون عالية البنيان محفوفة بالبساتين الزاهية والجنان والحب ذو العصف والريحان والاوصاف التى تعزق برود الامكان وقصور عالية البناء فيها أناس على مراتب الهمم مضمخة بعبير الثناء يفيض منها مياه الكرم وتجعل بشائر البشر للجود أتم سلم وحولها أنهار جاريه ومعادن بأنواع الجواهر حاليه ذات غور وأخاديد وأرحام حاملة أطفال الفلزات والمواليد تنبت اللجين والنضار وتبعث خواتيم الله فى أرضه لاخذ كل درهم ودينار الا أن بها أسدا ضاريا غير مقلم الاظفار يمنع يد كل جان من قطف تلك الازهار والتفكه بما فى جناتها من لذيذ الثمار ويحمى من بتلك المساكن من أن يحوم حول جواهر المعادن الا اذا غنمت فرصة لبعض شطارها على حين غفلة من الاسد اذا ذهب لبعض أقطارها اذا رام اقتناص الصيد أو ورد غير أنهارها فيختلس من تلك الجواهر ويقتطف من أيادى الروض غصن الثمر

والازاهر فبينماهم على تلك الحال واقفين بين الآمال والاهوال رجفت الراجفة وجاءت سحابة تسوقها ريح عاصفه فيها وعيد وعود غامرة بالبروق منادية بالرعود فمدت ستائر السحاب وصبت على الارض سوط عذاب وظلت بالرعد صاعقه ورمت ذلك الضيغم بأعظم صاعقه فانشبت المنية فيه أظفارها وأخذت الايام منه ثارها فلم يزل جاثما بغنائها باركا في حومة فنائها والناس تهابه كما عاينت جثته وتهرب منه وتخاف سطوته فلما راوه وقد طال جثومه وقعوده طال انتظارهم لمضيه لصيده وما كان يروده فدنوا منه قليلا قليلا فلم يروا له حركة تنفرهم فدنوا منه فرأوه قتيلا فجاسوا خلال الديار ووردوا الانهار واقتطفوا الزهور والثمار وأخذوا نفيس الجواهر والاحجار ومكث شطارهم زمنا طويلا يأخذون تلك المغانم آمنين من بطش الاسود الضراغم فلما علم ذلك من بالحصن من دهماء الاراذل لكثرة ترددهم آمنين في هاتيك المنازل خرجوا جميعا الى تلك الرياض واستولوا على البساتين والمعادن والغياض واقتطفوا جميع أزهارها وتجاوزوا عن اجتناء ثمارها القطع أشجارها وكان ما كان ان لم يدل على الحوادث ففيها النقصان ولله الامر من قبل ومن بعد واذا استولى النحس على قطر نفى السعد فما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان عود فبدت أهوال المحشر وقال قائلهم انما أكلت يوم أكل الثور الاحمر

من حلقت لحية جارله * فليسكب الماء على لحيته

ولما مرض النخت وكان الطبيب يهوديا واليوم يوم سبت قلت

عنك فؤادي وحقك ارتحلا * وكان بالقصر قبل ذا نزلا
يا عادلا عن رضاء خالقه * صدقت ان قلت انه عدلا
لست لعذل أصيخ مرتقبا * أن يسبق السيف عنده العذلا
فانه قد أتى به مثل * ولست ممن يكذب المثلا
سررت من دولة ظفرت بها * ومن سرور النفوس ما قتلا
مات مراد الورى ومالكهم * تبا لدهر عنه له بخلا
أبعده زهرة الحياة زهت * أو أثمرت في رياضها أملا
قالوا الليالي حبلى فقلت لهم * قد وضعت يومه ببيت خلا

مابال

مابال مولاى فى وزارته * يرفع فوق الافاضل السفلا
يأذن لى حاجب بسدته * وهو لباب الدخول قد قفلا
ولى انصراف عنه بلا سبب * فماله قد تكلف العللا
مودة تشتهى مزورة * عنها احتمى ذا المريض حين قلى
كم جنب كنت قبل تخدمه * عاديته اليوم ما الذى فعلا
ان أجنب الملك اذ دعاك الى * خدمته هل أراه مغتسلا

ولما انتهت الرحله وساق الامل الى الوطن رحله غفرت ما جناه على الزمان وعلمت أن الدهر قدهم بالاحسان وعملت بقول أبى العلاء المعرى أما فساد الزمان والناس فاحلف ما حلم الاديم وان ذلك لداء قديم والهرة بنت النمره والسمرة أخت السمره وبقول البديع لما شكى له ابن فارس فى رسالة له الاستاذ يقول فسد الزمان وأنا أقول متى كان صالحا فى الدولة العباسية وقد رأينا آخرها وسمعنا أولها أم فى الدولة المروانية وفى أخبارها لا تكسع الشول بأغبارها أم فى السنين الحربية والسيف يغمد فى الطلا والرمح يركز فى الكلا والحرتان وكربلا أم فى الهاشمية والعشرة تراس من بنى فراس والامام والبعير فى الحجاز والمبعوث على لا أعجاز أم فى الامارة العدوية وصاحبها يقول هل بعد الركوب الا النزول أم فى الخلافة التيمية وهو يقول طوبى لمن بات فى نأناة الاسلام أم على عهد الرساله ويوم الفتح قيل اسكتى يا فلانه فقد ذهبت الامانه أم فى الجاهلية ولبيد يقول

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول

بلاد بها كنا ونحن من أهلها * اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك وقد يروى عن آدم

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ما فسد الناس وانما اطرد القياس وما أظلمت الايام وانما امتد الظلام وهل يفسد الشئ الا بعد الصلاح ويمسى المرء الا عند الاصباح وهذا مأخوذ من قول على كرم الله وجهه فى بعض خطبه أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها تذمها وأنت المتجرم عليها أم

هي المجرمة عليك متى استهوتك أم متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم علات بكفيك ومرضت بيديك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزودمنها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد عباد الله ومهبط ملائكة الله ومتجر أولياء الله اكتسبوا فيها الرحمه * وربحوا بها الجنه فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت لفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلى وشوقتهم بسرورها الى السرور وهي خطبة طويلة وقد حذا هذا الحذو صاحبنا الفاضل الكامل جامع شمل الفضائل القاضي أويس الرومي فانه لما ظهر الخوارج في زمن السلطان أحمد سلاه كتب له رؤيا واقعة باللغة التركية ولكونها ليست على شرطنا تركناها (تنبيه) قولي مزورة هي اسم طعام يطبخ من غير لحم للمريض الذي يحتمي ولهذا تظرف كشاجم في هجو من ادعى الشرف فقال

شيخ لنا من مشايخ الكوفه * نسبته للمريض موصوفه

لو مسخ الله قلبه غنما * لم يعط منها السائل صوفه

فقوله نسبته الخ كناية فيها نكاية

(سانحة) سميت هذه الرحلة ريحانة الندماء وشمامة الادباء الظرفاء وفاكهة الاعيان والفضلاء لانى ذكرت فيها الاحباب ممن هو موجود فكانى بذكره أستنشق بالآذان طيب عطره وممن هو مفقود فبالثناء عليه والدعاء كأنى أهدى له ريحانا وأضع في القلوب من طيب أحواله طيبا لان قلوب الاحرار قبور الاسرار بل قبور الاخيار لانهم سر من أسرار الله وفي كلام بعض الكبار اذا تحيرتم في الامور فاستعينوا بأصحاب القبور وليس بحديث كما زعمه ابن كمال باشا في أربعينياته وفيها موضوعات أخر فلا تغفل عنه كجهلة الاروام وقد قال لي بعض من رأيته من أرباب الاحوال المراد بالقبور فيه القلوب لما مر وانما خصصتها بالريحانة لانها يشبه بها المحبوب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين هما ريحانتاى وسأل أبرويز بعض ندمائه عن روائح الرياحين فقال رائحة النرجس كرائحة الشباب ورائحة الورد كرائحة الاحباب ورائحة الريحان كرائحة الاولاد ورائحة المنثور كرائحة الاصدقاء وانما خص هؤلاء بالريحان لان الله أنبته نباتا حسنا غضا طريا سريع

الزوال

الزوال ولا يتمتع به كغيره فاذن أقول (أمن ريحانة الداعي السميع) أو أقول قول محمد ابن المعدل

من يهدر يحانا فاني مهدي * ريحانة الحمد لاهل الحمد

أو كقوله

وريحان النبات يعيش يوما * وليس يموت ريحان المقال
فلا تك موثرا ريحان شم * على ريحان أسماع الرجال

(تتمة) لم يزل الناس على وضع الريحان ونحوه من الخضر على القبور وقد ورد هذا في الحديث وفي الاشعار كقول العتبي في مرثية ابن له

كان ريحاني فأمسى * وهو ريحان القبور
غرسته في بساتين البلى أيدي الدهور

وعليه عمل الناس الى الآن حتى وقفوا الذلك أوقافا وأنكره ابن الحاج في المدخل والخطابي فقال شق النبي صلى الله عليه وسلم له والقاؤه على القبر وقوله لعله يخفف عنهما مالم ييبسا كما في البخاري وغيره انما هو ببركة مس يده له وجعل بقاء الرطوبة حدا لما وقع به المسألة من تخفيف العذاب لان في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس والعامة يفرشون الخوص على القبور فكانهم ذهبوا الى هذا ليس له وجه انتهى ورده العلامة ابن حجر في شرح البخاري فقال انه عليه الصلاة والسلام أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة الى آخره وأنكره الخطابي وغيره وقال انما هو ببركة يده أولا مر مغيب علل في قوله ليعذبان الى آخره ولا يلزم من كوننا لا نعلم تعذيبه وغيره انا لا نتسبب في أمر يخفف عذابه كما ندعوله بالرحمة ولم يصرح في الحديث بمسه له وقد تأسى به بريدة الصحابي فأوصى بوضع الجريدة على قبره وهو أولى أن يتأسى به انتهى ولك ان تقول انه معقول المعنى أيضا وعما قلت في هذا

غصن من الريحان رطب اذا * عاينته حزت نعيم الصفا
ولو على قبر امرئ عاشق * مر لاضحى قائما واشتفى
كذا رطيب الغصن من غرسه * يرى عذاب القبر قد خففا

وأنشد ابن عربي في المسامرة ما يدل لما قلناه وهو قوله

في القبر أسرار يراها الذي * عنه غطاء الحسن مكشوف

عاينت قوما عذبوا فى الصدى * كان لهم نقص وتطفيف
فهل لغصن البان من غارس * بقبرهم اذ فيه تخفيف
مادام رطبا يانعا أخضرا * ولم يعم الغصن تجفيف
وفى تأسينا به عصمة * منجية منه وتشريف

وفى هذا تأييد لما قاله ابن حجر تغمده الله برحمته

﴿فصل﴾ عزم عزمى على شد الرحال وزم مطى الامانى والآمال والهجرة عن مصر لما فقد فيها الدين والدنيا والكمال فثبطنى قول عبد المحسن الصورى لاحمد الفخرى لما كتب اليه

أعبد المحسن المرجو لم قد * جثمت جثوم منهاض كسير
فان قلت العيالة أقعدتنى * على مضض وعاقت عن مسيرى
فهذا الدهر يحمل هضب رضوى * ويستثنى بركن من ثبير
اذا استحيا أخوك ولا ظلما * فثل أخيك موجود النظير
ففارقه لكى تلقى كريما * تزول بقربه احن الضمير
فما كل البرية من تراه * وما كل البلاد بلاد صور

﴿فأجابه﴾

جزاك الله عن ذا النصح خيرا * ولكن جاء فى الزمن الاخير
وقد حدت لى السبعون حدا * نهانى عما أمرت من الامور
ومذ صارت نفوس الناس حولى * قصارا عدت بالامل القصير

فقلت لما حل العقل مبرم عقاله وقطع العزم شكال أشكاله لست برجل قصعة وثريد ولا حلسا عهد للعجائز والعبيد وهذا رأى فطير والارض واسعة ولست بعاجز ولا كسير ومن النواسخ ليت ولعل وكل كنتى علل وقد قلت

ترحلت عن أرض يهان بها العلا * فقالت أبعد الشيب تنأى عن الاهل
فقلت مشيبى موقد فوق هامتى * مشاعل أسفارى وقد قربت رحلى
فان خفت طعن السن فالطعن قاتل * لفقرى محى للمآثر والفضل

فستعلم النجائب انى على طى آفاته لجسور وسيدرى الدهر انى على كثرة مكائده صبور ألم تسمع قول البرقعى

رأت عزماتي وطول انكماشي * وطول التململ فوق الفراش
وقالت أراك أخا همة * ستبلغها فترى ذا انتعاش
فهلا أقمت ولم تغترب * فقلت القناعة طبع المواشي

(فصل) لما بني بهذه الدولة المدارس الجليله ورتبت الوظائف والعوائد الجميلة ليرتفع منار العلم والدين وتشرق شمس الفضل من مطالع اليقين قالت الدنيا الدنيه عكس القضيه قضيه فكان ذلك سبب اندراس معالم العلوم ومحو آثار اطلالها والرسوم ودروس الدروس وتقدم الجهلة بشفاعة الرهبان والقسوس حتى آلت الى الاطفال والعبيد لما انتصب للتميز كل جبار عنيد حتى تولى قضاء العسكرين بعض العلوج وقام على رؤس الرؤس الموالى والزنوج

ولو كان عبد الله مولى هجوته * ولكن عبد الله مولى مواليا

فكان اذا مر فى الطرقات قالوا عبد لبس ثياب مولاه فلو رآه مولاه أوجعه سبا ونفاه فتذكرت بهذا قول على بن محمد يهجو العباس بن الحسن لما تولى الوزارة

وزارة العباس من نحسها * تستقلع الدولة من أسها
شبهته حين بدا مقبلا * فى خلع تخجل من لبسها
جارية الكسوة قد قدرت * ثياب مولاها على نفسها

وفى تاريخ الاندلس فى اختلال دولة المنصور بن أبى عامر وقد تربص أعداؤه فى كل مركز أن تدور عليه الدوائر وظل سعده مقعدا بعدما كان المثل السائر أن بعض الشعراء هجا دولته ووجدها المدبر عاثر فقال

اقترب الوعد وحان الهلاك * وكل ما تحذره قد أتاك
خليفة يلعب فى مكتب * وأمه حبلى وقاض يناك

حتى آلت الخلافة ببغاء فى قفص اذا رأى نقد الرشا نهق ورقص ولم يدر أنه من بنى أساس داره أعلاه قصارى قصره أن يهوى به فى الهاوية ما بناه حتى تجبر وطغا وقال أنا ربكم الاعلى فأهلكه الله أشد الهلاك وأنزله الى حضيض المذلة بعد ماسما السماك ورد غربته فى دنياه الى الهاوية التى هى مقره ومأواه وخذل من كان أغواه كما قلت

يا علماء السوء لى مشكل * بقادح الاحزان يرديني

مالذة الكفر فترددونه * لاجل شهوات الشياطين
وغربة الدين كما قد بدا * وفقده الآن يعنيني
ومدة المفقود قد كملت * فرحمة الله على الدين

ونقلت من خط خاتمة العلماء الاعلام نور الدين العسيلى مما أنشدنيه غير واحد من أعيان الفضلاء وفضلاء الاعيان قصيدة واحد الزمان انسان العين وعين الانسان خاتمة المحققين ومسك ختام المدققين مولانا خوجا جلبى أفندى مفتى الممالك الروميه وقاضى العساكر الاسلاميه المترجم من قبل استاذنا جوهر الكمال المكنون وعالم الربع المسكون العلامة شمس الدين محمد القوسى التونسى بسماعى منه غير مرة بما لفظه ما أحسب أن بعد السيد الجرجانى مثله وناهيك بمثل هذا التقريظ الغالى من مثل هذا الجناب العالى ولعمرى انه بمثل ذلك لجدير وانه على ذلك لقدير وهذه الميمية من أدل دليل على صحة هذا المدعى وأوضح سبيل لسلوك هذا المبتغى اذ مثل هذا النفس الذى لو وقع لمثل المتنبى لاقر الناس بمعجزته أو لابى تمام ما أمكن لحاسديه الحاق النقص بمرتبته أو للبحترى لتبصر الاعمى خطأه من وسم شعره بعبث الوليد ولما عده غير لبيد أو لو أخطأه عبيد لما عد مع حر الكلام الا مع العبيد خصوصا من لم يسلك ديار العرب ولا أطل له بيت شعر ولا شرق ولا غرب ولا مضغ شيحها وقيصومها ولا أجتنى أراكها وتنومها أوضح برهان على رسوخ القدم فى فنون الادب وابين تبيان على بذل الجد والدأب حتى انقاد الأبى ودنى القصى وأطاع العصى

وليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

وهذه الميمية المشار اليها

أبعد سليمى مطلب ومرام * وغير هواها لوعة وغرام
وفوق حماها ملجأ ومثابة * ودون دارها موقف ومقام
وهيهات أن يثنى الى غير بابها * عنان المطايا أو يشد حزام
هى الغاية القصوى فان فات نيلها * فكل من الدنيا على حرام
سلا النفس عنها واطمأنت لنأيها * سلو رضيع قد عراه فطام
وصب سقاه الدهر سلوان رشده * فأمسى وما فى القلب منه هيام

صحاعن سلاف الغي بعد انهماكه * عليه فبان الكاس عنه وجام
محوت نقوش الجاه عن لوح خاطري * فأضحى كأن لم يجر فيه قلام
كدأب ديار قد عفتها يد البلى * فلم يبق فيها أرسم وعلام
نسيت أساطير الفخار كأنها * حديث ليال قد محاه عبام
أنست بلأواء الزمان وذله * فيا عزة الدنيا عليك سلام
الى كم أعاني تيهها ودلالها * ألم يأن عنها اسلوة وسآم
وقد أخلق الايام خلعة حسنها * فأضحت وديباج البهاء رمام
على حين شيب قد ألم بمفرقي * وعاد دهام الشعر وهو ثغام
طلائع ضعف قد أغارت على القوى * وثار عيدان المزاج قتام
فلا هي في برج الجمال مقيمة * ولا أنا في عهد المجون مدام
تقطعت الاسباب بيني وبينها * ولم يبق فينا نسبة والتئام
وعادت قلوص العزم عنها كليلة * وقد جب منها غارب وسنام
كأني بها والقلب زمت ركابه * وقوض أبيات له وخيام
وسيقت الى دار الخمول حموله * يحن اليها والدموع رهام
حنين عجول غرها البوفانثنت * اليه وفيها أنة وبغام
وما مستهام تاه في تيه حيرة * فلم يستبن خلف له وأمام
غريب عن الاوطان ناء عن الورى * مباءته عرض الفلا وأكام
يروح ويغدو في دموع وغصة * وليس سواها مشرب وطعام
بأقطع حالا منه ان بلاءه * عظيم جسيم لا يطاق عقام
يسيح بتيماء التحير مفردا * ولي مع صحبي عشرة وندام
أعاشرهم والقلب ليس بحاضر * وهل هو الا محنة وغرام
فكم عشرة ما أورثت غير عسرة * ورب كلام في القلوب كلام
لقد تمت أزمان المسرة وانقضت * لكل زمان غاية وتمام
فسرعان ما زالت وولت وليتها * تدوم ولكن ما لهن دوام
عصور وأحقاب تمر وتنقضي * وليس لها في الانقضاء نظام
دهور تقضت بالمسرة ساعة * وان تتولى بالمساءة عام

فلله در الغم حيث أمدني * بطول حياتي والغموم سهام
أرى عمر نوح كل آن بعربي * وما حام حام حول ذاك وسام
فما عشت لا أنسى حقوق صنيعه * وهيهات أن ينسى لدى ذمام
كما اعتاد أبناء الزمان وأجمعت * عليه فئام اثر ذاك فئام
تبدلت الاوطار وانحل عقدها * وزال عن أدوار الزمان نظام
وراح عن الايام نور ورونق * وطبق أكناف البلاد ظلام
خبت نار أعلام المعارف والهدى * وشب لنيران الضلال ضرام
وكان سرير العلم صرحا ممردا * يناغي القباب السبع وهي عظام
متينا رفيعا لا يطار غرابه * عزيزا منيعا لا يكاد يرام
مهيبا ومحمي الكريم وأهله * أعزة أهل العالمين كرام
محط رحال للاجلة قبلة * لكل امام يقتديه امام
مطافا لارباب الفضائل والعلا * فمنهم جثوم حوله وقيام
يلوح سنا برق الهدى من بروجه * كبرق بدا بين السحاب يشام
له شرف قد جل عن أن يناله * غوائل أيدي الحادثات قدام
فجرت عليه الراسمات ذيولها * فخرت عروش منه ثم دعام
محى الذاريات الهوج آيات حسنه * فلم يبق منها آية ووسام
وسيق الى دار المهانة أهله * مساق أسير لا يزال يضام
كذا تحكم الايام بين الورى على * طرائق منها جائر وقوام
فما كل قيل قيل علم وحكمة * وما كل أفراد الحديد حسام
فللدهر تارات تمر على الورى * نعيم وبوس صحة وسقام
ومن يك في الدنيا فلا يعتبنها * فليس عليها معتب وملام
أجدك ما الدنيا وماذا متاعها * وماذا الذي تبغيه وهو حطام
وما هي الا زحمة ومشقة * ولم ير فيها راحة وجمام
تشكل فيها كل شئ بشكل ما * يعانده والناس عنه نيام
فعز بهون والهوان بعزة * تنبه فها تيك الحياة منام
وجانب عن اللذات واهجر زلالها * وأيقن بان الرى منه أوام

يرى النقص فى زى الكمال كأنما * على رأس ربات الجمال عمام
ولو زاحت استارا لحقائق لانجلت * لديهم كنوز أبرزته كمام
وظلوا حيارى قارعى سن نادم * على مامضى والغافلون ندام
فما كان فيها غب مامر وانقضى * حلوم أراها اللئيام نيام
وماهو عند السالكين الى الهدى * حقيقا بان يلوى اليه زمام
فدعها ومافيها هنيئا لاهلها * ولا يك فيها رغبة وسوام
يعاف العرانين السماط على الحوى * اذا ماتصدى للطعام طغام
على انها لا يستطاع مناالها * لما ليس فيها عروة وعصام
ولو أنت تسعى اثرها ألف حجة * وقد جاوز الطيبين منك حزام
رجعت وقد ضلت مساعيك كلها * بخفى حنين لا تزال تلام
هب أن مقاليد الامور ملكتها * ودانت لك الدنيا وأنت همام
جبيت خراج الخافقين بسطوة * وفزت بما لم يستطعه امام
ومتعت باللذات دهرا بغبطة * أليس بحتم بعد ذاك حمام
فبين البرايا والخلود تباين * وبين المنايا والنفوس لزام
قضية انقاد الانام لحكمها * وماحاد عنها سيد وغلام
ضرورية تقضى العقول بصدقها * سل ان كان فيها مرية وخصام
سل الارض عن حال الملوك التى خلت * لهم فوق فرق الفرقدين مقام
أساطين معروفون فى كل مشهد * صناديد عزحا كمون كرام
مشاهير فى الآفاق شرقا ومغربا * يشير اليهم حاجب وبنام
بابوابهم للوافدين تراكم * باعتابهم للعاكفين زحام
لديهم ألوف من خميس عرمرم * له شوكة تسبى النهى وعرام
ترد عيون الناظرين كليلة * وان كان فيها حدة ورعام
فهل هم على ماهم عليه وحولهم * من العز جند محضرون لهام
ومابال ذى الاوتاد ماخطب قومه * وماصنعت عاد وأين ارام
وماشاد شداد فهل هو خالد * بجنته والعيش منه مدام
وطف ببلاد خف عنها قطينها * فأوطنها بوم يصيح وهام

وناد قصوراقد عفت غرفاتها * كأن بقايا رسمهن رجام
تحدثك عن أسرار الشؤون التي جرت * عليهم جوابا ليس فيه كلام
بأن المنايا أقصدتهم نبالها * وماطاش مرميا لهن سهام
فسيقوا مساق الغابرين الى الردى * فأقفر عنهم منزل ومقام
وحلوا المحلا غير ما يعهدونه * وليس لهم حتى القيام قيام
ألم بهم ريب المنون فغالهم * فهم تحت أطباق الرغام رغام
وأمسوا أحاديثا وأصبح ملكهم * هباء وباد التاج ثم وهام
فسبحان رب العرش ليس لملكه * ثناء وحد مبدأ وختام

(بيان حالي في خبر المبتدا وسبب اقتدائي بالهجرة النبوية وما عدا فيما بدا)

سألتني أعزك الله عن ابتداء حالي وما آل اليه أمري مما لم يجر على أمثالي ولولا الالحاح في طلب الجواب لما كان لهذه الجملة محل من الاعراب فها أنا رافع اليك القصة ومسيغ بماء البشر هذه الغصه

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

قد كنت بعد سن التمييز في مغرس طيب النبات عزيز في حجر والدي متعابذخائر طريفي وتالدي مربي بغذاء على الظاهر والباطن في النعيم المقيم بارفع المساكن ومقام والدي غني عن المدح والورق بأوكارها لا تعلم الصدح فلما درجت من عشي قرأت على خالي سيبويه زمانه علوم العربية فجثوت بين يديه على الركب ونافست اخواني في الجد والطلب ثم ترقيت فقرأت المعاني والمنطق وبقية علوم الادب الاثني عشر ونظرت كتب المذهبين مذهب أبي حنيفة والشافعي مؤسسا على الاصلين من مشايخ العصر متنزها في حدائق السحر موشحا الآداب بحلل النظم والنثر

فلولا الشعر بالعلماء يزري * لكنت الآن أشعر من لبيد

ومن أجل من أخذت عنه شيخ الاسلام ابن شيخ الاسلام الشمس الرملي حضرت دروسه الفرعية وقرأت عليه شيأ من مسلم فأجازني بذلك وبجميع مؤلفاته ومرو يا ته برواياته عن شيخ الاسلام القاضي ذكريا الانصاري وعن والده وجلالة قدره أشهر من الشمس كما قلت فيه

فضائله عد الرمال ومن يكن * ليحصره عشار الذي فيه من فضل

فقل لفتى قد رام احصاء مجده * تربت استرح من جهد عدك للرمل

ومنهم شافعي زمانه القطب العارف بالله تعالى الشيخ نور الدين الزيادي زاد الله حسناته حضرت دروسه زمانا طويلا وهو كما قلت فيه

لنور الدين فضل ليس يخفى * تضيء به الليالي المدلهمه
يريد الحاسدون ليطفئوه * ويأبى الله الا أن يتمه

ومنهم العلامة في سائر الفنون علي ابن غانم المقدسي الحنفي حضرت دروسه وقرأت عليه الحديث وكتب لي اجازة بخطه ومنهم العلامة الفهامة خاتمة حفاظ المحدثين ابراهيم العلقمي قرأت عليه الشفا بتمامه وأجازني به وبغيره وشملني نظره وبركة دعائه لي وغير ذلك مما لا يعد وممن أخذت عنه الأدب والشعر شيخنا العلامة أحمد العلقمي والعلامة محمد الصالحي الشامي والعناياتي وممن أخذت عنه العروض الشيخ محمد المغربي المعروف بركروك وممن أخذت عنه الطب الشيخ داود البصير ثم ارتحلت مع والدي للحرمين الشريفين وقرأت ثمة على الشيخ علي بن جاد الله وعلى حفيد العصام وغيره ثم ارتحلت الى القسطنطينية فتشرفت بمن فيها من الفضلاء والمصنفين واستفدت منهم وتخرجت عليهم وهي اذ ذاك مشحونة بالفضلاء الأذكياء كابن عبد الغني ومصطفى بن عربي والحبرداود وهو ممن أخذت عنه الرياضات وقرأت عليه اقليدس وغيره وأجلهم اذ ذاك أستاذي سعد الملة والدين ابن حسن ولما توفي قام مقامه صنع الله ثم ولداه ثم انقرضوا في مدة يسيرة فلم يبق بها عين ولا أثر وصار الدين ملعبة وسخرية وآل الأمر الى اجتراء السلاطين والوزراء بقتل العلماء واهانتهم ولما عدت اليها ثانيا بعد ما توليت قضاء العساكر بمصر رأيت تفاقم الامر وغلبة الجهل فذكرت ذلك للوزير ظنا بأن النصح يفيد فاذا هو كما قيل

هو الوزير ولا أزر يشد به * مثل العروض له بحر بلا ماء

فكان ذلك سببا لعزلي وأمري بالخروج من تلك المدينة واظهار العداوة ممن هو في زي العلماء مع انه لم يبق بها أحد يحسن قراءة الفاتحة وفي أثناء ذلك بعد أن من الله تعالى علي بالسلامة من كيدهم ومكرهم كتبت رسالة لبعض رؤسائها وهذه صورتها

رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذي شيم شريفه

كمثل البحر يغرق فيه حى * ولا ينفك تطفو فيه جيفه
أو الميزان يخفض كل واف * ويرفع كل ذى زنة خفيفه

الحمد لله الذى جعل الدنيا الخافضة الرافعة للسفل الانذال لا تستقر على حال فتسلم من الفناء والزوال والصلاة والسلام على من لم يرض بشئ منها يصطفيه وعلى آله وصحبه الذين اقتدوا به فى كل ما يرتضيه وقد قيل ان الدهر معلم اذا لم يتعلم منه عقب واذا تعلم أدب وهذب ولم نر معلما أحسن تعليما من زمان ولا متعلما أسوء تعلما من انسان وكم أدبنى وقرع لى العصا فغشنى رائد الامل وعمى وأنسانى عظته أمراض لا تحس وعلل نبضها ببيان البيان لا يجس حتى لزمت حمية الحميه ولازمت الازم عن ذوق نعمها الشهيه ولكل شئ حمية فحسن الاعتماد حمية الجنان ولزوم الصمت حمية اللسان كما أن التوقى من الطعام والشراب حمية الأبدان فان أكثر العلل والأوصاب يكون من الطعام والشراب

ومن يلق ما لاقيت فى كل مجتنى * من الشوك يزهد فى الثمار الاطائب

والاخدان والخلان وان كانوا فاكهة الزمان فهى سريعة الاستحاله شديدة الضرر لا محالة ومما يعين على الداء الذى لا ينفع معه الدواء البعد عن الارض الوخيم الهواء كالمدينة البخراء معدن البلاء والاسواء وكم كنت أتمنى البعد عنها وأود الخلاص من أهلها ومنها حتى اتصلت عولى امتن بالحرمان وقد كان الناس يمنون بروائع الاحسان فعاقبنى بالبعد عن سدته ولم يدر أن من أعظم المنن عدم رؤيته ولم أر مثلى ومثله الا مثل اعرابى بواسط بال فيها فحبسه لذلك الحجاج مع مجرميها فلما انطلق خرج منها وقال بديها

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرأنا وبلنا لا نخاف عقابا

ومؤمل النفع من اللئام كزارع السمسم فى الحمام وكنت متنفعا من دولته انتفاع ناكح عروس فى الأحلام هب من نومه بجنابة واجرة الحمام فكأنى لم أسمع قول القائل

اذا ما الليالى جاورتك بناقص * وقدرك مرفوع فعنه تحول
ألم تر ما لاقاه فى جنب جاره * كبير اناس فى بجاد مزمل

فكما أن الكامل بصحبة الناقص ينقص (بجيرانها تغلوا الديار وترخص) ولكن الذى غر آمالى فى الترقى والصعود لرتب المعالى ما عهدناه من الشرف الباذخ فى صميم الموالى

من كل حميع النسب فسيح الادب من أى أقطاره أتيت انثنى اليك بكرم المقال وحسن الفعال

جميل المحيا والفعال كأنما * تمنته أم المجد لما تمنت

من ركب مطايا الامل لشكره رأى وراءه حاديا من بره ظاهر الفضل والآداب سالم من دنس الجهل وسخ الاحساب وقد كان هذا اذا أوعد وقعقع سنه وأبرق وأرعد أقول برق خلب و (سحابة صيف عن قريب تقشع) وما كل ذنب تسمع أعذاره ولا كل مجنون تصيب أحجاره وان كان قيل

واذا ما المجنون قال سأرميك فوى للرأس منك عصابه

وقد سمع النحاة الاوائل يقولون اذا اجتمع فى لفظ عاقل وغير عاقل غلب العاقل فانتقضت الاحكام حتى فى الكلام فغلب غير العقلاء من الجهله وارتفع العدل مع السلسله وعلا قطاع الطريق وملك السيد الرقيق وسار الرعاة ذئابا والغنم والشياه كلابا وقد كان بعض الحكماء قال لسلطان لو جعلت حكماءك وزراءك ووزراءك حكماءك أصبت لان حكماءك يحكمون القتل ووزراءك لا يقدرون على ذلك وبرأى هكذا الحكيم عمل الناس الآن فجعل المجنون والحكماء حكام شريعة المصطفى وطرد رئيسهم العلماء ونفى

انفوا المؤذن من بلادكم * ان كان ينفى كل من صدقا

فصار المدعى ينظر فى قارورته فان صفت قبل قوله وقيل ان القول الاصح فى مسألة الخنثى أن يحكم بوله وكان الشاهد يسأل عن الصلاة والقنوت والواجبات فصار يسأل عن القضايا والمختلطات فاذا زكى امرؤ بدعوة الجن سئل عنه من الجن والبن وكان الامتحان من كتب التفسير وشروح الهدايه فصار بالزايرجة السبتية ونقاية الحكيم الكندى للغواية وكان القانون يرجع فيه الى الطغراءى مقتبسه فصار أمره لكل بناء وغواص سفيه وقيل لمن قرأ عيون الحقائق فى صنعة الذك والطرائق محقق أدرك السلف ومسخ الله به علم الخلف ونقب له سد يأجوج ومأجوج فقرأ فى داخله على الاكراد والزنوج فنقب القواعد وجدد رسوم الاوابد وكذب أهل المعانى فى أن الصدق مطابقة الاعتقاد أو الواقع وقال هو مطابقة النفاق ورأى الامر القاطع وعاب قصائد امرئ القيس وجهل فى النجوم بطلميوس وفى مجربات الطب جالينوس وقال

بالشعوبيه وفضل اللغة النبطية على العربيه و زهد في الحسن البصرى والابدال السائحين بالباديه وقال لو كانت رابعة زوجتى طلقتها ثلاثا ولم أرضها جاريه وجدد رصد الطعام بالديوان و بنى مدرسة يشكع فيها الغلمان وقال الدرس العام لا يعرفه غير العوام وشرح ديوان المتنبى باعجاز اللغة الكرديه وشرح لطافة اللغة الفارسية بالنوبيه وزاد في اشكال اقليدس على الشكل الحمارى الشكل البغلى وصحح نسب السادات بالانتهاء للدلدل لا لعلى وزاد في براهين المجطى وعلم المناظر والمرايا وزاد راويه رابعة وكم خبايا في الزوايا وادعى أن الجذر الاصم منطق وقال الارثماطيقى ومساحة جغرافيا حساب يستخرج من الزئبق وحكمة الاشراق وهيئات افلاطون والمريخ تؤخذ من كتاب سيبويه وخاطريات ابن جنى ومقتضب المبرد وزاد في العروض ضروبا وأعاريض لم يعرفها الخليل وحكم في المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائى فطرد نحلها وفرق على الاكراد عسلها وسأل عن مسألة الكحل العميان وسأل عن المناسخة وطرقها الثلاث حسان وفضل الصحابة بقول الحاج وقرأ تهذيب المنطق على الحجاج وخطأ الاطباء فقال اذا مرضت الامعاء السبعة يحقن الغلام كأنه اذا اضرط المقتدى فسدت صلاة الامام وقال ما يسر الله هذا كله الا ببقاء المولى أطال الله عمره و بنى نهيه وأعرب أمره وطلب من عزرائيل حجة شرعية على طول الاجل ودين المنيه فعجز عن الاثبات وقال له انك من المنظرين فعمل له دعوة وضيافة قرب له فيها أرواح الضعفاء والمساكين فحمده على ما أولاه ومدحه على أن خلصه من تعبه وعناه وأنشده

قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهر وأثواب عمره جدد
فقل له ان رأيت طلعته * قد ضج من طول عمرك الابد
يا بكر حواء كم تعيش وكم * تسحب ذيل الحياة يا لبد
قد أصبحت دار آدم خربة * وأنت فيها كأنك الوتد
تسأل غربانها اذا نعبت * كيف يكون الصداع والرمد

وجاءته ملائكة العذاب وقالت له استرحنا وأغلقنا الابواب وأنشدته

معمر كأنه * صالح صرف النوب * قد انقضى الدهر وما
كان به من عجب * فالناس جسم واحد * وأنت عجب الذنب

ثم جاءه الملكان وقالا له أنت دليل من قال بقدم الزمان وقالا لا كور بعد الحور تحكم بصحة التسلسل والدور فالحمد لله الذى حمانا من سؤالك وأقر أعيننا بسماع شعرك وضروب أمثالك وأنشداه قول الخوارزمى

لم أره الا خشيت الردى * وقلت يا روح عليك السلام
يبقى ويفنى الناس من شؤمه * قوموا انظروا كيف تموت الكرام
كيف نراه سالما بيننا * يا مالك الموت الى كم تنام

فقلت له ليس بطول الاعمار يتم الشرف والافتخار فقد سمعنا من سادة الناس وأوائلها نجاح الامور وسعادتها بأوائلها وفى أمثال العامة ليلة العيد من العصر ماتخفى واليوم المبارك من أوله يبين والديك الفصيح من البيضة يصيح قال باهل

اذا بلغ الفتى عشرين عاما * ولم يفخر فليس له افتخار

فدع الجدال وكثرة القيل والقال فان حياة الفاجر فضيحة الدهر وعلو الغثاء غير ضائر للنهر ولكل حزن سهل ولكل أحمد أبو جهل وما كنت أظن الشمس تخفى وان مثلى ينفى ويهان ويجفى حتى تجاوز الدهر الحد وعم تعريفى بالعكس والطرد فبعدا وسحقا الدار لا أجد فيها للمعالى طرقا ولا يلمع فيها جو اللفضل برقا

وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

وقدما قيل الرفيق قبل الطريق والجار ثم الدار ولذا قالت آسية رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فقدمت عندك لهذه المنه وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأى الدار الآخرة به أولى اللهم فى الرفيق الاعلى فطلب الرفيق فى الجنان فانما الدار بالسكان ثم بعد السكان بالجيران

وليس بعار أن أهان وانما * على الدهر عار والعلا والمناصب
ولا خير فى دار مهان كريمها * ولم يرعونا من خليل وصاحب
بها الاسد الضرغام فى غابه اختشى * كلا باقد اعتادت بصيد الثعالب

تمت الرسالة

وها أنا أتمم الجواب فان أردت مالى من المآثر فن تآليفى الرسائل الاربعون وحاشية تفسير القاضى فى مجلدات وحاشية شرح الفرائض وشرح الدرة وطراز المجالس وحديقة السحر وكتاب السوانح والرحلة وحواشى الرضى والجامى وشرح الشفاء وغير

ذلك ولي من النظم ما هو مسطور في ديواني فلا حاجة لذكره وقدم منه كثير في هذا الكتاب ومن المنثور رسائل ومكاتيب لم أجمعها وها أنا أذكر لك منها هنا الفصول القصار والمقامة الرومية التي ذكرت فيها أحوال أهل الروم وعلمائها وهي هذه

أنبأنا النعمان بن ماء السماء عن شقيق وقد نظمني وإياه سلك المحبة بوادي العقيق قال خرجت مختبطا ورق الكرم وقد صوح ربيع الآمال والهمم حتى عز الحطيم ورعي الهشيم فطوحتني الطوائح بأرجوحة الاماني وهزتني الاشعبية الى ماجد يبارز الزمن الجاني سمح السجية بسام العشيات رحب النادي اذا ضاق لبب العيش والتقت حلقتا الملمات جناه ليد الامل داني اذا اقتطف ثمر اللهو وريحان التهاني نزهة النفس وشمامة الانس تعصر من شمائله شمول الفرح على رغم أنف الابريق والقدح فمار وض الجمال الرائع وماء وردا لخدود في أكمام البراقع وما جاء در الاعاريب وشمس الحسن في سحب الجلابيب

ولقد دعوت ندا الكرام فلم يجب * فلأشكرن ندا أجاب ومادعى

فلم أزل أدأب في الاصاد والاعناق واقلد خلافة الحضر ومساحة الآفاق ولا أبرح في ملاعب الفضاء كرة لصولجان القدر والقضاء

يخيل لي أن البلاد مسامع * وأني فيها ما تقول العواذل

أقدح بيد الجياد زند عزم واري وأذرع شقة المهامه بأيدي المهاري أتلفع برود الاسحار والاصائل واشمر عن ساق الجد لخوض بحر دجي ماله غير الفجر ساحل على أن يفتح عينه عما تثني عليه الحقائب ويبتسم فم الافق عن صبح وعد صادق أو كاذب

قيل لي ترضى بوعد كاذب * قلت ان لم يك شحم فمرق

ولما بعدت شقة الالتماس وعميت عيون الاخبار تابعت جواسيس الحواس تقفو أثر بريد الانتظار فأتى جهينة خبرها بعد حين من سبأ بنبأ يقين رافعا عقيرة تذير عريان ساحبا ذيلي برد وحرمان صائحا الرتحلت الاظعان وأقفرت الديار من السكان والجيران والكرم أفل نجمه وركدت ريحه وقل عزمه وتضعضع ركنه فما ثم أنيس ولا اليعافير ولا العيس ولم يبق من أثافيها الا ثلاث نقط يشك الشك فيها

خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق

فحللنا عقدة الحزم بأضراس الندم عن الجياد وامتطينا غارب العزم ومالنا غير المنى

ماء

ماء و زادما بين ثمل من خمر السرى وراكع وساجد فى تهجد الكرى مختبر عسبار عصا التسيار غور الاطلال والرسوم حتى حططت رحال الترحال بقسطنطينية الروم لما قالوا جاور ملكا أو بحرا وهما ماخبرا وخبرا والبحر قد مد لعناقها ساعديه والامواج تقبل الارض بين يديه فاسمت فى رياضها سوامى النظر وأجلت فى حلبة الذهن قداح الفكر فاذا هى جنة ملئت بالحور والولدان وحفت بالشهوات اذ حفت بالمكاره الجنان من كل شادن سرق التفاتة الغزال وتسللت لتري لطفه الصبا والشمال لولا خوف الوشاة والعدا تساقطت القبل على ورد خده سقوط الندى جرى فيه ماء النعيم والهيف وحار فيه الرأى فلو رآه سيل تلعة لوقف فاق ذكاء سناوسناه فلوحاكته حازت الشرف صيفا وشتاء اذا جاده صيب الحياء والخجل أنبت وردا يجتنى بأنامل أهداب المقل فى كتيبة حسن ان غزا القلوب كمينها (هزوا القدود وأرهفوا الاجفانا) وان هجمت على الصب عيونها (فاطلب لنفسك ان قدرت أمانا) يوسف حسن ودلال ليس له أخ يحسده على الجمال

ماقد فيه القميص من دبر * بل قد فيه الفؤاد من قبل
ان قطع النسوة الاكف فقد * قطع قلبى بطرفه الكحل

يستعير منه الورد خدا استعارة مرشحة بالندا والسيف منه فتكا استعارة مجردة للردى ومن وراء تلك الظباء العين ملائكة من الكرام الكاتبين غاليتهم المداد وعبير نشرهم يفوح على جمر الذكاء الوقاد اذا راشوا بالبنان سهام البراعه أصابت قراطيس البلاغة والبراعه واذا افتخرت الرماح السمهريه انتسبت الى أقلامهم السمر فكانت حطيه وفرسانهم احلاس الجياد وغصون رباها اذا حمى وطيس الجلاد كم ولجوا لجج الغمرات على زوارق سروج السوابح التى هى قيد أوابد البوارح والسوانح سيل يحط من صبب سيفه العنان وقور اللبب ان صعد فمستجاب دعاء أوهبط فمبرم قضاء يسبق لمع البصر ويكل دونه حديد النظر اذا جرى على مهله لم يسابقه غير ظله

ويكاد يخرج سرعة من ظله * لوكان يرغب فى فراق رفيق

أسود غارب الرماح بدور غمام القتام وبروق الصفاح ماترفع بطل عن لثم أعتابهم الا بادر رأسه لتقبيل ترابهم تبلهم رسل المنون و بيضهم بايدى النصر مفاتيح الحصون وسمر الرماح أرشية لاغتماح من قلب الابدان غير الارواح وسادة

متصوفه عن الصدق متعففه حرفتهم بيع الزهاده وحانوت تجارتهم السجاده من كل متكبر كان يد الثريا له تشير فيه شرطويل تحت ذيل قصير لا يمس زهدا أواني الفضة والذهب ولو وجدها في خلوة بلعها وكم مضغها منه فم الطلب له جند كالبراغيث أكل ورقص ودب

مشوا على الخبز ومن عادة الزهاد أن يمشوا على الماء

ثم عجت على معاهد ذلك الحمى فاذا دساكر وقصور وهي سلم السما وقباب قناديلها الزهر الدراري فقلت لعل هنا بدور رايهتدي بها في ظلم الخطوب الساري هي من الكرام بقايا فكم في الزوايا خبايا فاذا في تلك المعالم برود وعمائم وأذيال تقبل التراب بين لذات جهل وأتراب والدهر قد أرخص كل غالي وقال كل من ضرب العير لنا موالي فقلت فتى ولا كمالك وماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وفيات نادت كل رائد لا قرية وراء عبادان فالشاشية قبة على قبر مأثم والحلة غطاء ميت جهل خلفه مأثم من كل سفلة لو بات حلس داره أقفر منه المنزل والجوف رأذاقه الله لباس الجوع والخوف لا يخشى لومة نصيح ولا ثم فحكة أعراس وقطرب ولاثم كأنما الله يدخل كل دار حتى يصير قتيل أضراسه شهيد قصعته وكاسه وعند جهينة منه الخبر اليقين وفي الصحن له أياد عند القدور تستبين يسرنا منه الفراق سرور زورة صب على يأس من التلاق اذ هو أمر من البين وفي ثقل الروح ثاني اثنين

يهودي بلا مال * وأعمى ماله صوت

اذا سلم على أهل نادر فيع فتحيته ضرب وجيع تستعذب الايدي مذاقه صفعة المكرر حتى كان قذاله من سكر غضب الله على المشاهد والمجالس لا مشخص له غير جنس البرود وفضل القلانس حمار على فرس له من تقعير المخارج جرس كأنما كلامه دعوة الكواكب أو رقية الحيات والعقارب

برذونه صائم حكى فرس الشطرنج والصدق غير ملتبس

فكل يوم عليه يدرس منصوبة عند البيوت بالفرس

وأطفال كأنما زينوا للجنان أولا ستقبال دهقان سدوم اذ كان له مع الملائكة ما كان مولود تقول قرابله هذا ما لم يسم فاعله لو درى الحكماء ان ما هيتهم على ذلك مجبوله ما وقع بينهم اختلاف في أن الماهيات مجعوله وقالوا ان الهيولى والصورة يتبادلان

وان

وان العناصر متننا لحمة قبل حلول الابدان وان الكيفيات ما بين فاعل ومفعول ولولاه
كان تركيب الامزجة غير معقول ولذا كان ميزان الخليل بين فاعل ومفاعيل

فان زماننا من قوم لوط * له ولع بتقديم الصغار

وشبان وكهول فيهم بلا فضل فضول جفاة أجلاف بنو علات وأخياف ورثوا علم
السلف والخلف فأوصى لهم بتراث العربية سيبويه وخلف

خاطر يصفع الفرزدق فى الشعر ونحو ينيك أم الكسائى

ومشايخ فى الطراز الآخر من السفل كم فيهم من نادرة المريخ وزحل كأنما يحمل
غاشيته دارا وزحل أشرف الكواكب دارا وقارنه السعد الاكبر فى أعلى عليين
حملته بنات نعش الى أسفل سافلين أعمى البصيرة والبصر عار على آدم أبى البشر
انما خلق اعتذار الابليس فى ترك السجود وأنى يقبل له عذر وهو كفور جحود وهو
أول من حسد والحسد أدوأ داء فى الجسد داحس والبسوس ان نسبا الشومه براق
يتبرك بسعادة قدمه وقدومه والبوم وابن داية الاعور يتيمن بسوانحها ولا يتطير
والزقوم عنده يهزأ بالسكر المكرر

قلت له لم هواك فى سفل الناس وشر الامور سافلها
قال وجدت الكعوب من قصب السكر مختارها أسافلها

فر بما يضئ لمع البصر اذا دار قوراء يسافر فيها النظر يردها الناس أفواجا أفواجا
هى برج ثور ولا يرضى الشمس والقمر سراجا فى جنة عاليه قطوفها غير دانيه جرى
فيها سلسبيل معين كدموع اليتامى فى عهده والمساكين تفتحت عيون أنوارها وهى
الحور بها ناظره وامتدت أوراق أشجارها داعية على من أعاد صفقة الدين خاسره
يمرض فى كل يوم سنه ويرجو عيادة مزمنه مقعد أعدى زمانه بالزمانه وسطيح نام
فى عهده شق عن السحر والكهانه مشؤم منحوس اذا علا نسبه انتهى للمجوس
فبيته بيت نار تعبده الفجار والاشرار

غدا عالما يؤتى فيأتى بحجة * على ذاك من أخبار علم وآيات
تقول له الاسلام يعلو ولم يكن * ليعلى فقال العلم يؤتى ولا يأتى

فلما من الله على شمسه بالزوال عاد لمحله من هو أسوء منه فى الاقوال والافعال فى قوم
يعرف ما لهم موصول من الفصول بما على رؤس الحمر وأعجاز الخيول كما يعرف الطبيب

صحة الابدان بما فى قارورة البول من الالوان .

لو بال هذا الدهر فى قارورة * بان الذى يشكوه للمتطبب

كأنما أوحى الله اليه والى ذويه تمتعوا بأيامكم فانما خلقت متاعا لكم ولانعامكم فاجتثت عروق النسب مبدأ ومنتهى فالطحلب عنده سدرة المنتهى فرفعته بلا طائل وعلو قدره له قائل

لقد خوى الزمان عليك حتى * علوت وكنت أسفل سافلينا

كرقم كان فى الاعداد فردا * بذرق ذبابة أضحى مئينا

فلو درى الكافر اذ حلت به الندامة وقد سيرت الجبال فكانت سرابا انه خلق من تراب لاستحيي أن يقول لأهل القيامة ياليتنى كنت ترابا فما أحسنه فى زوال النعم وأقبحه اذا قضى له الدهر بدولة وحكم فكم سعد له رفيق حجة وبرهان لزنديق ان ذكر له الفقه والحديث ومافيه من الغريب اهتز عجبا وأجاب بغزل رائق ونسيب أو أنشد له حوليات زهير وقلائد المتنبي وزهديات أبى العتاهيه نظر فى خزانة الفتوى والخلاصة وقال تلك أمة خاليه

هو فى الفقه شاعر لا يبارى * وهو فى الشعر أوحد الفقهاء

لا الى هؤلاء ان نسبوه * وجدوه ولا الى هؤلاء

فكان الله أمره بتقديم الاجهل فالاجهل اذ قال ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وكان الرسول وكله أن جعل الدين ملعبة بنسخ الشريعة فرعها وأصلها

قل لى أماترهب رب الورى * ولست تستحيي من المصطفى

اذا لم تستح فاصنع ماشئت قد مات من كنت منه تستحى وأهيل عليه التراب ليجد الدهر ماضاع من جواهره فى غابر الاحقاب (ومات من لا عمره ماتا) وقد سئمت عتاب الدهر والشكوى ونفضت جراب الطمع عما جف من زاد المن والسلوى فلا يلام من أودع كيسه عند طرار ولا يركب من سأل عن البراق الحمار فانعم السائل بغشه واجعله دار جانى عشه وبدل سعوده بالنحوس فان نقشه نقش الفصوص صحيحها المعكوس وقد أخرسنى العجز فما أفنع فما أفغير الله أبتغى حكما (اذا كان خصمى حاكمى كيف أصنع) وقد قنعت من صبغ الادام بعض السلامى والسلام فحتى متى أنا من سكرة الحيرة لا أستفيق كاننى مصحف فى بيت زنديق

فان

فان تسألاني مادوائي فانني * بمنزلة أعيى الطبيب سقامها

بجرذ بسني يوسف في دار ذي مثربه يأكل بالقرض لا زمار بضه فاذا انفد القرض وسد اليأس مذهبه أكلت كتبي كأنني أرضه) رضيت من الغنيمة بالاياب وعدت الى طلب تمائم لي ضيعها الشباب بين العذيب وبارق (مجر العوالي ومجرى السوابق) وقلت تعللا اذا سممت الشيم وترفعت من حضيض المذلة الى أوج الشمم

ان جيدا سقطت من عقده * درة مثلي حقيق بالعطل

وعقدت أهداب النية بأهداب الظعن اذ هتف بي شق الكهانه (أصم أم تسمع غطريف اليمن) لما تجاذبت الآمال الداعية للنفس الى حب الوطن قانعا بأحسن الراحتين وان عدت بخفي حنين

وان من أصعب ما مربي * شماتة الحاسد والجاهل

فقلت لامل غير مستريح أنا بأنباء شق وسطيح فدع كل لو وعسى وليت وتمسك بأذيال الهمم تمسك الزوار بأستار البيت ولا تكن كمن أوانى عذب الشراب لما ترائى له لمع السراب فقال شكر الله مسعاك وجعل أبي وأمي فداك الكريم يغر ويخدع ولست بأول ذي حلم له العصا تقرع وتنفس الاعمار ثمين فانه قد يهدى لعلم اليقين فمن انغمس في ماء حياته طهر من أحداث شبهاته والعلم نعمة من نشرها شكرها ومن كتمها عن أهلها كفرها وكم من ذنب عقابه فيه وكم عبد أبق من مواليه ثم آب ملتفتا بستر ضميره من غيابة غيبته لحضوره فعج على سدة مخصبة للرواد وانزل في ظل كرمها تظفر بكل مراد

وقلما أملت عيناك من رجل * الاومعناه ان فتشت في لقبه

فناهيك به من ملك ينقاد له السعد والاسعاد وتهوى الافئدة طائعة خاضعة له قبل الاجساد فسدته كعبة الآمال ومقصد الهمم فاذا حجت لها الاماني تلاقت في أمن حرم حمى الذات والصفات فاورق حكمه درياق السموم والآفات

أرى الدهر أن يبطش فنلك يمينه * وان تبسم الدنيا فأنت لها ثغر

عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

نموزده عذب غير وبشره ونداه روضة وغدير بشاشته الروض الانيق ورفيف الغصن الوريق وكم له سجيه وهزة أريحيه وثبات ووقار خيم فيه الحلم والسداد تود

الراسيات انها الخيامه أوتاد ومساواة أحساب وأنساب تتحير فيها المعانى لمساواة الايجاز والاطناب وطيب أصول وفروع زكى طيها ونشرها قد فطمت عن النقائص بعد رضاع بان المعالى فالله درها رقيق حواشيه نسيج وحده من الطراز الاول معلم برده نسخة مجده مقابلة الاصول منمنمة الطراز بنتائج العقول فذلكة مناقب السلاطين حامى حمى الحرمين جامع شمل الدين فاذا نزلت بى كربة سئمها القلب وملها قلت ان الذى عقد عقدة المكاره يحسن حلها واعلها ان تنجلى بهبوب رياح اقباله ولعلها

ماقد قضى سيكون فاصطبر له * ولك الامان من الذى لم يقدر

وها أنا ذا أحمد فى صباح الظفر السرى وأنبه حظى من رقدة الخمول لاسنة الكرى بعدما وقفت على حبه فؤادى ورتبت فى جامع أمانيه وظائف ودادى ولست لنداء مستميحا ولا لنيل نوال أهدى مديحا فسكاب طبعى لا يباع ولا يعار ولو نقدت له دراهم النجوم بكف الثريا فهو خسر وبوار على مذهب أبى الطيب فى قوله

ومارغبتى فى عسجد أستفيده * ولكنها فى مفخر استجده

ومذهب الطائى حيث قال

ومن خدم الاقوام يرجون نوالهم * فانى لم أخدمك الا لاخدما

فالحمد لله الذى أذهب عنا الحزن عن أقر لنا عين المنى وأخذ لنا النار من الزمن غب المقامة المسمات بعتاب الزمان فى سبب حجب بنى الاعيان حجب حرمان ونقصان واستغناء الكرام فى مشكل الليالى والايام

(وهذه فصول فيها حكم ونصائح سميتها بالفصول القصار فى نتائج الاعمار) منسوجة على منوال ابن المعتز فى فصوله وهى هذه اقدار الله العبد على حمده وشكر احسانه من من جملة انعامه على عبده وامتنانه شكر المنعم من الكرم لانه قرى لضيف النعم ساعد زينته بسوار المنائح حرى بأن يرى لك ضروع الثناء والمدائح من كان وارف الظلال تقبل عنده القلوب والآمال نعم بها الالسن تقر بها العيون والقلوب تقر رب موقد نار بها يحترق ومحسن للسبح فى اللجة غرق خلاك أحلى من عسل غيرك كم طرق دون هضاب بلغت السماء وارتدت حلل السحاب اذا ملأت زار البلاد ألبسها برودا من القتام مزررة بالجياد مشدودة العرى بيد الحزم والسداد طلع البدر من ازراره ولم يعلق الوزر بأزراره كيف يهتدى من ظلمة الجهل المدلهمة ويبغى نسل الفضل

والحكمة

والحكمه من كان مقعد العزم عقيم الطلب عنين الهمه فلان أخلق الدهر قشيب ديباجته وشرب اليأس من ماء بشاشته شجاعة الملوك الثبات وشجاعة الجند اقدام وثبات أخلاق الخلطاء ساريه والعادة طبيعة ثانيه الكيس بفتح الكيس كما يكسر الدين في انغماض العين وانغماد اللسان عقاب العقلاء وبلساني السوط والسيف عتاب السفهاء سلوة الاحزان تسليم مقاليد الامور للديان وقدرويناني حديث حسن الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن الشر ورع ملزوم ومن تطوع لزمه أن يتم المعالى تملى المعانى بأفصح لسان والندى ينبت الشكر في حدائق الاذهان ذنب الحر الى ليال مدت اليه يدها وساعدها ذنب صدار شكلى فقدت واحدها كيف لا يشق مطر في سفر والسفر بنقطه سقر هل أتاك الاعمال السلطانية الدارس رسمها الا كالحمر نسخت منافعها وبقى خمارها واثمها أو الحالم رأى أنه خرئ لثقل ما حمل من العين فلما انتبه وجد روثه ولم يجد لسواه أثرا ولا عين أو كداخل بعروس في المنام لومته في السحر جنابة واجرة الحمام ما الربيع الاحسناء في حلة خضراء فتحت يد الشمال أزرار زهورها لتشاهد عيون الانوار من الغدران حسن ترائبها وبياض صدورها الصديق والسكن من تأنس به أنس العين بالوسن شتان بين من عنوان أخلاقه يصدق مخائله وصحيفة أحسابه الصحيحة مقابله وبين لئيم اذا نظرت الى أحسابه فالطحلب أعرق من أنسابه من أمثال العامة حمار زلت عنه لا تبال بمن يركبه وشهر لا خير لك فيه لا تعد أيامه قلت

وكل شهر لا خير فيه * عدك أيامه جنون

فلان لو تغني لاهل الجحيم لصارت نار ابراهيم كثرة الاتباع عز ومن يكن مفردا يحقر ولذا قال النحاة ان الجمع لا يصغر ما كل جندب يدعى لحيس ولا كل مهاجر أم قيس اياك أن تطلب عزيز الوجود فان الوجود ببذل الموجود وضيف السقاء انما يكرم بالماء وقد قيل ان حمار القصار ان جاع شرب وان عطش شرب قال خليل لي خليل قبيح مؤاجر خير من مليح خلف الستائر وشتان بين درهم النقد ودينار الوعد اذا اضطربت أمواج المقادير لم تنفع سباحة رأى وتدبير فمن عارض تيارها بالسباحه لم يصل لساحل سلامة ولا قرار راحه (في الاثر) مداومة أكل اللحم عشية وغدوه تورث القلب غلظة وقسوه وفلان يأكل ليلا من أيور الغلمان ونهارا

قوله وكل شهر الخ كذا في النسخ وشطره الاخير البسيط وشطره الاول مكسور ولو قال بدله مثلا شهر أتى ليس فيه خير لسلم من ذلك اه

بغية الاخوان انطلاق ألسن البرايا جاسوس النوائب والمنايا احذر أيدي الدعاء اذا قرعت أبواب السماء فلان مع بخله شقيق ابليس اللعين وان المبذرين كانوا اخوان الشياطين لكل قلب هوى كما أن لكل داء دوا فما اعتلال نسيم الصبا الا لحب زهور الرياض با الغني مسك لا يكتم شذاه فلان احتضر وأمسى له مع الملائكة شأن مستمر أسلمته ملائكة الموت لمنكر ونكير وهما أديا أمانتهما الى مالك خازن السعير كتاب تنفس خطه عن بنفسج البطاح ولفظه عن رياحين الارواح ومعناه عن خمر الراح في ضمائر الاقداح فلولا ذوبه بجس يد الدهر وحلاوة ذوقه خلتني منه نشوان بين روض ونهر ان دعت الضرورة الى مدح غير ذي شرف فالشعر بحور لا تكدرها الجيف اذا خلت ضمائر الاكياس خلت من المسرة قلوب الاكياس اذا رفت أهداب النبات واختلجت عيون الازهار بشرتنا بقدوم نسمات الاسحار انه كان الابط مزبلة الباطن فاللسان مزبلة القلب كم أخليت فؤاد القناني فأخلت فؤدي من اخواني لله كرم زمان أقرضت أسحاره والآصال هواجره برد النسيم على يد الشمال اذا جر ذيل الغناء على القباب والبيوت تساوت قصور الجنان وبيوت العنكبوت أنا في مفارقة من أريد وصحبة من لم أرد كواجد ما لا يشتهي ومشتهيه ما لم يجد أنعم ببارق رعود يتلوه وابل جود فما لمع وأشرق حتى اخضر الامل وأورق كريم جعل الله طول عمره لحياة ذكره وشكره وعمر أعاديه كعمر مواعيد أياديه رطب عود الدهر بما له من الآثار حتى كادت تجري الصخور والاحجار لو هم الفلك برفعة ماجد في الابد ما قدم الثور في منازله على الاسد من باع الجزع بالاصطبار فله على الزمن الاختيار نصح البليد عناء لا يفيد

وثقل السيوف بلا جوهر * يبين من عيبها ما خفي

من قال الشر بالشر يطفا فكانه عطر النار بالحلفا لا بد لكل امرء من صديق وسالك بادية العمر لا يستغني عن الرفيق الصديق شريك عنان في حالتي السرور والاحزان

بقدر المثوبة عند الرضى * تكون العقوبة عند السخط

من لم يعرف زمانه عد الخمول زمانه ما سمي الزمن زمنا الا لانه يقول لك اقعد كم فرخ من بيضه يلد ورماد بان خلف الجمر وقد وقد ما انصف الشيب من ستر وقاره فسود وجهه وأطفأ أنواره الدهر خصم ألد وبلوغ الاشد البلاء الاشد أتبني بالاساس

علو الدار وترقع الجيب بأذيال الازار الفحل البازل لا يفزع من صوت الجلاجل والحوت لا يهدد بالغرق والبحر لا يخاف من الشرق ظن المرء قطعة من عقله ومحسن الرمى أدرى بمواقع نبله السعد من غير دوام محوس والضحك من غير سرور عبوس الشهم لا يجود التقيه وقطع سهم المؤلفة شهرة عمريه من سلم عنان اختياره للقدير انقاد له الدهر بزمام التقدير وصرف الدهر قد يبدل الباء ميما فيتحد التدبير والتدمير أنا فى شرط الوفاء للاخوان وهم فى جزم جزائه بالهوان كالواو والنون صانتا الاسم عن التكثير لخصهما من بين حروفه بالنقص والتغيير هذا يا اللئام تجاره وقبولها منهم خساره المعروف والصنيعه عند الاحرار وديعه أول هراش الخيل شمام وأول الحرب كلام كان ود اللئام مقدمة الخصام أيادى الاحسان تحل عقد الاضغان من الشتم نصح غير الاكفاء وربما كان أمر من الداء الدواء من الامراض روائح العقاقير لا شرب الدواء وطول جلوس العواد والثقلاء الحكماء الجهال رسل عزرائيل للاستعجال المطل طليعة جيش الحرمان وسوء التدبير كمين الخسران وسع الله على الايام حتى تقضى دين المكارم وتنجز عدات تكفل بها الدهر والكفيل غارم الحر اذا استدان جميلا قضاه فالسهم طار بريش الطيور فأطعمها قتلاه ليس الصديق من اذا رآك قام بل من اذا أقعدك الحظ أقام من كان فصيح الشيم بليغ الكرم أوجز مقاله وأطنب أفعاله طرفا البحر برّ فهو كالهبر انا من قوارض اللوم سليم ولولا الصبر أخلق الاديم اذا فرت الغزالة الى كاس المغارب ألقت فى سرور البطاح مسك الغياهب من كان بغير نفع فى نفيس الملابس كان كالصورا المنقوشة فى الكنائس تسر الفجار وتسوء عقلاء الابرار

ياساترا للشيب اذ خضبه * هلا خضبت الذبول والحدبه

المحجوب مسجون ذنبه وجوده لحاجبه يأذن لمن يريده ويحجب من لا يريده ليس باتحاد الاسماء تتحد ذات المسمى فحمرة الخد جمال وحمرة العين اعتلال قد يحتجب الحر لقلة اليسار كما احتجب البدر عند السرار

وقد يكره الضيف لا ضنة * ولكن مخافة سوء القرى

من كان دليله الغراب رضى بالمنزل الخراب ومن كان طباخه الجعل فلا يسأل عما أكل من كان خياطه الخنافس كيف يكون حال الملابس اعتبر باسم البشر

فان أكثره شرفى الترك غنى بلامن والحمية دواء بلاثمن

(فصل) أتحفتنى بتحفة ابن حرموز وبئست التحفة فهو أهون من ضرطة عنز بالجحفة فلو طحنت لى حبوب النجوم الزاهره برحا الافلاك الدائره وخبزت منها قرص الشمس وشويت لى جدى البروج وحملها وقرنت ثورها وفرشت ببساط كسرى منزلها لم أجب دعوتك ولم أتحمل ثقلاتك ورؤيتك الاغترار بفاكهة الحياة جهاله وشم زهرة الدنيا ضلاله فان الزهره سريعة الذبول والغواكه سريعة الاستحالة اذا شيخ الصبى ضاع واستعجل الفطام قبل الرضاع لايقوم مقعد الايام الامساعدة أيادى الكرام عنوان اللئيم خادمه وصاحبه والعقرب بواب الضب وحاجبه

اعتبر الارض بأسمائها * واختبر الصاحب بالصاحب

تعريف البخل عين اللئيم الواضع لانه الجامع المانع من لى بجليل همة أترك له كل حقير وأصرف الناس به صرف الفلوس بالدنانير مضى السابقون الى منازل العدم فظن المتخلفون أن السبق فى مضمار الكرم ومن جرى وحده مغرور وكل من يجرى بالخلاء مسرور نسمات اللطف تفتح أبواب المنى بأيادى احسانها كما تفتح عيون الازهار بلطف الشمائل قبل أوانها الالحاح فى الامور ربح تجارة لن تبور ترك الجماعة عقوق للمؤمنين وقطع لرحم وصلة الدين اذا نزلت أرضا فلا تمدح زهرها حتى تشم رائحتها وعطرها أنا فى زمانى يتيم حضر مائدة جبار لئيم الجاه زكاة الشرف ومن أحسن لمن أساء اليه فقد انتصف مقابلة من لا تقاومه خرف ولولا مقابلة القمر للشمس ما انكسف اذا جن أميرك فتذكيره بالحجارة عطب وان عبد النار فقدم له الحطب

(فصل) قالوا الحركة بركة وهذا اذا رافقها السعد وهداها رائد الجد والا فهى حركة النشوان وفتال الحبال وبنى اسرائيل فى التيه

قالوا ارتحل تظفر بفضل المنى * وأينما سافرت حظى معى

الكرم حبله رخيم والظلم مرتعه وخيم

(فصل) ماذا أقول لقوم اجتنوا منى ثمار مقال دانية القطاف وقالوا فى ظلال الرأفة والالطاف فاذا عطف الدهر وهو لهم مساعد كنت لديهم ككف بغير ساعد فحالى معهم فى الابره كحال الناس والابره

كست قيصر اثوب الجمال وتبعا * وكسرى و باتت وهى عارية الجسم

وكنت أعيب على الخوارزمى قوله

كفى حزنا أن لا صديق ولا أخ * يفيد غنى الا تداخله كبر
فما نال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا وافى على عسره اليسر
وما ذاك الا رغبة فى وصاله * والا حذار أن يميل به الدهر

ظنا منى انه يدل على خبث الطويه وفساد العقيدة والنيه فاذا هو قد حلب الدهر أشطره وذاق بلسان التجربة حلوه ومره فلله دره ما أخبره

(فصل) رب معنى سار بلباس آخر ضار فهذا الرشيد رأى فى منامه انه قلعت جميع أسنانه فطلب لها معبرا فقال ترى مصيبة فى جميع أهلك وموت أحبابك فأمر بنزع جميع أسنانه واستدعى آخر وقص ذلك عليه فقال عمر الخليفة أطال الله بقاه أطول من عمر كل من يلوذ به ويهواه فقال ما لأول افادا درا وخلع عليه خلعا اكسبته فخرا ولما جعل أحد ابنائه وهو طفل ولى عهده وفوض اليه الخلافة من بعده جلس للتهنئة فقال له رجل مهنئا أقر الله عين كل عزيز بخلافة من لم يبلغ سن التمييز فساءه ذلك فقام أبو يوسف بعده مهنئا وقال الحمد لله الذى شرفنا بخليفة لم يكتب عليه شىء من الاوزار ولم يتعب كتاب أعماله بليل ولا نهار فأكرمه وأدناه وتهلل بالبشر محياه وقال هلا أحسنت اذ خاطبتنى العباره واحترست عما يكدر مشرب السياره ألا ترى أن من قال لآخر أطال الله عمره أعجبه ذلك وسره ولو قال له أذهب الله شبابك وجعلك شيخا متغير الهيئة والقوى ساءه ذلك وقال أبو العيناء لم أر أحسن أدبا من ابن أبى دؤاد كنت اذا انصرفت من عند غيره يقول يا غلام خذ بيده فاذا قمت من مجلسه يقول يا فتى امض معه فكان مما يعجبنى من حسن أدبه وهكذا يحسن المعنى ويقبح كثيرا فى المركبات والمفردات كما ستراه ان شاء الله تعالى

وقد اقتديت فى ذكر أحوالى بابن الخطيب فى الاحاطة اذ ترجم نفسه فى آخره وقد أعجبنى قوله فى ذلك لما فرغت من تأليفه التفت اليه فراقنى منه صنوان درر ومطلع غرر خلد مآثرهم بعد ذهاب أعيانهم ونشر مفاخرهم بعد انطواء زمانهم فنافستهم فى اقتحام تلك الابواب وقنعت باجتماع الشمل معهم ولو فى الكتاب وحرصت على أن أنال منهم قربا فجريت على عقبهم أدبا وحبا كما قيل ساقى القوم آخرهم شربا انتهى

قوله قنعت باجتماع الشمل معهم ولو في الكتاب معنى لطيف قريب من قول الآخر

فاتني أن أرى الديار بطرفي * فلعلى أرى الديار بسمعي

وقلت أنا في معناه

ذهب الكرام وجلدتي الحزب الاولى * من قبل عهد القارظين تغيرا
فاذا دعا داعي الغرام لقربهم * في ظل أنس بالسرور تأزرا
أرضى تلاقي ذكرنا مع ذكرهم * في روض طرس بالمعاني أثمرا

ويوجد هنا في بعض النسخ زيادة لا بأس بها وهي

صورة ما كتبه مؤلفه من الاجازة لعبد القادر المذكور فيه تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام المحيي مآثر الاعيان بنشر ثنائهم المخلد في صحف الايام والصلاة والسلام على أفضل الرسل الكرام وعلى آله وصحبه ما طرز البرق برود الغمام أما بعد فان الفاضل الاريب والماجد المهذب الاديب خليل روح الشقيق ومن هو في سبيل الطلب سمير ورفيق حاوي المفاخر الاخ الاعز عبد القادر لما قرأ على كتاب الرحله وغيره مما سودت به وجه الصحف وأخذته عن الاجله وسمني بسمة العلم ولست أهله

اذا كان الزمان زمان سوء * فيوم صالح منه غنيمه

فأجزته بما لي من التآليف والآثار وما رويته عن مشايخي الاخيار صانه الله في عين الكمال وحماه وقلد جيد مجده بفرائد حلاه

(فصل) هذه ورقة من رياحين الالباب طارت بأجنحة النسيم من وكر رياض الآداب فاهدت لناسنا نفحة ذكيه عرفتها من بين أصحابي وهزت معاطف الاريحيه فأعادت على غصن شبابي فما كان أعطر تلك الصبا وأندى معاطف قضب تلك الربا فذكرنا بقديم العهود من قدم علينا من الوفود فأتى من سبأ اليأس بنبا وحديث يحل بيد النشاط الحبا ونقدم بين يدي هذه الهمة السنيه مقامات نسجت على منوال المقامات الحريريه فمنها مقامة الغربه المسماة بدفع الكربه بسلوة الغربه حدثنا الربيع بن ريان عن شقيق بن النعمان قال لما هزتني أريحية الشباب الى اقتعاد سنام الارض على غارب الاغتراب وقد أجدبت الارض من كل ماجد يجتني جنى المجد وتجنى له ثمار المحامد وتعطلت من كريم تلتف عليه المحافل وتسير في ظلال أعلامه الجحافل وتبدلت بانسها وحشا فلا ترى غير جائع يتحشا أقسمت ببيت سالت ببطحائه أعناق

المطايا

المطايا وغمل ركبانه بكأس السرى فى الغدايا والعشايا لاغترب غربة قارظية يخفق منها قلب الخافقين وتدبغ أديم الجسد على عمر الجديدين وتنسى صخرة السؤال عن حصين وتنسى غطفان غربة سنان فقال لى خبير الايام الهجرة من سنن الكرام كما فر موسى حين هم به القبط وقد كنت قرأت فى بعض الاسفار اذا أراد الله سعة رزق عبد حبب له الاسفار ورويت فى حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الحسن فزجرت السانح والبارح والطائر الغادى والرائح حتى رأيت الصبح انبلج ومر بى طائر أغر من البلج فتمسكت بذيل الحزم وصممت على العزم وقلت

بقولك طه سافر واتغفو القصد * بدا لى فأل فى المطالب رابح

فما خط فى رمل ولا طرق الحصى * كأيدى جياد فى السراب سوابح

وجنبت الجياد الى المهارى ولبست حلة دجا مزررة بالدرارى مع صقور على متون اعوجيات وركاب باقدام أقدام ترف بين غرز وركاب على سفن ذود وزوارق وسروج سوابح فى بحار السراب غوارق فلم يزل يرفعنا الآل بين رفاق صحب وآل على عيس ماهاغير النصب عقال وظهور سوابح ماهاغير الكلال شكال حتى نزلنا على الخورنق والسدير وأنخنا مطايا العزم بين روضة وغدير فسألنا عن بيضة البلد وطودها الذى له بسفحها أرفع سند فقالوا هو النضر بن كنانه المقرطس سهام آرائه من أعز كنانه شيخ لبس عمائم دهره الثلاث فهى على هامة همته ثلاث من شجرة مورقة النسب مثمرة بيانع ثمار الحسب جاهه عريض طويل فائض على العدو والخليل وطيب شمائله فى كل نادا انتشر فغمة روضات تزدرى الزهر هيجها نفح من نفح السحر فقلت بخ بخ الجامز كاة الشرف ومن أحسن الى من أساء اليه فقد انتصف ومن تردى بساطع الانوار واحتبى بحباء الوقار ولم يبق له ليل يصيح بجانبيه نهار فالسعادة له شعار ودثار فقالوا ان فيه عيبة اعرابية ولوثة عنجهية قد تعربد نفسه الأبيه فقلت مقاومته من لاتقدر عليه خرف ولولا مقابلة البدر للشمس ما انكسف واذا جن أميرك فتذكره بالحجارة عطب وان عبد النار قدم له الحطب وسأفيض له وعلى أجمل ردا واذهب اليه فى رفقتى غدا فلما عطس الصباح وشمتته كل ذات جناح ورفعت ذكاء رأسها من مشرق الانوار فأشرقت على عالم الكون والفساد لنشاهد مافيه من الاسرار أتيت داره فرأيت بدورا لها المنازل داره دار

يسافر بها لنظر ويتسابق فى محاسنها السمع والبصر داخلها بهو وقصور وسرادق لا يعرف كماله القصور فى صدرها همام خلفه وساده أحدق به وجوه أعيان وساده يتنفسون بأنفاس النعامى بين أوراق ريحان وخزامى

قطفوا الحلم من شماريخ رضوى * وجنوا اللين من قنا الخيزران

حذا بركة صفت كأخلاق أوداثه وعذبت عذوبة خدمه وندمائه

لو أنصفوه لقاموا فى مجالسه * على الرؤس قيام الظل فى الماء

فقلت له حياك الله و بياك ولا زالت مشكاة انسك مشرقة بمحياك فرد التحية بأحسن منها وماردها وأمدها بطلاقة بشر كانت سلما لكرامة أعدها وحوله من حواشيه فئام وأغصان غلمان بناديه قيام كأن على رؤسهم الطير يتهلل بشرهم بكل خير ومير فى روض ناده مثمر مورق عليه مخائل جود جود مغدق فتجاذبنا أهداب الحديث وأتى بنوادر حارة من كل تليد وحديث حتى فاض المقال الى السؤال عن الداعى لشد رحال الترحال فقلت لحط الديار من الاعيان وعتو الدهر وكلب الزمان وفقد كل خل رقت شمائله ان سألته تهلل حتى (كأنك تعطيه الذى أنت سائله)

انا لفى زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس احسان واجمال

فلما صحا القلب وأقصر باطله (وعرى افراس الصبا ورواحله) وقوض بنيان المكارم وقعقع منه العمد والدعائم قلت لم يقل الله ان أرضى واسعه الا لنسير فى مناكبها الى حرم الدين والدعه وفى المثل اذا ضربتم فى الارض أميالا وجدتم بلا لا فدعا بالدواة والقلم وأنعم بجزيل النعم حتى سد طرق الآمال والمطالب وملأ المنازل والحقائب

فلو كانت له الدنيا * لأعطاها وما بالى

فأغنى عن السؤال وأراح الامانى والآمال ثم تأوه أهة الحزين وأجاب نفثة المصدور منه الحنين وقال هذه نائبة نابت ومصيبة عمت وما طابت وسيوف الله ما أزمت أفواه أغمادها وخيل الله اذا قيل لها اركبى يركب سابق جيادها وكم بين عودين كمين نار يورى بالقدح و يبدو له أوار وقد يأتى من الاحرار من يقول النار ولا العار الا أن خوف المنية قد يدفع صدر الامنية وربما أطفأ نار الحميه أما ترى عمر المبارز عليا وجدلت شعوب كشف سوأته ولبس عارا شق عليه الجيوب كما قال أبو فراس

ولا خير فى رد الردى بمساءة * كما ردها يوما بسوأته عمرو

واصابه

وأصابه مرة داء الذرب فاستتاب عنه خارجة ففاجاته المنية لقضاء وجب كما قال

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بما شاءت من البشر

وثالثة الاثافي ما في الاستيعاب من أن بسر بن أرطاة وهو من ابطال الأصحاب كان مع معاوية بصفين وعليه تدور رحا حربها كل حين فقال له لو بارزت عليا وسقيته كأس الحمام نلت مقاما عليا وصار يعده ويمنيه ويدليه بحبل الغرور في قليب أمانيه حتى صرعه أبو تراب في تراب تربته ولم ينج منه الا كما نجا عمرو بكشف سوأته فأعرض ضاحكا من فضيحته وقال فيه الحر بن النضر السهمي

أفي كل يوم فارس ليس ينتهي * وعورته وسط العجاجة باديه
يكف بها عنه علي سنانه * ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه * وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا * سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما * هما كانتا والله للنفس واقيه
ولولاهما لم تنجوا من سنانه * وتلك بما فيها عن العود ناهيه
متى تلقيا الخيل المشيحة صبحة * وفيها علي فاتركا الخيل ناحيه
وكونا بعيدا حيث لا تبلغ القنا * نحوركما ان التجارب كافيه

فلما قصصت عليه القصص سقاه ما بشر يسيغ جريض الغصص ثم قال لي لو حدثتني بحديثك مع الشيخ النجدي بدار الندوه وصعوده متوكئا على عصا رأيه كل ربوه فقلت هذا وقع فلتة وقانا الله خوف شرها وقضى بليل من كيد طائفة وقع كيدها في نحرها رأى ظن انه جذيله المحكك وعذيقه المرجب فلم ينتج له صوابا فتصعد فيه وتصوب فسولت له نفسه كل أمر غريب تارة يخطئ وتارة لا يصيب وغره سن علا فنزل أسفل سافلين ولم يقل أنا ابن جلا فلما عزت منه الحيل قلت لله جنود منها العسل وهو وان أظهر العداوة فالقلب مع هواه وهو حبيب تشفع له الود حتى ترضاه فلما خضنا لجة الحديث ووقفت الاقلام على ساحل التمام قال لي هات من هناتك وأنشد لي ما قلته من أبياتك فأنشدته منها

عقارب منكم لا تزال لنا تسري * تدب ولا تدري بأني بها أدري
وتأكل لحما لم يكن ثم نضجه * على نار حقد لا تنفي بها قدري

وعندى نعل قد أعدت لمثلها * تعاهدها أن لا تدب الى الحشر
ولى همة لا ترتضى دفع شدة * بكشفى سوآتى لحل سوى صبرى
كعمرو وطليق السوأتين وماله * سبيل الى غير السبيلين من شكر
وما أزمت منه سيوف بها ارتدى * ابو حسن والخارجون من مصر
اذا اعتقلوا الخطى من فوق لامهم * ترى غصنا الدنا على شاطئ النهر
أو الحية الرقشاء ألقت قشيبها * بعترك حامى الوطيس على بدر
وما طلقاء الفتح مثل الذى اغتدى * رضيعا بدر الوحى من محكم الذكر
وليس يطيب العرف من ظربانه * اذا ما اصطلى بالعنبر الرطب فى الشجر
أبا حسن قد طبت حيا وميتا * وفى نجف أشرقت كالكوكب الدرى
فما حدث طافت ملائكة الرضى * به وله الزوار تسعى مدى الدهر
كمثل ضريح ليس يعرفه امرؤ * وليس سوى زيد النجاة به يدرى
فيا صاح لا تذكر أوابد معشر * اذا ذكرت فاضت دموعى على صدرى
وقل لابن هند من لسان مهند * أآكلة الاكباد أغرتك بالوتر
وريحانة الزهراء قد فاح عرفها * وهبت بها النفحات طيبة النشر
عليهم سلام الله ما طنبت على * مضاجعهم سحب تحل عرى القطر
فحبهم فى منزل القلب جارهم * ومن جاور الاشراف لم يخش من ضر
ومن كان خير الخلق فى ملجأ المنى * له فرطا يظفر بآماله الغر

فلما ارتوى الحديث من أعذب الموارد والمصادر ورجع الحوار حار النوادر بارد البوادر قال لا فض الله فاك ولا أقض فى مهد الهناء مثواك فقد تركت بنيات الطريق وجلوت خرائد فكرك فى معرض أنيق ولم تنثر درر المدامع الا من درر مودع فى صدف المسامع وما أقصر الليل على الراقد وأهون السقم على العائد وقد أصبت دار المقامه فأنت جار أبى داود بدار الكرامه فالزمه لزوم الطوق جيد الحمامه فأمالك لا تظمأ بهذا المقام وكيف يظمأ من كان جار الغمام

ما بين عصر سابق متلفت * شوقا اليك ولاحق يتطلع

(فصل) فى فوائد تتعلق بهذه المقامة قوله سنام الارض هو خصيبها كما فى أساس البلاغة قوله غربة قارظية الى آخره كان ناس فى الجاهلية تغربوا ففقدوا ولم يسمع لهما

يخبرمنهم القارظي خرج ليأتي بقرظ الدباغة ففقد وضرب به المثل ومنهم سنان بن حارثة الغطفاني من بني مرة وفي المثل أضل من سنان ولا أفعل كذا حتى ترجع ضالة غطفان واياه عني زهير بقوله

ان الرزية لا رزية مثلها * ما تبتغي غطفان يوم أضلت

قوله أغر من البلج هو طائر يتيمن به يقال له بالفارسية همای وتعناله ظله كذا في الاساس قوله غرز بغين معجمة وراء مهملة وزاي معجمة هو للابل كالركاب للخيل قوله بيضة البلد رئيسها قوله عمائم دهره الثلاث هي سواد شعر اللمة والرأس ثم اختلاطه بالبياض ثم بياضه كله قال

يا من لشيخ قد تجرد لحمه * أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداء حالكة وسحق مفوّف * وأجد لونا بعد ذاك هجانا
والموت يأتي بعد ذلك كله * وكأنما يعني بذاك سوانا

قوله ولم يبق له ليل يصيح الى آخره هو حل لقول الفرزدق

والشيب ينهض في السواد كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

قال ابن السيد في شرح أدب الكاتب الليل ههنا معناه المعروف وقيل الليل فرخ الكروان والنهار الحباري وهو وان كان صحيحا لغة غير مناسب هنا وهو مجاز لانه جعل الليل كمنهزم يصيح خلفه من يهزمه كما جعله المتنبي قتيلا في قوله

لقيت بدرب القلة الليل لقية * شفت كبدي والليل فيه قتيل

وأحسن منه قول ابن هانئ المغربي

خليلي هبا فانصراها على الدجى * كتائب حتى يهزم الليل هازم
وحتى نرى الجوزاء تنثر عقدها * وتسقط من كف الثريا الخواتم

وسهله سبق الشماخ في قوله

ولاقت بأرجاء البسيطة أبلقا * من الصبح لما صاح بالليل نفرا

قوله كأنما على رؤسهم الطير تمثيل لسكونهم عن على رأسه طائر يريد أن يأخذه وقيل انهم شبهوا بأصحاب نبي الله سليمان الذين كانوا معه يظلهم الطير قوله لو أنصفوه لقاموا الى آخره هو معنى بديع من قول البحتري

قل للامام أبي محمد ارضى * قول امرئ أبلاه حسن بلاء

من حول بركتك الشهية سادة العلماء والفضلاء والرؤساء
لو أنصفوك وهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالها فى الماء

ومنه أخذ الارجانى قوله

هذا الزمان على ما فيه من كدر * يحكى انقلاب لياليه بأهليه
غدير ماء تراءى فى أسافله * خيال قوم تمشوا فى نواحيه
فالرجل ينظر مرفوعا أسافلها * والرأس ينظر منكوسا أعاليه

قوله ولم تنثر درر المدامع الامن در مودع فى صدف المسامع معنى بديع أصله قول الزمخشرى يرثى شيخه أبا مضر

وقائله ما هذه الدرر التى * تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت لها الدر الذى كان قد حشا * أبو مضر أذنى تساقط من عينى

وتوارد معه الارجانى فى قوله

لم يبكنى الا حديث فراقهم * لما أسر به الى مودعى
هو ذلك الدر الذى أودعتم * فى مسمعى ألقيته من مدمعى

ومما قلته مما انسجته على هذا المنوال

ما أنس لا أنس روض الانس والسمر * فعن حديثى به سل نسمة السحر
وقائل قال ما للشهب قد غربت * أمن حياء لما فى الحى من غرر
فقلت غاصت بنهر الفجر حين جرى * حتى طلعن بروض الانس فى الزهر

ولما قلت هذا رأيت فى شعر ابن اللبان الاندلسى ما يناسبه وهو قوله

أديراها على الروض المندى * وحكم الصبح فى الظلماء ماض
وكأس الراح تنظر من حباب * تنوب به عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الافق لكن * نقلن من السماء الى الرياض

وقد وقع مثله فى الشعر الفارسى الا أنى لم أر أحدا من علماء الادب بين وجه لطافته مع أنه من المعانى البديعة فلما أمعنت النظر فيه رأيته مبنيا على تشبيه بليغ أو استعارة لأنه جعل ما سمعه من أبى مضر درر ذات نظم فائق وجعل ما جرى من دموعه أيضا درا فى نسق رائق وهو كثير فى كلامهم مشهور الا أنه بنى عليه ما صيره بديعا مستغربا حيث صير الدر الذى كان مودعا فى صدف الآذان لرقته مدمعا جرى من

العيون والاجفان وتصرف فيه تصرفا آخر أخرجه من باب آخر وهذا هو المحتاج للبيان فالظاهر انه من قلب الاعيان الجوهريه كقلب عصى موسى حيه فلنسمه سحر الشعراء وقلب أعيان المعانى ومنه قولى فى بعض الفتوحات العمريه

(فصل) لما أتى عمر كنوز كسرى وجواهر النوبهار لم يعبأ بما فيها من زخارف الكفار فكان درها حن لاوطانه فأتاه لانه أعظم البحار بل مدائحه والثناء عليه فى سائر الاقطار صارت مجسمة فصيرها نثارا على خرائد الحصون والامصار فتمثلت لتقبل ثرى أقدامه بتلك الديار

مخلد فخرها اذ تلك قد فنيت * لا الدرر ولا الاحجار أحجار

وفى معناه ماقلت فيمن أهدى له سبحة مرجان ودر

أحبب بسبحة مرجان مفصلة * بالدر تلثم بحر الجود أحيانا
كانت جواهر مدح فيك قد نظمت * والآن قد جسمت درا ومرجانا
كيما تقبل كفا فيه بحر ندى * والحر يشتاق بعد النأى أوطانا

ومثله وقع فى شعر فارسى

(المقامة الساسانية)

حدثنا مالك بن دينار عن مسافر بن يسار قال كنت والشباب غرابه لا بطار وثمراته الجنية تجنى من رياض الاخبار أهوى السياحة والناس ناس والديار ديار والدهر غر لم يفطن لتلون الليل والنهار

ولم أر يوما فى ظلام مفارقى * شهابا مشيبا لاح فى الافق منقضا

أقول الله (سيروا فى الارض) أنظر آثار رحمته وأرى مآثر الطراز الاول فى أعلام حلته فان من جد وجد ومن توانى فقد فقد رافعا عصا التسيار على كاهل الاعتبار رافض الاستراحه فى مهد الدعه مشيعا قلبا فارق حبيبا ودعه فاطما أملا عن در أنس ارتضعه لابن الرومى طالما التفت الى الصبح له ساق بساق فى نقاب ورداء * من لثام وعناق أضرب كرة الارض بصولجان الهمه لا أعبأ بقامة غير قائمة وهمة همه أتدرع برد الليل لانه أخفى للويل وأشق أديم النهار للسير ولم أقل ليس للعصا سير كهشيم ترفعه أعاصير ريح تدور وورق جف فألوت به الصبا والدبور كانى على غصن بانة خضل تثنيه ريح الصبا هنا وهنا أو قذى فى عيون البلاد أو عير شرود ترميه

الروابي للوهاد أوعذل وامق في مسامع صب شرقت بماء الوداد

كأني بن الوجناء في متن موجة * رمتني بحار ما لهن سواحل

حتى أتيت كورة خراسان فاذا بها قيل نصب عرضه لسهام الهوان مقلد في ترجيح البخل مذهب سهل بن هارون كانه لم يسمع قوله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فطويت حديثه على غره وأتيته لاقف على جلية أمره فلما جست خلال ابوانه قرأت عنوان حاله على وجوه غلمانه وسمعته يقول لمن امترى اخلاف درته وشبع من خلته وحمضه برؤية جرته يا هذا اصطناعتنا واحده لولم تدرج من عشك كانت الراحة فالمه ألم تسمع نصح ناصح ولم ترز جر سانح وبارح

قال الحكيم في قديم العهد * سواء السلطان ثم المكدى

كلاهما يطلب أموال الورى * لكن ذا بقهره والجند

وذا بألطاف الدعا ضارعا * لما يرجيه بمحض الزبد

فلما رأى اليأس أغلق باب الرجا وسده سدا بن بيض بناقته مسالك الارجا

أتى بجفينة لاخير فيها * فأجلسها عائدة الكلام

ثم قال لي أي البلاد تهدي سلامها وأي زهرة تحية فتحت تلك النسمات أكمامها قلت الكنانة المعزيه والخطة التي هي في حضانة نيلها تحميه رياضها تحيي بانهاره وأصابعه تشير لكنوز خصب تستخرج من معادن أقطاره الا أن أصابع الناس في الراحة والايادي وفي أصابعه أيادو راحة لكل حاضر وبادي فان سألت عن حالي ففؤادي بها فؤاد أم موسى فارغ من آمالي وما حال وردة فارقت نسمات القبول لحداها السموم وقادها الذبول

فتأمل كيف يغشى * مقلة المجد نعاس

فاما حال سكانها ومن ألقى جرانه باعطانها فقد ذهب أرباب الهمم العاليه ولم يبق الامن يفتخر بالرمم الباليه روح الشوم ونتيجة اللوم وخليفة البوم وبعين الله ما يصنع الليل والنهار ويستر الثوب والجدار وما يستتر في ضمائر البيوت وان طال التحمل والسكوت فكم بكت السماء أرضا فقدت حبيبا وساعدتها سحب انتحبت بها نحيبا

ولطمت الخدود بها بروق * وشققت الرعود بها جيوبا

فقل لمن افتخر بالعظام ماوراءك ياعصام

اذا ما افتخرت بفضل الجدود * وما فيك شئ يسر النفوسا
فكل ماحواه كنيف الكرام * فقد كان أمس طعاما نفيسا

ولنعطف على هذا النسق لبيان من بقي منهم طبق على طبق من أصناف لاتعد وأجناس لاترسم ولا تحد كرعاع بني درزة بن ساسان كلاب سلوقية تصيد منح كل جعد البنان من كل سائل بالالحاح التحف أودار بمزمار ودف أوتغنى بانكر الاصوات فنهق اذ رأى شيطانا يدعي الكرامات يقيم به المعتزلي دليل انكار الكرامة ويقول هل على بعد هذا ملامه أوحامل راية وعلم جعل القناعة علما لسقوط الهمم ومنهم من كبر وتكسرت قوارير وخيانو ... حين هبت أعاصيره وأعظمهم جرما وأقلهم دينا وحزما حمر مستنفره يقرأون القرآن في بقاع مستقذره بين رهط لا يتدبرون ولا يستمعون ولا يمتثلون قول الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وتجار رأس مالهم الافلاس يضربون الاخماس في الاسداس يزكون كذبهم بالايمان الفاجره فيربحون خسارة الدنيا والآخره ان خاشنت أحدهم في تقاضيه بادر بالحلف على دينه فيقضيه

يقول استمع حلفتي كاذبا * اذا ما اضطررت وفي الحال ضيق
وهل من جناح على مسلم * يدافع بالله مالا يطيق

ورؤساء الفقهاء والكتاب الراضين من الغنيمة بالاياب وسعوا الاكمام وطولوا الذيول ومشوا في ظلمات الجهل والعلم مصباح العقول قباب عمائمهم على قبور الاجسام دنيات منكوسة اهراقت الالباب والافهام أثقل من الامانة التي أبى حملها الجبال من خوف سقوطها لم يدن منهم كاتب الشمال حتى كاد لا يجد لاحصاء عمله سبيلا وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا اتخذوا سعة الاكمام زنبيلا للخزي والملام وطول الذيول مكانس لطرق الغلول اذا جلسوا يلقون دروسا رأيت عنزا الاخفش تقابل تيوسا فيبدى ويعيد ثم يقول من يحلب التيس عليه يبول فاذا كبر وتكسرت قواريره هبت لتخريب الاوقات دبوره وأعاصيره اذا صام عن الخبز أفطر باكل أموالها وتمجد ببيع أحجارها واستبدالها انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر لا من كان ضب العشيات وحرباء الظهائر وقضاة بلغ سيل الظلم بهم

الزبى وشرقت أفواه التلاع والربى من كل منقوص لا يظهر رفعه ازرق دينه وجفا طبعه أحول عقله يرى الواحد مع الرشا اثنين ويبيع دينه نسيئة بالدين ويستفتى فرعون فى قسمة الاحياء قبل الاموات يحكى أباجهل علما لو كان له بقليب بدر عظام رفات ويفوق قاضى معز الدولة الملقب بفسوة الكلب فى الهوان وقد أحسن ابن شرف فى هجوه غاية الاحسان فقال

انا الى الله راجعون فقد * هان على الله أهل ذا البلد
وفسوة الكلب صار قاضينا * فكيف لو كان ضرطة الأسد

فكم ركب بحر الاهوال حتى وصل الى ساحل الضلال وأمعن السير فى تيهه فلم يجد للهداية طرقا والمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وفقيه تحت ابطه أجزاء رقة بها أوطار الجرذان وتعشت العثة أعمى العين والجنان وأبازير العمى شم الصنان له أوراق تفرقت أيدى سبا برا وبحرا ومنتن صنانه سماه تأبط شرا لئيم اذا شبع من النعم بات غرثانا من الكرم فهو ينادى بكل حى ونادى

هى كتبى فليس تصلح من بعدى لغير العطار والاسكاف
هى اما مزاود للعقاقير واما بطاين للخفاف

وقد فقد العلم لولا نفحة أنس من نفر بقايا فتح الله بهم خزائن كنوز هى خبايا فى الزوايا من كل نقى العرض أبيض السجايا اذا تدنست الاعراض فأعراضهم من العار عرايا

أبدت ما ثرهم نقص الزمان ففى * خدا الربيع طلوع الورد من خجل

حمت شوكتهم رياضا فى ربى الدين العوالى وأحيا الله بانفاسهم العيسوية موات المعالى ولما شرح الله بهم صدرا الدين وفتح ببصائرهم عين اليقين أيدهم بابناء الاعيان من أمرائها فقالت الخلافة تحت أفياء لوائها حتى حموهم من نوائب الحتوف وزهت جنة مثواهم تحت ظلال السيوف فصارت بهم الاطراف من منازه منازل الاشراف ولهذا يشير البديع بقوله فى معنى بديع

قيل لى لم جلست فى طرف القو * م وأنت البديع رب القوافى
قلت آثرته لان المناديل يرى طرزها على الاطراف
وكفانى من المفاخر انى * نازل فى منازل الاشراف

فأو وامن ذلك الظل لركن معتمد ونزلوا فيه بين العلياء والسند متعنا الله بهذه الدولة
وجعلها أطول الدول عمرا وأرفعها منارا وأعظمها قدرا سماء مجدهم مكللة بنجوم
تهتدي بها الاماني ويستقر رجاء كل قلب عاني والدهر لسعدهم من الخدم وفيض
أياديهم يغني عن الديم وسحبهم مغدقة على الراجين بالكرم

قلت للبرق اذ تألق فيها * يا زناد السماء من أوراك
ان تشبهت بالكرام وما قد * كان من جودهم نلست هناك

ومدعي لسان برقهم الحلب وقال لا اخلابه وكلت دهم الاقلام من المشي في الكتابه
شكرت مشيها على الرؤس وقلت لا عطر بعد عروس فقد جف القلم وكل شئ
بلغ الحد انتهى وتم

﴿مقامة عارضت بها مقامة الوطواط وهي هذه﴾

حدثنا مبارك بن سعد العشيره وكان حسن السيره سليم السريره قال لما هزتني
الاريحية ودعتني دواعي الهمم والحميه الى تقلد وارم الاعمال وجهت وجه
الطلب الى قبلة الآمال سدة الوزاره ومسند ظهور الصداره فأتيت المآرب من بابها
وقبلت الحجر المكرم من أعتابها فلم أجد المقاليد بيد حر رشيد فزاغ البصر وقال
كلا لا وزر

من آلة الدست ما عند الوزير سوى * تحريك لحيته في حال ايماء
فهو الوزير ولا أزر يشد به * مثل العروض له بحر بلا ماء

ثم حللت عقدة من لساني ومددت حبل بياني قائلا لم تؤد الامانات الى أهاليها وترم
سهام الاغراض نحو مراميها ألم تدر أن زوال الدول باصطناع السفل هلا وليت
قارها من تولى حارها فاعتذر بابرام الشفيع ودعوى استحقاق من قلده الصنيع وان
كانوا أنعاما بلا أذناب لم يعرف أنهم من الناس حتى علاهم التراب

ومن الجد كيمياء اذا ما * مس كلبا أحاله انسانا

ثم احتج في المحافل لمن قدمه من الاراذل بأن قصب السكر أحلاه كعوب الاسافل وما
على المحسنين من سبيل قلت لا بس ثوبي زور ومكشوف السبيل وما مثلي ومثلك الا
كمثل فاتك أمير الحرم والنعمان هاتك الحرم لجمعه بين الرجال والنساء في عكاظ
الفجور صباحا ومساء فلما سمع ماوشوا به أحضره ونفاه بعد ما هدده وزجره فذهب

بوادي الاراك وأقام مليا هنالك ثم أتى لزيارة البيت والمقام فلقي من كان يرضع معه ثدي المدام فتذاكر مع ذلك النديم عهد أنسه القديم ثم قال ان أردت أعدتها جذعة بدرهمين في أحسن نزهة وقرة عين كما قلت

ياصاح قد زار الربيع فقم الى * صفو المدام ونزهة الابصار
فلقد دعاك الى الرياض وطيبها * سجع البلابل دعوة الاسحار

فاستحسن ذلك المقال وأجاب دعوة اللهو في الحال مقيما السوق الفسوق قائلا من فرص اللصوص ضجة السوق فاعلم به الامير ثانيا فحمله على الادهم بخلاخيل الرجال حاليا وأبرق له وأرعد وأنذره صواعق عقابه الاشد فأنكر وطلب منه بينة أو حجة على ماقالوا بينه وقال الانكار من حصون الفجار ثم قال قائل للامير أرسل بواديه الحمير فان أتت داره لم تسمع انكاره فلما سمعوا ذلك غاية كانت بسم ثغر القبول ضاحكا فقلت للوزير قبول هذه الشفاعة كقبول الامير شهادة الحمير فترك دقيق الاراء لرأى فطير وأراق ماء سقائه لما رأى السراب وأطفأ السراج لما رأى بوارق السحاب ومن كان كذلك لا أقبل له عملا ولا أوجه نحو سدته أملا فقد استراح الامل ومل اليأس من الملل ونام العمل في مهد البطاله واهتدى سارى الطلب بالضلاله

لاخيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

وهذا مما نسجته على منوال رسالة رشيد الدين محمد بن محمد العمري المعروف بالوطواط التي عملها الكاتب كان يزاحمه في أداته ودواته (وهي هذه) عذلتني أدام الله بهجتك وحرس مهجتك على اعتكافي في الزاويه والتجافي بالعافيه وقلت لم تركت الاعمال وفوائدها والاشغال وعوائدها فاعلم أدام الله سعادتك وزين بالكرم عادتك انى ماطلقت منافع الديوان ولا ودعت مجامع الاخوان الاهربا من الحافك في الاستماحه وضجرا من اسرافك في الوقاحه كم أصبر على نهبك دواتي وقلمي واستهزائك بحاشيتي وخدمي أيها الكاتب أين دواتك وقلمك بل أيها الغاصب أين حياؤك وكرمك لاشيء أقبح من ذى صناعة لاتكون معه أداته ولاخزى أفضح من ذي كتابة لايصحبه قلمه ودواته سمعت فيما بلغني من النوادر المطربه والحكايات المضحكه انه كان بنيسابور مكار يعرف بأبي سعيد المعتوه كثير الجنون قليل

المسكون يغضب من الذباب اذ يطير ويضجر من الشرار المستطير وله حمار كحمار قبان بل أضعف قوه وأنحف بنيه أضناه مس الآفات وأفناه قطع المسافات لم يبق من لحمه الا اليسير ومن عظمه الا الكسير فاتفق أنه اكترى حماره هذا بعض التجار القاسية قلوبهم والغاشية عيوبهم الى بغداد وحمله من أصناف بضائعه وأنواع بدائعه حملا ثقيلا تفرق الجمال من ثقله وتشفق الجبال من حمله ثم علق على أحد جانبيه مطهرة مملوءة بالماء ومن الجانب الآخر سفرة محشوة بالخبز والحلواء وألقى عليه فروة ولباده وحشيه ووساده ولا تسل عن القدر والمغرفه والفاس والمجرفه والنخ الذي يفرشه اذا نام والخف الذي يلبسه اذا قام وغير ذلك مما يحتاج اليه التاجر لرمة أحواله ويفتقر اليه المسافر في حله وترحاله ثم بعد هذا كله استوى التاجر عليه وأدلى منه رجليه كأنه أصاب ملك تفليس أو استوى على عرش بلقيس والحمار تحت هذه الاثقال لا يمكنه السير ولا يرجى منه الخير اذا ضرب ضرط واذا حرك سقط والمكاري يبكي طول الطريق دما ويتنفس الصعداء ندما ويقاسي من وعثاء السفر ولأواء الخطر وجور المكتري وجفائه وتكدر العيش بعد صفائه ما يطيل العنا ويزيل المنا الى أن وصل بهجته الحزينه وحشاشته المسكينه بعد اللتيا والتي الى بغداد ودخلها وقت السحر وطلب محلة يسكنها طوائف التجار وينزلها الواردون من الاقطار تحط فيها الرحال وتطرح الاحمال وشد الحمار ونفض عن عطفيه الغبار وتوضأ في الساعه وصلى مع الجماعه وما أرغب الملهوف في الصلوات وأحرص المظلوم على الدعوات فلما فرغ من صلاته ودعائه وهدأ من تضرعه وبكائه وهم بالخروج من المسجد سمع صيحة هائلة من ناحية درب المحلة كادت تنعط لهولها الجيوب وتنشق من فزعها القلوب فعمد الى الدرب ليسأل عن المهم والامر الملم فاذا المحتسب عند باب الدرب بدرته وصاحب الشرطة لابس ثوب شرته والعامة أكثر من أن يحصى عددهم والنظارة أزيد من أن يستقصى عددهم فقال المكاري ماذا حدث فقالوا في هذه المحلة تاجر قد أخذ البارحة مع غلام للخطيب كالغصن الرطيب يشرب المدام وينيك الغلام فانتزعوا التاجر من داره واستخرجوه من وجاره وتضاعفت عليه الصفعات المعمية والجلدات المدميه وسودوا محياه وطلبوا حمارا يركبونه اياه ليطاف به حول البلده للنكال والعبره وكان حمار المكاري

بمرأى من عيون العامة فتغادوا اليه وأجلسوا التاجر عليه والمكارى يعدو ويصيح حيث لا ينفع الصياح وقامت القيامة فى السوق واللعن على أهل الفسوق والعامة يرمون التاجر بالبعره ويشيعونه بالنعره الى أن طيف به فى جميع محال البلد والبلد بلد بغداد فلما حان وقت المساء وانسدل سجف الظلماء خلى عن التاجر ورد الحمار الى المكارى ساغبا لاغبا جائعا يكاد يسلمه الطوى الى التوى ويسوقه الصدا الى الردا فأخذه المكارى أخذ المترحم ومد أذنيه ومسح عينيه وقرأ فاتحة الكتاب وتفل عليه وزاد فى علفه خوفا من تلفه وبات تلك الليلة كما قال النابغة

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع

فلم يفزع سحابة الليل من الحرب والويل فلما نعر ديك الصباح وصاح وزهر كوكب الصباح ولاح قام المكارى من مهجعه ووثب من مضجعه وكاد يشتغل بالوضوء اذ قرعت سمعه صيحة أشد من الصيحة لا مسية فترك الوضوء وأسرع الى الدرب ليفتش عن الامر الحادث والخطب الكارث فاذا المحتسب بالباب وصاحب الشرطة كاشر الانياب والعامة أشد هجمه وأكثر وجمه مما كانوا بالامس فقال المكارى ماذا وقع قالوا ذلك التاجر أخذ كرة أخرى مع غلام للقاضى كالسيف الماضى يشرب القهوه ويصعد الجهوه فقال المكارى انا لله وانا اليه راجعون قطع الله أبره وأزال خيره ورزقنا جارا غيره ثم عدا الى حماره ليواريه فى بيت جاره فسبقه بعض العامة اليه وأجلسوا التاجر عليه فشق المكارى جيبه ولطم وجهه وشج رأسه وتمرغ فى التراب من فرط الحزن والاكتئاب وقال لا مرحبا بهذه السفرة المنحوسه والحركة المعكوسه فما أشد نحجمها للعود وأبعد نجمها عن السعود وكان على هذه الصفة الى أن مد الليل رواقه وضرب الظلام طراقه فخلى عن التاجر ورد الحمار الى المكارى وقد تمزق اهابه واسترخت أعصابه وصار لا يقدر على الحراك وأتى وقد أنشبت به اظفار الهلاك فأخذه المكارى كالمجنون ونحى برذعته واكاله ومرخ أعضاءه وأطرافه وسقاه الماء وترك بين يديه الاناء وكان من صدر الليل الى عجزه مستلب الفرار فى مداواة الحمار فلما انتشرت أعلام الضوء فى أقطار الجو أصاب أذنه صيحة أهول من الصيحتين الاوليين فوثب من مرقده ليتفحص عن الحال والداء العضال فاذا المحتسب عند الدرب وصاحب

الشرطة

الشرطة مشمر للضرب والعامة مجتمعة والاصوات مرتفعه فقال المكارى ماذا طرأ قالوا ذلك التاجر أخذ كرة ثالثة مع غلام للرئيس كالدر النفيس يشرب الخمر ويفعل ذلك الامر فقال المكارى استأصل الله شافته ودفع عنا آفته وقفز اليه وعض الانملة عليه وأخذ باحدى يديه فلببه ولكمه بالاخرى لكمة ضعضعت أركانه وقعقعت أسنانه وقال بقلب حنق وصوت مختنق ياخبيث الفرج ان كنت لا تتوب من هذه الحالة القبيحه ولا ترجع عن هذه الخصلة الشنيعة الفضيحه فاشتر حمارا تركبه أوقات النكال وساعة الوبال فى هذه الافعال فقد أهلكت حمارى وأزلت قرارى فها أنا أقول لسيدنا وقول المكارى للتاجر الفاجر ان كنت كاتب الملك فهيئ الطرس والنفس والا فالزم البيت والعرس فقد أفسدت دواتى وقلمى وأطلعت عناءى وألمى

﴿المقامة المغربية﴾

حدثنا مؤنس عن زعيم تونس بأحاديث تسلى الكئيب وتونس وتهزأ بالمقامة المغربيه وتدعها لا شرقية ولا غربيه لركاكة مبانيها وغور معين معانيها فمنها قوله تعاطينا كأس المنافثه وقدحنا زند المباحثه كقولى نازعناه كأس الحوار فأسكرتنا بلا اصداع ولا خمار وقدحنا زند الافكار فأضاءت أنوارها بغير نار وظننا أن الفضل والادب المعجب شالت نعامته وطارت به عنقاء مغرب وحنظلة بن صفوان لم يرله عقاب عزم منجب وشمس الهدى طلعت من مغاربها وباب التوبة أغلق وقد ضاعت مفاتيح مطالبها حتى لاحت من جانب الغرب قافله وفيها فتية لباب التوبة غير قافله صدقت حديث لا تزال طائفة من أهل الغرب تصدر الرعاء بعد ما استقوا بكل سجال وغرب وفيهم عيسى الجزرى أتى بكل وشى عبقرى الا أنه لما أطال توهم الملال فانه كان كما يقال

كلما تذكرشيأ * قال أملوه علينا

فلما بلغه تلك الاخبار بادر الى الاستعطاف والاعتذار وكتب دام سعد المولى فى صعوده وجده فى شرف سعوده وشهابه فى اشراق أضوائه وسحابه فى اغزار أنوائه وان مما روى أبو سعيد الخدرى فى الوصية بطالب العلم حديثه المشهور فى بابه وأنتم أهله وأولى به ثم قال

عياذا بصفو الحلم من كدر العتب * وغوثا بأنواء الشهاب من الجدب
لقد قرع الآذان منا اباه * تضاعف من مأثورها ألم الكرب
مقالة ان العبد فرق جمعه * ونكر من عرف وأبعد من قرب
فيا أيها البحر الخضم ومن غدا * يتيه به الشرق المنير على الغرب
حنانا ورفقا بالخويدم انه * ليضعف عما حملته يد العتب
فان أك قد قارفت ذنبا فذمتي * بمولاى ماتنفك تمحو قذى الذنب
فمازال ضوء للشهاب مجليا * ومابرحت أنواء نعماه في سكب

وحديث نصر الله امرأ لايعزب عن ذكر المولى وهو بتبليغ الوافد الغريب أحق وأولى ففهمت مقاله وقبلت عذره وقلت لله دره

تلك المكارم لاقعبان من ابن * شيبا بماء فصارا بعد أبوالا

ولو سمع الحريرى قول شامة الشام فيما أتى به فى الغرب من الجناس التام ماحوقل واسترجع وأنشد من قلب موجع

سل الزمان على عضبه * لبروعنى وأحد غربه حده
واستل من جفنى كرا * مراغما وأسال غربه مجرى الدمع
وأجالنى فى الافق أطوى شرقه وأجوب غربه مغربه
فبكل جو طلعة * فى كل يوم لى وغربه غروب
وكذا المغرب شخصه * متغرب ونواه غربه بعيده

وسيأتى من معانى الغرب ماتعلم أن بينه و بين هذا كما بين الشرق والغرب وانه قنع من الكثير بقليل ماقاله عملا بالمثل لم يحرم من فزد له ولولا أن الحظ لبى دعاءه وحرى من أخلاق المزن أنواءه ماتهادته الركبان ولاشكر صنيعة صنعته الزمان ولكن النظم والنثر توأمان قد تراضعا بلبان وتربيا فى حضانة الحسن والاحسان فانهما ديوان العرب الذى لم يزل يحفظ به الحسب والنسب وتوثر به القبائح والمحاسن وترفرف أهداب ريحانه على ماء غير آسن وله طبقات على مر السنين جاهلية ومخضرمين واسلاميين ومولدين ومحدثين ومتأخرين لحقوا حلبة المجلين والمصلين وكلهم استقوا بماء الكرم المعين ممن المكارم ضالته التى تنشد والمحامد غنيمة تجبى له ممن اتهم وأنجد ولم يكثر بنهكة ذى قربى ولا بحقلد والآن قد اندرس

النسب وذبحت الدجاجة التى كانت تبيض الذهب والليالى التى كانت خيالى ترجى ولادتها عقيم ولا أرض منبتة حتى يرعى الهشيم وقد صم الندا وخرس الصدا ومن عرف ما بين الصحابة جرى وذهب به دم الفاروق هدرا ولم يرتناطح عنزين اذ طل دم ذى النورين فمن يسمع شكاية الزمان وقول بديع الزمان الحلق النفيس لا يساعده الكيس ولا قرابة بين الذهب والادب وقد قامت الايام بين جمادى ورجب فصارت كلها عجائب فلا يسمع من يقول لها عجب وقالوا اذا ظهر السبب بطل العجب وأنا أقول اذا دام العجب صار عين السبب ومن أتى بعد الطبقة العاليه شرب من عين صافيه واستعار منهم حلل المبانى والحلى شغل أهله أن يعار وصاغ من نضارهم زخرف المعانى فصار عجلا له خوار وأغار عليهم فسباما سبوا وساق سائمة قالت فى كناس الظبى ألم تسمع بقصة الحاتمى مع أبى الطيب وظلامة أبى تمام التى تميز الخبيث من الطيب ولله در أبى اسحق فيما شنع به على السراق

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعى والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب انه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

على انا نقول ان خابت الظنون ففى المثل الحديث شجون والمطامع لا تمل خائنة العيون ولنا فى الغيب آمال لا تمل الانتظار والسؤال والسلام

﴿فصل﴾ فى بيان ما فى هذه المقامة من الفوائد قوله حنظلة بن صفوان هو نبى الرس الذى أهلك عنقاء مغرب لما اختطفت الصبيان قوله روى أبو سعيد الخدرى هو الصحابى المشهور وما ذكر اشارة الى الحديث الذى رواه السلفى فى معجمه مسندا الى أبى سعيد الخدرى انه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس لكم تبع وانه سيأتيكم رجال من أقطار الارض يتفقهون فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا رواه عنه أبو هارون العبدى وقال كنا اذا أتينا أبا سعيد الخدرى يقول لنا مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا ما شئتم انتهى قوله شامة الشام هو صاحبنا أبو المعالى درويش محمد الطالوى أديب الشام والابيات المذكورة هى للحريرى فى مقاماته أتى فيها بمعانى الغرب وأظهر فيها اطلاعه على اللغة وهى قطرة من غدير وزهرة من روض نضير عارضها صاحبنا الطالوى بقصيدة أبدع فيها وهى قوله

أمن رسم دار كاد يشجيك غربه * نزحت ركي الدمع اذ فاض غربه
(موق العين)
عفا آية نسج الشمائل والصبا * وكل هزيم الودق اذ فاض غربه
(ذهابه ومجيئه)
به النوء عفى شطره فكانه * هلال خلال الدار يجلوه غربه
(محل الغروب)
وقفت بها صحبي أسائل رسمه * بحاجة صب طال بالدار غربه
(التمادى)
على طلل يحكى وقوفا برسمه * على مثلها والجفن يذرف غربه
(الدمع)
أقول وقد أرسى الفنا بعراصه * وأزف أهليه البعاد وغربه
(النوى)
سقى ربعك المعهود ريعان عارض * يسح على سحم الاثافى غربه
(درره)
وليل كيوم البين ملق رواقه * على وقد جلى الكواكب غربه
(أوله)
أراعى به زهر النجوم سوابحا * بجرمن الظلماء قد جاش غربه
(أعالى الماء)
يراقب طرفى السائرات كأنما * لطول دوام نيط بالشهب غربه
(مقدم العين)
كان جناحى نسره قص منهما * قوادم حتى ما تزايل غربه
(التنحى)
ذكرت به لقيا الحبيب وبيننا * أهاضيب أحلام الحجاز وغربه
(شجره)
فهاج لى التذكار نار صبابة * لها الجفن أضحى يقذف الدمع غربه
(مسيل الدمع)

الى

الى أن نضا كف الصباح حسامه * وأغمد من سيف المجرة غربه
(حده)
وولت نجوم الليل صرعى كأنما * أريق عليها من فم الكاس غربه
(خمره)
وأقبل جيش الليل يغمد سيفه * بنحر الدجى والليل يركض غربه
(الفرس الكثير الجرى)
وزمزم فوق الايك قمرى بانه * بروض كفاه عن ندى السحب غربه
(يوم السقى)
فهب يدير الراح بدر بزينه * اذا قام يجلوها على الشرب غربه
(ساقه)
من الروم خوطى القوام بثغره * سلاسل راح يبرئ السقم غربه
(سلافة الريق)
بخد أسيل يجرح اللب طرفه * وطرف كحيل ينفث السحر غربه
(عينه)
يريك نظيم الدر منه منضدا * كمنطق داود اذا صال غربه
(الزبور)
فتى قد كساه الفضل ثوب بهائه * اذا خصمه قد شن بالفم غربه
(كثرة الريق)
فيا من رقى هام المعالى وفكره * لدى البحث أمضى من شبا الليث غربه
(المدى)
اليك أتت تغلى الغلا بدوية * ولم ينضها طول المسير وغربه
(بعده)
أرق من الصهباء فأعجب بسبيها * وأعذب من ثغر حوى الشهد غربه
(منقع الريق)
اذا ما جرت فى حلبة الشعر لم يك الكميت يدانيها وان زاد غربه
(حدة الجرى)

ولو عرضت يوما الغيلان لم يكن * بأطلال مى يغرق الجفن غربه
(انهلال الدمع)

فدونكها لا زلت تسموا الى العلا * مدى الدهر ما صب سقى الدار غربه
(الفيضة من الدمع)

وما غردت ورق الحمائم بالضحى * وأشرق وجه الكون وانجاب غربه
(المغرب)

قوله لم يحرم من فزد له هذا مثل يضرب لمن طلب شيأ لم يتيسر له وقيل له اقنع بما تيسر من القليل وأصله أن الضيف فى زمن القحط يؤمل أن من نزل عليه ينحر له فيفصد رب الدار راحلته ويجعل الدم فى المصارين وتشوى وتقدم للضيف ويقال اقنع بهذا فانى لا أقدر على أكثر منه وأصله فصد بضم الفاء وكسر الصاد فسكنت للتخفيف وحينئذ يجوز ابقاؤه على أصله وابدال صاده زايا أو يشم وهى لغة فصيحة فى الصاد بشرط سكونها سكونا أصليا أو عارضا كما هنا وفى كتب العربية ان هناك شرطا ثانيا وهو أن يكون بعدها دال وبه قرئ فى نحو فاصدع وفيه نظر لانه قرئ به فى صراط ومصيطر ولا دال فيه فلعله شرط لما هو مطرد مقيس قوله بنهكة ذى قربى ولا بحقلد هذا اشارة الى قول زهير فى قصيدة له أولها

غشيت الديار بالبقيع فثهمد * دوارس قد أقوين من أم معبد

ومنها

اذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية * من المجد من يسبق اليها يسود
سبقت اليها كل طلق مبرز * سبوق الى الغايات غير مجلد
كفضل جواد الخيل يسبق عفوه السراع وان يجهد ويجهد فيبعد
تقى نقى لم يكثر غنيمة * بنهكة ذى قربى ولا بحقلد
سوى ربع لم يأت فيها مخانة * ولا رهقا من عابد متهود

ومعنى قوله تقى نقى الى آخره أنه تقى فى ذاته نقى فى عرضه لم يكثر مال الغنائم بجور وغارة على من يقرب منه من القبائل وقوله حقلد بفتح الحاء المهملة والقاف وفتح اللام المشددة ورواه أبو عبيدة بفاء بدل القاف والمشهور الاول ومعناه السيئ الخلق لا يؤمن شره والطلق السخى المطلق كفه بالعطايا وغير مجلد أى يسبق من غير جلد بسوط ولا زجر

والنهكة

والنهكة الجور بما ينهك و يضعف والربع جمع ربعة وهو من يعطى ربع الغنيمة كما كانوا يعطون الرئيس الربع أوهو مفرد برتبة خمس ومتهود بمعنى متخشع والخانة الخيانة والظلم و بحقلد عطف على متوهم أى ليس عنده كثر ولا بحقلد فهو معطوف على مجرور بباء زائدة متوهم كما ذهبوا اليه والمعنى انه براء من النقص ولم يكتف بما يغنمه ممن يغير عليه و ينهكه و يضعفه بأخذ ماله وانما يأخذ ما كانت الملوك تأخذه فى الجاهلية ولك أن تقول انه معطوف على بنهكة من غير تأويل بما قالوه والمعنى انه لم يكثر مال غنائمه بجوره على أقربائه ومن بجواره ولا بأخلاقه السيئة من الشح وجوره على من بجواره فتدبر واختر لنفسك ما يحلو قوله الدجاجة التى كانت تبيض الذهب تلميح لمثل عامى فى قصة وهو أن بعضهم كان يرسل لانسان فى كل سنة ذهبا على هيئة بيضة ثم قطعه عنه فلما طلبه منه قال له الدجاجة التى كانت تبيض الذهب بعناها يضرب لكل من طلب شيأ بعد فوات زمنه ونظمه الثعالبى بقوله

من كان ينفعها الادب * ويحله أعلى الرتب
فلقد خسرت عليه ما * ورثت من أم وأب
كم ضيعة كانت تصو * ن الوجه عن ذل الطلب
أتلفتها لا فى القيا * ن ولا هوى بنت العنب
بل فى الحوادث والحوا * ئج والشوائب والنوب
كم قلت لما بعتها * وحصلت فى أسر الكرب
ذهبت دجاجتنا التى * كانت تبيض لنا الذهب

قوله بين جمادى ورجب اشارة الى الكلام المشهور وهو بين جمادى ورجب ترى العجب وهذا مثل ذكره الجاحظ فى كتاب الاضداد فقال أول من قال كل العجب بين جمادى ورجب عاصم بن المقشعر الضبى وذلك أن الخنيس بن الخشرم كان أغير اهل زمانه وأشجعهم وكان لعاصم أخ اسمه عبيدة عزيزا فى قومه فهوى امرأة عند الخنيس فلما بلغه ذلك ركب اليه فرآه راجعا من عندها فقتله فلما بلغ أخاه عاصما خرج اليه فى أواخر جمادى قبيل رجب لانهم كانوا لا يقاتلون فيه فانطلق حتى أتى باب خنيس ليلا وناداه أجب المرهوق فقال لماذا فقال انى دخيل من ضبة والعجب كل العجب بين جمادى ورجب غصب أخ لى امرأة فذهبت استنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله فخرج

الخنيس له راكبا فرسه معتقلا رمحه وهو مغضب فلما دنا منه قنعه السيف فابان رأسه وفى معناه المثل الآخر وهو سبق السيف العذل وقائله ضمضم بن عمرو اللخمى انتهى قوله بقصة الحاتمى مع أبى الطيب الى آخره أما قصة الحاتمى فهو كما قال ان المتنبى لما دخل بغداد صعر خده ونأى بجانبه يرفل فى برد التيه ولا يلقى أحدا الا يزدريه يخيل له ان العلم مقصور عليه والشعر بحر لا يغترف الا منه ونور روض لم يجنه غيره فتوخيت أن يجمعنى واياه مجلس يعرف فيه منا السابق من المسبوق فلما لم يتفق لى ذلك قصدته فاذا هو على فرش باليه قد أكلها الدهر فهى رسوم خافيه فلما رآنى نهض الى بيت بازائه حتى جلست فاقبل وعليه سبعة أقبية كل منها بلون فى أشد ما يكون من الحسن يحفها فضل اللباس فوفيته حق السلام غير مشاح له فى القيام مع علمى انه لم يدخل المخدع الا لئلا ينهض عند موافاتى فلما جلس أعرض عنى ساعة طويلة لا يعيرنى طرفه ولا يسألنى عما قصدت له فكدت أحترم من الغيظ ولمت نفسى على قصده واستخففت رأيى فى زيارة مثله وهو مقبل على جماعة يقرؤن عليه شيأ من شعره وكل منهم يوقظه ويغمزه ويومى اليه بما يجب عليه أن يفعله ويعرفه مكانى وهو لا يزداد الا ازورارا ونفارا ثم ثنى بصره الى وقال أى شئ خبرك فقلت خير لولا ما جنيته من قصد مثلك وكلفت قدمى فى المشى اليك ثم تحدرت عليه تحدر السيل وقلت أبن لى عافاك الله ما الذى أوجب ما أنت عليه هل لك نسب فى الابطح تبجحت به بحبوحة الشرف وتوسطت به واسطة السلف أو علم أصبحت به علما يومى اليه وتقف الهمم عليه هل أنت الا وتد بقاع وانى لأسمع جعجعة ولا أرى طحنا فسقط فى يديه وقال لى لم أعرفك فقلت له هب الامر كذلك أما رأيت تحتى بغلة رائعة وبين يدى غلمان عدة أما شممت نشرى أما شاهدت لباسى أما راعك من أمرى ما أتميز به عندك عن غيرى فقال لى خفض عليك فاعرضت عنه ساعة ثم قلت له عندى أشياء تختلج فى صدرى من شعرك أحببت ان أراجعك فيها فقال ما هى قلت أخبرنى عن قولك

اذا كان بعض الناس سيفا لدولة * ففى الناس بوقات لها وطبول

أهكذا تمدح الملوك وأخبرنى عن قولك

ولا من فى جنازتها تجار * يكون وداعها نفض النعال

أهكذا ترثى أم ملك أما والله لو قلت هذا فى أدنى عبيدها لكان قبيحا وأخبرنى عن قولك

فى

فى صفة كلب

فصار ثانى جلده للرجل * ولم يضرنا بعد قصد الاجدل

أترى أعجبك من هذا أعذوبة لفظه أو لطف معناه وأخبرنى عن قولك فى هجاء ابن كيغلغ

واذا أشار محدثا فكأنه * قرد يقهقه أو عجوز تلطم

أما فى أفانين الهجاء التى أبدعها الشعراء مندوحة عن هذا الكلام الرذل الذى يمجه كل سمع ويعافه كل طبع أما قرأت رجز الحسن بن هانئ وطرديات ابن المعتز أما فى غرر الالفاظ ما تتشاغل به عن بنيات صدرك فاقبل على وقال أين أنت من قولى فى وصف جيش

فى فيلق من حديد لو قذفت به * صرف الزمان لما دارت دوائره

ومن قولى

كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الاسنة من هموم * فما يخطرن الا فى فؤادى

وقولى

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى * رضوى على أيدى الرجال تسير

أما يكفيك احسانى فى هذه عن اساءتى فى تلك فقلت ما أعرف لك احسانا فيما ذكرت وانما أنت سارق متبع وآخذ مقصر أما قولك كأن الهام الخ فمأخوذ من قول منصور النميرى

وكأن موقعه بجمجمة الفتى * حذر المنية أو نعاس الهاجع

وأما قولك فى فيلق من حديد فمأخوذ من قول أرسطو فى آخر مقالته قد تكلمت بكلام لو مدحت به الدهر لما دارت على صروفه وأما قولك ما كنت آمل البيت فمأخوذ من قول ابن المعتز

قد ذهب الناس ومات الكمال * وصاح صرف الدهر أين الرجال

هذا أبو العباس فى نعشه * قوموا انظروا كيف تسير الجبال

فقال أحد من حضر ما أحسن قوله (قوموا انظروا الخ) فقال المتنبى أسكت ما فيه ما حسن انما أخذه من قول النابغة الذبيانى

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم * فكيف بحصن والجبال جنوح

فقلت ان أخذه فقد أحسن المأخذ وأخفاه وأما قولك أنت فمأخوذ من قول أبي تمام فقال من أبو تمام فقلت الذي سرقت منه وبخسته بقولك

شرف ينطح السماء بروقيه وعز يقلقل الاجبال

لجعلت شرفه قرنه لان الروق القرن فقال انها استعارة فقلت لكنها خبيثة فقال أقسم بالله ما رأيت شعره أليس هو القائل

سبعون ألفا من الاتراك قد نضجت * جلودهم قبل نضج التين والعنب

والقائل

كانوا رداء زمانهم فتصدعوا * فكأنما لبس الزمان الصوفا

فقلت له من الدليل على قراءتك شعره تتبعك مساويه فقال أكثرت على من ذكر أبي تمام لاقدس الله روحه فقلت لاقدس الله روح السارق منه والواقع فيه ولكن ما الفرق في كلام العرب بين التقديس والقداس والقادس فقال وأي شئ غرضك فقلت المذاكرة فقال لا بل المهاترة ثم فكر ساعة وقال التقديس التطهير وكل هذه الالفاظ تؤول اليه فقلت له ما أحسبك أمعنت النظر في اللغة ولو عرفتها ما جمعت بين هذه المعاني مع بعد ما بينها القداس حجر يلقى في البئر ليعلم كثرة مائها من قلته والقادس السفينة فلما علوته بالكلام قال يا هذا أنا أسلم لك أمر اللغة فقلت أتسلمها وأنت ابن بجدتها ثم سكت عنه لما علمت ان الزيادة على هذا ضرب من الاشر وكان في نفسي شئ بلغته ثم قمت فقام معي مشيعا فأقسمت عليه حتى رجع ثم وفدت عليه بعد ذلك فرأيت من فصاحته وحسن عبارته ما حداني على عمل الحاتمية وأما ظلامة أبي تمام التي صنفها الخالدي فهي قال اني مخبركم عن سرى سريتها ومنام رأيته وكلام حفظته فيه فحضرته طال به الليل حتى تجانف عن قصره ومال به القول عن مواقف حصره فبت في عشاره غاليا وقد تعترى الاحلام من كان نائما ومن حق تأويله أن يقال (خيرا رأيت وخيرا يكون) وهو اني رأيت فيما يراه الحالم الرائى أبا تمام بن أوس الطائى في صورة رجل كهل كاس من الفضل عار عن الجهل العربية تعرب عن شمائله والالمعية تلمع من مخائله لجعل يرمقني في اعراض ويستتب لمقتي عن اعتراض ثم سعى الى بأقدام الاقدام على معرفتي بنفسه بعد ان عرفني بثاقب حدسه

فقمت

فقمت للزور مرتاعا فأرقني * حقا أرى شخصه أم عادني حلم

فلما سلم على وحيا وجاورت منه كريم المحيا قال ألست ابن نصر شاعر العصر وغار ماء وجهه ونضب وأثار حقده على الغضب وقال يا معشر الادباء الفضلاء الالباء متى أهملت بينكم الحقوق وحدث فيكم هذا العقوق وأضيعت عندكم حرمة السلف وخلف فيكم هذا الخلف أأنهب وتغضون ويغار على وترضون ألست أول من شرع لكم البديع وأنبع لكم عيون التقسيم والتصريع والترصيع وعلمكم شن الغارات على ما سن من سنن عجائب الاستعارات وأراكم دون الناس غرائب أنواع الجناس وكل شاعر بعدى وان أغرب وزين أبكاره فأعرب فلا بد له من الاعتراف بأساليبي والاغتراف من ينابيع قليبي وهذا حق لى على من بعدى لا يسقطه موتى ولا بعدى

ومن الحزامة لو تكون حزامة * أن لا تؤخر من به تتقدم

قال فلما ملكتني صورة دعواه وحركتني فورة شكواه قلت أيها الشيخ الاجل سلبت المهل وألبست الخجل فما ذاك ومن ذاك قال كنت بحضرة القدس ومستقر الانس اذ جاءني عبدان لم يكن لى بهما يدان فأزلفاني الى مقر الخلفاء وأوقفاني بين يدي الائمة الاكفاء فأذاديهم جماعة الوزراء والقضاء ومن كنت أمتدحهم أيام الحياة فأوفوا بالدعوى على الى ابن أبي دؤاد وكان على شديد الانتقاد سديد اسهام الاحقاد فحكم على برد صلاتى والفدية لجميع صومى وصلاتى فقلت قول المدل الواثق عائذا بالمأمون والمعتصم والواثق يا أمير المؤمنين ما هذه المؤاخذة بعد الرضى وقد مضى لى فى خدمتكم ما مضى فقال المأمون وقد صمت الباقون يا ابن أوس انك مدحتنا والناس بأشعار منحوله وقصائد مقولة منقوله وكلام مختلق برقته من قائله قبل أن يخلق فلما آن أوانه وانتسق زمانه استرد ودائعه منك وهو غير راض عنك فقلت ومن الذى أعدمني بعد الوجود وعاضني العدم بالجود وملك على فنى وأصبح أحق به منى فقال كأنك لا تعرف الواعظ الموصلى البلاد الحوصلى الولاد الغريب العمه القريب الهمه البعبعى الايراد اللوذعى الانشاد

كأنما بين خياشيمه * مفكر يضرب بالطبل

الذى انتزعت مدائحه وارتجعت منائحه واستقبلت بقلائده واحتملت بقصائده بعدما كنت تغير أسماءها وتحلى بغير نجومها سماءها فأصبح يتقرب الى ملوك عصره بما كنت تدعيه ويعى منك مالم تكن تعيه نازعا عن وجهها ستور النقب واضعا هناها مواضع النقب قد جعل اليه عقدها وحلها وكان أحق بها وأهلها فقلت خاب الساعون انا لله وانا اليه راجعون قد كان عهدى بهذا الرجل فارضا فتى أصبح قارضا وأعرفه يتستر بالحشوية فتى بين البديهة والرويه وكان ذا طبع جافى عن التعرض لنظم القوافى وقد كان أخرج من الوصل وليس معه قوت يوصل فاشتغل بترهات القصاص نصبا على ذوات الاعين من وراء الخصاص

وعاش يظن نشر الافك وعظا * وينصب محرما شرك الشباك

وأين منابذة الوعاظ من جهابذة الالفاظ بل أين أشعار الكراس من قولى ماقى وقوفك ساعة من باس والعبد يسأل الامراء عنه ليتلطفوا فى ارتجاع ما انتزع منه فقال اذهب واثنى بيقين وادفع عنك بوادر الظنون وبادر فى النصرة وانتصح واستعن بقومك وصح

يا آل جلهمة تدارك اغا * أشعار عتبك ذابل ومهند

قلت قد بدت بينى وبين قومى جراح فأتيتهم شاكى السلاح جادين فى الحاق الحكيك بصاحب الشويك وقد بدؤا بكسر رجله

وكنت اذا قومى غزونى غزوتهم * فهل أنا فى ذا آل همدان ظالم

وقد كان بلغنى انه امتدح فى ذا العام شكر البعض سوابغ الانعام بعض الرؤساء بقصيدة تليق بالحال وتأنف من تلفيق المحال أنشدت من امتداحها بعد الثناء على افتتاحها

كيف لا آمن العدا وكريم الملك لى من نوائب الدهر جار
ماجد حل فى سماء المعالى * غاية لاتنالها الابصار
فاذا رامت الجياد مداه * صدها عنه عثير وعثار
أريحى اذا احتذاه الامانى * صغرت عن نداه وهى كبار
تتغادى من فيض راحته السحب وتعتار من يديه البحار
ويرى ماله بعين جواد * لم يفتها نزاهة واحتقار

عجب

عجب الناس اذا رأوا لك صدرا * يسع الارض كيف تحويه دار
أى دار تعتزفيها المعالى * حلبة فهى للعلا مضمار
كل يوم بحافتيها من العلم بحار لفيضها تيار
ومناجيد فى مناهبة الفضل اذا ماتناظروا أنظار
وربيع من ربعه زهرات الروض فيها البهاء والاعتبار
ولآى القرآن فيها مجال * يقتضيه الاعذار والانذار
والتقى والاناة والجد والسو * دد والمال والنهى والوقار
مجلس فيه من مناقبك الغر جلال عن عزة واقتدار
منزل الفضل منك منزل اهل تحامى بربعه وتغار
قدغرست المعروف فى كل كف * فاجتن الحمد ياهناك الثمار

ومن مدح بهذا الشعر النفيس فما حاجته الى المدح البئيس ومن بنى بهذه الابكار مل سمعه غيرها من الاذكار

والحمد لا يشترى الاله ثمن * مما يضن به الأقوام معلوم

فقلت يا أبا تمام ان سيدنا الرئيس قد أصبح له محاسن جعلها موسما لأعلاق الثنا ومبسما له باعناق المنى وسوقا لكل شاكر وحامد محفوفا ببيع المناقب فيه والمحامد مجلو باليه نفائس الافهام مجلوا عليه عرائس الاقلام وليس بهذا المجلس ولا فيه الامن أوجب الشكر لصاحبه على فيه فكلهم قد أغناه عن الدهر وأفقره الى الشكر وما كان المنظوم أنبه ذكرا والموزون أنبل شكرا وما كل أحد يسلك النظر سبيله وما علمناه الشعر وما ينبغى له عدل المقل الى المكثر وعول المحتاج على الموسر ورجع اليك فى النفقة وما ينقص مال من صدقه

وان امرؤ قد ضن عنى بمنطق * يسد به فقرامرئ لضنين

فقال اسمع مالا يدفع اذا كان الأمر على ماذكرت ووقع اعترافك على ما أنكرت فلم وقع هذا الذنب على بختى وكيف لم يسكن غير ملابس تختى ولم خصنى بازالة مصونى وحفنى بتحيف غصونى وهلا قصد فى النهب لمدائح ابنى وهب وهما غمام الزمن الجديب وهما ماليوم العصيب وماهذا الانفراد ببنائى والانخضاد لناضر حياتى والانقضاض على قصائدى والاقتناص من حبائل مصائدى

سرقات منى خصوصا فهلا * من عدو أو صاحب أو جار

ولم يعدل عن شعرى الى شعر ابن الرومى وهلا كان بحترى فى مثل هذا على البحترى وكيف آثر قربى على قرب المتنبى وليته قنع ورضى بشعر الشريف الرضى أو استدرك مافاته من شعر أبى تمام أو انتحل المختار من شعر مهيار على أن مثل هؤلاء الفضلاء لا تجب عليهم الزكاة وليس فى الشعر نصاب حتى تجب فيه الزكاة وليس على فكرتى اغتصاب

وان أتصدق به حسبة * فان المساكين أولى به

فقلت له ان هذا الرجل لم يكن للقريض باص ولكنه قريب عهد بحمص وكان أقام بها جامح العنان طامح العينان ولو أضاف قلائد النحور اليه لم يجد من ينكر عليه فهو يقول ماشا من غير أن يتحاشا

لانهم أهل حمص لا عقول لهم * بهائم أفرغوا فى قالب الناس

ولم يزل حتى انتدب له من سراة جندها من بحث عنه ونقب فخرج منها خائفا يترقب والماورد دمشق رمى فى اغراضها بذلك الرشق

ومايستوى المصران حمص وجلق * ولا حصن جيرون بها والخورنق

وكانت قادة حمص وسادة دمشق تروعه حتى كوشف وقوشف ورجع به القهقرى ودفع فى صدره الى وراو قيل أين يذهب بك وما هذه الشقشقة فى محبك أفى مجلس هذا الشريف المنيف قدره العالى ذكره الغالى شكره تبهرج لباس الايام وتبرج عوانس الغلام وتطوى من القوافى ما خلق ورث وتورى فيما أنهكه العث ولم تزل تضطره كثرة التوبيخ وقلة الناصر والصريخ الى أن أشهد على نفسه منذ ليالى بالبراءة من أناشيده الحوالى والتوالى وأذعن بالاقرار بما دافعت عنه يد الانكار

ومذهب مازال مستهجنا * فى الحرب أن يقتل مستسلم

وأزيدك فيما أفيدك ان هذا الرجل من الانحراف عن شعرك على شفا وكأنك به عنك قد انكفا لعلمه انه أخلق منه ماجد والى متى ينتحل هذا اللكع المردد وقد كان طالبنى منذ أيام باعارة شعر ابن المعتز مطالبة مضطر اليه ملتز وقد استرحت من شره وضيره والسعيد من كفى بغيره

رب أمر أتاك لا تحمد الفعال فيه وتحمد الافعالا

فقال

فقال ان كان الامر على ما شرحت فقد أشرت بالرأى ونصحت ولكن متى انجاز هذا الوعد والخلف منوط بخلق هذا الوغد فانه يقول ويحول وأنت تعرف ما تلى فردوه الى الله والرسول ولو أمكن اقامة هذا الامر المتآد بحضرة ابن أبي دؤاد أبرأت عند الجمهور ساحتي وعدت من أمر الله تعالى الى مستقر باحتي ولكن دون الوصول الى الحاكم عقبة كؤد ولا حاجة بنا الى الاضرار بالشهود واذا قد ضمنت عنه ما ضمنت وأمنت منه على ما أمنت فلا حاجة اليك وما أريد أن أشق عليك وهو أن تعدل بيننا في القضيه والحالة المرضيه وتتفضل على بيد تسديها الى وتأذن لى فى انشاد أبيات مدحت بها هذا الرئيس قلتها خدمة له وقربة اليه لعل أن تكون الجائزة خروج الامر العالى باخراج الخصم الى مجلس الحكم وأن يوكل به من اجلاد الساهرة من يسير معى الى الدار الآخرة لأبرأ باقراره لى عند قاضى القضاه عما شهدت به هذه المقاضاه وليسلم عند الخلفاء الراشدين عرضي ويحسن على الرب الكريم عرضى ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام فضمنت له عن سيدنا ما أشتهى وانتهيت من اقتراحه الى حيث انتهى ولم يزل يكرر على أبياته حتى وعيتها فرب قائل ما هى وقائل هاهى

يا معمل اليعملات فى ظعنه * سرى وسيرا مقارنى قرنه
يجوز جوز الفلا به أمل * جافى جفون الوسنان عن وسنه
لا يمتطى ساكن المطى ولا * يبيت طيف الخيال من سكنه
اذا استكن السراب خادعه * عاد بفيض الندا على سننه
وان أجن الظلام مقلته * أمسى صباح النجاح من جننه
يبيت عرف الكرام فى يده * ينسيه عرف الجنان فى أذنه
ان باعدته الارزاق قربه * جود ابن عبد الرزاق من سننه
ففز بنحل العلا وقل كرم الملك مقال البديع فى لسنه
يا مشترى الفاخر النفيس من الحمد بأغلى العطاء من ثمنه
عمرت ربع الندى لرائده * بعد وقوف الرجاء فى دمنه
يثنى لسان الثناء نحوك ما * أحييت من فرضه ومن سننه
خلقا وخلقا قد أتعبا فكرى * ما بين احسانه الى حسنه

يحكى معد الند الوارده * لايحوج المستقى الى شطنه
فرع سماء تبدت أنجمها * تلوح لوح الثمار فى غصنه
اذا جنته أيدى العفاة رأت * أقرب من ظله الى فننه
ينافس الوشى فى جلالته * منه ثياب التقى على بدنه
يرى بعينى قلب له يقظ * مستقبل الكائنات فى زمنه
أروع يبدو منه مهذبة * ماتعب الالمعى من فطنه
مقتبل الوالدين بورك فى * ميلاده والصريح من لبنه
فاحتل هذه الرياستين وقد * أفصح فيه القريض عن لقنه
واستغن من لمه بغانية * تغنيك عن لهوه وعن ودنه
والبس لباس الثناء مقتبلا * يسحب من ذيله ومن ردنه
يردع لا ليس من معادته * صناع صنعائه ولا عدنه
تأنف أن تنتمى الى يمن الارض وان كان من ذوى يمنه
وافاك ضاحى الجلباب من دنس الظنة صافى الاديم من درنه
فاسلم لدار العلا تعمرها * ماحن ذو غربة الى وطنه

وشعر المعرى فى معنى المثل المذكور فى الاغانى قال لما أسر الشنفرى قالوا له أنشدنا فقال انما النشيد على المسرة فذهبت مثلا انتهى

﴿خاتمة﴾ لما تمسكت بذيل التمام أردت أن أعطره بمسك الختام من فوائد سنيه ومسائل علمية وأدبية منها انا تجاذبنا فى بعض الايام أردان المذاكره وتنازعنا قضب ريحان المحاوره فى اختلاف وجوه القرآات وماوقع فيها من محاسن التوجيهات فذكرنا ان قالون همز النبى حيث وقع الا فى موضعين من سورة الاحزاب فى قوله عز وجل لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم وقوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى فأبدلها ياء فى الوصل وهمزها فى الوقف كما ذكره الشاطبى الا أن الشاطبى لم يصرح باختصاصه بحال الوصل وكان عليه أن يذكره وبذلك اعترض عليه النويرى فى شرحه للطيبة وسلم له جماعة فظنوه واردا عليه فقلت انه لم يهمله الا أن المعترض لم يتنبه له فانه يعلم من قوله مبدلا فان ابدال الهمزة اما لسكونها وتحرك ماقبلها فتبدل من جنس حركة ماقبلها لزوما كما فى آدم أو جوازا كما فى يومنون ونحوه

أو لاجتماع همزتين كما في أئمة على الاصح ففهم من ذكره الابدال انه اجتمع فيه همزتان وذلك لا يكون الا في الوصل فلذلك رجع الى أصله في الوقف لعدم السبب فيه وهو أظهر من الشمس فان قلت فلم يسهلها كما سهل غيرها قلت لما رأى الابدال هنا جاريا على القياس فيه رجحه لموافقته لغيره ولانه أفصح من التسهيل ولذلك أنكر على من قال يا نبيء الله بالهمز وهذا عام الاغبار عليه وقد نظمت ذلك فقلت

همز النبي لقالون كما نقلا * في غير موضعي الاحزاب ان وصلا
لا الوقف اذ لم يكن فيه له سبب * بجمع همزين حتى يوجب البدلا
موافقا لسواه فهو أرجح من * تسهيلها ولهذا عنه قد عدلا

فلله در التنزيل وما فيه من دقائق التأويل فان الحسن وقف عليها والسحر اذا شاهدها آمن بها ورمى حباله لديها فنادته حيّ على الفلاح فما الساحر لدى فلاح ولا نجاح فان كل رسول أرسل الى قومه بما له في سوقهم رواج ورعى ساعتهم ليظفر منها بالنتاج ألا ترى أن عيسى لما بعث لقوم فيهم الحكمه أحيي الموتى وأبرأ الابرص والاكمه ونبينا صلى الله عليه وسلم لما ظهر من العرب وهم فازوا من البسالة والبلاغة بأعلى الرتب وقاموا بين أظهرهم بالشعر والخطب كان أعظم معجزاته الفرقان الذي أخرس شقاشق البيان فتحداهم باعجازه فضلوا في تيه الحيرة ولم يهتدوا الحقيقة مجازه فرأوا حنين الجذع وهم خشب مسنده لم تورق ولم تثمر فهم حطب النار الموقده فسحقا لأصحاب السعير الذين رجع بصر بصيرتهم خاسئا وهو حسير

﴿فصل﴾ اعلم أن البلغاء طبقاتهم العليه الجاهلية الاولون ثم المخضرمون ثم الاسلاميون ثم المولدون ثم المحدثون ثم المتأخرون والعصريون فهذه الطبقات الست ثلاث منها حاز واقصب السبق في حلبة الرهان معرفة كلامهم فرض كفاية في الاسلام لانه يستدل به على الكلام العربي الذي يستنبط منه أحكام الحلال والحرام وألحق به بعضهم ما بعده كاثبات لطائف المعاني دون الالفاظ المحكمة المباني ومن حققه لم يكن منه على ثقه واذا أصغيت لما تلوناه عليك فاعلم أن في الشعر دقائق لم يكشف عنها الغطا وها أنا ألقي اليك ما لم تهتد له القطا مقلدا جيد الذهن منها فرائد توأما ولو ترك القطا ليلا لناما * فمنها ان أهل المعاني قالوا ان التعقيد المعنوي واللفظي

ينافى الفصاحة فقال بعض المتأخرين ان الالغاز كلها غير فصيحة لما فيها من التعقيد المعنوى وليس كما قال لان ابن هلال العسكرى قال فى كتاب الصناعتين انها فصيحة وان التعقيد انما يكره اذا لم يقصد فان قصد فهو فصيح ومما يؤيده أن الاسنوى قال فى كتابه طراز المحافل ان من السنة أن يلقى الالغاز على من فى مجلسه لتشحيذ الاذهان لما رواه البخارى عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الاشجار شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم حدثونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى قال ابن عمر فوقع فى نفسى أنها النخلة واستحييت فقالوا ماهى يارسول الله قال النخلة انتهى قال ابن هلال ومنه نوع بديع سميته شبه الالغاز وهو أن يوصف شئ بصفات تساق على نهج اللغز وليس المقصود الالغاز كقول القاضى ناصح الدين الارجانى لبعض الوزراء يطلب منه خيمة

فياشمس بل ياوبل هل أنت منقذى * ومنقذ صحبى من يد الشمس والوبل

بحدباء ان تورت خرت لوجهها * صريعا وان نوخت قامت على رجل

من البلق يعلو ظهرها هام أهلها * وفى السير تعلو أظهر الخيل والابل

وتصلح عند الناس للضرب وحده * فتضرب مادمت فى الحزن والسهل

ومن عجب ان لم تقم قط قومة * اذا هى لم تربط بشئ من الشكل

وهذا وان كان فارسى الاصل له طبيعة عربيه وروية من ماء الفصاحة رويه وورد من الفصاحة عذب المشرب ومذهب بزخرف البراعة مذهب كقوله من قصيدة أولها

رأيت الطريق الى الوصل وعرا * فقدمت رجلا وأخرت أخرى

(ومنها)

عليك بتفريغ قلب الودود * لكى يجد الود فيه مقرا

وسر غير ملتفت انما * الى الله تخطو من العمر جسرا

لك الشهب والدهم مخلوقة * فاحسن بهن اليه المفرا

(وله أيضا)

تذم زمان السوء ياصدر أهله * ولولا زمان السوء لم تتصدر

﴿طبقات الشعراء﴾

اعلم أن معجزة كل نبى على وفق زمانه وقومه ولما كان أشرف الخلق العرب وأعظم

ماعندهم

ماعندهم الشجاعة والفصاحة والكرم كان أعظم معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز بفصاحته و بلاغته ولما كان خاتم الرسل ولا نبي بعده جعل له معجزة باقية الى القيامة لا تزال تتلى وجديدة على كثرة الترداد لا تخلق ولا تبلى وقال ابن دريد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع الصحابة اذ نشأت سحابة فقالوا يارسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد تمكنها قال كيف ترون رحاها قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال كيف ترون بواسقها قالوا ما أحسنها وأشد استقامتها قال كيف ترون برقها أوميضا أم خفيا أم يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال كيف ترون جونها قالوا ما أحسنه وأشد سواده فقال الحيا فقالوا يارسول الله ما رأينا أفصح منك قال ما يمنعني وانما أنزل القرآن علي بلسان عربي مبين قال القالي القواعد الاسافل جمع قاعدة والقواعد من النساء التي لا تلد جمع قاعدة و رحاها وسطها ومعظمها كرحا الحرب و بواسقها ما علا وارتفع ومنه بسق اذا شرف وكرم و وميض البرق لمعه الخفي ومنه أومض اذا غمز والخفي البرق الضعيف والجون الاسود والابيض وهو من الاضداد والحيا بالقصر الغيث وجمعه احياء بالمد و بلغاء العرب في الشعر والخطب على ست طبقات الجاهلية الاولى من قوم عاد وقحطان والمخضرمون وهم من أدرك الجاهلية والاسلام والاسلاميون والمولدون والمحدثون والمتأخرون ومن ألحق بهم من العصريين والثلاث الاول هم ماهم في البلاغة والجزالة ومعرفة شعرهم رواية ودراية عند فقهاء الاسلام فرض كفاية لانه به تثبت قواعد العربية التي بها يعلم الكتاب والسنة المتوقف على معرفتهما الاحكام التي يتميز بها الحلال والحرام وكلامهم وان جاز فيه الخطأ في المعاني لا يجوز فيه الخطأ في الالفاظ وتركيب المباني اذا عرفت هذا فاعلم أن الطبقات الثلاث الاول جمعوا أشعارهم في كتب كثيرة غير الدواوين كالحماسة والفضليات واشعار هذيل وغيرها من الكتب المفيدة وها أنا أورد منها ما تقر به عيون الادب وتنشرح به صدور الطلب من كل ما يدخل الاذن بغير اذن وأورد من نثرهم ما يكون نثارا على عرائس الافكار وعقدا في جيد البصائر والابصار من عهد عاد وقحطان وملوك حمير وعبد مدان الى فوارس الارباع الى ذي فايش الحميري قال القالي كان ذو فايش يحب اصطناع سادات العرب و يقرب مجالسهم و يكرم مجالسهم لجاه عليه وكان شاعرا احدثا فقال له ألا تحدثني عن

أبيك ورأعمامك فقال بلى أيها الملك هم أربعة زياد ومالك وعمرو ومسهر ولذلك قيل لهم الارباع فاما زياد فما استل سيفه مذ ملكت يده قائمه الا أغمده فى جثمان بطل أو شوامت جمل وكان اذا حملوا النجيد وصلصل الحديد وبلغت النفس الوريد اعتصمت بحقونه الابطال اعتصام العصم بذرى القلال قد دامتهم الابطال ذياد القروم عن الاشوال وأما مالك فكان عصمة الهوالك اذا اشبهت الاعجاز بالحوارك يفرى الرعيل فرى الاديم بالازميل ويخيط البهم خيط الذئب نقاد الغنم وأما عمرو فكان اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وتغادت الكماه خاض ظلام العجاج وأطفأ نار الهياج وألوى بالاعراج وأردف كل طفلة معياج ذات بدن رجراج ثم قال لاصحابه عليكم النهاب والاموال الرغاب معطاء لا ضيق شكس ولا حقلد عكس وأما مسهر فكان الذعاف الممقر والليث المخدر يجئ الحرب فيسعر ويبيح النهب فيكثر ولا يحتجز فيستأثر فقال له لله أبوك مثلك من يصف أسرته (وهنا فوائد) قال أبو على الحدث بالضم الحسن الحديث والحديث بكسر فتشديد الكثير الحديث والحدث الشاب والجثمان الشخص والجثمان جماعة الجسم والنجيد الحمائل وصلصل بمعنى صوت والوريد حبل العاتق والاشوال جمع شول وهو جمع شائلة بمعنى ناقة ارتفع لبنها والرعيل جماعة الخيل والازميل بزاى محجمة الشفرة والعيهمة التامة الخلق أو السريعة وينتحى بمعنى يعتمد والصرف صبغ أحمر والبهم جمع بهمة وهو الشجاع الذى لا يدرى من أين يؤتى والمصمت الذى لا اصداع فيه والنقاد جمع نقد وهى صغار الغنم وعصب بمعنى غلظ ريقه ولصق بفمه وتغادت استتر بعضهم ببعض وألوى بمعنى ذهب والاعراج جمع عرج من الابل نحو خمسمائة والطفلة الناعمة والحقلد السيئ الخلق كما قاله يعقوب والعكس والعكص بالسين والصاد العسر الاخلاق والذعاف سم سريع القتل والممقر الشديد المرارة أو الحموضة ويحتجز بمعنى يختفى والحقلد لغة يمانية وقعت فى شعر زهير بن أبى سلمى فى قصيدته التى مدح بها هرم بن سنان أولها

غشيت الديار بالنقيع فثهمد * دوارس قد أقوين من أم معبد

أربت بها الارواح كل عشية * فلم يبق الا آل خيم منضد

ومنها اذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية * من المجد لم تسبق اليها بسودد

قوله والعيهمة وقوله ينتحى وقوله والصرف وقوله والمصمت لم يتقدم لها ذكر فى كلام الشاعر فانظر هل هى ساقطة من كلامه وحرراه

ألبس بفياض نداه غمامة * ثمال اليتامى فى السنين محمد
سبقت اليها كل طلق مبرز * سبوق الى الغايات غير مجلد

ومنها

تقى نقى لم يكثر غنيمة * بنهكة ذى قربى ولا بحقلد

وهذا مما لم يسأل عنه وعن اعرابه ومعناه تقدم وقد قيل انه من عطف التوهم وتقديره ليس بمكثر غنائمه بالغارة على أقاربه أو من هو بجواره فعطف بحلقد على بمكثر المتوهم ولو قيل انه معطوف على قوله بنهكة وفسر بالخلق السيء والمراد انه لم يكثر غنائمه بجوره على اقربائه وجيرانه ولا بسوء خلق يحمله على التعسف والشح لم يبعد من غير تكلف وفى لسان العرب بحفلد بالفاء والمشهور خلافه ومن قصيدة لعمرو بن حسان أخى بنى الحارث بن همام ذكر فيها الا كاسرة وآل المنذر

ألا يا أم قيس لا تلومى * وأبقى انما ذا الناس هام
أجدك هل رأيت أبا قبيس * أطال حياته النعم الركام
وكسرى اذ تقسمه بنوه * باسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

قال التبريزى فى تهذيب الاصلاح يقول لعاذلته لا تلومى فان المصير الى الموت وهام بمعنى موتى يقال فلان هامة اليوم أو غد والركام الكثير وقبيس تصغير قابوس تصغير ترخيم وهو النعمان وقوله وكسرى الخ يشير الى قتل ابنه شيرويه له وقوله تمخضت من المخاض وهو الطلق والماخض الحامل جعل المنون حاملة على التشبيه وجعل يوم موته ولدا للمنية وكل حامل تنتهى الى وقت تضع فيه حملها فكذلك المنية تنتظره كانتظار وضع الحامل والمنون مفرد وجمع قال

من رأيت المنون عدين أم من * ذا عليه من أن يضام خفير

وأنى وآن بمعنى حان وقال بعض الاعراب

قوم اذا اشتجر القنا * جعلوا القلوب لها مسالك
اللابسين قلوبهم * فوق الدروع لدفع ذلك

انظر لبس القلوب على الدروع وما فيه من المبالغة التى لا يوجد مثلها وفى معناه قلت

اذا لم تكن فوق الدروع قلوبنا * فما الدرع الا سجن من هو حامله
لها أعين ان حدقت فى الوغى ترى * بمنتقها الخطى هزت مفاصله

وقال أدباء الكوفة لامروءة لمن لم يرو قول الكلابي

سقى الله دهرا قد تولت غياطله * وفارقنا الا الحشاشة باطله
ليالى خدنى كل أبيض ماجد * يطيع هوى الصابى وتعصى عواذله
وفى دهرنا اذ ذاك والعيش غرة * ألا ليت ذاك الدهر تثنى أوائله
بما قد غنينا والصباحل همنا * بما يلنا ريعانه وغمايسله
وجرلنا أذياله الدهر حقبة * يطاولنا فى غيه ونطاوله
فسقياله من صاحب خذلت بنا * مطيتنا عنه وولت رواحله
أصد عن البيت الذى فيه قاتلى * وأهجره حتى كأنى قاتله

والغياطل جمع غيطلة وهى الظلمة والاصوات المختلطة والشجر الملتف وأنشد المبرد فى الكامل وثعلب فى أماليه لسلم بن غزية

عريت من الشباب وكان غضا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عينى * ومنتحبا فما أغنى النحيب
فيا أسفا أسفت على شباب * نعاه الشيب والرأس الخضيب
فياليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

وفى الشيب اشعار كثيرة ومعان بديعة وأشعار المولدين فيها عقود درر وأوضاح غرر كقول الأشجع فى قصيدة مدح بها الرشيد

قصر عليه تحية وسلام * ألقت عليه جمالها الايام
قصر سقوف المزن حول سقوفه * فيه لاعلام الهدى اعلام

منها

يثنى على آبائك الاسلام * والشاهدان الحل والاحرام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا اغفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

وهذا معنى بديع أخذه من كلام الاخطل مشهور ومن فصيح كلامهم قول بعض شعراء المغاربة يمدح من جاءه من البحر

ان امرأ قذفت اليك به * فى البحر بعض مراكب البحر
تجرى الرياح به فتحمله * وتكف احيانا فلا تجرى
ويرى المنية كلما عصفت * ريح به للهول والذعر

لمستحق أن تزوده * كتب الامان له من الفقر
ونحوه ما كتبه الحصري لابن عباد

أمرتني بركوب البحر مغتربا * عليك غيري فامره بذا الراي
ما أنت نوح فتنجيني سفينته * ولست عيسى أنا أمشي على الماء

ومن أمثال المولدين (المورد العذب كثير الزحام) وهو من قول بعض بني تميم (ان النداء حيث ترى الضغاطا) ومنه أخذ بشار قوله

يسقط الطير حيث يلتقط الحب ويغشى منازل الكرماء

وفي معناه قولي

وفود الكريم الحليم حجاب بابه * وهم منعوا منه دخول المعائب
وليس عليه حاجب يحجب الورى * سوى أنه أغناهم بالمواهب

وقال أبو العتاهية

من سابق الدهر كبا كبوة * لم يستقلها من خطى الدهر
فاخط مع الدهر اذا ما خطا * واجر مع الدهر كما يجري
ليس لمن ليس له حيلة * موجودة خير من الصبر

ومن شعراء الجاهلية زياد بن زيد فمن شعره قوله من قصيدة

رأيتك من ليلى كذي الداء لم يجد * طبيبا يداوي ما به فتطببا
فلما اشتفى من دائه كر طبعه * على نفسه من طول ما كان جربا

وقال المبرد في الكامل كان العباس أجهر الناس وأشدهم صوتا ولذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لما ولوا عن القتال أصرخ بالناس فصاح مرة فاسقطت الحوامل وقد طعن الناس في قول النابغة

زجر أبي عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

بانه اذا كان هذا في السباع مع شدتها فما حال الغنم وأجيب بانها أنست بصوته لكثرة سماعها له بخلاف السباع وقيل انه من أكاذيب العرب انتهى قلت أبو عروة هذا ليس كنية العباس كما في شرح الكشاف للطيبي فاعرفه وقال الجاحظ ان أبا عفيف البصري كانت الحبالى تسقط من صوته وفيه يقول أبو ربيعة

فاسقط أحبال النساء بصوته * عفيف وقد نادى بصوت مطردا

وكتب الابيوردى للطغرائى

ألا يا صفى الملك هل أنت سامع * نداء عليه للحفيظة ميسم
أتاك غلام من أمية يرتدى * بظلك فانظر من أتاك ومن هم
وقد لفت الشم الغطارف عرقه * بعرقك فالارحام ترعى وتكرم
أينبذ مثلى بالعراء ومارنى * بما أتوقاه من الذل يحطم
ومن يحتلب در الغنى بضراعة * فللمجد أسعى حيث يحتلب الدم
فهل لك فى شكر تحدث مقرفا * بما راق من ألفاظه الغر ميسم
ولولا ارتفاع الصيت لم يطلب الغنى * وأنت بما يبقى لك الذكر أعلم

فأجابه بقوله

فديتك قد أسمعتنى متحرجا * نداء عليه للحفيظة ميسم
وان هما مامن أمية ضامنى * لتعفو عن الجانى المسىء وتحلم
فمالى فى جود بجرم محجب * على بابه الاملاك لولا التجرم
أعد نظرا فيما أقول ولم أكن * كذى العر يكوى غيره وهو يبسم
أعيذك بالحلم الذى أنت أهله * وانك أولى بالجميل وأكرم
فهب لى مالم أجنه متكرما * فأنت بعذرى ان تأملت أعلم
فثق فى اعتقادى فى ولائك وارع لى * امام العلا انى بحبلك معصم

ومن البديع التضمين ولابن تميم فيه طريق لم يسبق اليها كتضمينه قول المتنبى فى الناقة و يغيرنى جذب الزمام لقلبها * فمها اليك كطالب تقبيلا

فقال وقد استعاره عباءة فرد هاد يباجة فى وردة أهديت اليه قبل أوانها

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

ولو قال طمعت بلثم يديك حتى جمعت كما لا يخفى على من له المام بالادب كان أحسن ومما يشبه هذا المعنى ما حكى أن أبا العلاء صاعد ابن الحسن امام أهل اللغة فى عصره كان ينادم المنصور بن أبى عامر سلطان المغرب فجىء اليه بوردة فى مجلس من مجالس أنسه فى أول ظهور الوردة فقال أبو العلاء صاعد بديهة

أتتك أبا عامر وردة * يحاكى شذا المسك أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

فاستحسنه المنصور وكل أهل مجلسه فحسده أبو القاسم بن العريف وكان حاضرا فقال انهما من شعر لعباس بن الاحنف وقد أنشدنيهما بعض البغداديين بمصر وهما عندي على ظهر كتاب بخطه فقال المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وجعل يحث حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل وقته بديهة فوصف له ماجرى فقال أبياتا ودس فيها بيتي صاعد وأتى قبل انقضاء المجلس وهي

عشوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها

فألفيتها وهي في خدرها * وقد صرح السكر آناسها

فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كأسها

ومدت الى وردة كفها * يحاكي شذا المسك أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

وقالت خف الله لاتفضحن * في ابنة عمك عباسها

فوليت عنها على غفلة * وماخنت ناسي ولاناسها

فحلف صاعد انه ماراها فلم يصدقوه وانصرفوا وهم على اعتقاد أنه سرقها فطار ابن العريف وتحيل على أن علقها على ظهر كتاب بخط مصري وتحيل حتى غير المداد ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان لم يبق في موضع لي فيه سلطان فلما أصبح وجه اليه فحضر وأحضر جميع الندماء فدخل بهم وبه الى مجلس حفل قد أعد فيه طبقا عظيما جعل فيه سفائف مصنوعة من جميع النواوير وصنع على السفائف مركبا من ياسمين في شكل الجواري وتحت السفائف بركة ماء قد ألقي فيها اللؤلؤ مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور هذا يوم اما أن تسعد فيه معنا واما أن تشقى بالضد عندنا لانه قد زعم قوم أن كلما تأتي به دعوى وقد وقفت على حقيقة من ذلك وهذا طبق ماتوهمت انه حضر بين يدي ملك قبلي شكله فصفه بجميع مافيه فقال صاعد بديهة

أباعامر هل غير جدواك واكف * وهل غير من عاداك في الناس خائف

يسوق اليك الدهر كل غريبة * وأغرب مايلقاه عندك واصف

وشايع نور صاغها صيب الحيا * عليها فمنها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بأنواع الملاهى الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * يظللها بالياسمين السقائف
وأعجب من ذا انهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلى سابح فى عبابها * من الرقش مسموم الرعانين راجف
ترى ماتشاء العين فى جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف
فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحية تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجدف بمجاديف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أجدت الا انك لم تصف هذه الجارية فقال للوقت
وأعجب منها غادة فى سفينة * مكللة يهفو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقى * بسكانها ماأنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب * تصرف فى عينى يديها المجادف
ولم ترعينى فى البلاد حديقة * ينقلها فى الراحتين الوصائف
ولا غروأن ساقت معاليك روضة * وشتها أزاهير الربى والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع * ورضوى ذرتها من سطاك العواصف
اذا قلت قولا أو بدهت بديهة * فكلنى لها انى لمجدك واصف
فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب وأجرى عليه فى كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بديوان الندماء
واعلم أن المتأخرين وان تأخر زمانهم عن المتقدمين فقد زاحموهم بالركب وكادوا أن يرقوا الى أعلى الرتب لاسيما شعراء المغرب فقد أتوا بمعان بديعه وارتقوا الى مرتبة رفيعه كيزيد بن خالد الاشبيلى له فى وصف السفن معانى لم يسبق اليها كقوله
اذا نشرت فى الجو أجنحة لها * رأيت بها روضا ونورا مكمما
وان لم تهجه الريح جاء مصافحا * فدله كفا خضيبا ومعصما
مجاديف كالحيات مدت رؤسها * على وجل فى الماء كى تروى الظما
كما أسرعت عدا أنامل حاسب * بقبض وبسط يقبض العين والفما
هى الهدب فى أجفان أكحل أوطف * فهل صبغت من عندم أو بكت دما

وفى

وفى معناه قول أبى الحسن بن حريف

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح خشية الطوفان

فاذا رأين الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

ومن شعرائهم ابن خفاجة وقرأت فى ديوانه قصيدة رائية لم يطن على آذان الدهر مثلها وهى

أما والتفات الروض عن أزرق النهر * واشراق جيد الغصن فى حلية الزهر

وقد نسمت ريح النعامى فنبهت * عيون الندامى تحت ريحانة الفجر

وخدر فتاة قد طرقت وانما * أبحت به وكر الحمامة للصقر

وماقد خلعت البرد عنه وانما * نشرت به طى الصحيفة عن سطر

لقد جبت دون الحى كل تنوفة * يحوم بها نسر السماء على وكر

وخضت ظلام الليل يسود فحمة * ودست عرين الليث ينظر عن جمر

وجئت ديار الحى والليل مطرف * ينمنم ثوب الافق بالانجم الزهر

أشيم به برق الحديد وربما * عثرت بأطراف الردينية السمر

فلم ألق الا صعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد أطل على نهر

ولا شمت الا غرة فوق أشقر * فقلت حباب يستدير على خمر

ودون طروق الحى خوضة فتكة * مورسة السربال دامية الظفر

تطلع فى فرع من النقع أسود * وتسفر عن خد من السيف محمر

فسرت وقلب الليل يخفق غيرة * هناك وعين النجم تنظر عن شزر

فطار اليهابى جناح صبابة * وطاربها عنى جناح من الذعر

فقلت رويدا لاتراعى فاننا * لنطوى ضلوع الليل منا على سر

وسكنت من نفس بجيش مروعة * ومسحت عن عطف تمايل مزور

ومزقت جيب الليل عنها وانما * رفعت جناح النسر عن بيضة الخدر

وقبلت مابين المحيا الى الطلى * وعانقت مابين التراقى الى الخصر

وأطرب سجع الحلى عن خيزرانة * تميل بها ريح الشبيبة والسكر

غزالية الالحاظ رعية الطلا * مداميـة الالمى حبابية الثغر

ترجح فى موشية ذهبية * كما اشتبكت زهر النجوم على البدر

تلاقى نسيبى فى هواها وأدمعى * فمن لـؤلؤ نظم ومن لؤلؤ نـثر
وقد خلعت ليلا علينا يد الهوى * رداء عناق مزقته يد الفجر
ولما تجلى ضوء صبح كأنه * مشيب بفود الليل طالع عن قطر
وحط رداء الغيم عن منكب الصبا * ونم على ذيل الدجى نفس الزهر
صددت ودون الحى ستر غمامة * يشف كما شف الرماد عن الجمر
ولا ليـل الا بالثوبة أقمر * تنفس فيه السكر عن نفحة الشكر
ولا كف الا للامير كريمة * تبسم فيها النصل عن مبسم النصر

ولعمرى ان هـذا سحر يصلب له هاروت وماروت و بلاغـة قسية تتبعها الاوصاف وتنقطع دونها النعوت تهز اعطافها اريحية الصبا وهز قدود الغصون بيد الشمال والصبا فتتعثر الافهام باذيال لوعة وغرام كما قال

وعقد جمان فى حديث علاقة * يهز اليه الشيخ عطف غلام
اذا ما استخفتنى لها أريحية * عثرت بذيلى لوعة وغرام
لقد هزنى فى ربطة الشيب هزة * أرتنى ورائى فى الشباب أمامى

وفى تذكرة العلامة أحمد بن مكتوم تلميذ أبى حيان قال أنشدنى أبو جعفر بن الزبير قال أنشدنى القاضى الاديب أبو العباس بن خليل قال أنشدنى أبو جعفر عمر بن عبد الله الحكمى قال أهديت لى جارية فتبين لى انى قد ملكت امها ووطئتها فرددتها لمن أهداها وكتبت معها أبياتا ضمنت فيها بيت عنترة فى معلقته وهى

يا مهدى الرشأ الذى ألحاظه * تركت فؤادى نصب تلك الاسهم
ريحانة كل المنى فى شمها * لولا المهيمن فى اجتناب المحرم
ماعن قلى صرفت اليك وانما * صيد الغـزالة لم يبح للمحرم
ياويح عنترة يقول وشفه * ماشفنى وجوى وان لم أكتم
ياشاة ماقنص لمن حلت له * حرمت على وليتها لم تحرم

وعلى ذكر الهدية نهدى اليك فائدة سنيه كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولا يقبل الصـدقة وأهدى اليه اعرابى هديه فقبلها منه وقال يارسول الله انى كنت أهديت هدية فأعطاه عطية فذهب ثم أتاه مرة فأعطاه ثم أتى مرة أخرى فقال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم انى عزمت أن لا أقبل هدية الا من قرشى أو ثقفى فقال

حسان رضى الله عنه

ان الهدايا تجارات اللئام وما * يرجو الكرام لما يهدون من ثمن

وكان عمر رضى الله عنه لا يقبل هدية العمال واذا قبلها وضعها فى بيت المال فقيل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية فقال انها كانت هدية وهى الآن رشوة ولذا قال الزاهد بن عمران

توق وحاذر من قبول هدية * وان جاءنا فيها حديث مرغب

فقد حدثت بعد الرسول حوادث * تحذرنا عنها وعنها ترغب

وكانت هدايا فى الاوائل قبلنا * تؤلف فيما بينهم وتحبب

فعادت بلايا يسرع المن بعدها * تفرق فيما بيننا وتجنب

ولم تزل بحور الشعر تقذف عنبرا وتعطى من غاص فيها دررا ومن كان ذا فطرة سليمة علم أن أم المعانى غير عقيمه ألا ترى قول ابن الصفار فى مرثية غريق

يا أيها الرشأ المكحول ناظره * بالسحر حسبك قد أحرقت احشاءى

ان انغماسك فى التيار حقق ان الشمس تغرب فى عين من الماء

(وقوله فى غريق أيضا)

غريق كأن الموت رق لحسنه * ولان له فى صفحة الماء جانبه

أبى الله أن ينساه قلبى فانه * توفاه فى الماء الذى أنا شاربه

وقال عمران الطوالقى

ألا أيها الشخص المغيب شكله * عثلك هذا الدهر يبخل عن مثلى

كأن صفاء الماء شاكل جسمه * فجاذبه فانقاد شكل الى شكل

نأى عن تراب الارض نور بهائه * ولو كان من ترب لعاد الى الاصل

ولما أنشد فى الدمية قول أبى جعفر البجاءى فى غريق

ولما لم يسعه البر قبرا * غدا البحر المحيط له ضريحا

قال أما أنا فقد عجبت اذ سمعت أن بحرا قد أغرق بحرا فقلت أنا فى معناه

لا تعجبن لبحر * اذ كان أغرق مثله

لانه غار لما * لم يحك فى الناس فضله

ومما أبدع فيه ابن تميم قوله فى غريق

قالوا أيلبسه الغدير مفاضة * منسه ويهلكه مقالا باطلا
فأجبتهم ان الحمام اذا أتى * طبع الدروع أسنة ومناصلا

وأجاد الوزير أبو القاسم فى قوله فى مليح يسبح فى الخليج

انى رضيت من الحيا * ة بأسرها نظرى اليه
وعرفت أسباب النعيم * بقبلة فى عارضيه
ولقد أراه فى الخليج * يشقه من جانبيه
والماء مثل السيف وهو * فرنده فى صفحتيه
وكأنه فى الماء قلبى * بين أشواق اليه
لا تشربوا من مائه * أبدا ولا تردوا عليه
قد ذاب فيه السحر من * حركاته أو مقلتيه
صبغت بياض الماء صبغة * حمرة فى وجنتيه

وقال الادباء بدئ الشعر بملك وختم بملك والاول امرؤ القيس فانه أول من هلهل الشعر وهذبه ونسج نسيبه ورتبه والثانى ابن المعتز فانه ممن أوتى جوامع الكلم نظما ونثرا وانشاء وشعرا والعامة تقول كلام الملوك ملوك الكلام وقيل أبو فراس والاول أقرب الى القياس أما ابن المعتز فهو كما فى كتاب الورقة للصورى شاعر مفلق واسع الفكر فى العلم والنظم والنثر من شعراء بنى هاشم وعلمائهم وكان اماما فى الادب ومعرفة كلام العرب وكان المبرد يجله ويسعى اليه ويستفيد منه الا أنه كان له هنات فى حب بنى هاشم والغلو فى تقديمهم على غيرهم وله فى ذلك قصايد ثم رجع عن ذلك وقال ما يناقضه وكان ثعلب يقدمه ويقول هو أشعر أهل عصره وكان يحب لقاء أحمد بن يحيى فكتب اليه عن ترك اتيانه أبياتا منها

ما وجد صاد فى الحبال موثق * بماء مزن بارد مصفق
بالريح لم يطرق ولم يرنق * جادت به أخلاف دجن مطبق
صريح غيث خالص لم يمذق * الا كوجدى بك لكن أتقى
يا فاتحا لكل علم مغلق * وصيرفيا ناقدا للمنطق
ان على البعاد والتفرق * لنلتقى بالذكر ان لم نلتقى

﴿وله﴾ يارب اخوان صحبتهم * لا يملكون لسلوة قلبا

لو تستطيع نفوسهم فقدت * أجسادها وتعانقت حبا

(وله) عرف الدار فحيا وباحا * بعد ما كان صاوا استراحا
ظل يلحاه العذول ويأبى * فى عنان العذل الا جماحا

(ومنها)

من رأى برقا يضىء التماحا * ثقب الليل سناه فلاحا
وكأن البرق مصحف قار * فانطباقا مرة وانفتاحا

وله من أخرى

قد دست كيد اله يخفى مسالكه * يقظان يسرى اذا كيد العدا هجعا

وكتب لابن وهب

يا جوهر الاخوان * وحلبة الزمان
* ودولة المعانى * وروضة الامانى
عش لى كعمرى شكرى * فيك فقد كفانى
أريت عين ودى * معاتب الاخوان

(وله)

كما طريق الحج فى كل منهل * يذم على ما كان منه ويشرب

(وله) كم حاسد حنق على بلا * جرم وليس يضرنى الحنق
متضاحكا نحوى كما ضحكت * نار الذبالة وهى تحترق

وله من معانيه الغريبة

يا بخيلا ليس يدرى ما الكرم * حرم اليوم على فيه نعم
حدثونى عنه فى العيد عا * سرنى من لفظه حين حكم
قال لا قربت الا بدنى * ذاك خير من أضاحى الغنم
فاستخار الله فى كربته * ثم ضحى بفتاه واحتجم

(وله) لى صاحب مختلف الالوان * متهم الغيب على الاخوان
منقلب الود مع الزمان * يسرق عرضى حيث لا يلقانى
حتى اذا لقيته أرضانى * فليته دام على الهجران

وله من قصيدته المشهورة

ألا رب ألسنة كالسيوف * تقطع أعناق أصحابها

(ومنها)

ومانيقص من شباب الرجال * يزد في نهاها وألبابها

(ومنها)

دعوا الاسد تفرس ثم اشبعوا * بما يترك الاسد في غابها

وله من قصيدة

شجتك لهند دمنة فديار * خلاء كما شاء الفراق قفار
ولو شئت أوقرت البلاد حوافرا * وسالت وراءى هاشم ونزار
وعم السماء النقع حتى كأنه * دخان وأطراف الرماح شرار

وله من أخرى

أيا ويحهما ذنبه ان تذاكرا * سوالف أيام سبقن أواخرا

(ومنها)

وقالوا كبرت وانتضيت من الصبا * فقلت لهم ما عشت الالأكبرا
لبست أخلاء الهوى فنزعتهم * وما كنت أهوى بعدهم أن أعمرا
فأخلوا هوى من سواهم وأطبقوا * جفونى فما أهوى من البين منظرا

(ومنها)

كأن الصبا تهدى اليه اذا سرت * على تربها مسكا فتيتا وعنبرا
سقتها السوارى والغوادى قطارها * لجاء كما شاء القطار ونورا

ومن أخرى له

ومهمه كرداء الوشى مشتبه * قطعته والدجى والفجر خيطان
والريح تجذب أطراف الرداء كما * أفضى الشقيق الى تنبيه وسنان

ومن أخرى له

شفع يد الساقى وطيب زمانه * فى السكر كل عشية وغداة
فالريح قد نمت بأسرار الربى * وتنفس الريحان فى الجنات

وله فى الارضة

لم أبك ربعا مقفرا ولا طللا * ولا شبابا خان ودى وارتحل

بل

بل دفترافيه حديث وغزل * ماعابني ولا رأى مني زلل
قددب فيهن دبيبامن أكل * عصاسليمان وظل منجدل
* يأكل أثمار العقول لا أكل *

ومن قصيدة له

ومليح الدل ذي غنج * لابس للحسن جلبابا
أثمرت أغصان راحته * لجنان الحسن عنابا

(ومنها)

خضبت رأسي فقلت لها * فاخضبي قلبي فقد شابا

قلت عدى أثمرت وقد أنكره صاحب الدمية وله

ودونكه موشي نمقته * وحاكته الانامل أي حوك
بشكل يأخذ القدح المعلى * كأن سطوره أغصان شوك

(وله)

يانفس صبرا لعل الخير عقباك * خانتك بعد لذيذ العيش دنياك
مرت بنا سحرا طير فقلت لها * طوباك ياليتنا اياك طوباك
لكن هو الدهر فالقيه على حذر * فرب مسك به والحب اشراك

ومن نثره قوله قلبي نجي ذكرك ولساني خادم شكرك وله في مريض أذن الله في شفائك وتلقى ذلك ببقائك ومسح لك بيد العافية * ووجه اليك وافد السلامة وجعل علتك ماحية لذنوبك ومضاعفة في ثوابك وله في العفو لا تشن حسن الظفر بقبح الانتقام وتجاوز عن مذنب لم يسلك بأقراره طريقا حتى اتخذ من رجائك رفيقا ولم يسر ميلا حتى اتخذ حسن الظن دليلا (ومن فقره) المعروف رق والمكافأة عتق الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملك طالب لما لا يجد

(خاتمة) تشبيه ابن المعتز السطور بالاغصان والشكل بالشوك صحيح لكنه قبيح وعجيب من مثله كيف خفي عليه ركاكته فانظره بعين الانصاف مع قولي في معناه

بعثت كتبي الى الاحباب نائبة * عن العيون اذا اشتاقت الى النظر
فالخط في الترس والالحاظ ناظرة * صنوان في شبه المعنى وفي الصور
فان هذا سواد في البياض له * شكل كاهداب أجفان من الشعر

وانظر موقع الشوك فى قولى

اذا نكبات الدهر وافتك فاصطبر * تراها تجلت فالزمان أبو الغير

اذا رق الورد النسيم بحيرة * ترى فى أيادى القضب من شوكه ابر

ومما عابوه عليه قوله طوبالك قالوا وصوابه طوبى لك وفيه نظر عندى فانه اذا استعمل لفظ فى كلامهم على وجه من وجوه الكلام ثم استعمل على وجه آخر جار على قواعد العربية مؤد لذلك المعنى كيف يعد خطأ فان اللام هنا مقدرة والمقدر فى حكم الملفوظ فما الفرق بين طوبى لك وطوبالك حتى يقال ان الثانى لحن وهذا كما قيل ان كافة لا تكون الا نكرة منصوبة حالا كما ذكره الحريرى وقال ان غيره لحن كقول الزمخشرى بكافة الابواب وهو غير مسلم ولم أر من تعرض له من المتقدمين * وأما الامير أبو فراس ابن حمدان فهو فارس الهيجاء وواحد البلغاء والفصحاء وهو من الذين هم فى الفصاحة والشجاعة والصباحة لا يدانيهم مدانى ولا يبارزهم مدانى ومن طالع ديوانه عرف فى البلاغة مكانه ألا ترى قوله

علونا جوشنا بأشد منه * وأثبت عند مشتجر الرماح

بجيش جاش بالفرسان حتى * ظننت البر بحرا من سلاح

وألسنة من العذبات حمر * تخاطبنا بأفواه الرماح

(وقوله)

غيرى يغيره الفعال الجافى * ويحول عن شيم الكريم الوافى

لا أرتضى ودا اذا هو لم يدم * عند الجفاء وقلة الانصاف

تعس الحريص وقلما يأتى به * عوضا عن الالحاح والالحاف

ان الغنى هو الغنى بنفسه * ولوانه عارى المناكب حافى

ما كل ما فوق البسيطة كافيا * واذا قنعت فكل شئ كافى

وتعاف لى طمع الحريص أبوتى * ومروأتى وقناعتى وكفافى

ومكارمى عدد النجوم ومنزلى * مأوى الكرام ومنزل الاضياف

لا أقتنى لصروف دهرى عدة * حتى كأن صروفه أحلافى

شيم عرفت بهن اذ انا يافع * ولقد عرفت بمثلها أسلافى

وسمع وهو أسير سجع حمامة فقال

افول

أقول وقد ناحت بقربي حمامة * أيا جارتي هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى * ولا خطرت منك الهموم ببال
أتحمل محزون الفؤاد قوادم * على غصن نائي المسافة عالي
أيا جارتي ما أنصف الدهر بيننا * تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي ترى روحا لدي ضعيفة * تردد في جسم يعذب بالي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة * ويسكت محزون ويندب سالي
لقد صرت أولى منك بالدمع مقلة * ولكن دمعي في الحوادث غالي

وقد لحن في قوله تعالى اذ كان حقه فتح اللام لان أصله تعالى بياءين ياء مفتوحة وياء ساكنة فأعلت الاولى وحذفت لالتقاء الساكنين وممن ذكر هذا ابن هشام في شرح الشذور من غير خلاف فيه بين أهل العربية أقول هذا هو المعروف بين أهل العربية وعندي انه غير مسلم فان قتادة روى عن الحسن البصري انه قرأ قل تعالوا بضم اللام كما ذكره ابن جني في المحتسب وقال وجهه انه حذف لام تعاليت استحسانا تخفيفا فلما زالت لام الكلمة ضمت اللام له لوقوع الواو بعدها كقولك تقدموا وتأخروا ونظيره ما باليت به بالة أصله بالية كالعافية والعاقبة ثم حذفت كما تقول اسعوا أم أمن سعى ونظير ما نحن فيه ما قاله الكسائي في آية على ان أصله آيية زنة فاعلة ونظير ما نحن فيه قراءة الحسن أيضا في قوله عز وجل الا من هو صال الجحيم بضم اللام حدثنا بذلك أبو علي وذهب الى ما ذكرناه من حذف اللام استخفافا والى أنه يجوز أن يكون أراد صالون الجحيم فحذف النون للاضافة وحذفت الواو التي هي علم الجمع لفظا لالتقاء الساكنين واستعمل لفظا حملا على المعنى كقوله ومنهم من يستمعون اليك وأما حديث تعال والقول على ماضيه وتصريفه ومن أين جاز استعمال لفظ العلو في التقدم فأمر يحتاج الى فضل قول كما ذكرناه في غير هذا الموضع الا أن من جملته انهم استعملوا لفظ التقدم والارتفاع على طريق واحد من ذلك قولهم قدمته الى الحاكم وهو كقولك ترافعنا الى الحاكم فكذلك قولك للرجل تعال كقولك له تقدم وأصله أن التقدم تعال والتأخر انخفاض وتراخ فافهم أقول ان تعال استعملوه على وجهين أحدهما وهو الفصيح المشهور أن تحذف الياء التي هي لام الكلمة لالتقاء الساكنين بعد قلبها ألفا فتبقى اللام التي قبلها على فتحها لان المحذوف لعلة كالموجود والثاني

أن تحذف ابتداء للتخفيف نسيا منسيا فيبقى ما قبلها آخر الكلمة فيحرك بحركة تجانس الضمير المتصل بها فيقال تعالى بكسر اللام كقطام وبه قرئ فى الشواذ الا أن الظاهر أنه غير مقيس فهل يقال ان التكلم بمثله فى تركيب آخر لحن وخطأ أولا محل نظر وهذا جار فيما قاله أبو فراس ثم انه أشار الى انه تعالى أمر بالعلو أريد به الحضور والتقدم وشاع حتى صار حقيقة فيه وهو تحقيق نفيس ينبغى حفظه فى خزائن الاذهان وفى الدر المصون استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين أو قلبت لتحركها وانفتاح ما قبلها ألفا وحذفت لالتقاء الساكنين وقرأ الحسن وأبو واقد بضم اللام ووجهت بأن الضمة استثقلت على الياء فنقلت الى اللام بعد حذف حركتها وعندى انهم تناسوا المحذوف حتى توهموا انها بنيت كذلك وان اللام آخرها حقيقة حتى ضمت مع الواو وكسرت مع الياء كما قالوا لم أبل وقال الزمخشرى وعلى هذا قول الحمدانى وعاب هذا عليه من قال انه مولد لا يستشهد بكلامه وليس بعيب فانه انما ذكره استئناسا به ولا يعاب عليه ما عرفه ونبه عليه انتهى وكأن هذا الشعر مما قاله لما أسره الروم وله فى ذلك أشعار كثيرة بليغة هى فى ديوانه وأحسن ما قيل فى السجن قول على بن الجهم

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى * حبسى وأى مهند لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألف غيله * كبرا وأوباش السباع تردد
والبدر يدركه السرار فينجلى * أيامه وكأنه متجدد
والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار فى أحجارها مخبوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والزاغبية لا يقوم كعوبها * الا الثقاف وجذوة تتوقد
ولكل حال معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد
والحبس ان لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لو لم يكن فى الحبس الا انه * لا يستذلك بالحجاب الاعبد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود

وكانوا يقولون القيود خلاخيل الرجال ومن بديع قوله فى السحاب

وسارية لا تمل من البكا * جرى دمعها فى خدود الثرى
سرت تقدح الصبح فى ليلها * ببرق كهندية تنتضى
فلما دنت جلجلت فى السما * رعدا أجش كصوت الرحا
ضمان عليها ارتداع البقاع * بانوائها واعتجار الربى
فما زال مدمعها باكيا * على الترب حتى اكتسى ما اكتسى
فاضحت سواء وجوه البلاد * وجن النبات بها والتقى
وكاس سبقت الى شربها * عزولى كذوب عقيق جرى
يشير بها غصن ناعم * من البان مغرسه فى نقا
اذا شئت ظلمنى بالجفو * ن من مقلة كحلت بالهوى
له شعر مثل نسج الدروع * وجفن سقيم اذا ما رنا
ويضحك عن أقحوان الرياض * يغسله بالعشى الندى
ومصباحنا قمر مشرق * كترس اللجين يشق الدجى

وأشعاره كلها أوضاح وغرر وعقود فرائد ودرر لم تورد منها ما فيه اغراق لان أكثرها فى طرق الفصاحة مهراق ألم ترهم عابوا قول أبى نواس

لقد اتقيت الله حق تقاته * وجهدت نفسك فوق جهد المتقى
وأخفت أهل الشرك حتى أنه * لتخافك النطف التى لم تخلق

كما ذكره أهل المعانى وان اعتذروا عنه بما لا يجدى لانه انما يحسن مثله اذا اقترن بكاد كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء الآية ومما عيب منه قول ربيعة بن مهلهل من قصيدة يرثى بها كليبا

ولولا الريح لم أسمع بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

والبيض جمع بيضة وهى المغفر والذكور السيوف وضمنه المهدى بن محمد العكبرى يهجو ابن وهب ونقله لمعنى آخر فقال

وسائلة عن الحسن بن وهب * وعما فيه من كرم وخير
فقلت هو المهذب غير أنى * أراه كثير اسبال الستور
وأكثر ما يغنيه فتاه * حسين حين يخلو للسرور
فلولا الريح لم أسمع بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

(تتمة وفائدة مهمة) قد عرفت مما ذكره أهل المعاني ان الاغراق غير مقبول مالم يقارن كاد ونحوها وهذا مما شهد به الذوق السليم وزكى شهادته الطبع المستقيم وهذا وان سلمه علماء المعاني والبيان الا انه محتاج الى الايضاح والبيان فانه قد يعترض عليه بما يعارضه ويكدره ورود ما يناقضه كقوله عز وجل واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى الآية فانه بمعناه اذ اخراج الذرية من الظهور قبل الخلق والظهور وأخذ المواثيق والعهود مما يقتضي الترغيب والترهيب وهذا أشد مما في البيت لانه على سبيل التخييل والتقدير وهذا على سبيل التحقيق وقد ذكر هذا في حديث الصحيحين المعلوم عند علماء الحديث ولهم فيه طريقان مشهوران وهو مما خفي على كثير من العلماء ولهم فيه كلام محتاج للايضاح فاقول لعلماء التفسير فيه طريقان الاول انه من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وعلى هذا لا يبقى فيه اشكال ولا للبحث عنه مجال الثاني ان له معنى جليل قام عليه أقوى برهان ودليل فنهم من ذهب الى أنه استعارة وتمثيل نزل فيه وضوح الادلة القائمة على توحيده تعالى وصحة أحكام الشريعة المركوزة في الفطرة السليمة منزلة بروزهم في الخارج وأخذ العهود منزلة اتباع ماذكر وتسليمه والعمل بمقتضاه فلا يرد عليه شيء مما ذكر في الشعر ونحن نقول ان الأمر الذي وقع فيه المبالغة لا يخلو اما أن يقع بعد زمان بعيد كالساعة أولا يقع وهو اما محال متعذر الوقوع له نظائر ومشابه أولا الاول مقبول لتنزيل المحقق الوقوع منزلة الواقع وكذا الثاني لامكان أن يراد مجازا أو كناية والاخير هو محل الكلام والذي عليه أهل المعاني انه مردود مالم يقترن به مسوغ مثل كاد ونحوها والآية ليست من هذا القبيل لاسنادها لله الذي أبرز المعدومات من أرحام العدم ولا يقتضي قدرته شيء في القدم فما علينا الا الايمان بذلك وما لم تصل له أفهامنا نكله اليه ونسأله ان يمدنا للوقوف عليه وكفى هذا الاحتمال في مثل هذه الحال وما بعد الهدى الا الضلال فان قلت كيف أنكروا على أبي نواس هذا واستحسنوا قوله وقد عشق بعض أولاد الخليفة

انى صب ولا أقول بمن * أخاف من لا يخاف من أحد

اذا تفكرت في هواى له * أجس رأسي هل طار عن جسدى

مع انه مثله في المبالغة والاغراق لان الامر الذي خطر بباله ولم يخطر على لسان مقاله

كيف يخافه ويخشاه وهو ما تعدى خاطره وتخطاه ولا فرق بين هذا وذاك لمن له أدنى ادراك قلت الفرق مثل الصبح ظاهر لمن نور الله منه البصر والبصائر فان النطفة لا ادراك لها أصلا وهي قبل خلقها أبعد عقلا فركا كته أظهر من الشمس وأبعد من أمس أماما في فكره من الامر المهول فقد تهتدي اليه العقول لشدة اضطرابه وقد يظهر على سحنته آثار أوصابه وقد تدرك الفراسة ما ينطق به لسان الحال وربما نم عليه لسان المقال وقد قلت في معناه ما هو أحسن منه

صار الاعادي من مهابة بطشه * عقمى بلا نسل ولا أعقاب
فكأنما النطف التي قرت ثوت * من خوفها بمفازة الاصلاب

وقد تلطف وأغرب في قوله أجس رأسي هل طار عن جسدي لجعله ما يترقبه واقعا به حتى فتش عن رأسه وجسها بيده ليعلم هل قطعت أولا وهذا نوع من البديع بديع كقول المنازي في وصف نهر

يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وفيه التعبير على المقال بالفعال كقوله (وتشتم بالافعال قبل التكلم) ومثله قول ابن رشيق

قبلني محتشما شادن * أحوج ما كنت لتقبيله
أومأت اذ جاء بأترجة * عرفت فيها كنه تأويله
لما تطيرت بمعكوسها * ضمت بنانا نحو تقبيله

وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب المجالس وهذا الأمر من ذكره وهو مما استخرجته وسميته نطق الافعال ومنه قولي

ومعذر كتب الجمال بوجهه * هذا طراز الله لاح بطرته
لما بدا في الورد منه بنفسج * في الخد أطرق رأسه من خجلته

ولما بلغ عبد الملك أن الحجاج لا يراعي الشعراء نقم ذلك عليه وكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك الى الحجاج بن يوسف أما بعد فقد بلغني عنك أمر كذب فراستي فيك وأخلف ظني بك من اعراضك عن الشعر والشعراء فكأنك لا تعرف فضيلة الشعر والشعراء ومواقع سهامهم أوما علمت يا أخا ثقيف أن بقاء الشعر بقاء الذكر ونماء الفخر وأن الشعر طراز وحلي الدولة وعنوان النعم وتمام المجود لائل

الكرم وانهم يحضون على الافعال الجميله وينهون عن الاخلاق الذميمة وانهم سنوا سبل المكارم لطلابها ودلوا العفاة على أبوابها وان الاحسان اليهم كرم والاعراض عنهم لوم وندم فاستدرك فرط تفريطك وامح بصوابك وحى أغاليطك والسلام وبهذا علمت وقع الشعر عند الملوك وانه سبيل الى المكارم مسلوك وان الشعراء قافلة تحمل الذكر الجميل وان بضائعهم نافقة عند الكرام كاسدة عند اللئام والسلطان سوق تجلب لها الرغائب وتجبى لها محامد تمتلأ بها الحقائب ولابى اسحق الغزى من قصيدة

تجود فضيلة الشعراء غى * وتفخيم المديح من الرشاد
محت بانت سعاد ذنوب كعب * وأعلت كعبه فى كل ناد
وما افتقر النبى الى قصيد * مشببة ببين من سعاد
ولكن سن اسداء الايادى * وكان الى المكارم خير هاد

هذا تمام ريحانة الالباء المشتملة على أحاسن الادباء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله والاصحاب الطيبين الطاهرين الانجاب ماهبت نسمة وهنانه وفاح شذا ريحانه آمين

حمدا لمن نشر أرج الرياحين الادبية فى رياض المعارف وتوج المتحلى بها بكل تليد السعادة الابدية وطارف وشكرا لمن غردت ألباب الفصحاء على أغصان الاكوان بمحامده التى لا تحصى وخص اللغة العربية بالآلاء والمحامد التى لا تستقصى وصلاة وسلاما على خلاصة أشرف العرب المحفوف بالنعم الربانية ومحاسن الادب ﴿وبعد﴾ فقد تم وراق طبع هذا الكتاب المسمى بريحانة الالبا وجمع من الرقائق كل معنى مستطاب ﴿وجاء﴾ بحمد الله على منوال تسر الناظرين رؤية جماله وتبتهج النفوس بالترقى على درجات كماله وبهاء جلاله وذلك بالمطبعة العامرة العثمانية التى محل ادارتها مصر حارة الفراخة بخط باب الشعريه ادارة مديرها ومنشيها من على بهمته كل مقام فائق حضرة الشيخ عثمان عبد الرازق كان الله معه ويلغه فى الدارين ما أمله وذلك فى أواسط شهر صفر الخير سنة ١٣٠٦ هجريه على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحيه آمين

﴿فهرست ريحانة الالبا﴾

صحيفة

صحيفة

العلامة

صحيفة

صحيفة

سراج

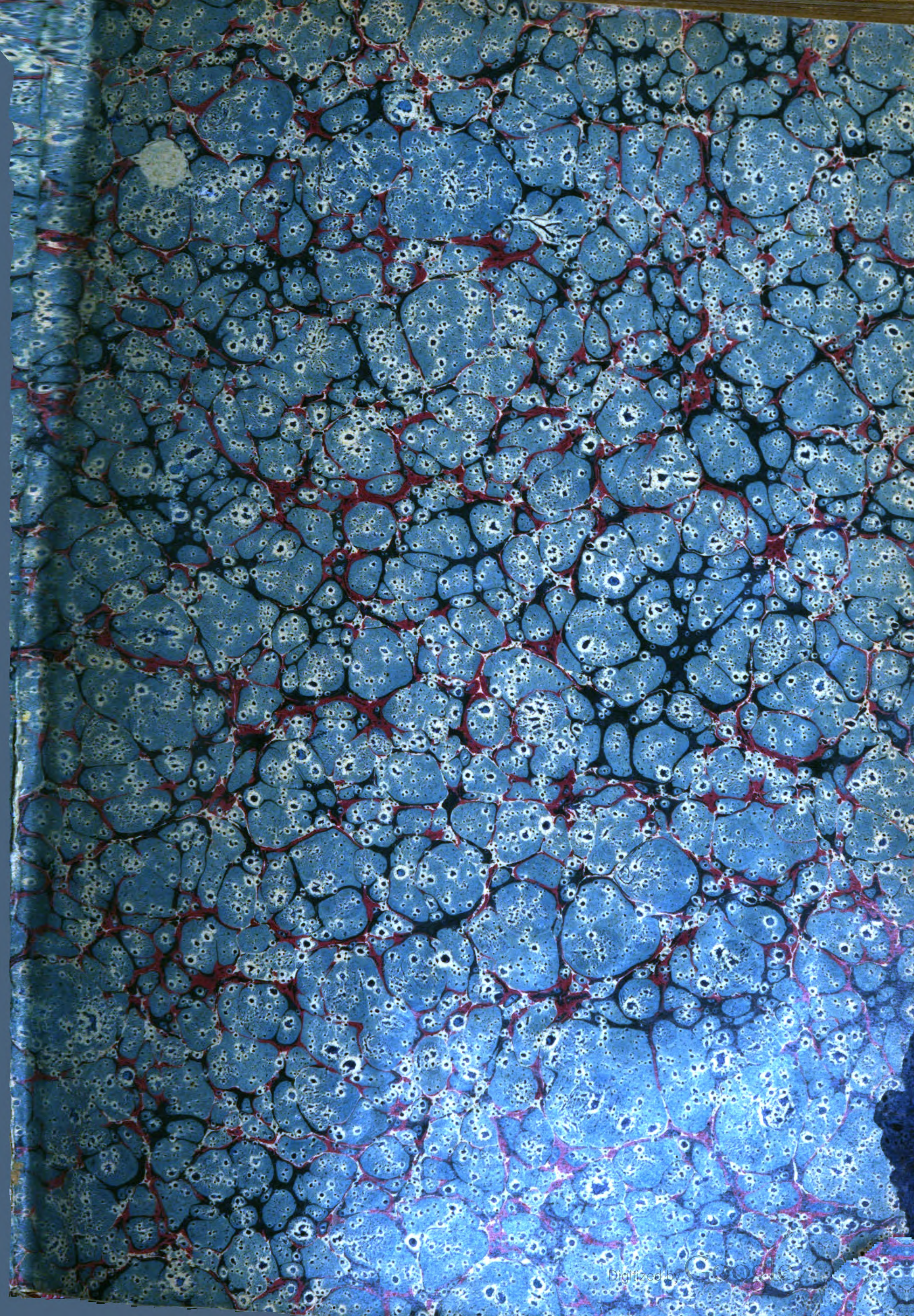
صحيفة

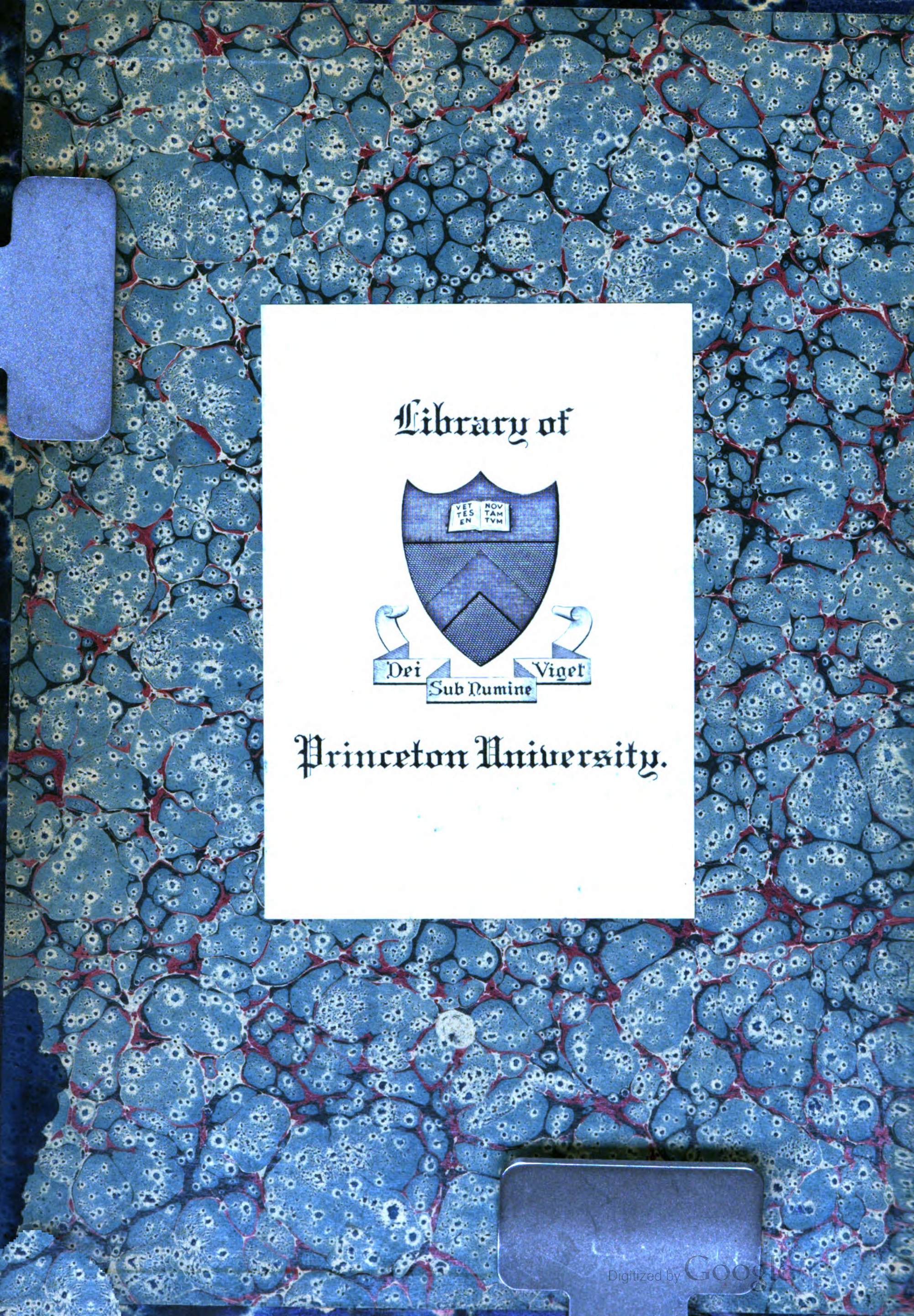
صحيفه

الاستاذ

صحيفة

(تمت الفهرست)





Library of
VET TES EN
NOV TAM TVM
Dei
Sub Numine
Viget
Princeton University.
Digitized by Google

